تاريخ الكويت الحديث والمعاصر

الدكتور
محمد حسن العيدروس
أستاذ التاريخ والعلاقات الدولية
جامعة روتردام الإسلامية — هولندا

دار الكتاب الحديث

1422 هـ / 2002 م

دار الكتاب الحديث

الإمارات	دار العيدروس للكتاب الحديث ص.ب 24393 دبي هـاتف 3522887 (04) ـ متحرك 5932613 (050) فاكس 3522885(04) ش. خالد بن الوليد ـ بناية الماجد/ش ـ 206 / دبي ـ إ.ع.م.
القاهرة	94 شارع عباس العقاد ـ مدينة نصر ـ القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762 هاتف رقم : 2752990 (202 00) فاكس رقم : 2752992 (202 00) بريد إلكتروني : kdh@eis.com.eg
الكويت	شارع الهلالي ، برج الصديق ص.ب : 22754 – 13088 الصفاه هاتف رقم 2460634 (965 00) فاكس رقم : 2460628 (965 00) بريد إلكتروني ktbhades@ncc.moc.kw
الجزائر	Wilaya d'Alger– Lot C no 34 – Draria B. P. No 061 – Draria Tel(21)354105 Tel&Fax(21)353055 E-mail dkhadith@hotmail.com

رقم الإيداع	2002 / 3263
I.S.B.N.	977-350-019-2

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

الى ابناء الكويت

ليحافظوا على امجاد الماضي الأصيل

وعراقة المؤسسات الديمقراطية الدستورية

وحرية التعبير واحترام الرأي الآخر

ومكتسبات العلاقة الاخوية العربية

والصداقة مع القوى المحبة للسلام

مع حب وتقدير ووفاء وعرفان
من احد اخوانكم
في الامارات العربية المتحدة الشقيقة
د. محمد حسن العيدروس
العين - ابوظبي

مقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد رسول الله ﷺ ، نور البشرية وهادي البرية ومرشدها من الضلال الى الحق والعدالة ، والصلاة والسلام على ال بيته الطاهرين الأخيار الى يوم الدين .

لمن دواعي سروري ان اتمكن من كتابة تاريخ الكويت الحديث والمعاصر ، وانني اعلم ان هناك الكثير مما كتب عن الكويت ، وما هذا الكتاب سوى تكملة لما كتب ، واهداء ووفاء وعرفان لهذا البلد المضياف وأهلها الكرام الذين عرفوا برعاية الضيف وحماية المستجير ومسالمة الجار وحسن علاقة الجوار ، وارجوا ان يكون هذا الجهد المتواضع خدمة لابناء الكويت ، ليعرفوا ما حققه الاجداد من صراع وكفاح مع الطبيعة في البر والبحر ، ومن صراع من أجل مستقبل لائق تحت ظل الديمقراطية والمشاركة الشعبية ، ليس من اجل الكويت فقط وانما لأجل تنوير الطريق للقوى العربية المجاورة ، والتي لابد يوما من الايام ان تحذوا حذو الكويت شاءت ام ابت ، فهي طريق الشعوب نحو التقدم والرقي والتخلص من الحكم الشمولي الفردي في القرن الواحد والعشرين

اضاءت الكويت اول شمعة في درب الديمقراطية والمشاركة الشعبية عامي ١٩٢١ و ١٩٣٨ ، وان كانت هناك شمعتان في شرق الجزيرة العربية ، الا انهما اطفئتا بفعل فاعل قبل ان ترسل اشعاعهما وتخترق الظلام ، وان يستمر هذا الجيل الكويتي ، جيل التحرير في حمل شمعة مجلس الشورى والاستشاري لعامي ١٩٢١ و ١٩٣٨ ، والتي تحولت الى مشعل "مجلس الامة" عام ١٩٦٢ ، بعد ان يكونوا قد اضافوا اليه مزيد من شموع المشاركة الشعبية ومزيد من الديمقراطية في المجتمع المدني الكويتي للحفاظ على الشرعية من خلال نصوص الدستورية الديمقراطية في ظل القاعدة الشعبية وحكم المؤسسات الدستورية

وذلك نعتبر خطوة جريئة ومتقدمة ليس في تاريخ الكويت فحسب وانما في تاريخ الخليج والجزيره العربية ، و "إضافة جديدة" في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، الذي يصبوا نحو مزيد من التطور في تاريخ المؤسسات الدستورية والمشاركة الشعبية ، ليجد المكان المناسب في المجتمع العالمي المتحضر .

يتناول هذا الكتاب ستة فصول ، الاول يحتوي على ، تأسيس الكويت الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وعلاقتها بالقوى الاقليمية والدولية في القرن الثامن عشر ١٧١٨ - ١٨١٤ وينقسم الى اولا : المرحلة التأسيسية للكويت (١) تسمية الكويت (٢) سكان الكويت (٣) تأسيس الكويت ، ثانيا : نمو الكويت الاجتماعي والاقتصادي والسياسي (١) الشيخ صباح الاول ١٧١٨ - ١٧٧٦ (٢) الشيخ عبدالله بن صباح ١٧٧٦ - ١٨١٤ ، ثالثا : علاقة الكويت بالقوى الاقليمية والدولية في عهد صباح وابنه عبدالله ١٧١٨ - ١٨١٤ ، (١) علاقة الكويت بالقوى الاقليمية في شرق الجزيرة العربية (٢) الطاعون وحصار الايرانيين للبصرة ١٧٧٣ - ١٧٧٦ واثره على الكويت (٣) العلاقات الكويتية - البريطانية (٤) علاقة الكويت مع عرب "ابو شهر" (٥) علاقة الكويت مع عرب "ريق" (٦) علاقة الكويت مع امارة عربستان ومعركة الرقة ١٧٨٣ (٧) التجاء مصطفى آغا وثويني الى الكويت ١٧٨٩ (٨) علاقة الكويت بأمارة "الدرعية" (٩) الكويت في اواخر عهد الشيخ عبدالله الصباح .

الفصل الثاني عن تطور الكويت السياسي والاجتماعي والاقتصادي وعلاقاتها بالقوى الاقليمية والدولية في القرن التاسع عشر ١٨١٤ - ١٨٩٦ ، أولا : الحياة السياسية والاوضاع الداخلية (٣) الشيخ جابر الاول ابن عبدالله ١٨١٤ - ١٨٥٩ ، - التجاء ضامر بن حويمد الى الكويت ١٨٢٦ ، محاولة بندر بن السعدون غزو الكويت ١٨٤٤ ، علاقة الشيخ جابر برعيته ، (٤) الشيخ صباح الثاني بن جابر ١٨٥٩ - ١٨٦٦ ، الشيخ صباح والعجمان (٥) الشيخ عبدالله الثاني بن صباح ١٨٦٦ - ١٨٩١ (٦) الشيخ محمد بن صباح ١٨٩٢ - ١٨٩٦ ، ثانيا : الحياة الاجتماعية في الكويت ، الرحالة ووصف الكويت ، ثالثا : الحياة الاقتصادية في الكويت (١) الغوص على اللولو (٢) النقل البحري التجاري (٣) صيد الاسماك (٤) الزراعة (٥) الصناعة (٦) التجارة ، رابعا : الحياة التعليمية في الكويت ، خامسا : نظام الحكم في الكويت من اول حاكم حتى مبارك ١٧١٨ - ١٨٩٦ ، (١) اختيار الحاكم (٢) سلطات الحاكم والقيود التي ترد عليها (٣) سلطات الحاكم (٤) القضاء (٥) القيود التي ترد على سلطات الحاكم اولا : مبدأ الشورى كقيد اول ثانيا : القانون الواجب التطبيق كقيد آخر (أ) الشريعة الاسلامية (ب) العرف ، سادسا : علاقة الكويت بالقوى الاقليمية والدولية في القرن التاسع عشر ، (١) علاقة الكويت بعربستان ، الشيخ عبدالله الصباح والحاج جابر المرداو (٢) موقف الكويت من جلاء السعدون (٣) العلاقات الكويتية - البريطانية (٤) العلاقات الكويتية - المصرية في النصف الاول من القرن التاسع عشر (٥) العلاقات

الكويتية - العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (٦) دور الكويت في الحملة العثمانية على قطر .

الفصل الثالث عن الكويت قبيل وخلال الحرب العالمية الاولى عهد الشيخ مبارك وابنه جابر ١٨٩٦ - ١٩١٧ ، اولا : الحياة السياسية والاوضاع الداخلية ، (٧) الشيخ مبارك الصباح ١٨٩٦ - ١٩١٥ ، معركة الصريف بين الكويت والشمر ١٩٠١ ، معركة هدية ١٩١٠ ، هجرة تجارة اللؤلؤ من الكويت ، اهتمام مبارك بمصالح رعاياه (٨) الشيخ جابر الثاني بن مبارك الصباح ١٩١٥ - ١٩١٧ ثانيا : الحياة الاجتماعية ، طابع الحياة في مدينة الكويت ، طبقات الاجتماعية ثالثا : الحياة الاقتصادية رابعا : الحياة الفكرية خامسا : نظام الحكم في الكويت ، الشيخ مبارك والحكم ، نظام الحكم في عهد الشيخ مبارك ، وضع مبارك الكويت تحت الحماية البريطانية ، سادسا : علاقة الكويت بالقوى الاقليمية والدولية ، - العلاقات الكويتية - السعودية ، مساعدة الكويت لفك حصار العجمان عن جيش ال السعود ، العلاقات الكويتية - العربستانية ، العلاقات الكويتية - العثمانية .

الفصل الرابع عن الكويت بين الحربين العالميتين ١٩١٧ - ١٩٤٥ ، اولا : الحياة السياسية والاوضاع الداخلية ، (٩) الشيخ سالم المبارك ١٩١٧ - ١٩٢١ ، (١٠) الشيخ أحمد الجابر الصباح ١٩٢١ - ١٩٥٠ ، اتفاقية الحماية البريطانية والاوضاع الداخلية ، ثانيا : الحياة الاجتماعية ، تأسيس مجلس الشورى ١٩٢١ ، الحركة الاصلاحية والمجلس التشريعي ١٩٣٨ ، موقف بريطانيا من المجلس وحله ، ثالثا : الحياة الاقتصادية ، التنافس الانجلو - امريكي على نفط الكويت ، رابعا : الحياة الفكرية ، خامساً : نظام الحكم والادارة ، الميثاق ومجلس الشورى الاول في الكويت ، ظهور اللامركزية الاقليمية في الادارة ، انشاء الاجهزة الادارية المعاونة ، ظهور سلطة الحاكم التشريعية وخروج السلطة القضائية للاجانب ، سادسا : العلاقات الكويتية - السعودية ، والخلافات بين الكويت والسعودية ، الحدود الكويتية - السعودية .

الفصل الخامس عن الكويت بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ - ١٩٩٠ ، اولا : الحياة السياسية والاوضاع الداخلية ، (١١) الشيخ عبدالله السالم ١٩٥٠ - ١٩٦٥ ، الاوضاع الداخلية ما بعد الاستقلال ، ثانيا : الحياة الاجتماعية ، القوى الوطنية ودورها في الحياة الاجتماعية ، القوى القبلية والحياة البرلمانية الدستورية ، ثالثا : الحياة الاقتصادية ، البترول والتأثيرات الاقتصادية ، رابعا : الحياة الفكرية ، خامسا : السياسة الخارجية ومستقبل النظام السياسي .

الفصل السادس عن التطور التاريخي للمطامع العراقية واحتلالها للكويت وحرب التحرير ١٩٣٨ - ١٩٩١ ، جذور المطامع العراقية في الكويت ، دوافع وادعاءات عبدالكريم قاسم ، جمال عبدالناصر وازمة الكويت ، العدوان العراقي على الكويت في ١٩٩٠/٨/٢ ، خلفيات العدوان العراقي ، اسباب العدوان العراقي على الكويت ، سياسة العدوان العراقي في الكويت ، حدود الكويت مع العراق حقائق تاريخية ، اتفاقية الانجلو - عثمانية والحدود الكويتية لعام ١٩١٣ ، حرب تحرير الكويت .

اتمنى ان اكون قد وفقت في اعطاء صورة عن تاريخ الكويت اقرب الى الشمول لفترة التاريخ الحديث والمعاصر مع الايجاز .

والله خير معين لكل مجتهد في خدمة العرب والمسلمين

د. محمد حسن العيدروس

السالمية في ١٩٩٧/٥/١٥

الفصل الأول

تأسيس ونمو الكويت الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وعلاقتها بالقوى الاقليمية الدولية في القرن الثامن عشر ١٧١٨ ـ ١٨١٤

اولا : المرحلة التاسيسية للكويت

(١) تسمية الكويت

(٢) سكان الكويت

(٣) تأسيس الكويت

ثانيا : نمو الكويت الاجتماعي – الاقتصادي – السياسي

(١) الشيخ صباح الاول ١٧١٨ - ١٧٧٦

(٢) الشيخ عبدالله بن صباح ١٧٧٦ - ١٨١٤

ثالثا : علاقة الكويت بالقوى الاقليمية والدولية في عهد صباح وابنه عبدالله ١٧١٨ – ١٨١٤

(١) علاقة الكويت بالقوى الاقليمية في شرق الجزيرة العربية .

(٢) الطاعون وحصار الايرانيين للبصرة ١٧٧٣ - ١٧٧٦ واثره على الكويت .

(٣) العلاقات الكويتية البريطانية .

(٤) علاقة الكويت مع عرب ابوشهر .

(٥) علاقة الكويت مع عرب "ريق"

(٦) علاقة الكويت مع امارة عربستان

معركة الرقة ١٧٨٣ .

(٧) التجاء مصطفى اغا وثويني الى الكويت ١٧٨٩ .

(٨) الكويت في اواخر عهد الشيخ عبدالله الصباح .

تأسيس ونمو الكويت الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وعلاقتها بالقوى الاقليمية الدولية في القرن الثامن عشر ١٧١٨ - ١٨١٤

أولا : المرحلة التأسيسية للكويت

(١) تسمية الكويت

تعني كلمة "الكويت" تصغير "كوت" ، وتطلق على المنزل المربع المبني كالحصن والقلعة وغيرها وتبني حوله منازل صغيرة ، ويكون هذا المنزل المربع الشكل ميناء للسفن والبواخر ترسو عنده لتتزود منه بما ينقصها من الفحم والزاد وما اشبه ذلك من حاجات السفر ، ولا تطلق الا على ما يبني قريبا من الماء سواء كان من البحر او النهر او البحيرة ، وقد يطلق على النهر الصغير ويسمى به بعض القرى توسعا . سميت بذلك الاسم نسبة الى حصن صغير كان موجودا في اقصى الشمال الشرقي من الجزيرة العربية ، قيل بناه محمد بن نفله بن عريعر في نهاية القرن السابع عشر ، وقد اقام فيه احد اتباعه واتخذه مستودعا للزاد والذخيرة وما يحتاج اليه بمر عليه في رحلاته للغزو او للصيد ، او المرعى قريبا من ذلك الحصن تزود بما يريد ، ويقال ان موضعه كان في النفوذ الصغير الذي اسس في اعلاه المستشفى الامريكاني[1] . وانها كانت قبل نزول العتوب فيها ارضا فقيرة لايسكنها الا لفيف من الافراد او العشائر من اتباع بني خالد ، واول من بنى البيوت الحجرية فيها هم العتوب حينما سمح لهم بنو خالد بالاستقرار فيها ووهبوها لهم وسمحوا لهم ان يقيموا حكمهم تحت ظلهم وفي حمايتهم (بني خالد)[2] .

(٢) سكان الكويت

نجد ان معظم عشائر بادية الكويت هم من العشائر الرحل ، ولما كان البدوي بفطرته وبطبيعة حياته يسير وراء المرعى فلا يمكن ان تتقيد اية عشيرة من عشائر البدو بمنطقة دون أخرى فهم اينما وجدوا ربيعا في البادية شدوا اليه الرحال دون ان تصدهم حدود او تمنعهم حواجز سياسية ، ولذا يصعب الجزم بتابعية العشائر وحصرها بقطر دون آخر لاسيما في المناطق المتقاربة ، وان اهم عشائر

الكويت بجانب العتوب ال الصباح والجلاهمة ، هم الشمر ، الظفير ، المطير ، العجمان ، العوازم ، الرشائدة ، عريبدار ، الصلبة وغيرهم[٣] .

(٣) تأسيس الكويت

نزل العتوب بالاحساء قبل نزولهم في قطر وكانت هذه بداية العلاقات الطيبة بين العتوب وبني خالد ، ثم توجه العتوب من الاحساء الى قطر واستقروا في قرية الفريحة قرب "الزبارة" وكانت قطر تخضع لنفوذ بني خالد في ذلك الوقت مما مكنهم من الاستقرار بها لبعض الوقت فاستوطنوها تحت امرة حكامها آنذاك "ال مسلم" ، وبعد مضي فترة على استقرار العتوب في قطر قتل احدهم رجلا من اهلها ، مما اثار حكامها الذين اوجسوا خيفة من العتوب فأمروهم بمغادرة البلاد وقد لبى العتوب وهاجروا من قطر بواسطة البحر ، الا ان ال مسلم جهزوا بعد ذلك سفنا وساروا خلفهم ودار قتال شديد في "راس تنورة" كان النصر فيه حليف العتوب الا ان هذا النصر لم يحملهم على العودة الى قطر للاستقرار فيها وانما واصلوا مسيرتهم البحرية وانهم اتجهوا الى "المنحراق" بالقرب من "الفاو" ولم يطيب لهم المقام فتحولوا الى "الصبية" شمال شرقي الكويت غير ان السلطات العثمانية لم تسمح لهم بالاقامة في تلك المنطقة وذلك نتيجة لحدوث اعتداءات على بعض القوافل المارة هناك وخشية قيام القلاقل والاضطرابات لاسيما عندما علمت تلك السلطات باعتزام افراد من قبائل "الظفير" شن هجمات عليهم ، ومن ثم اضطرت جماعات العتوب الى ترك "الصبية" والاتجاه جنوب "كويت" بني خالد الذين رحبوا بهم وسمحوا لهم بالاستقرار هناك ومنحوهم تلك المنطقة[٤] .

ثانيا : نمو الكويت الاجتماعي والاقتصادي - السياسي

تولى الشيخ صباح الاول الحكم في الكويت في مطلع القرن الثامن عشر وذلك في اعقاب وصول العتوب الى الكويت ، كان لموقع الكويت الاستراتيجي ولطبيعة سكانها المسالمين ومعرفتهم بالتجارة والنقل البحري ودرايتهم بالغوص الأثر الكبير في سرعة نمو الكويت ، فنجح العتوب بواسطة تحالفهم البحري مع سواهم من القبائل المجاورة ان يدعموا وجودهم في وطنهم الجديد وان يوسعوا رقعة ارضهم ويمتدوا بسلطانهم في المنطقة المجاورة لهم وغدت الكويت محطة للقوافل المسافرة بين حلب وشرق الجزيرة العربية الى جانب القوافل المارة بالكويت تحمل معها بضائع الهند التي كانت تصل على السفن الكويتية ، وكان المصدر المادي يأتي من تجارة النقل البحري والبري

مما كان يمثل المصدر الاساسي للدخل لتلك المدينة الناشئة اضافة الى دخل الغوص على اللؤلؤ ، ولعل بداية هذا النمو والازدهار يمكن تحديدها ببداية حكم الشيخ صباح بن جابر حيث شهدت الكويت تحولات سياسية هامة وذلك بفضل تظافر عوامل عديدة منها الداخلية والخارجية ، وان القوة البحرية التي اسسها العتوب للنقل والغوص والتجارة كانت مزودة بادوات عسكرية كالمدافع ، وتعززت تلك القوة في الربع الأخير من القرن الثامن عشر ، ونشأت الكويت في اول عهدها في ظل حكم بني خالد وتحت حمايتهم مما اعطاها الفرصة للنمو والازدهار دون خشية الهجمات والغارات والاعتداءات الخارجية حيث كان بمقدور شيوخ بني خالد ان يتصدوا لمن يحاول الاعتداء على ممتلكاتهم وعلى من يستظل بحمايتهم . وفي ظل هذا الأمن الخالدي نشأت الكويت وترعرت ونمت وتطورت ، وعندما نشبت الخلافات الاسرية فانهكت الخوالد منذ العقود الأولى من القرن الثامن عشر فأنتهز العتوب هذه الفرصة لكي ينفردوا بحكم المناطق التي استقروا بها ، وكان الاوضاع السياسية في العراق العثماني دورا لان تحتل الكويت مكانا مرموقا في المنطقة ، فقد شهدت البصرة منذ اواخر القرن السابع عشر ومستهل القرن الثامن عشر فترة اضطرابات وقتية استمرت حتى نهاية النصف الاول من القرن الثامن عشر بالاضافة الى ان قوة العثمانيين لم تكن قادرة على تحدي قوة بني خالد ، اضافة الى الاحتلال الفارسي للبصرة عامي ١٧٧٦ - ١٧٧٩ كان له تأثير سياسي واقتصادي على الكويت حيث دفع بكثير من سكان البصرة الى الهجرة الى المناطق المجاورة ومنها الكويت فزاد ذلك من سكان الكويت مما زاد من مسؤلياتها السياسية تجاه القادمين الجدد وترتيب امور استقرارهم واتخاذ ترتيبات امنية لمواجهة اية محاولة فارسية للامتداد الى الكويت ، اضافة الى دعم مركز السياسي للكويت لدى القوى المحلية العربية والاجنبية المتمثلة بالشركات التجارية مثل شركة الهند الشرقية الهولندية والبريطانية(٥) .

ازدادت مكانة الكويت من حيث الأهمية التجارية ونمت وازدهرت في السنوات التي اعقبت تأسيسها ونجح سكان الكويت عن طريق تحالفهم البحري مع سواهم من القبائل المجاورة في ان يدعموا وجودهم في مواجهة بني خالد الذين كانوا الى وقت قريب انذاك يسيطرون على كل المناطق الشمالية الشرقية للجزيرة العربية ، واستمرت الكويت تشق طريقها في التقدم والنمو ، فنشطت تجارتها مع العراق والهند واليمن ، وجاء ذكر الكويت في سجلات شركة الهند الشرقية البريطانية عندما اورد احد رحالها وهو الدكتور "ايفز" الذي كان قد توجه من الهند الى بريطانيا عن طريق الخليج العربي ونزل في جزيرة "خرج" في ضيافة البارون "كنبها وزن" رئيس الوكالة الهولندية

التجارية في الخليج العربي وكان ذلك عام ١٧٥٨ ، ويقول "ايفز" انه سأل البارون" عن اسرع طريق يسلكه حتى يصل الى "حلب" في مدة وجيزة فأجابه البارون ان اسرع طريق هو طريق القرين ويشير "ايفز" الى ان حاكم الكويت او احد رجاله قد حضر الى جزيرة "الخرج" للتفاوض معهم ولكنهم لم يصلوا الى اتفاق[٦] .

لعب تجار الكويت دورا في نقل التجارة بحرا وبرا عن طريق القوافل من والى الكويت عبر الخليج من والى الهند والتي كانت تحملها سفن التجار الكويتيين ثم القوافل الى الكويت حيث كانت تمثل مصدر الدخل الاكبر كما كانت اللالىء والغوص عليها تكون مصدرا آخر من مصادر دخل الكويت ، ويقول الرحالة "نيبور" عام ١٧٦٥ ، لقد كانت الكويت مرفأ تجارية يعج بالنشاط يقطن فيه حوالي عشرة الاف شخص يعيشون على تجارة اللؤلؤ وصيد الاسماك والنشاط التجاري وقد بلغ عدد القوارب المستغلة في هذا الاتجاه حوالي ثمانماية ، كما اعتاد سكان الكويت الابحار جنوبا في الخليج العربي طلبا للغوص على اللؤلؤ على ساحل بني خالد في شرق الجزيرة العربية في اتجاه البحرين ، وكانت مدينة الكويت في بداية تأسيسها عبارة عن احياء وعرفت هذه الاحياء بأسماء الاسر التي نزلت بها وكان يعرف كذلك بالجهة والاتجاه ونزول كل جماعة او قبيلة بحي امر مألوف في الامصار العربية ومنها مدينة التى كانت مقسمة الى حي "الشرق" و "قبلة" وهو الغرب بالنسبة للاتجاهات الاربعة لان ذلك الحي يشير الى اتجاه "مكة" ثم حي "الوسط" الذي كان فيها مقر الحكم ، وكانت مدينة الكويت مسورة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، ويمكن القول بأن بناء هذا السور قد جاء في الفترة التي بدأ فيها نفوذ حمايتها من بني خالد يضعف بسبب الصراع الداخلي والتنافس بين شيوخ قبيلة الخوالد على الحكم وخاصة بعد وفاة سليمان بن محمد ال حميد حيث بدا للعيان ان نفوذ تلك القبيلة على شرق الجزيرة العربية قد بدأ يتزعزع ، وكان السور مبنيا من الطين وانه كان كافيا لوقايتها من هجمات بدو وانه اقيم لدرء خطر القبائل المجاورة للمدينة بعد ان أخذ نفوذ بني خالد في الانهيار التدريجي ، وبقى شأن السور كذلك حتى مطلع القرن العشرين[٧] .

اتجهت جهود المؤسسين الاوائل للكويت في الاساس لصيد الاسماك وصيد اللؤلؤ والتجارة باعتباره جزء من النشاط الانتاجي الذي يعتمد على العمل في البحر ، وبما ان النشاط التجاري في تلك الايام كان يرتكز على تسيير القوافل في الطرق والمسالك الصحراوية الطويلة الصعبة والمحفوفة بالمخاطر ، فقد كان محتما على هؤلاء المؤسسين ان يحسنوا العمل الجماعي وان يحسنوا ادارة

النشاط الاقتصادي الانتاجي من النشاط البري والبحري ، ومن اجل هذا فقد اجتمع رؤساء الاسر الثلاثة من العتوب في الكويت وهم ال صباح وال خليفة والجلاهمة لتوقيع اتفاقية للعمل الجماعي المشترك كان الغرض منه تقسيم العمل الانتاجي بين افراد الاسر الثلاثة وتحديد اختصاصات كل منها بهدف ايجاد صيغة للتعاون وارساء اسس للتحالف بينهم واسفر الاتفاق عن اختيار صباح لقيادة التحالف مع وجود احد الشروط وهو ان يقوم صباح باستشارة شركائه لدى اتخاذه أي قرار ، بينما كان نصيب الجلاهمة العمل في النشاط البحري من صيد اللؤلؤ والاسماك اما خليفة فقد تحددت مهمته في الاشراف على شؤون المال والتجارة وهي مهام ترتبط بالنشاط التجاري في البر ، وان هذا الاتفاق او التحالف مثل عقد اجتماعي لتنظيم الشؤون الادارية لنشوء طبقة اجتماعية متماسكة تقوم على قاعدة انتاجية منظمة تمارس نشاطها في اطار تنظيمي يبدو في ظاهره وكانه اطار للتحالف القبلي ولكن في داخله تنظيم عملي للتعاون والادارة المشتركة ، ووفق ذلك الاتفاق فان العتوب تمكنوا من وضع انفسهم في مركز قيادة القبائل الأخرى فضلاً عن انهم نجحوا في مثل هذا الوقت المبكر في الحصول على الشرعية لقيادة الكويت . ولمعرفة البناء الاجتماعي في الكويت في المراحل المبكرة لنشأته وطبيعة العلاقات السائدة بين فئاته وطبقاته المختلفة وسلامة نظامه الاجتماعي ، لابد من النظر الى بنائه الاقتصادي من زاوية العلاقات الاقتصادية التي كانت سائدة بين الفئات والمؤسسات المختلفة .

يتضح مما سبق ذكره بأن طبيعة الانتاج الذي اعتمد عليه المؤسسون الاوائل للكويت كان يقوم على موردين اثنين هما صيد الاسماك وجمع اللؤلؤ وما ينتج عنهما من نشاط وتسويق تجاري وتصدير خارج الكويت حتى طرأ تغير جديد في القرن الثامن عشر في شمال شرق الجزيرة العربية لم يكن في الحسبان هو بروز الكويت كأحد المواقع التجارية والاقتصادية الهامة في شمال الخليج العربي في الوقت الذي نشطت فيه التجارة الدولية في الخليج العربي ، كما لعب الموقع الجغرافي للكويت بجانب وجود المرفأ الطبيعي فيها دورا هاما في زيادة الاهتمام بالكويت من قبل القوى الاقليمية والدولية على حدا سواء والتعويل على حيدته من قبل العديد من الاطراف ذات الصلة التجارية المباشرة في المنطقة ، وكان من الطبيعي ان يلجأ سكان الكويت بعد ان نجحوا في تنظيم شؤون الادارة والانتاج للبحث عن المصادر الطبيعية التي تمكنهم من الاستقرار السياسي والاقتصادي والاستمرار في اداء دور العطاء بين البحر والبر ، وفي حين كانت الطبيعة الصحراوية قاسية لاتنبىء بخير فقد وجد سكان الكويت ضالتهم في البحر وفي اعمال التجارة ، ولعب الخبرة دورا رئيسيا في

استغلال الثروة المتاحة ، حيث اتجه معظم سكان الكويت الى البحر بحثا عن الثروة في اعمـاق ميـاه الخليج العربي ، واستتبع هـذا النشـاط تنظيـم العمـل وطـرق التجـارة لتسـويق الانتـاج مـن اللؤلـؤ والسمك ، وتطورت وسائل الانتاج وازدهرت صناعة قوارب الصيـد وفـاضت تجـارة اللؤلـؤ ومـع مرور الوقت بدأ سكان الكويت يكسبون سمعة كبيرة في اعمال البحر وهو امر جعلهم ان يصبحـوا في فترة لاحقة الوسطاء التجاريين الاكثر شهرة في المنطقة[٩] .

استمر الاتفاق بين اسر العتوب لأكثر من خمسين عامـا حتـى رأي ابـن خليفـة ان ينفصـل عـن الحلف فعرض على حلفائه مبلغ مايصيبه من الارباح اذ هم سمحوا لـه ولعشـيرته بـالهجرة الى الجـزء المجاور لمغاص اللؤلؤ فيؤسس هناك منطقة خاصة به تدر عليه مبالغ اكبر فيسـتغنى عـن الحلـف وقـد راقتهم الفكرة فسمحوا لخليفة بترك الكويت مع بعض افراد عشيرتهم وفعلا تركهـا ونـزل بالزبـارة حوالي عام ١٧٦٦[١٠] ، في حين يذكر "ديكسون" سبب آخر بأن بني نصار مـن قبيـل بـني كعـب حكام اماره عربستان ارسلوا حملة الى الكويت لمحاربتها وكان تهديـد الغـزو سببا في ان آل خليفـة رحلوا نحو الجنوب الى الزبارة ثم رحلوا بعد ذلك الى البحرين وفتحوها حيث يقول[١١] :

"شنَّ آل نصار وهم الاسرة الحاكمة من قبيلة بني كعب العربية العريقة التي تعيـش في عربسـتان الحرب ضد عبدالله بن صباح وان خطر الغزو دفـع ال خليفـة الأكـثر حـذرا الى العـودة جنوبـا الى الزبارة ومنها انتقلوا في خاتمة المطاف الى البحرين فاحتلوها وتولوا حكمها منذ ذلك الوقت وحتـى الآن" .

ترك ال خليفة الكويت الى الزبارة وبعد فـوات الاوان اكتشـف ال الصبـاح الاسباب الحقيقيـة التي دفعت بال خليفة الى مغادرة الكويت وشعروا بعظم الخسارة المالية التى منوا بها بفقد عضو من اعضاء التحالف ففكروا في اقتفـاء اثـر ابـن خليفـة للتخلـص مـن قيـود التحـالف مـع ال الجلاهمـة فامتنعوا عن مقاسمتهم الـوارد ثـم انتهـى بهـم الامـر الى طردهـم مـن الكويـت ومينائهـا فلجـأوا الى اخوانهم ال خليفة في "الزبارة" فأجروا لهم من الرواتب ما يتناسب مع وضعهـم وبعـد ذلـك جـرى بينهم وبين سكان الكويت من المعارك ما كان سببا في القضاء عليهم وعلـى نفوذهـم ، واصبـح ال الصباح وحلهم حكاما للكويت[١٢] من اوائل القرن الثامن عشر تقريبا حتى الان وفيما يلي قائمـة بأسماء حكام ال الصباح في الكويت :

١ – الشيخ صباح الاول من عام ١١٣٠ – ١١٩٠ هـ = ١٧١٨ – ١٧٧٦ م .
٢ – الشيخ عبدالله بن صباح من ١١٩٠ – ١٢٢٩ هـ = ١٧٧٦ – ١٨١٤ م .

٣ – الشيخ جابر بن عبدالله من ١٢٢٩ – ١٢٧٦ هـ = ١٨١٤ – ١٨٥٩ م .

٤ – الشيخ صباح بن جابر من ١٢٧٦ – ١٢٨٣ هـ = ١٨٥٩ – ١٨٦٦ م .

٥ – الشيخ عبدالله بن صباح الثاني من ١٢٨٣ – ١٣٠٩ هـ = ١٨٦٦ – ١٨٩٢ م .

٦ – الشيخ محمد بن صباح من ١٣٠٩ – ١٣١٣ هـ = ١٨٩٢ – ١٨٩٦ م .

٧ – الشيخ مبارك بن صباح من ١٣١٣ – ١٣٣٤ هـ = ١٨٩٦ – ١٩١٥ م .

٨ – الشيخ جابر بن مبارك من ١٣٣٤ – ١٣٣٥ هـ = ١٩١٥ – ١٩١٧ م .

٩ – الشيخ سالم بن مبارك من ١٣٣٥ – ١٣٣٩ هـ = ١٩١٧ – ١٩٢١ م .

١٠ – الشيخ أحمد الجابر من ١٣٣٩ – ١٣٦٨ هـ = ١٩٢١ – ١٩٥٠ م .

١١ – الشيخ عبدالله السالم ١٩٥٠/٢/٥ – ١٩٦٥ م .

١٢ – الشيخ صباح السالم ١٩٦٥/٢/٢٤ – ١٩٧٧ .

١٣ – الشيخ جابر الاحمد ١٩٧٧/١٢/٣١ – حتى وقتنا الحاضر .

يرجع الحفاظ على امن وسلامة وازدهار الكويت الى الدبلوماسية المتوازنة وحسن الادارة التي اتبعتها الكويت داخليا وخارجيا وتجنبها الولوع في يد احدى الدولتين المجاورتين في ذلك الوقت الدولة العثمانية وايران فقد حمت نفسها في مواجهة التقلبات السياسية والحروب المتكررة بين الجارين بفضل سياستها الخارجية وبفضل وضوح العلاقة بين الجماعات القبلية المتمثلة في تقسيم المهام وتوزيع السلطات في باديء الامر كتنظيم العلاقة بين الناس وان كان بصورة بدائية نظراً للظروف الاجتماعية والثقافية التي نشأت في ظلها الكويت ، كما ساهمت الظروف المواتية والاوضاع المستقرة التي تحققت بفعل اتفاق الكويتيين على ارساء دعائم نظام سياسي ونجاحهم في تأسيس درجة قوية من العلاقة المتوازنة بين الانتاج القائم على استخدام اللؤلؤ وصيد الاسماك وبين النشاط التجاري الذي يقوم على تسويق تلك الصناعة في باديء الامر خارج الكويت ، وكان واضحا منذ البداية ان هذا النشاط الاقتصادي بني على ادراك الكويتيين بأهمية توفير رؤوس الاموال اللازمة لانشاء صناعة بحرية كويتية وتسويق منتجاتها في الدول المجاورة ، وادركوا ايضا ان الانتاج الغزير من اللؤلؤ والاسماك سوف يتيح فرصة توفير مثل هذه الاموال واستخدامها في تطوير وسائل الانتاج التي تستخدم بدورها في تطوير مثل هذه الصناعات ، وتمضي العملية الاقتصادية في دورة مستمرة تؤدي دورها في تطوير مجتمع الكويت الناشيء ، بان هذا النظام الانتاجي المخطط في الكويت اثناء التأسيس ادى الى ظهور بعض المؤسسات الاجتماعية والفنية المرتبطة بصناعة اللؤلؤ

والصيد والاتجار فيهما وهي مؤسسات اتاحت الفرصة لقيام قاعدة انتاجية جديدة ساهمت في خلق مجتمع الطفرة الاقتصادية التي ادت الى الازدهار وزيادة السكان مع بداية التأسيس كنموذج للتطور الاقتصادي والاجتماعي ، وان هذا التطور أخذ في البداية شكل التطور القائم على التنظيم الاجتماعي القبلي بقالبه البدوي الرحالي او شبه البدوى الرحالي القائم على تقسيم واضح للمهام والادوار الانتاجية ، ففي حين كان النظام البدوي الرحالي يفرض نفسه على شكل طاقة انتاجية مستقلة تماما عن القوى الانتاجية الاخرى ، فان التنظيم الجديد كان وبدون ترتيبات تنظيمية مسبقة يقوم على قاعدة الانتاج الشامل وذلك عبر ظواهر جديدة كتسويق المنتجات في مراكز التسويق والحصول على الاحتياجات بالتبادل مع الفئات المنتجة الأخرى وفي المقابل كان هناك النظام القبلي الرحالي الذي انتقل للعمل في البحر وبدأ يسهم بفاعلية في تطوير وسائل الانتاج ، وكلا النظامين الرحالي وشبه الرحالي اسس في بادىء الامر نظاما متطورا شبيها الى حد كبير بالنظام الانتاجي المتطور الذي ينشأ بفعل تقسيم العمل ورضوخ التنظيم لوسائل الانتاج[١٣] .

ادى قيام مثل هذا النظام الذي يرتكز على التحالف القبلي والتنسيق بين القوى المنتجة فيه الى نشوء بعض المؤسسات الاقتصادية والسياسية التى كانت تعمل على ضبط ايقاع حركة المجتمع بشقيه البري والبحري ، وان انماط من العلاقات الاجتماعية والانتاجية ظهرت في تلك المنطقة وشهدت الكويت ظاهرة الاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس والتنظيم المستقل عن مؤثرات العلاقات القبلية السائدة وعن الدول المجاورة الاقليمية والدولية وبدت ظاهرة التطور الاجتماعي والاقتصادي كحالة سائدة في الكويت التى شهدت على اثر تلك الطفرة الاقتصادية والانتاجية المبكرة حالة من التحول السريع في اتجاه حياة المدينة ، واستتبع ذلك ظهور انماط جديدة من السلوك الانتاجي بين السكان لم يكن مألوفا في الخليج العربي في تلك الفترة ، ففي حين كان الجيران في البحرين يصنعون قوارب الصيد بقصد البيع والاتجار كان الكويتيون يصنعون القوارب بقصد تطوير وزيادة قوافل اللؤلؤ التي تعمل في الانتاج الوطني بهدف زيادة الاسطول العامل لجمع اللؤلؤ وصيد الاسماك في مياه الخليج العربي ولهذا السبب فقد لاحظ الرحالة "نيبور" كما ذكرنا سابقا وجود ثمانمائة قارب يمتلكها عدد من السكان لايتعدى عشرة الاف شخص أي ان هناك معدلا للملكية اثنا عشرة شخص لكل قارب وهو معدل من الوجهة الانتاجية كبير جدا اذا قسنا الامر بطبيعة الانتاج السائد في تلك الفترة ، وكان النظام التجاري في الكويت يرتكز على مبدأ التقسيم القاطع والفصل الكلي بين الثروة وبين فائض القيمة الناشىء عن جهد العمالة الكويتية في

الصناعات البحرية المتمثلة في انتاج القوارب المستخدمة في جمع اللؤلؤ وصيد الاسماك ، ومع تأسيس الكويت فانها امتلكت نسبة من التنظيم لزيادة ثروتها بزيادة حجم الاستغلال للثروات الطبيعية المتاحة وكذلك باستغلال امكانياتها الخاصة كالموقع الجغرافي او الدور السياسي او تقديم الخدمات للتجارة الاقليمية والدولية ، وعندما سنحت الفرصة لسكان الكويت للقيام بدور الوسيط في خدمة التجارة الدولية واستغلال الموقع الجغرافي فأنهم سارعوا الى تهيئة الميناء الذي كان صامتا طوال التاريخ وذلك لاستيعاب الفيض الكبير من السلع الشرقية التي كانت تحتاجها اوربا في تلك الفترة ، واظهر الكويتيون مقدرة فائقة في تأمين نقل السلع عن طريق البحر الى بر الكويت ونجحوا في تأمين طرق التجارة عبر الكويت والجزيرة العربية الى موانيء البحر المتوسط وكان رجال قبائل بني خالد دائما على اهبة الاستعداد لمصاحبة القوافل المحملة بالبضائع ثم حمايتها في مواجهة الاخطار التي قد تعترض طريقها في قلب الصحراء ، وشاء حظ الكويت ، ان تتعرض البصرة في الفترة ما بين عام ١٧٧٦ و ١٧٧٩ والتى كانت مركزا تجاريا مهما ان تتعرض للاحتلال الايراني وتسببت ظروف الاحتلال في حدوث تغيير شامل لطرق التجارة بين الهند وشرق الجزيرة العربية واوربا وكان مقدرا للكويت ان تكون المركز الجديد الذي انيط به دور الوسيط لتأمين الطرق الجديدة وقد نجح الكويتيون في تحمل هذا الدور بكفاءة وكان قد ذكر البعض بأن الشكوك كانت تساور الكثيرين باستحالة انشاء نظام تجاري كويتي يستطيع ان يستوعب نقل وتأمين سلامة الكميات الكبيرة من السلع الشرقية والمتحولة من البصرة اضافة الى كميات الخاصة بالكويت ، غير ان ميناء الكويت ذات الطاقة البشرية المحددة خيبة امال هذا الفريق المتشائم وينجح في تحقيق نتائج ايجابية واستوعب تلك الكميات الكبيرة فقد كان المجتمع الكويتي يعمل بأقصى طاقته البشرية لاداء دور الوسيط واستطاع الكويتيون ان يوفروا وسائل النقل عبر مينائهم وادوا هذا الدور بكفاءة عالية ومهارة فائقة دعت الكاتب "وليسون" يقول عن هذه الظاهرة(١٤) :

"ان الجانب الاكبر من التجارة الهندية التي كانت تمر بالبصرة وبغداد ثم حلب واسطنبول تم تحويلها لتمر بالكويت ، وقد بدت مدينة الكويت عام ١٧٩٠ على أكثر ما يكون الازدهار وفوق ذلك فان العتوب نجحوا في تنظيم خطوط طويلة للنقل التجاري بين الهند واجزاء متفرقة من الجزيرة العربية ومسقط والزبير والقطيف" .

اصبح ميناء الكويت من اكثر الموانى في شرق الجزيرة العربية حركة واصبح مركزا لتجميع التجارة والسلع الشرقية التى تأتي من الهند ، اذ ترتب على ذلك الاحتلال الفارسي للبصرة والذي

استمر ثلاث سنوات انتعاش واضح في تجارة الكويت التى افادت فائدة كبيرة من ذلك الاحتلال لان تجارة الهند التى كانت تتخذ طريقها عبر بغداد وحلب الاستانة تحولت عن طريق الكويت التى امتدت تجارتها الى "ملبار" و "حضرموت" و "اليمن" و "العراق" ، وقد ادى الى زيادة ثروتها وساعد على تلك الزيادة قلة الرسوم الجمركية التي كانت تفرض على التجارة فيها بالاضافة الى نشاط تجارها وسماحة معاملاتهم(١٥) .

اعتمد النظام السياسي في الكويت بتنظيم الانتاج والخدمات المرتبطة بالتجارة ، ذلك انه في الوقت الذي تحتاج فيه الدولة للغواصين ولصائدي الاسماك ليقدموا انتاجا غزيرا وفي الوقت الذي تحتاج فيه الكويت لتسيير القوافل التجارية جيئة وذهابا الى الموانيء الواقعة في ساحل البحر المتوسط فانها تحتاج لقوة سياسية تمتلك الشرعية والقدرة على تأمين تلك الطرق عبر تكوين قوة امنية قادرة على حماية مصادر الانتاج وارساء دعائم الامن والاستقرار ، ولهذا فأن بناء قوة كويتية تعمل على ضمان الامن الاجتماعي والتجاري كان امر ضروريا بالنسبة للكويت ، وكان بنو خالد حتى نهاية القرن الثامن عشر يحكمون القبائل المتنقلة او البدو الرحل ، كما كان بنى خالد يتحركون في دروب شرق الجزيرة العربية جيئة وذهابا وكان العتوب عندما نزلوا في الكويت اتفقوا على اختيار الشيخ صباح الاول حاكما عليهم وبدأت رحلة الاستقرار لكل القبائل المحيطة بمدينة الكويت ، ويمكن تفسير قرار رؤساء القبائل المؤسسين للكويت بتقسيم العمل فيما بينهم على اسس اجتماعية وسياسية وان هذا التقسيم يقوم على قواعد وركائز انتاجية تتمثل في جمع اللؤلؤ في البر وان هذا التقسيم شكل بدوره القاعدة التى قام عليها توزيع مراكز القوى تبعا للمزج الاجتماعي والقدرة على العطاء والانتاج لكل قوة على حدة وان اسرة الصباح الذين تم انتخاب الشيخ او الحاكم من بينهم كانوا يفضلون العمل في البر اضافة للعمل في البحر الذين كان لهم دراية وخبرة ، ولكنهم كانوا يميلون للبر نظرا لأنهم في اصولهم الاولى جاؤوا من مناطق صحراوية في الجزيرة العربية ولهذا فقد كانت القيادة للقوة التى تقوم بحراسة الطرق التجارية بين الكويت وحلب من نصيبهم ، وبذلك كان الصباح شديدي الالتصاق بالقبائل البدوية المنتشرة بالصحراء حيث كانوا يرافقون القوافل ويقودون فرق الحراسة كما كانوا واسعوا الفهم لطباع هؤلاء البدو وزادوا على ذلك انهم كانوا يحرصون على الاقتران من بنات البدو عملا على ضمان ولاء تلك القبائل وهي خطة استراتيجية يلجأ لها الكثير من العرب لضمان مشاعر الود والولاء من قبل القبائل الأخرى فالنسب في طباع العرب وسيلة للتقرب بين الناس واداة للتألف بين القلوب .

عمل العتوب في البحر ايضا وبادر عدد منهم في رحلات البحر الطويلة وفضلوا الالتحاق بأساطيل الصيد ومضوا يشاركون في صناعة واستخراج اللؤلؤ وصيد الاسماك وبناء القوارب الشراعية وهي وسائل الانتاج الثلاث التي بنيت على قاعدتها الكويت ، وان الشيخ صباح الاول اتخذ موقعا وسطا بين العاملين في البحر والساعين في البر وكان دور الشيخ قويا ومؤثرا خاصة في اوساط القبائل التى كانت تمثل الدرع الواقي لقوافل التجارة التي تسير في دروب صحراء الجزيرة العربية ، وكان الشيخ ايضا على صلة مباشرة بالعاملين في البحر وخاصة في مراحل الانتاج الأخيرة حين يعودون من مغاصات اللؤلؤ بمحاصيل وفيرة فيكون الشيخ قريبا من عمليات توزيع الانصبة وتحميل القوافل وهي في طريقها الى مراكز التسويق ، وانه كان من الواضح ان التطور في وسائل الانتاج وفي تنظيم تقسيم العمل الذي تشكل بفعل وجود قوى منتجة تتصف بالنشاط ، كان هذا التطور اقدر على احداث انتعاش اقتصادى فاق في درجته مظاهر التطور السياسي نظراً لان العوامل الداخلية كانت تلعب الدور الحاسم في تشكيل حركة المجتمع وفي تحديد طبيعة النظام وعلاقاته وتحالفاته مع افراد القبائل المجاورة(١٦) .

اتبعت التجارة طريقين قديمين احدهما بحري والاخر بري ، فكانت سفن العتوب وسفن العمانية هي التى تحمل البضاعة وتعمل في مياه الخليج العربي حتى نهاية النصف الثاني من القرن الثامن عشر كما كانت تحتكر على وجه التقريب نقل البضائع عبر موانى الخليج العربي اما تجار البصرة فيبدو انهم لم تتوفر لديهم سفنهم الخاصة آنذاك ، وكان من عادة السفن التي يمتلكها تجار الكويت والبحرين ان ترسو محملة بالبضائع في موانى العمانية وخاصة مسقط وصحار وخورفكان اضافة الى بندر عباس والبصرة ، وعندما اصبحت سفن الكويت قادرة على بلوغ الهند والمتاجرة معها في الربع الأخير من القرن الثامن عشر فانها توقفت عن الرسو في الموانىء العمانية وأخذت تبحر مباشرة من الهند الى الكويت حتى تتجنب عن دفع الاتاوات لسلطان عمان ، واحتمال ان تكون هناك بعض السفن الكويتية قد وصلت الى الموانىء الحضرمية واليمنية وخاصة الشحر والمخا للمشاركة في نقل القهوة الى الخليج العربي ، ويبدو ان تجار الكويت قد استفادوا من اقامة الهولنديين لوكالتهم التجارية في جزيرة "خرج" في الفترة ما بين ١٧٥٤ – ١٧٦٥ وذلك من خلال ما ادرجه "ايفز" من حديث عن علاقة حاكم الكويت البارون "كنبهاوزن" يدل دلالة واضحة على ان تجار الكويت كانوا على صلة تجارية بجزيرة "خرج" ، وبذلك ساهم اسطول الكويت التجاري بقسط وافر في نقل التجارة البحرية الخاصة بالخليج العربي وكان يعتبر ثاني اكبر اسطول لنقل تلك

التجارة بعد الاسطول العماني الكبير واصبحت سفن الكويت من العدد والحجم بحيث سيطرت على معظم النقل البحري للبضائع المحمولة من عمان وساحل شرق الجزيرة العربية وكذلك الجزء الكبير من البضائع المحمولة بين عمان والبصرة واهم انواع السفن المستعملة في تلك الفترة هي "البغلة" و "الجلبوت" و "الداو" و "الدنكة" وغيرها ، كما ان فتح البحرين عام ١٧٨٣ لم يكن له اثر كبير في الاهمية التجارية للكويت التي كانت تتعرض لمنافسة شديدة من بني كعب وغيرهم من العرب النازلين بالساحل الجنوبي لايران وهذا ما جعل تجار الكويت حريصين على ان يمتلكون اسطولا تجاريا قويا وهو امر قد حققوه في فترة وجيزة اضافة الى استخدام شركة الهند البريطانية للكويت كمركز لبريدها وبتأسيس وكالتها عام ١٧٩٣ لمدة عامين كما استفاد الكويت بأتخاذ مينائها كمحطة للقوافل المتجهة الى بغداد وحلب وبذلك احتفظت الكويت بمنزلة عادلت منزلة البحرين ، ويبدو ان النجاح التجاري الكويتي يعود الى اعتمادها على تجارة "الترانزيت" أي العابرة ، وكان معظمهم يهدفون من انزال بضائعهم في ميناء الكويت ثم ينقلوها على ظهور قوافل الجمال الى حلب او بغداد وكانت الكويت تستورد التمور والحنطة من البصرة بقصد الاستهلاك المحلي وكذلك لتوزيعها على المناطق المجاورة لها وان نقل البضائع والامتعة من الكويت الى بغداد وحلب بواسطة القوافل كان خاليا من أي خطر لان شيوخ القوافل كانوا حريصين على اختيار الرفقاء وتقديم الهدايا المناسبة لشيوخ القبائل على الطريق ، وكان شيوخ القوافل يبذلون قصارى جهدهم من اجل المحافظة على انتظام سير القوافل دون ان يتعرض لها احدى بأذى لان هذه هي الطريقة التي كانوا يضمنون بها الوفاء بتعهداتهم[١٧] .

تعتبر قوافل الصحراء الوسيلة الثانية لنقل البضائع من ميناء الكويت الى مناطق بعيدة عنه ، وكانت القوافل في العادة تتكون من تجار يستأجرون عددا من الجمال والبغال والحمير من شيوخ القبائل وجعلوا هذه القوافل واعدادها مهنة لهم ، واعتادوا ان يصحبوها من البلد الذي تخرج منه حتى بلوغ نهاية مطافها ، واعتاد هؤلاء الشيوخ من القبائل المعروفة في صحراء الجزيرة العربية بقوتها وشهرتها ، ان يأخذوا من التجار قدرا محددا من المال لقاء الخدمات التي يقدمونها لهم من خلال الرحلة وكانت هذه تشمل دفع العوائد لبعض شيوخ القبائل العربية النازلين عن طريق القوافل وكذلك اجر رفقاء القافلة المنوط بهم حراسة القافلة بالاضافة الى اجرة الجمال وعلى الرغم من ان الاجرة التي تدفع ثمنا لتكاليف الجمل كانت محل مساومة في الغالب وكانت تتراوح تقريبا ما بين خمسة وثلاثين ، وخمسين قرشا عثمانيا وذلك ما بين البصرة او الكويت ، وحلب ، وقد يرجع

هذا الاختلاف في الاجرة الى نوع البضائع التى كان يحملها الجمل ، وان حمل الجمل المعتاد يبلغ حوالي خمسمائة رطل انجليزي ، وان شيوخ القوافل يأخذون في العادة حسب الاتفاق المعهود على عاتقهم ان ينقلوا من الكويت الى حلب ان يدفعوا "الجويزة" او الضرائب للقبائل الطريق وذلك نظير مبلغ من النقود يعادل ١٣٠ روبية هندية لحمل البضائع كالمنسوجات و ٩٠ روبية للحمل من البهارات وما شابهها ، وكان هؤلاء الحرس ينتمون عادة الى القبائل التي تقطع القافلة ديارها لضمان سلامة القافلة ، اما شيخ القافلة فكان يقوم بواجباتها كمرشدها وكانت سلطته على القافلة مطلقة ، وان اعدادها كانت تزداد عندما تضم اليها قوافل اخرى من محطات على الطريق الصحراوى واحيانا تتوقف في بغداد واحيانا تسافر مباشرة من حلب الى الكويت او البصرة . وكان الجمال التي تحمل البضائع تختلف عددها من قافلة الى اخرى وكانت الزيادة او النقصان تتوقف على الاحوال التجارية في حلب والبصرة وبغداد والمراكز التجارية الأخرى في المنطقة ، ولقد قدر "بليستد" عدد الجمال في القافلة التى سافر معها من البصرة الى حلب بألفي جمل عند تحرك القافلة ، وكان يحرسها نحو ١٥٠ رجلا مسلحاً ، اما هذه الجمال فلم تكون جميعها محملة بل كان عدد منها سيباع في اسواق حلب وفي منتصف الطريق انضمت اليهم قافلة بغداد المؤلفة من ٣٠٠٠ جمل وبهذا صار بمجموع القافلة ٥٠٠٠ جمل و ١٠٠٠ رجل ومن الجمال الاولى كانت عدد المحملة ٤٠٠ ، اما القافلة التي سافر بها "كرمايكل" فكانت تتألف من خمسين حصانا وثلاثين بغلا و ١٢٠٠ جمل منها بالبضائع ستمائة جمل ، وبلغت قيمة البضائع ٣٠٠ الف جنية ، واما حراسها فكانوا ٢٤٠ جنديا واما القافلة التى سافر معها "بارسونز" فكانت تتألف من ٨٠٠ جمل بالاضافة الى العديد من البغال والحمير والخيل وكان من بين المسافرين اربعة من التجار الاوربيين واثنا عشر تاجرا تركي وكان يحرس القافلة ١٠٥ مسلحاً ، اما القافلة التي كان "ايفز" يزمع السفر من الكويت الى حلب في عام ١٧٥٨ فبلغ تعداد جمالها ٥٠٠٠ وحرسها الف رجل ، والقافلة التى سافر معها "جريفش" بدأت في الاصل بثمانية جمال وما بين ٣٠ الى ٤٠ رجلا مسلحا فقد وصلت قبل مغادرتها حلب في ١٧٨٦/٦/٨ الى مائتي جمل[١٨] .

تقطع القافلة المسافة من الكويت الى بغداد في ثلاثين يوما والى حلب في ثمانين يوما وخلال المراحل الاولى للرحلة يكون الصباح المسئولين عن حماية القافلة ثم بعدها شيخ القافلة وكانت الكويت تشرف على تجارة رابحة بتصدير السلع الى المناطق العثمانية في الشمال وكان عدد كبير من التجار يرسلون بضائعهم الى بغداد وحلب عن طريق الكويت ليتفادوا دفع الرسوم عليها في البصرة

وغالبا كانت هذه المكوس باهظة فكانوا يتجنبوها عن طريق الكويت بدلا من البصرة ، وكانت تجارة الكويت كتجارة البحرين تقوم على اساس انها منطقة حرة وبذلك استفاد تجارة الكويت والبحرين من التدهور الذي الم بتجارة البصرة ، كما ان مجموعات كبيرة من الخيول العربية الاصيلة من شمال الجزيرة العربية وخاصة من مناطق "الشمر" كانت ترسل الى الهند كل عام عن طريق الكويت ، ولم تكن الواردات الى الكويت تختلف عنها في الاقاليم الأخرى في شرق الجزيرة العربية مثل المنتجات الهندية كالأقمشة والارز والسكر والخشب والتوابل والبن من اليمن والفاكهة والحبوب والبلح من البصرة ، اما صادرات الكويت فقد كانت اللآلىء التي كانت تستخرج من منطقة "راس تنورة" ، وكان لدى الصباح عدد من السفن يتاجرون فيهـا الى الهند او ينقلون فيها البضائع الى الخليج العربي ، وكان لدى تجار الكويت في نهاية القرن الثامن عشر من سفن عابرات المحيط حمولاتها تتراوح من ١٠٠ الى ٤٥٠ طنا حوالي خمسة عشرة سفينة ، اضافة الى عشرين سفينة صغيرة حمولتها من ٥٠ الى ١٢٠ طنا ، بالاضافة الى ١٥٠ سفينة أخرى تتراوح حمولتها من ١٥ الى ١٥٠ طنا[١٩] .

(١) الشيخ صباح الاول ١٧١٨ - ١٧٧٦

اختير صباح وفق الطريقة العربية العشائرية من لدن سكان الكويت لتصريف شون المدينة والفصل فيما قد يقع بين سكانها من خلافات ، يقول عيسى القناعي في كتابة "صفحات من تاريخ الكويت" : "لما كثر الساكنون في الكويت وخالطهم جمع من المهاجرين اليها راوا من الضروري ان يؤمروا عليهم اميرا منهم يكون مرجعا لحل المشكلات والخلافات فوقع اختيارهم على "صباح الاول" لهذا الامر فوافقهم صباح بعد أن أخذ منهم العهد على السمع والطاعة في الحق ، ولا نعلم على وجه التحقيق متى اختير هذا الشيخ ولكن بعض الرواة اتفق على عام ١١٣٠ هـ الموافق ١٧١٨ ، ولم نعلم بحقيقة الحال عن مولده ومدة حياته وسنة موته ، واما سيرته فهي باتقان الرواة حيدة ومرضية ويؤيد ذلك ان الجماعة ما اختارته وقدمته الا لانه امثلهم عقلا واحسنهم سيرة واقربهم لاتباع الحق ، وقد مكث صباح الاول مدة طويلة ويقال انه توفي في عام ١١٩٠ هـ الموافق ١٧٧٦ م[٢٠] .

وانه عاش حوالي ١١٠ عاما تاركا خمسة اولادهم : سليمان ومالك ومبارك ومحمد وعبدالله ويعتبر اول شيخ للكويت التى كبرت في عهده ونزح اليها الكثير من البدو والقبائل العربية ، واصبحت ميناء مهما على ساحل شرق الجزيرة العربية واعطت اسمها للبلد وصارت عاصمته[٢١] .

وعلى اثر وفاة الشيخ الصباح الاول تأكد تماما بأنه قد نجح في تأسيس نظام وراثي كي تصبح اسرته هي الحاكمة للكويت ومنذ وفاته وحتى ربما الشيخ الخامس كان ابناؤه واحفاده المتعاقبون على حكم الكويت كما يقول الشملان يفقدون بعضا من هيبتهم بسبب اختلاطهم بأفراد القبائل الأخرى والتنازلات التي يقدمونها لرؤوس تلك القبائل فقد قال الشملان معلقا على تلك الظاهرة مانصة[٢٢] :

"لم يكن هناك ما يفرق بين الشيخ وبين السكان الاخرين فالشيخ هنا لم يكن حاكما او سلطانا انما هو شبيه بشيخ القبيلة حيث لايبدو الفرق شاسعا او ملحوظا بينه وبين كافة شيوخ القبائل الأخرى وحتى في بعض الحالات فان بعض كبار القوم من الكويتيين يكونون اكثر نفوذا واقدر على التأثير" .

يقول المؤرخ حسين خلف الشيخ خزعل[٢٣] : بعد رد الشيخ صباح بحكم الكويت أخذ على عاتقه توطيد الامن ونشر العدل وسيادة السلام فازدهرت الكويت واشتهرت بالعزة وحسن الجوار ، ولما شعر امير "الحسا" محمد بن غرير زعيم بني خالد بما قام به الشيخ صباح في الكويت تحقق لديه ان اخضاعها بالقوة لطاعته اصبح من الامور المتعسرة فصار يسعى لذلك بالحسنى فطلب من الشيخ صباح ان يرسل اليه أحد الكويتيين ليتفاوض معه فأرسل الشيخ صباح ولده عبدالله لغرض التفاوض فاتفقوا على الامور الآتية : اعتراف امير الحسا باستقلال الشيخ صباح في حكم الكويت وتعقد بينهم معاهدة حسن جوار وان لاتنضم الكويت الى خصوم امير الحسا وان تنفذ جميع اوامره واوامر من سيخلفه في حكم الحساء التي يصدرونها في شأن القبائل العربية المنتشرة بينهما على الاصول المتعارف بين القبائل ، فأقر الشيخ صباح جميع هذه الشروط حتى تتم له السيطرة تدريجيا على الكويت .

(٢) الشيخ عبدالله بن صباح ١٧٧٦ - ١٨١٤

تولى الشيخ عبدالله بن صباح الحكم بعد ابيه وقد حكم مدة طويلة بدأت خلالها الكويت تشق طريقها في عالم النمو والتقدم ، فنشطت تجارتها في عهده مع العراق والهند وحضرموت واليمن ، وكان الشيخ عبدالله من اصغر ابناء صباح ولكنه كان يتصف بسرعة البديهة وصفاء الذهن والكرم والسخاء وحسن السيرة والشجاعة وكان كثير الاصغاء دائم التفكير قليل الكلام ذكي الفؤاد ، وكان والده الشيخ صباح يعتمد عليه في كثير من المهمات الخاصة في حياته . وكان في عهد الشيخ

عبدالله في اواخر عام ١٧٧٦ نزل امير الاحساء سعدون بن عريعر زعيم بني خالد قريبا من مدينة الكويت ، فظن البعض انه يريد سوء فخرج اليه الشيخ عبدالله ليكشف ما كان ينويه وسرعان ما ظهر حسن نواياه ، اذ أخذ يوجه العتب الى الشيخ عبدالله ويؤنبه على خروجه بمثل ذلك العدد القليل من الرجال دون ان يأخذ الاستعدادات الكافية لاحتمال الطوارىء ، اذ ربما كان القادم الى الكويت غيره من الذين ينون الاذى وان خروجه على ذلك الحال امر لايخلو من التهور وعدم التردي ومناقضا للخطط العسكرية ، فأعتذر اليه الشيخ عبدالله عن ذلك قائلا ان خروجه على تلك الحالة لم يكن الا لعلمه بأن سيقابل رجلا يراه بمثابة الأخ الاكبر وانه واثق من حسن نواياه تجاه الكويت واهلها ، ولو كان القادم غيره لما خرج اليه الا بجيش كبير وبرجال لايخافون الموت ،فسر الامير سعدون الخالدي من هذا القول ثم عاد كل منهما الى بلده مرتاح النفس[٢٤] . وقد مرت في عهد عبدالله احداث اقليمية مهمة عززت مكانة الكويت حيث احتل الفرس البصرة ونقلت شركة الهند الشرقية مكاتبها الى الكويت وتحولت السفن الآتية الى الخليج العربي من البصرة الى الكويت لتفرغ بضاعتها التي تنتقل برا الى بغداد ودمشق وحلب ، ولقد هاجر كثير من التجار من البصرة الى الكويت واستقروا فيها وترتب على ذلك نوع من الرخاء المالي وعلى الأخص بالنسبة للتجارة .

ثالثا : علاقة الكويت بالقوى الاقليمية والدولية في عهد صباح وابنه عبدالله ١٧١٨ – ١٨١٤

اتسمت سياسة الكويت الخارجية وعلاقتها بالقوى الاقليمية والدولية بالسلم وحرصت على الالتزام به والمحافظة عليه كما تمسكت بالحياد وعدم التورط في العداء مع القوى الاقليمية او الانحياز مع قوى ضد أخرى و لم تدخل حرب الا دفاعا عن نفسها ، وان التقيد بهذه السياسة منذ الفترة المبكرة يعود الى ادراكها بان الحياد هو الضمان لاستمرار بقاء وجودها لصغر مساحتها ، وبرغم ان الكويت سعت منذ البداية للحفاظ على التوازن في علاقتها مع القوى الاقليمية والمحيطة بها دون ان تحصل من تلك القوى على نص مكتوب تتقيد فيه هذه القوى بضمان وجودها والمحافظة عليها الا ان هذه السياسية نجحت في استمرارها وحافظت على وجودها وسط التيار المتصارع من القوى الاقليمية وان تمارس نوع من الاستقلال الذاتي على الرغم من محافظتها على ولائها لبني خالد وللدولة العثمانية ، وكان لابد ان يسترعي النمو السريع والازدهار الذي شهدته الكويت انتباه القوى الاقليمية بعدما اعتمدت الكويت على سياستها الخارجية في تنمية اقتصادها وذلك نتيجة لقلة

مواردها الطبيعية ، مما جعل الكسب المادي تنحصر في التجارة وحركة النقل البحرى والبرى مع القوى الاقليمية بصورة رئيسية ولهذا كان احتكاكها معها سلبا وايجابا ، لوقفت بعض القوى الاقليمية من الكويت موقف المعاداة بعد ان عجزت عن منافسة موانيها التي اثر ازدهارها على موانىء تلك القوى تأثيرا عكسيا لذلك اتجهت الى الانتقام منها ومهاجمتها كلما سنحت لها الفرصة لتنفيذ خصومتها ، بينما وقف البعض الاخر بالامبالا ، كما استفادت الكويت مما اصاب بعض القوى الاقليمية واستغلت نقاط ضعفها لصالحها(٢٦) .

سهلت تلك الاوضاع ولاسيما الخارجية للكويت النمو والازدهار ، اضافة الى ضعف الفرس والعثمانيين وانعدام نفوذ كل منهما مما اتاح الفرصة للمدن الصغيرة النامية في سواحل الخليج العربي الشرقية والغربية ومنها الكويت ان تتطور دون خوف من خطر قوة اكبر منها وقد تتدخل في شونها الداخلية وتفرض عليها سلطانها وبذلك تحد مر تها في الحركة والكسب والنمو ، اضافة الى وقوع الكويت في منطقة النفوذ الخالدي في شرق الجزيرة العربية وحرص بني خالد على استتباب الامن والسلام في المنطقة حتى تزدهر التجارة وازدهار التجارة كان بالطبع الركن الاساسي لنهضة الكويت وتقدمها . وكذلك النشاط التجاري للشركات الاوربية حيث استفادت الكويت من المساهمة بهذه التجارة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والتي تميز بقيام قوى اقليمية جديدة في شرق الجزيرة العربية مثل البوسعيد في عمان ، والقواسم والبوفلاح في كل من راس الخيمة وابوظبي في ساحل عمان والخليفة في البحرين وال صباح في الكويت اضافة الى وجود بني خالد في الاحساء ، مع تزايد النشاط البريطاني وتدهور النشاط الهولندي .

(١) علاقة الكويت بالقوى الاقليمية في شرق الخليج لعربي

لم يتمتعوا الفرس بالامن الداخلي حتى يفكروا في مهاجمة الكويت ولم تكن لديهم القوة البحرية ، وكانت الحروب بين القوميات المختلفة تنشب بين حين وآخر وكانت كل قومية تشهر سلاحها في وجه القوميات الأخرى من جانب وفي وجه السلطة المركزية من جانب آخر اما طلبا للانفصال والاستقلال واما لتأكيد موقف ونزعات اقليمية بين الاقاليم الايرانية(٢٧) .

استمرت العلاقة بين الساحل الشرقي من الخليج العربي الذي كان مأهولا بالعرب والذين كانوا على اتصال دائم بعرب شرقي الجزيرة العربية ، ولما اراد نادر شاه ان يوطد نفوذه على ساحل شرق الخليج العربي اعتمد على قواته البرية من الفرس ثم عندما اراد ان يبسط نفوذه خارج

حدود ايران اعتمد على ضباط من الفرس لقيادة سفنه التى كان يسيرها الملاحون العرب وهو بهذا قد عمل على ابعاد العرب من قواته البرية واسند اليهم اعمال ثانوية في بحريته مما ادى الى فشل سياسته بغرض سيطرته على مياه الخليج العربي عندما قام الجنود العرب في بحرية نادر شاه وفتكوا بضباطهم الايرانيين وسلموا قطع الاسطول الايراني الى اخوانهم العرب في عمان وساحل عمان ، ثم عمت الفوضى في ايران عام ١٧٤٧ عند وفاة نادر شاه حتى عام ١٧٥٧ عند تولى كريم خان الزند الحكم في ايران ، وجعل علاقته مع العرب في شرق الخليج العربي قوية بخلاف سياسة نادر شاه ، كما طلب كريم خان المساعدة من العرب لتوطيد نفوذ في الخليج العربي وبرغم تعاون العرب معه الا انهم سببوا له الكثير من المشاكل ، وهناك ثلاث قبائل عربية كانت لها كيانات سياسية قوية في جنوب ايران في القرن الثامن عشر وهم عرب بوشهر وحاكمهم الشيخ نصر ال مذكور من عرب "المطاريش" العمانية ثم عرب ميناء "ريق" الذين يسكنون الى الشمال من بوشهر ثم "بني كعب" ومركزهم "الدورق" ، بالاضافة الى تلك القوى القبلية العربية الثلاثة كان هناك جماعة من الهولة وهم من الايرانيين السنة الذين تحولوا من داخل ايران الى الساحل الجنوبي الشرقي وانتشر في جزر قشم وقيس وهرمز ولنجة وغيرها ولم يكن لهم دور كبير أو مهم في الاحداث السياسية[٢٨] .

(٢) الطاعون وحصار الايرانيين للبصرة (١٧٣٣ – ١٧٦٦ واثره على الكويت

بدأ الطاعون يتفشى في البصرة عام ١٧٧٣ بعد ان انتقلت الاصابات اليه من بغداد وقد شل هذا الوباء الحركة في البصرة مما دفع سكانها الى الهرب وكذلك رجال شركة الهند الشرقية البريطانية وبلغ الضحايا نحو مليونين والذي انتشر في شهر ابريل ولم يكن يأتي اليوم الخامس والعشرون من مايو حتى اصبحت البصرة خالية تقريبا من السكان ، وكان من نتيجتها تدمير التجارة فأن الكويت جذبت اليها جزء كبير من تجارة البصرة ، وكان كريم خان يعد الخطط للاستيلاء على البصرة من العمثانيين وجاءه العون البحري الكبير من عرب بوشهر وبني كعب وانهى الايرانيون استعداهم لحصار البصرة عام ١٧٧٥ ذلك الحصار الذي وجد سكان الكويت والزبارة انفسهم مشتركين فيه ذلك انه كان يصعب على القوى الاقليمية في النصف الشمالي من الخليج العربي ان تقف موقفا محايدا يقع في المنطقة وخاصة بين الايرانيين والعثمانيين ، وان النمو السريع الذي احرزته تجارة الكويت والزبارة اثار غيرة القوى البحرية الاقليمية القريبة والمنافسة لها وهم عرب ميناء "ريق" و "بوشهر" و "عربستان" واقرب هؤلاء الى ال"الزبارة" كان عرب

"بوشهر" الذين يحكمون البحرين ، وجعل الصراع الايراني – العثماني في البصرة ، تجار الكويت و "الزبارة" يزيدون من ثرائهم بعد ان اصبحت موانيهم التجارية آمنة بحكم كونها خارجة عن نطاق ذلك الصراع ثم ان حرية التجارة في ميناء الكويت و "الزبارة" كانت عاملا آخر جذب اليها رأس المال التجاري وقد بدا انه ليس من اليسير على بوشهر ان تسلم "للزبارة" والكويت بقصب السبق في ميدان الثراء من تلك التجارة ،وفي هذه الظروف لم تكون "البصرة" تستيقظ من بلاء الطاعون الذي حل بها عام ١٧٧٣ وفتك بمعظم سكانها حتى وصل الجيش الايراني في مارس ١٧٧٥ وبعد حصار دام ثلاثة عشر شهرا سلمت المدينة للقائد الايراني في منتصف ابريل ١٧٧٦ ، وفي هذا الصراع وجد طرفا النزاع الحلفاء من القوى الاقليمية في الخليج العربي ، فالى جانب الايرانيين انحاز عرب ساحل الشرقي من الخليج العربي ، وامد عرب "بوشهر" الجيش الايراني بما يحتاجه من مون وذخائر ولولا ذلك لما كانت لديه القدرة على الحصار ، ثم ان شيخ ميناء "ريق" قد امد بكل مساعدة للجيش الايراني المحاصر ، كما انحاز حكام "عربستان" وان سفنهم كان بمقدورها ان تلعب دورا هاما في ذلك الصراع سواء انضمت الى الايرانيين او العثمانيين وان القوى الاقليمية العربية في شرق الخليج العربي وضعوا كل قواتهم في خدمة الايرانيين في هذه المعركة . اما الجانب العثماني فقد وقف شيخا "المنتفق" "وبني خالد" وساعد في تمكين قوافل المون من الوصول الى المدينة المحاصرة في حين نجح الاسطول العماني في فك الحصار الايراني عن البصرة وطردهم عنها مما جعل السلطان العثماني يقرر مكافأة لسلطان عمان .

اتخذ الشيخ عبدالله صباح في بداية الامر موقفا محايدا ازاء الطرفين المتصارعين ولكنه كان اميل الى اتخاذ موقف عدائي ضد الايرانيين بسبب العداء التقليدي بين الكويت والقوى الاقليمية العربية في جنوب ايران وخاصة "عربستان" وميناء "ريق" و "بوشهر" ، واستفادت الكويت من الحصار الايراني للبصرة فائدة اقتصادية كبيرة اذ ترتب على ذلك الاحتلال قيام علاقات مباشرة بين الكويت ووكالات "شركة الهند الشرقية البريطانية" التى بدأت تتخذ من ميناء الكويت مستودعا لتفريغ بضائعها ومن الكويت كانت تنقل البضائع على ظهور القوافل الى الشام ويمكن القول بأن احتلال الايراني للبصرة كان بداية العلاقة الكويتية – البريطانية[٣٠] .

(٣) العلاقات الكويتية – البريطانية

بدا البريد الصحراوى البريطاني عبر الخليج العربي الى حلب عن طريق الكويت بدلا من "الزبير" على الرغم من ان الايرانيين لم يحتلوها ، ولم يقتصر اهتمام البريطاني على البريد وانما

اهتمت لأغراض تجارية حيث حلت المشكلة التى واجهتها الشركة في تصريف بضائع الهند في المشرق العربي وخاصة بلاد الشام بعد احتلال البصرة وبذلك استفادت الكويت منن هذا الوضع الجديد فأصبحت مركزا تجاريا مهما كما استفادت في السابق من مرض الطاعون فانتقل اليها عدد من التجار ومعهم المال اللازم للتجارة ولتمويل صناعة السفن ، وفي عام ١٧٧٨ رفض الشيخ عبدالله تسليم الضابط الفرنسي الذى التجأ اليه مراعيا بذلك قواعد الضيافة العربية الا انه عاد ووافق على القبض عليه بعد ان تبين له انه محتال وحرصا منه على علاقته الطيبة بالبريطانيين التى تعرضت للتصدع نتيجة لهذا الحادث وفى ١٧٩٣/٤/٢٤ انتقل المستودع التجارى البريطاني للشركة الى الكويت نتيجة للعقبات التي وضعتها في وجه السلطات العثمانية وبقى في الكويت حتى ١٧٩٥/٨/٢٦ فكان لهذا الانتقال اثر كبير في ازدياد نمو الكويت وتطور اقتصادها ، وتطورت العلاقات البريطانية الكويتية الى الافضل عندما كانوا يعترضون سبيل المراسلات الفرنسية بعد ان زاد نشاطهم في الهند والمحيط الهندي وكانت الحرب قد اعلنت بين بريطانيا وفرنسا وقد استفاد البريطانيون من صداقة "مانيستى" رئس المستودع مع الشيخ عبدالله بهذا الصدد للقضاء على المخططات الفرنسية الرامية الى استخدام السفن الكويتية في حمل مبعوثيها ورسائلهم وفي القضاء على محاولة الفرنسيين في ان يجعلوا من الخليج العربي طريقا غير صالح لاستخدام البريطانيين[٣١] .

يبدو من ذلك بأن السبب الاساسي في استخدام المراكب العربية من اجل تلك الاهداف البريطانية والفرنسية يكمن في ان احد من الطرفين لم يكن لديه خدمات بريدية منتظمة في الخليج العربي وانه كان يتحتم عليهم ان يحتفظوا بسرية الانباء الهامة بقدر المستطاع ان مثل هذه السرية كان يمكن المحافظة عليها باستخدام المراكب العربية التى كان ربابنتها يتميزون بالامانة ومثال ذلك المركب الكويتي الذي يملكه ابراهيم بن غانم والذي كان مسافرا على ظهره من مسقط الى البصرة رجلان فرنسيان ، فقد رفض الشيخ ابراهيم ان يسمح للبريطانيين بالقاء القبض على هذين الفرنسيين على الرغم من انهم عرضوا عليه قدرا كبيرا من المال على سبيل الرشوة غير انه وافق في النهاية على طلبهم بعد ان اطلعوه على رسالة بتوقيع شيخ الكويت يطلب منه فيها ان يسلم الفرنسيين الى البريطانيين ، وتلك الاسباب التى ذكرناها سابقا جعل البريطانيين والفرنسيين في بعض الاحيان يلجاءون الى استخدام المراكب العربية حتى يتجنب كل فريق منهم الآخر وبرغم تفوق النفوذ البريطاني في الخليج العربي فأن هذا لايعني ان الرسائل كانت مقصورة على هذا

الطريق دون سواه ، وقد كان طريق الخليج العربي اكثر امنا من طريق المحيط الهندي الذي كان دائما معرضا للخطر بسبب وجود المراكب الفرنسية ، في حين لم يكن موقف الكويت سهلا لمشكلة اعتراض هذه السفن وعلى الرغم من ان الوكالة البريطانية قدمت للكويت خدمات ممتازة اثناء وجودها فيها منذ عام ١٧٩٣ وعلى الرغم من ان الشيخ عبدالله كان صديقا للبريطانيين فانه لم يرض عن سلوكهم تجاه السفن الكويتية التى كانت تنقل الرسائل والمواطنين الفرنسيين وخاصة عندما اصدر "مانيستي" اوامره في يناير ١٧٩٥ الى "رينود" بالقاء القبض على "السنيور فيزيتي" لحل وكيل القنصل "البندقي" في حلب وكان "فيزيتي" مسافرا في سفينة كويتية وكانت راسية في ميناء الكويت ويبدوا ان "مانيستي" لم يكن واثقا من انه يستطيع اعتراض سبيل "فيزيتي" في الكويت فقد زود "رينود" برسائل الى شيخ البحرين وحاكم عمان لتسهيل مهمة "رينود" غير انه القي القبض على "فيزيتي" في الكويت قبل سفره منها ، ومن ثم تبدل سلوك الشيخ عبدالله بمسألة اعتراض البريطانيين للمراسلات والاشخاص الفرنسيين على السفن الكويتية ، ويبدو ان الفرنسيين قد تنبهوا الى هذا النشاط البريطاني الهادف الى الاستيلاء على مراسلاتهم ولهذا لم يحدث ان حمل مراكب الكويتيين عملاء مبعوثين فرنسيين فيما بعد وذلك نتيجة لاقامة الوكالة البريطانية بالكويت من ١٧٩٣ الى ١٧٩٥ اضافة الى السياسة الودية التى ابداها شيخ الكويت تجاه البريطانيين فأن الفرنسيين وجدوا انه ليس في وسعهم الاتصال بشيخ الكويت لكي يكسبوه الى جانبهم(٣٢) .

(٤) علاقة الكويت مع عرب "بوشهر"

استولى عرب بوشهر على البحرين عام ١٧٥٣ وكانوا حكامها عندما جاء العتوب الى الزبارة عام ١٧٦٦ ، وكان الشيخ "نصر المذكور" من قبيلة "المطاريش" التي جاءت من عمان وحكمت بوشهر ، يملك اسطولا قويا تمكن بواسطته من المحافظة على بقاء البحرين تحت سيطرته .

فاقت الاسباب التي دعت عرب بوشهر لمعاداة العتوب تلك الاسباب التى تجمعت لدى حلفائهم من بني كعب وذلك ان عرب بوشهر من المطاريش كانوا اكثر تأثرا منذ بداية النجاح التجارى الذي احرزته مدينة البصرة بعد انتقال نشاط شركة الهند الشرقية البريطانية الى جانب تأثرهم بازدهار التجارة في الكويت التى نافستهم بحيث اصبح انهيار تجارة "بوشهر" امر محتوما ، لذلك اخذت "بوشهر" تنظر الى الكويت بعين الريبة والشك والغيرة وتتحين الفرص لتنفيذ عداوتها بالهجوم عليها وهذا ما دفعها لمحالفة ايران و "عربستان" ضد الكويت ومناصرة الأخيرين في هجومهم على الكويت اثناء معركة "الرقة" وذلك بالرغم من ان الشيخ نصر المذكور كان قد لجأ

في وقت سابق الى العتوب في الكويت واستنجدهم في فتح البحرين الذي تم عام ١٧٥٣ على ان يعفيهم في مقابل ذلك من دفع اى ضريبة على ممارسة الغوص في مغاصات البحرين ، ويبدو ان حكام الكويت رفضوا هذا العرض مما زاد في حدة عداء عرب بوشهر للكويت وبالرغم من ان "بوشهر" لم تقم بهجوم مسلح مباشر على الكويت الا انها قد ساعدت حلفائها "عربستان" في هجماتها المسلحة على السفن الكويتية التى كانت تجوب مياه الخليج العربي تنقل التجارة والافراد ، هذا ويشير مستر "لاتوش" الى طلب الشيخ نصر المذكور الصلح مع الكويت وذلك قبل فتح الخليفة للبحرين بقليل غير ان حاكم الكويت رفض اجابة طلبه الا اذا دفع نصف دخله من البحرين وقدرا كبيرا من الجزية سنويا عن بوشهر[٣٣] كما جعل الصراع يشتد على النفوذ بين القوى الاقليمية في شمال الخليج العربي وخاصة على الزبارة والبحرين .

يبدو ان حكام الكويت ظلوا بعيدين عن المعركة الاولى التى جرت بين "الزبارة" والبحرين وذلك قد يرجع الى انهم كانوا ينتظرون ان ينزل بهم هجوم بوشهر قبل "الزبارة" نظرا لقرب مدينتهم من "عربستان" و "بوشهر" ، وكذلك فان انباء هجوم "بوشهر" على الزبارة قد وصلتهم متأخرة لانهم القوا القبض على مركب تابع لبوشهر يحمل انباء هزيمة قوات الشيخ نصر مذكور في "الزبارة" ، وكذلك فيه اوامر تطلب من ابن الشيخ نصر المتصرف بشؤون البحرين ان يبذل كل ما في وسعه للدفاع عن الجزيرة حتى يتيسر لوالده ان يمده بالعون لقد اعترض الاسطول الكويتى سبيل ذلك المركب التابع لبوشهر وبذلك تسنى لحكام الكويت معرفة الامور الجارية فى "الزبارة" والبحرين . ويبدو ان اسطول الكويت كان يتألف من مراكب كبيرة وبعض المراكب الصغيرة التى كانت مبحرة في طريقها الى "الزبارة" لنجدتها وان المعلومات التى حصل عليها اسطول الكويت من القارب التابع "لبوشهر" كانت على جانب من الاهمية مما جعل الكويتيون يبحرون في الحال الى البحرين واستولوا على قلاعها الرئيسية غير ان الرواية المحلية لال خليفة تعزو فتح البحرين الى احمد بن محمد بن خليفة والجلاهمة وتنفي ان يكون لسكان الكويت أي دور في الفتح . غير ان هذا النجاح التجارى والسياسي قد جلب معه منافسات "للزبارة" والكويت لم يكن لها وجود قبل فتح البحرين عام ١٧٨٢ .

فأنه بالاضافة الى اعداء العتوب الثلاثة وهم عرب "بوشهر" وعرب ميناء "ريق" و "عربستان" قد ضم فتح البحرين الى قائمة اعداء الكويت "القواسم" وشيخ "هرمز" وشيخ "قشم" ، وان الكويت كانت تملك فى العقد التاسع من القرن الثامن عشر قوة بحرية كان بمقدورها ان تصمد

امام أي هجوم يقع عليها ويرجع تكوين هذه القوة البحرية للكويت الى عدة عوامل منها ان معظم سكان الكويت كانوا يعملون في البحر والتجارة ويزيدون سفنهم التجارية كلما نمت تجارتهم وان هذه الزيادة في السفن التجارية كلما تمت صحبها زيادة فى السفن الحربية وذلك عن طريق الشراء او عن طريق صنعها محليا وذلك لحماية الاسطول التجارى الذي اصبح امرا لازما لامفر منه لكي يوقف أي حملات للنهب والسلب يقوم بها القواسم في ساحل عمان(٣٤)

(٥) علاقة الكويت بعرب "ريق"

قامت الى الشمال من "بوشهر" مشيخة "ريق" وكان شيخها يتمتع بنفوذ يمتد الى ابعد من حدود مشيخته والمدن المجاورة لها اذ كان يصل حتى اماكن اخرى في "خرم شهر" ولقد عاون شيخ "ريق" عام ١٧٥٣ شيخ "بوشهر" في احتلال البحرين وربما يرجع هذا التعاون الى كونهما ينتميان الى اصول مشتركة واحدة من القبائل العربية التي جاءت من عمان فحاكم مشيخة "ريق" ينتمي الى قبيلة بني "صعب" العمانية وكذلك حاكم "بوشهر" ينتمي الى قبيلة "المطاريش" العمانية ، وكان يحكم مشيخة "ريق" في العقد السابع من القرن الثامن عشر الشيخ ميرمهنا نجل الشيخ مير ناصر وعندما جاء عرب "بني صعب" من عمان كانوا ينتمون الى المذهب السني المالكي وكان هذا هو مذهب جد ميرمهنا الذي وضع حجر الاساس في نفوذ أسرته الحاكمة في مشيخة "ريق" ، غير ان الشيخ مهنا نظراً لعلاقاته مع شاه ايران رأى انه من الخير له ان يتحول الى مذهب الشيعة وان يتزوج من ايرانية شيعية مما جعل العرب في مشيخة "ريق" ينظرون الى هذا التصرف الغريب بأن أسرة الشيخ مهنا أصبحت تفقد عراقتها ، وقد لعب الشيخ ناصر ووالده الشيخ مهنا دورا بارزا في احداث الخليج العربي في الفترة ما بين ١٧٥٣ عندما سمح الشيخ ناصر للهولنديين باقامة وكالة تجارية لهم في جزيرة "خرج" ومقرا لشركة الهند الشرقية الهولندية .

قام هذا البطل العربي الشيخ مهنا بدور وطني كبير وقام بالمقاومة ضد الاستعمار الاوربي وتحرير اجزاء من مشيخته من الاحتلال الهولندي والبريطاني والقوى المتعاونة معهم مثل الايرانيين والعثمانيين مما حتم عليه ان يحارب ضد الهولنديين والايرانيين والبريطانيين على التوالي ، فبعد مدة قصيرة من اقامة الهولنديين في جزيرة "خرج" وقع خلاف بين رئيسها البارون "كنبهاوزن" والشيخ ناصر بعد ان رفض الاول ان يزيد الايجار حسب ما نصت عليه اتفاقية تأجير الجزيرة للشركة الهند الشرقية الهولندية مما اوجد عداوة بين الجانبين استمرت قائمة الى ان تولى الشيخ مهنا مشيخة "ريق" بعد ان قتل والده عام ١٧٥٨ وفي الوقت ذاته كانت علاقته مع الايرانيين سيئة لتعاونهم مع

الهولنديين والبريطانيين ضده الا انـه احتفـظ بعلاقـات ودية مـع باشـا بغـداد ومـع متسـلم البصـرة العثماني مما جعله في وضع محرج وذلـك بعدمـا استطاع الشيخ مهنا تحرير جزيرة "الخـرج" مـن الاستعمار الهولندي وطردهم منها فقام شاه ايران كريم خان الزند بالتعاون مع الاستعمار البريطاني بفرض حصار شديد مما اضطر الشيخ مهنا على الهرب والالتجاء الى الكويت في جنـح الظـلام عـام ١٧٦٩ برفقة اتباعه مبحرا في سفينة سريعة الى الكويت التى وصلها في الليلـة التاليـة ، ولعـل لجوءه الى الكويت جاء بعد تحسن علاقته معها وبعد ان انفرط ذلك التحالف العدائي ضد الكويت الـذي كان طرفا فيه مع بني كعب وال مذكور ، وقد يكون تحسن العلاقـات مـع الكويـت ناتجـا عـن ان الأخيرة قد اقامت علاقات حسنة مع شركة الهند الشرقية الهولندية في جزيرة "خرج" وعندمـا طـرد الشيخ مهنا الهولنديين من تلك الجزيرة رغب في الاحتفاظ بتلك العلاقات الطيبة لاسيما وان علاقته مع حليفيه السابقين بني كعب في "الفلاحية" وال مذكور في "بوشهر" قـد تـأثرت نتيجـة لوقوفهمـا مع شاه ايران كريم خان الزند ضده ، ولهذا فأن الكويت رحبت بالشـيخ مهنـا كلاجـىء وكـانت على استعداد ان تحميه رغم ما بدر منه من عداوة سابقة الا ان الشيخ مهنا رغب في مواصلة سـفره الى البصرة ظن انه سيكون هناك بمأمن من كل خطر لاسيما وانه كان لايزال محافظا علـى المعاهدة القائمة بينه وبين والي بغداد الخاصة بعدم التعرض لاية سفينة متجهة الى البصرة أو عائدة منهـا وقـد احسن المتسلم العثماني في البصرة استقباله واكرامه باعتباره صديقا لسيده باشا بغداد[٣٥] .

ارسل متسلم البصرة رسالة الى والي بغداد يخبره فيها بأن الشيخ مهنا يطلب منه الحماية ويرجوا ان يسمح له بالمثول بين يديه في بغداد في الوقت الذي كانت علاقاته مع البريطانيين قوية اضافة الى تحسن علاقـة مـع الايرانيـين ممـا جعلـه يتخلص منـه مقـابل ابقـاء علاقـات حسـنة مـع البريطـانيين والايرانيين وان يغدر بصديقه الذي وقف معه ضدهما في محنته فارسل والي بغداد الى متسلم البصرة يأمره بقتله حال وصول رسالته اليه وبالفعل قام المتسلم العثماني بقتـل الشـيخ مهنـا الـذي حـارب وقاوم الاستعمار الهولندي والبريطاني والاحتلال الايراني وعفا عن رفاقه .

(٦) علاقة الكويت مع امارة عربستان

يرجع أصول قبيلة بني كعب الى اليمن عندما هاجرت منها لفرعان الاول الى عمان وهـم الاقـدم والفرع الثاني اتجه الى البصرة في القرن الخامس عشر قبل ان ينتقل الى عربستان التى كانت تحكمها ايضا قبيلة عربية وهي "المشعشعون" في اقصى الشمال الشرقي من الخليج العربي ، ونجح بني كعـب في تنظيم سياسي قوي واستطاعوا السيطرة على معظم المناطق الممتدة مـن شـط العـرب الى منطقـة

"الاهواز" الواقعة عند مصب نهر "القارون" وقد عد اسطولهم واحد من اهم الاساطيل البحرية التى ظهرت في القرن الثامن عشر ، وعلى الرغم من انهم كانوا يعتبرون انفسم من رعايا الدولة العثمانية الا ان وضعهم كان شائكا بين ايران من ناحية والدولة العثمانية من ناحية أخرى ، ومن أهم مدنهم "القبان" و "الدورق" و "الاهواز" و "ديزفول" و "عبدان" وغيرهما ، وقد اثار نشاط بني كعب كريم خان الزندي الذي وجه حملتين عسكرتيين ضدهم في عام ١٧٥٦ و ١٧٦٥ وفيها خاض بنو كعب صراعا مريرا ضد الايرانيين حيث سقط في المعركة الثانية اهم مركزين من مراكز تجمع قوات عربستان وهما مدينتان "قبان" و "الدورق" مما ارغم الشيخ سليمان زعيم بني كعب نقل عاصمة عربستان الى "الفلاحية" الواقعة الى الشمال من "قبان" وكان بني كعب يحاربون على ثلاث جهات في وقت واحد الايرانيون في الشرق والعثمانيون في الغرب والبريطانيون في شط العرب والانهار المجاورة وفي النهاية تمكنوا من الانتصار على تلك القوى الثلاثة وكبدوا القوات الايرانية والعثمانية خسائر كبيرة وقتل اعداد كبيرة من الجنود والضباط البريطانيين وبذلك بلغت قوة عربستان شأنا عظيماً في منتصف القرن الثامن عشر واكتسب الشيخ سليمان شهرة عظيمة في اوربا لانتصاراته على تلك القوى الثلاثة وخاصة بعد اسره لعدد من قطع الاسطول البريطاني وبذلك تمكن الشيخ سليمان من استرجاع ما خسره في حروبه مع الايرانيين والعثمانيين بل توسعة في ارضيهم وظل بنو كعب مسيطرين على المناطق الفاصلة بين الدولتين الايرانية والعثمانية حتى جاء الوقت الذي اخذت فيه الدولتان تعتمدان على نفوذهم ضد العشائر المناوئة لهما(٣٦) .

انقسم بني كعب الى قسمين ، قسم اقام في "المحمرة" و "عبدان" وتتألف من عشائر "المحسن" و "الدريس" و "النصار" وغيرهما والقسم الثاني اقام في "الفلاحية" "الدورق" وتتألف من عشائر "مقدم" و "العساكرة" وغيرها وهؤلاء الاخيرون هم الذين نشبت بينهم وبين الكويت معركة الرقة ، وقد تعرضت الكويت في وقت مبكر من تاريخها الحديث لخطر الغزو من قبل قبائل بني كعب في امارة "عربستان" الذين كانوا يزاولون نوعا من النفوذ على بعض المدن والقبائل القاطنة في سواحل الخليج العربي الى حيث كانت تصلهم السفن "الكعبية" ، وقد تزايد خطر عربستان على السفن البريطانية والعثمانية وخاصة تهديدهم لمتسلم البصرة ولم تحل حتى قوة بني خالد دون هجوم عربستان على ميناء "القطيف" وتدميره ونهبه وعاد اسطول بني كعب الى عاصمتهم "الدورق" محملين بغنائم القطيف الوفيرة وكان هذا الهجوم لبني كعب دون مساعدة حليفهم شيخ بوشهر .

معركة "الرقة" ١٧٨٣

برغم من ان شيخ الكويت تصرف بحكمة في اثناء حصار الايرانيين للبصرة وحاول ارضاء الطرفين و لم يعمد الى اثارة غضب أي منهما بل لعله استجاب لكثير من طلبات الايرانيين على مضض في محاولة لدرء خطرهم وفي نفس الوقت استجاب لطلب شيخ عربستان في تسليمه السفينتين الحربيتين التابعتين للدولة العثمانية واللتين وصلتا الى الكويت محملتين بجمع من الاتراك يقدر تعدادهم بنحو مائتين وثلاثين رجلا ، ومع ذلك فلم تثمر تلك المحاولات في درء خطر بني كعب حكام عربستان الذين استمروا في مهاجمة سفن الكويت التجارية والتعرض لها ، وبالرغم من ان اسباب ذلك الصراع الذي نشأ بين الكويت وعربستان غير واضحة ، وقد يرجع اسباب معركة الرقة عام ١٧٨٣ الى طمع بني كعب في الكويت التي ازدهرت وتطورت بسرعة ، وفي محاولة بني كعب احتلال الكويت تذرعوا بحيلة لتغطية مطامعهم فتقدموا يخطبون مريم ابنة الشيخ عبدالله لأحد ابنائهم وحين استشار عبدالله اعيان الكويت حذروه من الانصياع لبني كعب لما يعولون على هذه المصاهرة في ربط الكويت ببلادهم وأخذ الكويتيون للحرب أهبتها واودعوا نسائهم وأموالهم في سفن حتى اذا ماهزموا يهرب الأخرون بالنساء والسفن ويتركون البلد خاوية وساروا هم بسفن أخرى لملاقاة عدوهم وبعد مسيرهم خاف الشيخ عبدالله عليهم من تغلب عدوهم مما دفعه الى ان يبعث بهم قبل ان يشتبكوا لاسيما وان ال خليفة كان من ريهم ان يتم تلك المصاهرة ارضاء الكعبيين اعتقادا منهم بعدم مقدرة العتوب على مواجهة الخصوم(٣٧) . الا ان ذلك لم يمنع شيخ الكويت من مواجهة العدو فجرت معركة بين الفريقين في "الرقة" قرب جزيرة "فيلكا" وهي منطقة من البحر يقل فيها الماء وقت الجزر بحيث لاتستطيع السفن المتوسطة الحجم المرور بها مما اوجد صعوبة لدى سفن بني كعب كبيرة الحجم وذات اعداد كبيرة المملوءة بالجيش والمؤونة والذخيرة .

ابصر الكويتيون ذلك الاسطول وتلك القوة شعروا بالخطر الذي احاط بهم فتهيئوا واستعدوا لمقابلته بجميع ما كان لديهم من عدة وعدد وركبوا سفنا صغيرة خفيفة وهاجموا بها ذلك الاسطول هجوم المستميت فكانت معركة ضارية ابدى فيها الفريقان ضروبا من البسالة والشجاعة حتى اسفرت بانتصار الكويتيين واستولوا على بعض المدافع الثقيلة والاسلحة وعادوا بها الى الكويت ونصبوا ما استولوا عليه من المدافع على ساحل المدينة تذكارا لهذا النصر ، وبرغم قوة اسطول عربستان الا ان فشله يرجع الى عدة اسباب منها(٣٨) :

١ - لقد شاءت الاقدار ان تجرى تلك المعركة في محل يدعى "الرقة" وفي ساعة قد جزر فيها الماء والخفض انخفاضا كبيرا حتى تعذر على السفن عربستان الضخمة المسير لقلة الماء وقد ظلت مستوية على الطين دون ان تستطيع حراكا و لم يكن لها اية فائدة او تأثيرا في تلك المعركة .

٢ - سكون الهواء بصورة مفاجئة شلة حركة بقية السفن الكعبية التي لم تكن قد استوى على الطين ومنعتها من الاتصال ولم يكن يومئذ مع القوات الكعبية المجاذيف الكافية التي تمكنها من سير السفن الصغيرة كما فعل سكان الكويت الذين داهموهم بسفن صغيرة تسير بالمجذف وبواسطتها تمكنوا من الانتقال من سفينة الى سفينة اثناء سير القتال فكانوا يهاجمون كل سفينة من تلك السفن الكعبية على انفراد فيقتلون ويجرحون ويستولون على ما فيها من الاسلحة والمؤنة ثم يوالون عملياتهم باستمرار دون ان تتمكن القوات الكعبية من الالتحاق بهم او الاشتباك معهم بقتال مجتمعين .

٣ - لم يدر في خلد بني كعب ان الكويتيين سيصمدون في وجوههم بتلك القوة بل كان ظن الكثير منهم ان بمجرد وصولهم الى الكويت بهذا الاسطول الضخم سيجعل عدوهم يستسلم لهم بدون قتال وقد فاتهم ان يحسبوا لمثل تلك الطوارىء الحساب اللازم .

٤ - لقد ركز الكويتيون اهدافهم حين الهجوم على سفن القيادة الكبيرة التي كانت تقل قادة الجيش واحدة فواحدة على انفراد فأدى هذا العمل الى كثرة الجراحات في زعماء وقواد بني كعب فأحدث ضعفا في صفوفهم وتخاذلت بقية السفن وتركت القتال مفضلة الاحتفاظ بسلامة من بقي من زعمائها ثم انسحبت البقية عائدة الى اوطانها دون ان تتمكن من عمل شيء يذكر .

لما عادت سفن عربستان بفلول بقية تلك الحملة صمم الشيخ بركات حاكم عربستان على التهيىء للقيام بحملة اخرى على الكويت أخذا للثأر ، فأصدر امره بالاستعداد لحشد الجيوش وتهيئة السفن الكافية وفي اثناء قيامه بتلك الحملة الانتقامية اغتيل ليلة العاشر من شهر رجب ١١٩٧ هـ الموافق ١٧٨٢ وتولى زعامة بنى كعب الشيخ غضبان فعدل عن القيام بهذه الحملة الانتقامية الى الكويت ، وأخذ يوحد صفوفه لرد الخطر خشية من هجوم من قبل القوات الايرانية والعثمانية وهو في غفلة من الامر مشتغلا بالهجوم على الكويت[٣٩] .

(٧) التجاء مصطفى اغا وثويني الى الكويت ١٧٨٩

اسندت متسلمية البصرة الى مصطفى اغا في اكتوبر ١٧٨٧ فأخذ يحكمها حكما مستقلا عن ولاية بغداد في حين كان سلمان باشا بغداد يطمع في دارة شؤون البصرة فأعد حملة عسكرية لاخضاع البصرة في الوقت الذي انضم فيه توينى شيخ اقوى قبيلة عربية في جنوب العراق وهي "المنتفق" الى المتسلم مصطفى اغا وفي عام ١٧٨٧ نصب ثويني نفسه حاكما على البصرة وارسل مفتيها الى الاستانة ليقنع العثمانيين بتنصيبه حاكما على البصرة ، في حين اصدر سلمان باشا بغداد امره بنقل قائد فرقة الفرسان في البصرة الى بغداد وكان هذا القائد من اكبر المناصرين لمصطفى اغا ومن مؤيدي فكرته وفي الوقت نفسه ارسل كتابا الى مصطفى حجازي قائد قوات البحرية العثمانية في البصرة بأمره بالقبض على مصطفى أغا بصورة سلمية وعند عدم التمكن من ذلك فليعمل لاغتياله ، فعلم متسلم البصرة بذلك، فأسرع بالتخلص من خصمه مصطفى الحجازي فقتله واعلن عصيانه على بغداد وامتنع عن اداء الاموال في عام ١٧٨٨ فلم بلغ ذلك باشا بغداد سار على رأس قوات كبيرة نحو البصرة وفي طريقه قام بتأديب عشائر "المنتفق" فجرت بينه وبينهم معركة اسفرت عن مقتل الف رجل من "المنتفق" وخمسمائة من الجيش العثماني في حين تمكن الشيخ ثويني زعيم المنتفق من الهرب وتم تعيين الشيخ حمود على زعامة المنتفق والذي تعاون مع باشا بغداد وسار معه تجاه البصرة ولما علم متسلم البصرة ذلك فلم يجد له مخرجا الا ان يستقل السفن ويحمل معه مايمكن حمله من الاموال ويفر الى الكويت محتميا بشيخها عبدالله صباحا في عام ١٧٨٩ ، ولما علم سليمان باشا كتب الى شيخ الكويت يطلب فيه تسليم مصطفى اغا اللاجىء اليه مع كافة الاموال التي حملها معه ، فدارت اتصالات بين الشيخ عبدالله وبين سليمان باشا كانت معظمها حول طلب اصدار العفو عن مصطفى اغا ولكنها لم تجدى نفعا فطلب سليمان باشا من وكيل شركة الهند الشرقية البريطانية في البصرة الذي كانت تربطه مع الشيخ عبدالله روابط صداقة ان يفاوض شيخ الكويت بأمر تسليم مصطفى آغا فأعتذر الشيخ عبدالله فأخبره مدير الشركة بان سليمان باشا مصر على ارسال قوات حربية الى الكويت لمهاجمتها فرد عليه الشيخ عبدالله قائلا : ان سليمان باشا يعلم جيدا بأن العربي لايخزل من يستجير به[٤٠] ، وانه على استعداد لقتال الباشا في سبيل حماية ضيوفه اذ لم يكن هناك سبيل آخر غير الحرب كما اكد الشيخ للباشا وللوكيل البريطاني بانه لاداعي لخوفهما من ان يشن اللاجئون هجوما على البصرة ماداموا في الكويت يتمتعون بحمياته . وفي بداية شهر يوليو جمع ثويني قوة بالقرب من "الجهرة" وانضم له مصطفى اغا

وبالقرب من "صفوان" جرت معركة مع الشيخ حمود بن تامر زعيم المنتفق" فأنهزم ثويني ومصطفى ولجأ الاول الى شيخ عربستان والثاني الى سلطان عمان .

(٨) علاقة الكويت بامارة "الدرعية"

شهدت الاسر النجدية الحاكمة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر صراعا فيما بينها وهذه الاسر الحاكمة هي "ال معمر" في "العينية" و "دهام بن دواس" حاكم الرياض "آل زامل" في "الخرج" و محمد بن سعود في "الدرعية" ، وكان عريعر بن دجين بن سعدون شيخ بني خالد قام بهجوم على الدرعية عام ١٧٦٤ عندما علما بأن "الدرعية" تتعرض لهجوم من قبل "دهام بن دواس" حاكم "الرياض" وهجوم آخر في نفس الوقت تقوم به قبائل "العجمان" من اليمن ، ورغم فشل عريعر في المرحلة السابقة الا انه قام عام ١٧٦٥ بمحاولة ثانية لمحاربة "الدرعية" عام ١٧٦٥ كما ارسل حسن بن هبة الله المكرمي حاكم "نجران" في اليمن بعدما قام "دهام بن دواس" بابلاغه بان الدرعية في حالة سيئة ، واستطاع أمير "نجران" اليمني ان يوجه لقوات الدرعية اقصى ضربة شهدتها منذ بدء حربها مع اعدائها بل انها هددت امارة الدرعية بالسقوط ولكن الامير محمد بن سعود استطاع عن طريق الدبلوماسية عقد صلح مع حاكم "نجران" اليمني وعندما وصلت قوات عريعر كان الصلح قد تم بين "الدرعية" وامير "نجران" الذي كتب الى عريعر يقول : "لو كان هذا الاتفاق حصل قبل ان يجرى الصلح بيننا وبينه لانتظم الامر على وفق خاطرك لكن الآن نحن حصل مرادنا من الانتقام وقد طلب منا العفو ونحن اهل له عند القدرة واعطيناه فلا يمكننا ابدال القول اما انت فمختار بحربك معه نحن لانتعرض بشيء" ، فأستاء عريعر من مسلك حليفه امير "نجران" ثم فرض حصارا على "الدرعية" لفترة طويلة ولم يتمكن من اقتحامها فأنسحب[٤١] .

نجح دهام بن دواس في تحالف مع "زيد بن زامل" حاكم "الخرج" و "الدام" وشنا هجوم على "الصبيخات" في "منفوحة" وسارع عبدالعزيز بن محمد حاكم الدرعية بمهاجمة "الرياض" وغزا اخوه عبدالله قبيلة "السبيع" حليف "دهام" الذي وصلت جيوشه عام ١٧٧١ الى بلدة "عرقة" اسفل "الدرعية" وهدد "الدرعية" نفسها لولا ان قوات عبدالعزيز استطاعت مطاردة ابن دهام في الصحراء والاشتباك معها في قتال شديد قتل فيها ابناء "دهام بن دواس" الذي بدا بعدها يمل ويكره القتال ففضل الهرب من الرياض وبذلك نجح الامير عبدالعزيز بأخضاع نجد ثم توجه بعدها الى الاحساء ضد بني خالد .

انهكت الخلافات الاسرية "بني خالد" بعد وفاة سعدون بن محمد بن غرير ال حميد عام ١٧٢٢ ، وهي الخلافات شجعت حكام "الدرعية" على الاصطدام بالخوالد للاجهاز عليهم ووراثة ملكهم خصوصا بعد فشل الهجمات التى شنها الامير عريعر بن دجين ال حميد وولده "بطين" على "الدرعية" وانقسم الخوالد حول احقية "سعدون بن دجين" في تولى حكمهم عام ١٧٧٤ على الرغم من المقدرة التي اظهرها في مواجهة حكام "الدرعية" الذي نجح حاكمها عبدالعزيز محمد بتأليب كبار الخوالد على سعدون بن دجين مما اضطره الى طلب المساعدة من "الدرعية" الذين رحبوا بذلك وشنوا هجماتهم على ممتلكات بنى خالد عام ١٧٨٧ لاعادة سعدون فلما توفي تبنو قضية اخيه زيد بن عريعر وقاموا بشن غارات على الاحساء عام ١٧٨٩ ونجحوا في احراز نصر ونصبوا زيد بن عريعر الذي خلع ولاءه "للدرعية" وشن هجمات عليهم مما اضطر هولاء الى الرد على تلك الهجمات عامي ١٧٩١ و ١٧٩٣ كما اضطروا الى احتذاب الامير "براك بن عبدالمحسن" الى جانبهم وبمساعدتهم نجح في تولى الامارة غير انه انقلب ضد حكام "الدرعية" الذين شنوا هجمات كثيرة على الاحساء عام ١٧٩٥ حيث اخذت معاقل الخوالد تتساقط في ايديهم وانتهى الامر بزوال حكم بني خالد والتجاء بعضهم الى "الكويت" و "الزبارة" .

ترتب سقوط بني خالد ان اصبحت الكويت ملامسة لقوات "الدرعية" التي أخذت تتاخمها من الجنوب وبدأت تتعرض لهجماتهم العنيفة ، ولم يكن لجوء الفارين من بني خالد من بطش "الدرعية" الى الكويت هو السبب الوحيد لهجماتهم ولكن السبب الاساسي هو التقدم والازدهار الغنى الوفير الذي يتمتع به سكان الكويت والذي لفت انظار "الدرعية" ودعاهم الى محاولة الاستيلاء على اموال سكان "الكويت" و "البحرين" و "الزبارة" ، وشنت امارة "الدرعية" اول غاراتها المتعددة على الكويت عام ١٧٩٣ وكثرت الهجمات عليها خلال الفترة من ١٧٩٣ - ١٧٩٥ في الوقت الذي انتقلت فيه الوكالة البريطانية موقتا من البصرة الى الكويت ولكنهم لم يحققوا أي نجاح يذكر الا انها اثارت حالة من الرعب وانه كان لوجود الوكالة التجارية البريطانية اثر كبير في حماية الكويت من السقوط في قبضة "الدرعية" فقد رأى "مانستي" القائم بأعمال الوكالة البريطانية ان يبقى طرادا صغيرا في ميناء الكويت لحماية الوكالة كما وضعت فرقة من الحرس الهنود يقودها ضابط هندي على الشاطىء ، كما اصدر "مانستي" اوامره خلال عمليات الغزو ولقوات الدرعية ضد الكويت عام ١٧٩٥ بإنزال مدفعين من الطراد البريطاني وطلب من الجنود الهنود الاشتراك مع سكان الكويت في صد هجمات الدرعية عن الكويت ، كما لاننسى الدور الرئيسي الذي قام به

الكويتيون في الدفاع عن مدينتهم بتشجيع من حاكمهم الشيخ عبدالله بن صباح الذي حرص على السلم في نفس الوقت الذي لم يرض لبلاده بالذل والتسليم والخضوع لأجنبي ، واول غارة لامارة "الدرعية" ضد الكويت وقعت عام ١٧٩٣ وكان يقودها ابراهيم بن عفيصان وكان جيشه من عرب "نجد" ومن "الخرج" و "العارض" و "السدير" ، وخرج سكان الكويت لملاقاتهم خارج اسوار مدينتهم ولكنهم انهزموا وكان من بين الغنائم اسلحة ثمينة عاد بها ابن عفيصان ورجاله الى الدرعية بعد ان قتلوا ثلاثين من ابناء الكويت . اما الغارة الثانية للدرعية على الكويت وقعت عام ١٧٩٧ وان هذه الغارات لم تنقطع عن الكويت ، ويذكر "بريدجز" مسؤول الوكالة البريطانية ان الهجوم الاول الذي قام به قوات "الدرعية" على الكويت كان قوامه خمسمائة رجل انهزموا على اثر طلقة واحدة من مدفع قديم كان الشيخ قد انزله من احدى سفنه الى البر ، ويدعى "رينود" ان قوام الجيش ٢٠٠٠ جمل يحمل كل واحد منها رجلين اولهما مسلح ببندقية والثاني بحربة يحمي زميله حين يحشو بندقيته . وبالرغم من قوات الدراعية واصلت عملياتها ضد الكويت الا ان تلك الهجمات لم تود الى نتيجة ايجابية بل ان الكويت تمكنت من احراز انتصارات اقتصادية هامة ضد امارة "الدرعية" خلال الاعوام التالية وذلك حينما ادت المشاكل والحروب المستمرة بين امارة "الدرعية" والقبائل التى اخضعوها في الاحساء الى اللجوء للكويت والبحرين(٤٤) .

جمعوا الكويتيون شملهم بعد هجوم الدرعية الثاني لعام ١٧٩٧ وقرروا القيام بحملة تأديبية على اطراف نجد فجهزوا سرية كبيرة واسندوا قيادتها الى مشاري بن عبدالله الحسين وامروه بالهجوم على القبائل الموالية للدرعية اخذا للثأر الا ان هذه السرية لم تنجح فعادت الى الكويت دون ان تعمل شيئا تذكر ، وبما ان مدينة الكويت كانت مهددة من جهة الجنوب بغزوات امارة "الدرعية" ومن جهة الشمال بهجمات قبائل "المنتفق" فاضطر الكويتيون حماية لانفسهم واموالهم لاحاطة المدينة بسور منيع ليقيهم شر تلك الهجمات وفي عام ١٧٩٨ قاموا بأنشاء سور حول مدينتهم وله من جهة الشرق ، جناح نقعة ابن نصف الشرقي وهي عبارة عن حوض على شاطيء البحر يحاط بجزء من الصخر ليحتفظ السفن من الامواج ، ويمتد السور حتى ينتهى آخره من جهة الغرب في جناح نقعة سعود القبلي ، وجعلوا له ستة ابواب كبيرة واطلقوا عليها الاسماء الآتية :

اولا : دروازة (تعنى باللغة الفارسية باب كبير) ابن بطي ثانيا : دروازة الفروية ثالثا : دروازة ال عبدالرزاق رابعا : دروازة الشيخ خامسا : دروازة السبعان سادسا : دروازة البدر(٤٥) .

(٨) الكويت في آواخر عهد الشيخ عبدالله الصباح

ارتبطت سياسة الكويت في اواخر عهد الشيخ عبدالله بأحداث الزبارة بقطر والبحرين وكذلك بأحداث الخليج العربي وهي مترابطة ومتداخلة وكانت عمان تملك اكبر قوة بحرية عربية في مياه الخليج العربي وتأتي في المرتبة الثانية بعد بريطانيا في المنطقة ، وكان لسلاطينها علاقات مباشرة بالكويت والزبارة والبحرين ، فقد تعرضت الاخيرة لغزوة سلطان عمان عام ١٧٩٩ بسبب امتناع البحرين عن دفع ضريبة اعتادت ان تدفعها لعمان ، وقد تم للسلطان الاستيلاء على البحرين في اوائل عام ١٨٠٠ بعد ان قام بحملته البحرية في اواخر عام ١٧٩٩ مما دفع بسكان البحرين بالهرب الى الزبارة كما لجأ البعض الآخر الى الكويت ، ثم غادر سلطان عمان البحرين متوجها الى الكويت مهددا حكامها بالقتال ان لم يدفعوا له اتاوة بدورهم وهنا يرى البعض ان سلطان بن أحمد البوسعيدي قد أخذ اتاوة من الكويت وغادرها والبعض الآخر يرى انه لم يأخذ شيئا بل عاد ادراجه واغلب الظن ان سلطان عمان لم يحقق هدفه الذي كان يصبوا اليه وهو اعتراف العتوب له بنوع من السيادة عليهم وهو امر حرص عليها سلاطين عمان ، وان توجه سلطان بن أحمد البوسيعيدي الى الكويت لم يكن هدفه هو طلب تسليم عتوب البحرين الذين لجأوا اليها بقدر ما كان مناورة سياسية اراد بها سلطان عمان ان ينتزع من شيخ مشايخ العتوب عبدالله بن صباح اعترافا بسيادة عمان على البحرين ، لقد ترك سلطان عمان واليا على البحرين سيف بن علي بن محمد البوسعيدي ثم عزله وولى عليها ولده سالم بن سلطان الذي كان صغيرالسن فجعل وصيا عليه محمد بن خلف الشيعي من البحرين وامره ونهيه عليه ، ثم انتهى الامر بعودة العتوب الى البحرين وطردهم سالما وجماعته منها ، غير ان هذه لم تكن هي المحاولة الاخيرة لسلطان عمان للاستيلاء على البحرين فقد عاد واستولى عليها من جديد بعد ذلك عام ١٨٠٢ غير انه فشل في الاحتفاظ بجزيرة البحرين[٤٦] .

ظلت فرنسا كابوسا يقلق بال بريطانيا في الخليج العربي في مطلع القرن التاسع عشر اذ استمرت في محاولتها الرامية الى عقد معاهدات مع عمان هدفها محاربة النفوذ البريطاني في المنطقة ولم تكن لفرنسا علاقات مباشرة مع الكويت غير ان علاقاتها مع عمان جعلت نشاطها هناك يرتبط بالاوضاع السياسية العامة في الخليج العربي ، جاء اول نشاط دبلوماسي بريطاني مع عمان حيث كان يتنافس على مركز الصدارة فيها الفرنسيون والبريطانيون ففي ١٧٩٩/١/١٧ ارسل بونابرت من مصر رسالة الى سلطان بن أحمد البوسعيدي وكان الفرنسيون قد نجحوا في اقامة علاقة

وثيقة مع عمان منذ عام ١٧٩٥ ، كما وقع البريطانيون اتفاقا مع عمان في ١٢/١٠/١٧٩٨ ، ثم حددت شروط تلك الاتفاقية في يناير عام ١٨٠٠ وقد اظهرت هاتان المعاهدتان مع عمان نوايا السياسة البريطانية الى تدعيم نفوذها السياسي بعد ان احتكرت التجارة من قبل و لم يخف بالطبع على شيخ الكويت هذا الاتجاه البريطاني نحو تركيز النفوذ السياسي ومن هنا كان عرضه المساهمة في الحملة البريطانية ضد القواسم في عام لاحق هو عام ١٨٠٥ وقد يرجع ايضا الى استياء الشيخ عبدالله الى اعمال السلب والنهب التى كانت تقوم بها سفن القواسم ضد السفن التجارية الكويتية في مضيق هرمز حيث قدر ما نهبه القواسم من سفن تجار الخليج العربي في عام واحد فقط حوالي ٣٧ سفينة من "داو" و "بغلة" حسب ما جاء في كتاب لمع الشهاب ، وكانت الكويت قوية في مطلع القرن التاسع عشر وكان بمقدورها ان ترد أي خطر بحري عليها و لم تكن لأمارة "الدرعية" قوة بحرية و لم تكن بمقدورها ان تحتل مدينة الكويت عنوة براً لنفس الاسباب حيث كانت لدى الكويت وسائل دفاعية تستطيع بها رد أي معتد عليها براً وبحراً ، واصبحت العلاقات بين الكويت وامارة "الدرعية" متوترة عام ١٨٠٨ عندما تقدمت القوات الدرعية متجهة لشن غارة على العراق فطلب اميرها سعود بن عبدالعزيز من شيخ الكويت ان تدفع جزية للدرعية فما كان من شيخ الكويت الا ان رفض الدفع فسير عليه سعود جيشا يتألف من اربعة الاف مقاتل بقصد ارغامه على الدفع وقد فشل هذا الجيش في الاستيلاء على مدينة الكويت في شهر يونيو عام ١٨٠٨[٤٧] . وذلك عندما خرج الامير سعود بن عبدالعزيز لغزو العراق فضرب خيمة قرب الكويت في قرية "الجهرة" .

قام الشيخ عبدالله بن صباح باداء واجب الضيافة وقدم اليه عدة اكياس من الارز والقهوة والسكر ولكن ذلك لم يكن كفيلا لازالة ما علق بذهن الامير ونسيانه ما قام به الكويتيون في عام ١٧٩٧ من ارسال الحملة الانتقامية بعد فشل حملة قوات الدرعية الثانية على الكويت .

أسر الامير سعود بن عبدالعزيز لبعض خواصه المقربين اليه بعزمه على مهاجمة الكويت فلم يحسنوا له ذلك الرأي واظهروا له صعوبة ما هو عازم عليه بالنظر لمناعة سور الكويت وكثرة سفنها ، فاذا ما قام بأمر ما ذكره اهلها على شيء بادروا الكويتيون الى ركوب السفن وضربوا البحر طولا وعرضا دون ان يتمكن من ادراكهم فلم يصغ الامير سعود لهذا النصح وصمم على مهاجمة الكويت مهما كانت النتيجة ، فارتحل من "الجهرة" ونزل على "الشامية" وهي مورد ماء الكويتيين ومحتطبهم الوحيد في ذلك الوقت وضرب غليهم الحصار ليضطرهم للتسليم ولما اشتد

الحصار بسكان الكويت توجهت انظارهم الى جلب ما ينقصهم من الماء والحطب عن طريق البحر بواسطة السفن ، فجاؤا بالماء من جزيرة "فيلكا" وبالحطب من "البصرة" وقد طال حصار الامير سعود دون ان يعلم بما دبره الكويتيون في شأن الماء والحطب ، فرأى الشيخ عبدالله صباح ان يظهر لخصمه عدم احتياج الكويتيين الى الماء والحطب فارسل اليه دوابا كثيرة تحمل اليه الماء والحطب حينئذ علّم الامير سعود ان كل ما بذله من الجهود لحصار الكويت ومضايقتها لم يفلح بعد هذ اراد ان يستعمل دهاءه للإيقاع بالكويتيين لعله يستطيع ان يخلق فجوة في الترابط الداخلي وتثبيط هممهم مما يضعف الجبهة الداخلية ، فبعث الى احد تجار الكويت المدعو "عبدالرحمن بن زين" كتابا سريا يطلب اليه ان يزوده بشيء من المؤونة والسلاح ، ولكن عبدالرحمن لم يشأ ان يكتم هذا الامر عن الشيخ عبدالله الصباح فقدم اليه الكتاب قبل ان يفضه ويقرأه وقد فعله ذلك لسببين اولهما : خشية من اشتباه الشيخ عبدالله صباح بوجود رابطة بينه وبين امير "الدرعية" فيتهمه بالخيانة الكبرى والتواطؤ ضد الكويت ، وثانيهما : ليقف الشيخ عبدالله الصباح على الشرك الذى نصب له لان لعبدالرحمن هذا املاك وبساتين النخيل في "القطيف" ويريد امير "الدرعية" حجة وسبب ليتمكن من مصادرة املاكه والاستيلاء على بساتين النخيل(٤٨) .

لم يجهل الشيخ عبدالله صباح ما كان يقصده الامير سعود من هذه الوقيعة فلم يشأ ان يمنع عبدالرحمن من تقديم ما طلب اليه ، فزود امير "الدرعية" بما طلبه من الطعام والسلاح وبهذا اخفقت مساعيه وعلم ان خديعته لم تنجح ، وان ما ارسله اليه عبدالرحمن من الاسلحة والطعام لم يتم الا بعد اطلاع الشيخ عبدالله صباح ، بعد هذا رأى امير "الدرعية" رفع الحصار عن الكويت فارتحل من منطقة "الجهرة" و "الشامية" ونزل "القنطاس" وكانت له عيون في الكويت ينقلون اليه الاخبار ، فابلغوه شدة احتجاج الكويتيين على الشيخ عبدالله صباح لعدم محاسبته لعبدالرحمن عن عمله هذا واصروا على منازلة امير "الدرعية" ، وكان على رأس المحتجين واشدهم حماسا ولده الشيخ جابر ، ولما علم امير "الدرعية" بما داخل الكويتيين من الحماس لحربه صمم هو ايضا على منازلتهم وكادت الفتنة ان تقع بين الطرفين لولا نصيحة تقدم بها الى الامير سعود احد اتباعه المقربين اليه المدعو "حجيلان" لترك المعارك التي لا طائل تحتها غير سفك الدماء وازهاق الارواح البريئة فانصاع لنصحه وقرر الانسحاب عن محاصرة الكويت قبل الاشتباك بالمعارك وانتهت تلك المشكلة والحصار بسلام . وكانت كثيرا ما تقع بعض الخلافات بين الشيخ عبدالله وبين ولده جابر وذلك بسبب التباين بين حنكة وسياسة الوالد الشيخ عبدالله وحكمته وتدبيره للأمور المهمة عن

طريق الكياسة والدراية وادارة دفة الشئوون السياسية بالتروي والتأني والدبلوماسية وبين تهور وتحمس الوالد الشاب واندفاعه بميوله لاستعمال القوة والعنف والتسرع واتخاذ كل هذه الامور وسيلة للحصول على ما ينوى عمله ، وان تلك الامور ادت في النهاية الى خصام بين الولد وابيه وعلى اثر ذلك فضل الشيخ جابر الانسحاب احتراما للوالد وترك الكويت عام ١٨١٠ وتوجهه الى البحرين وبقي هناك الى ان توفي والده ، وفي هذه الفترة كان امير "الدرعية" في عام ١٨١١ قد اذن لبعض من اتباع الخليفة الذين كانوا اسرى في معتقله بالعودة الى بلادهم ، وعندما علم الشيخ رحمة بن جابر الجلاهمة امير خور "حسان" بذلك الخبر ، ارسل رسولا الى امير "الدرعية" يحذره من ذلك فندم الامير سعود وارسل سرية لاسترجاعهم الى معتقلهم ولكنها لم تدركهم ، ولما وصلوا الى البحرين قاموا بحملة لمقاتلة الامير رحمة الجلاهمة والشيخ حسن امير "الحويلة" في قطر والقائد ابراهيم بن عفيصان عامل حاكم "الدرعية" الذي اخرج من البحرين ، فدارت معركة بينهم في نفس العام ١٨١١ في موقعة تقع قرب البحرين يسمى "خكيكهيرة" ذهب اثنائها خلق كثير بين قتل وحرق وغرق وكانت قتلى اهالي البحرين تزيد على الف رجل من ضمنهم الشيخ دعيج بن الشيخ جابر صباح الذي كان قد امره ابوه ليشترك في تلك المعركة ، وبعد عدة اعوام توفي الشيخ عبدالله صباح في يوم الخميس ١٤ جمادي الاول ١٢٢٩ هـ الموافق ١٨١٤ م بعد ان ناف عمره على المائة عام وترك من الاولاد الذكور ولداً واحدا هو الشيخ جابر الذي تولى الحكم من بعده ، وكان الشيخ عبدالله صباح قد قضى في ادارة شؤون الحكم في الكويت بعد ان انهى القسم الاخير منها باصلاح الكويت والدفاع عنها من اعتداءات القوى الاقليمة المجاورة وتطوير التجارة وتقدم سكانها .

الهوامش

١ - عبدالعزيز الرشيد - تاريخ الكويت - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٧٨ صـ ٣٣.

٢ - د. ميمونة الخليفة الصباح - الكويت حضارة وتاريخ - الكويت - ١٩٨٩ جـ ١ ، صـ ٧٣ .

٣ - حسين خلف الشيخ خزعل - تاريخ الكويت السياسي - دار ومكتبة الهلال - بيروت ١٩٦٢ جـ ١ ، صـ ٣٥ .

٤ - د. ميمونة الخليفة الصباح - المرجع السابق صـ ٧١ .

٥ - د. ميمونة الخليفة الصباح - نفس المرجع صـ ١٠٩ .

٦ - نورية محمد ناصر الصالح - علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والواق العثماني ١٨٦٦ - ١٩٠٢ - منشورات ذات السلاسل - الكويت ١٩٧٧ صـ ١٨ .

٧ - د. أحمد مصطفى ابو حاكمة - تاريخ الكويت الحديث - ذات السلاسل - الكويت ١٩٨٤ صـ ٣٣ .

٨ - د. حسن قايد الصبيحي - الكويت ١٧٥٦ - ١٩٩٢ - ابحار في السياسة والتاريخ - العاصمة للخدمات الاعلامية والاعلانية ابوظبي ١٩٩٣ صـ ٢٢ .

٩ - د. حسن قايد الصبيحي - نفس المرجع صـ ٢٣ .

١٠ - د. حسن سليمان محمود - الكويت ماضيها وحاضرها - منشورات المكتبة الاهلية - بغداد ١٩٦٨ - صـ ١٥٠ .

١١ - هـ . رب. ديكسون - الكويت وجاراتها - ذات السلاسل - الكويت ١٩٩٥ صـ ٢٥ .

١٢ - د. حسن سليمان محمود - المرجع السابق صـ ١٥٢ .

١٣ - د. حسن قايد الصبيحي - المرجع السابق صـ ٢٦ .

١٤ - د. حسن قايد الصبيحي - نفس المرجع صـ ٢٨ .

١٥ - د. جمال زكريا قاسم - الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول ١٥٠٧ - ١٨٤٠ - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٨٥ - صـ ٣٩٦ .

١٦ - د. حسن قايد الصبيحي - المرجع السابق صـ ٣١ .

١٧ – د. أحمد مصطفى ابو حاكمة – المرجع السابق صـ ٢٨٣ .

١٨ – د. أحمد مصطفى ابو حاكمة – نفس المرجع صـ ٢٧٨ .

١٩ – جون . ب . كيلي – بريطانيا والخليج ١٧٩٥ – ١٨٧٠ – وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط ١٩٧٩ .

٢٠ – د. حسين سليمان محمود – المرجع السابق صـ ١٥٣ .

٢١ – د. عثمان عبدالملك الصالح – النظام الدستورى والمؤسسات السياسية في الكويت – الكويت – ١٩٨٩ صـ ١٦ .

٢٢ – د. حسن قايد الصبيحي – المرجع السابق صـ ٣١ .

٢٣ – حسين خلف الشيخ خزعل – المرجع السابق صـ ٤٤ .

٢٤ – حسين خلف الشيخ خزعل – نفس المرجع صـ ٤٦ .

٢٥ – د. عثمان عبدالملك الصالح – المرجع السابق صـ ١٧ .

٢٦ – د. ميمونة الخليفة الصباح – المرجع السابق صـ ١٢٣ .

٢٧ – د. حسن قايد الصبيحي – المرجع السابق صـ ٢٤ .

٢٨ – د. أحمد مصطفى ابو حاكمة – المرجع السابق صـ ٦٧ .

٢٩ – د. أحمد مصطفى ابو حاكمة – نفس المرجع صـ ٧٧ .

٣٠ – د. جمال زكريا قاسم – المرجع السابق صـ ٣٩٧ .

٣١ – د. ميمونة الخليفة الصباح – المرجع السابق صـ ١٩٣ .

٣٢ – د. أحمد مصطفى ابو حاكمة – المرجع السابق صـ ١٢٢ .

٣٣ – د. ميمونة الخليفة الصباح – المرجع السابق صـ ١٥٦ .

٣٤ – د. أحمد مصطفى ابو حاكمة – المرجع السابق صـ ٩٠ .

٣٥ – د. ميمونة الخليفة الصباح – المرجع السابق صـ ١٥٨ .

٣٦ – د. جمال زكريا قاسم – المرجع السابق صـ ٣٨٣ .

٣٧ – د. ميمونة الخليفة الصباح – المرجع السابق صـ ١٥٠ .

٣٨ – حسين خلف الشيخ خزعل – المرجع السابق صـ ٥١ .

٣٩ - حسين خلف الشيخ خزعل - نفس المرجع صـ ٥٢ .

٤٠ - حسين خلف الشيخ خزعل - نفس المرجع صـ ٥٤ .

٤١ - د. عبدالرحمن عبدالرحيم عبدالرحمن - محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٨١٩ - ١٨٤٠ - دار الكتاب الجامعي - القاهرة ١٩٧٥ - صـ ٨٠ .

٤٢ - د. عبدالرحمن عبدالرحيم عبدالرحمن - نفس المرجع صـ ٨٦ .

٤٣ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر جـ ١ - ذات السلاسل - الكويت ١٩٨٤ صـ ٩٧ .

٤٤ - د. ميمونة الخليفة الصباح - المرجع السابق صـ ١٤١ .

٤٥ - حسين خلف الشيخ خزعل - المرجع السابق صـ ٦٦ .

٤٦ - د. أحمد مصطفى ابو حاكمة - المرجع السابق صـ ١٤٥ .

٤٧ - د. احمد مصطفى ابو حاكمة - نفس المرجع صـ ١٦١ .

٤٨ - حسين خلف الشيخ خزعل - المرجع السابق صـ ٦٧ .

٤٩ - حسين خلف الشيخ زعل - نفس المرجع صـ ٦٨ .

الفصل الثانى

تطور الكويت السياسي والاجتماعي والاقتصادي وعلاقتها بالقوى الاقليمية والدولية في القرن التاسع عشر ١٨١٤ - ١٨٩٦

اولا : الحياة السياسية والأوضاع الداخلية : (٣) الشيخ جابر الاول ابن عبدالله ١٨١٤ - ١٨٥٩

١ - التجاء ضامر بن حويمد الى الكويت ١٨٢٦

٢ - محاولة بندر بن السعدون غزو الكويت ١٨٤٤

٣ - علاقة الشيخ جابر برعيته

(٤) الشيخ صباح الثاني بن جابر ١٨٥٩ - ١٨٦٦

١ - الشيخ صباح والعجمان

(٥) الشيخ عبدالله الثاني بن صباح ١٨٦٦ - ١٨٩١

(٦) الشيخ محمد بن صباح ١٨٩٢ - ١٨٩٦

ثانيا : الحياة الاجتماعية في الكويت :

١ - الرحالة ووصف الكويت

ثالثا : الحياة الاقتصادية في الكويت :

١ - الغوص على اللولو

٢ - النقل البحري التجاري

٣ - صيد الاسماك

٤ - الزراعة

٥ - الصناعة

٦ - التجارة

رابعـــا : الحياة التعليمية في الكويت

خامسا : نظام الحكم في الكويت من اول حاكم حتى مبارك ١٧١٨ - ١٨٩٦

١ - اختيار الحاكم

٢ - سلطات الحاكم والقيود التي ترد عليها

٣ - سلطات الحاكم

٤ - القضاء

٥ - القيود التي ترد على سلطات الحاكم

أولا : مبدأ الشورى كقيد اول

ثانيا : القانون الواجب التطبيق كقيد آخر

أ - الشريعة الاسلامية

ب - العرف

سادسا : علاقة الكويت بالقوى الاقليمية والدولية في القرن التاسع عشر

١ - علاقة الكويت بعربستان

- الشيخ عبدالله الصباح والحاج جابر المرداو

٢ - موقف الكويت من جلاء السعدون

٣ - العلاقات الكويتية - البريطانية

٤ - العلاقات الكويتية - المصرية في النصف الاول من القرن التاسع عشر

٥ - العلاقات الكويتية - العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

٦ - دور الكويت في الحملة العثمانية على قطر

تطور الكويت السياسي والاجتماعي والاقتصادي وعلاقتها بالقوى الاقليمية والدولية في القرن التاسع عشر ١٨١٤ ـ ١٨٩٦

اولا : الحياة السياسية والأوضاع الداخلية

(٣) الشيخ جابر الاول ابن عبدا لله ١٨١٤ - ١٨٥٩

اقام الكويتيون محمد السلمان حاكما عليهم عندما توفي الشيخ عبدا لله وكان ابنه جابر في البحرين مغاضبا له ولما وصل الشيخ جابر الكويت استلم زمام الحكم عام ١٨١٤ ، وكان الشيخ جابر كريما حتى لقب بجابر العيش لكثرة ما يتصدق به على الفقراء والمساكين و "العيش" يطلق على الرز وكان الى جانب كرمه عاقلا حليما حازما محبا لأهل الكويت ساعيا الى راحتهم ومن ذلك ان ابنه صباح وضع ضريبة على الدكاكين باغراء من بعض اصحابه وبدون علم ابيه و لم يستطع احد رجال من اصحاب الحوانيت الفقراء ان يدفع الضريبة عن دخلة لقلة موارده ودخله من هذا الحانوت فلم يقبل صباح عذره فاضطر الرجل الى انهاء الامر لدى ابيه في مجلسه العام وبين الحاضرين شرح له شكايته وماهو فيه من ضائقة مالية وطلب منه اعفاءه من هذه الضريبة عندئذ دهش الشيخ جابر مما سمع ، والتفت الى جلسائه يستفهم منهم عن الحادث فأخبروه بان ابنه صباح وضع هذه الضريبة فارسل الى ابنه صباح ، واغلظ عليه في القول لعمله المشين وقال له[1] : "ان لأهل الكويت علينا حقوقا عظيمة ولو كان تحت يدي ثروة طائلة لقمت بحاجات الفقراء والمحتاجين فيهم الى ان يموتوا" .

١ - التجاء ضامر بن حويمد الى الكويت ١٨٢٦

شهدت بلاد الشام اضطرابات وعدم استقرار الأمن وكان هناك رجل من قبائل البادية يدعى ضامر بن حويمد يزاول التجارة بين "دمشق" و "حماة" واطراف البادية ، وفي عهد الوالي مصطفى باشا ساءت الاحوال في بلاد الشام لان هذا الوالي كان قاسيا ظالما طماعا فاطلق لنفسه العنان للحصول على المال بشتى الوسائل ليرسل بعضا منها الى الاستانة ، وعهد بجمع الرسوم الى شاب يدعى "برهان بك" وكان ارمنى الاصل والذي امتدت يده الى اموال الناس وخاصة التجار الذين

ارحقهم بما كان يجبيه منهم من الاموال الكثيرة باسم الرسومات ، وذات يوم خرج فيه "برهان بك" برجاله من دمشق فاعترضوا قافلة قادمة من "حمص" الى "دمشق" وكانت تلك القافلة تحمل اموالا تجارية لضامر بن حويمد الذي كان يرافقها ومعه ثلاثة من اخوته واحد ابنائه واخته فهاجم "برهان بك" ورجاله تلك القافلة فدافعهم عنها ضامر ومن كان معه حتى اسفرت النتيجة عن مقتل اثنين من اخوة ضامر واخته وكذلك عن مقتل "برهان بك" وقسم من رجاله وفرار الباقين الى داخل دمشق ، فادرك ضامر الخطر الذي اصبح يهدده وان الوالي مصطفى باشا ليس بتاركه حيا بعد هذه الحادثة فعزم على الفرار بأسرته قاصدا الكويت للاحتماء بشيخها جابر وبعد اسابيع قضاها في السير وصل الى الكويت فذهب الى ديوان الشيخ جابر وقضى عليه قصته وطلب منه الحماية على حسب عادات واصول العرب فقال له الشيخ جابر : (٢) "انت واهلك في حمانا وضيافتنا فكن آمنا هادئا ولن يصلك احد بسوء مازلت مقيما في حمانا وسأمنع عنك كل اذى حتى لو احوجت الضرورة الى سل الحسام وهؤلاء الكرام جميعهم شهود (ويشير بذلك الى من كان في مجلسه من اهالي الكويت) ولو كان قتلك لبرهان ومن معه بدون سبب مشروع ولو كنت انت الذي بدأتهم بالعدوان لما سمحت لك بالبقاء في الكويت يوما واحدا بل لانزلت انا بكم العقاب ولكني اصدقك وسوف اتأكد ايضا من صدق ما تقول اذ لابد ان تصل الينا الاخبار من دمشق عما حدث بينك وبين برهان" .

فقام ضامر من مكانه واخذ يد الشيخ جابر وقبلها بحرارة شاكرا له ذلك الموقف ، ولما بلغ مصطفى باشا ان ضامر قد التجأ مع اسرته الى شيخ الكويت فارسل له رسلا يطلب منه تسليمه اليه وكانت رسله يحملون معهم توصيات الى الشيخ جابر من والي بغداد داود باشا وعزيز اغا متسلم البصرة لانجاز مهمتهم ، غير ان شيخ الكويت رغما من كل ذلك رفض بإباء وشمم ان يسلم من استجار به ويتخلى عمن طلب حمايته فعمد مصطفى باشا الى التهديد والوعيد ولكن الشيخ جابر لم جعل ضامرا يشعر بأن اقامته في الكويت امر غير مرغوب فيه من الدولة العثمانية وفشلت جميع المحاولات التى قام بها مصطفى باشا مما اضطرت الدولة العثمانية الى اقالته ونقله الى الآستانة وبعدها قال شيخ الكويت لضامر : "الآن في وسعك ان تعود الى بلادك من تلقاء نفسك ان شئت او او تبقى عندنا في الكويت اذا اردت "فقال له ضامر لن ارحل عن بلد اوتني وحمتني من عدوي اللدود في اشد ايام المحنة وسأظل فيها بقي العمر وفي تربتها ارجو ان ادفن بعد موتي"(٣) .

٢ - محاولة بندر السعدون غزو الكويت ١٨٤٤

علم بندر بن محمد الثامر السعدون بانهيار قسم من سور الكويت وانهدامه فعزم على مهاجمتها عام ١٨٤٤ ، وما ان سمع سكان الكويت بذلك هبوا جميعا لاصلاح ما تهدم من سور مدينتهم واحكموا بسرعة واخذوا مواقع دفاعية لمجابهة الطوارىء ونصبوا المدافع التي وردتهم من "ال مذكور" حكام "بوشهر" وغيرها على سور المدينة ، فلم جاء بندر بجيشه وعلم بالاستعدادات التي اتخذها الكويتيون وانه من الصعب اقتحامها فقرر ضرب الحصار عليها من جهة البر في منطقة "ملح" فاراد الكويتيون ان يظهروا له عدم الفائدة من الحصار فأوفدوا اليه احد رجالهم وهو عبدالرحمن الدويرج وكان من اعيان المدينة وكانت تربطه صداقة مع الشيخ بندر ، فذهب اليه وقابله واستوضح منه الغرض الذي يرمى اليه من وراء هذا الحصار فاجابه الشيخ بندر بحجج واهية وضعيفة بقبولهم عمه راشد الى الكويت فاجابه عبدالرحمن قائلا : "ان الكويت لم تدعو راشدا اليها ولكنه قدمها كضيف وان القواعد العربية تحتم قبول الضيف" ، ثم قال له : "لا فائدة ترتجى من وراء هذا الحصار لان سكان الكويت قد استعدوا للمقاومة اتم الاستعداد واذا ما تمكنت من اقتحام بلدهم فانهم سيودعون اموالهم واهاليهم السفن ويركبونها ويضربون البحر الى حيث لاتصل يدك اليهم هذا من جهة ومن جهة أخرى ليس بينك وبين الشيخ جابر ما يدعو لاثارة هذا الحرب وسفك الدماء وانه على استعداد ان يقدم لك ما انت بحاجة اليه من الذخيرة والطعام ، فلم يشك الشيخ بندر بصدق لهجته وانصاع لنصحه ووعده بالانسحاب وارجعه الى الكويت فرفع الحصار عنها وعاد الى مقره[٩] .

التجأ راشد السعدون الى الكويت عندما اثارت الفتنة والعداء مع الوالي العثماني في بغداد ، فرحب به الشيخ جابر الذي كان معروفا بكرمه مع ضيوفه ، وظل الشيخ راشد السعدون يتمتع بالاحترام والتقدير والكرم حتى انساه الشيخ جابر بأحسانه وجوده مصيبته التى نزلت به كما اظهر له جابر استعداده بمعاضدته في كبح جماح الوالي العثماني في العراق بالسير اليه معه بنفسه ، وعندما رجع الشيخ راشد السعدون لم ينس وقوف الشيخ جابر معه[٥] ولم ينس كرمه الذي غمره به ، فعرض عليه بعد ان رجع الى مقره "المعامر" بأسرها او ثلاثة "حواز" من "الفاو" ، مكافأة له على افضاله فاختار الثلاثة "الاحواز" بدلا من "المعامر" والتى كان ابنائه يلحون عليه بأخذها ولكنه اختار "ثلاثة حواز" على قلته وترك ماهو اكثر منه واعمر ، لان "للفاو" مستقبلا لايتسنى "للمعامر" نظراً لكون "الفاو" على شاطىء البحر والجهات التى تكون كذلك يزيد مساحة اراضيها ويتسع

لتقدم الشاطىء في البحر بسبب مايرميه النهر هناك من الطين والطمىء وغيره ، وقد يرجع سبب تلك المكافأة بان راشد كان قد نزل خارج مدينة الكويت في احد اسفاره و لم يكن الشيخ جابر فيها. فقامت اخته "مريم" مقامه في اكرام الزائر وتقديم واجب الضيافة العربية اللازمة له فأكبر راشد نباهة تلك المرأة وعملها وكرمها الحاتمي الذي اخجلته به فرأى من الواجب عليه امام ذلك الاكرام ان يقوم بأمر يقابل ذاك الفضل والعطف ففعل ما فعل ،وهناك مثال ثاني لشهامة الشيخ جابر وهو عندما هرب احد متسلمي البصرة بأموال الحكومة العثمانية الى الكويت فأرسلت خلفه رجالا يستردونه منها ولكن بعد ان التجأ الى الشيخ جابر الذي وقف في وجوههم أظهر اشمئزازه من طلبهم لتسليم من احاطة بحمايته وطال الجدال بينهم في ذلك ، وهناك اوعز جابر للمتسلم من طرف خفي بالسفر الى نجد مع قافلة كانت مزمعة الرحيل وذلك حتى لايسلم من التجأ اليه ومن ثم استحصل على بعض من المال الذي فر به فسلمه الى اولئك الرسل(٦) .

حدثت فتنة بين "ال الزهير" و "ال الثاقب" قتل فيها كثير من "ال الزهير" ، وكان من الباقين منهم رجل اودع امواله يهوديا في البصرة فذهب اليه واختفى في داره ولكن اليهودي اضمر الغدر لصاحبه ليستخلص ما عنده من المال وهناك ابلغ الخبر زعيم "ال ثاقب" الذي ورث الحكم في الزبير فبعث الزعيم في الحال من يأتي به اليه ولما مثل امامه وعلم انه يريد قتله افتدى نفسه منه بما ارضاه من المال ولكن ادعى ان ليس باستطاعته تسليمه الا في الكويت حيث فيها كثير من اقاربه فقبل ان يسير معه رجالا لقبض المال هناك ، فساروا الى الكويت جميعا ولما وصلوا انـزل الاسير على احد اقاربه فأشار عليه قريبه بالالتجاء الى الشيخ جابر ولكن الرجال المرافقين معه لن يتركون اذا ابصروا به ولذا فان قريبه البسه ثوب امرأة وأخرج معه امرأة لتدل الطريق الى منزل الشيخ جابر ، ولم يحس به احد من مرافقيه ، وسار الى حاكم الكويت فلم يجد في منزله الا أخته "مريم" فأجارته على لسان أخيها الذي شكرها فيما بعد على ما عملت ، اما المرافقون فبعد ان علموا بافلات صاحبهم ذهبوا الى الشيخ جابر ، وكان اشد اندهاشهم عندما وجدوا أسيرهم بجانبه وهو يلاطفه بالحديث وقد استغربوا اكثر بعدم اكتراث الشيخ جابر بكلامهم وما بثوه اليه من الشكوى فرد عليهم الشيخ جابر : "نحن لم نرسل على صاحبكم "الاسير" ولكنه استجار بنا فأجرناه فاللوم عليكم لتفريطكم واهمالكم" . وبذلك لم يحصلوا على اسيرهم ورجعوا يتعثرون بأذيال الخيبة وقد حفظ ابن زهير تلك اليد البيضاء للشيخ جابر فكافأه عليها "بالصوفية" وهي قطعة كبيرة من نخيل البصرة . وهناك مثال آخر لكرم الشيخ جابر الذي كان مقيما في البحرين في أواخر عهد ابيه ، وفي احد الايام اراد

شراء شاه من جاره "ابو هناد" لضيف كريم نزل به ليلا فقدمها "ابو اهناد" اليه مجانا وابى ان يقبل لها ثمنا فاكبر الشيخ جابر كرم الرجل وتمنى ان لو تتاح له فرصة ليكافئه على ما عمل ثم دارت الايام دورتها وحكم الشيخ جابر الكويت ثم رمت الاقدار صاحبه في رحابها فجاء اليه ليشتري منه تمراً للتجارة فعلم جابر ان ذاك ان هذا هو صاحبه في البحرين وان هذا هو اليوم الذي كان ينتظره وهناك تجلى كرم الشيخ جابر ، وبعد ان تم الاتفاق بين الاثنين شرع "ابو اهناد" يعد القيمة لجابر الذي قال له متظاهرا بالجهل بالحساب : "يالبو "اهناد" اننا لانريد الا حقنا الواجب وانت عددت اكثر منه فكأنك اردت ان تخبرنا في أخذ ما زاد على الحق فالذي لنا هو نصف ما عددت لاغير" فحاول "ابو اهناد" اقناعه فلم يقتنع وخرج وحقيبته ملأى بنصف القيمة ولم يهتد الى السر في الامر الا بعد ان اعلمه احد اصحابه بحقيقة ما جرى ، هكذا ينبغي الا ينسى المعروف وان يكافأ صاحبه بأضعاف ما اسداه سيما وان للسر في المكافأة والاحسان اثرا جميلا لا يمحى من النفوس وهو يدل على الاخلاص الصحيح الذي لاتشوبه شائبة ، وكان الشيخ مبارك ابن جابر قد ذهب الى الشيخ راشد السعدون لتهنئته بأحد الاعياد فاكرم الشيخ راشد زائره بمنحه قسما كبيرا من النخيل في "المعامر" تذكارا لتلك الزيارة ، ولكن الشيخ جابر غضب على ابنه مبارك في قبوله والح عليه بارجاع ما أخذ الى صاحبه المتفضل فتغافل مبارك الى ان مضت السنة وبعد انقضائها ارجعه الى صاحبه المحسن الشيخ راشد السعدون . ومما قاله الشيخ بندر السعدون عن كرم الشيخ جابر انه عندما ضعف جانب الود بين الاثنين يوما فأراد الشيخ بندر السعدون ازالة ما حصل وتقوية رابطة الأخاء وفيما يفكر بوصله الى مايريد ، جاءه رجلان من الشيخ جابر لبعض الامور فانتهز الشيخ بندر السعدون فرصة وجودهما في ضيافته ، فقال بعد ان غصى مجلسه بالناس والرجلان شاهدان : "من الذي يستحق وصف الكريم في هذه الجزيرة" ؟ فقال الحاضرون جميعا انت ايها الشيخ بندر . فرد عليهم الشيخ بندر السعدون : "ما الكريم في الحقيقة الا الشيخ جابر الصباح "اخو مريم" الذي كان يبسط الحصر في الاسواق ويملأها من "التمن" (اي الرز) للمحتاجين والفقراء وليس له واردات تغنيه اما انا فلا فخر لي ومعظم املاك "البصرة" لي وبيدي"[٧] .

توجد هناك امثلة كثيرة تبين كرم وشهامة الشيخ جابر ، وحمايته للاجئين والمحتاجين اليه رغم ان بعضهم كان قد فر وهرب من وجه الدولة العثمانية ، ومن الغريب انه مع هذا البذل الكبير والعطاء الكثير لم تكن له من المصادر التي يستقي منها الا نزرا يسيرا لاينفع غله ولايطفيء ظمأه

ولقد عرف كرمه وارتفاع قدره في السخاء بعض معاصريه من الحكام والامراء فرفعوه الى اعلى مقام في شرق الجزيرة العربية .

٣ – علاقة الشيخ جابر برعيته .

لم يكن للشيخ جابر من الواردات الا رسوما طفيفة كان يتقاضاها على بعض الاموال التي ترد الكويت وما رتبته له الحكومة العثمانية من التمر وما كان يجنيه من نخل "ال الزهير" "الصوفية" ومن الثلاثة "الاحواز" التي منحه اياه الشيخ راشد السعدون وكذلك ما يجود به الكويتيون للقيام بما يحتاجه لاصلاح الكويت وحمايتها من الاعداء ولبعض حاجاته الضرورية وكان جابر لاينكر معروف اهل بلده وانه كان لا يأخذ على اموال على آل ابراهيم التي ترد الكويت شيئا من الرسوم فغاظ عبداللطيف بن حميس تخصيص جابر هذا الرجل دون سواه من تجار الكويت اذ ذاك فعاتبه يوما على ذلك فلم يجبه جابر الا بقوله سأنظر في الامر ، وبعد مضي عشرة ايام بعث الشيخ جابر خادمه اليه ينبئه بحاجته الى قهوة لمجلسه فملأ به وعاء من الاوعية الصغيرة واعطاه اياه ، ثم ارسل الشيخ جابر الخادم نفسه الى علي ال ابراهيم ليطلب منه ما طلب من صاحبه وما كادت الكلمة تلفظ من فم الخادم حتى دعا باحضار عدة دواب حملها نحو ثمانية اكياس مملوءة قهوة فجاءت هدية الاول بجانب تلك الهدية الثانية الكبيرة كالحبة قرب القبة كان هدف الشيخ جابر بهذا العمل ان يقنع صاحبنا المعترض بخطئه في الاعتراض دون ان يعرف السبب ووضع الشيخ جابر الهدية الاولى فوق الثانية في بهو بمجلسه العام ولما دخل المعترض وابصر الهديتين علم بالحيلة التى دبرها الشيخ جابر لاقناعه فنكس رأسه حياء وتصبب عرقا وندم على ما فرط منه ، وهناك نوع من عقاب الشيخ جابر لأحد رعاياه وذلك عندما احتاج الى جملة من العبي لخدامه ولمن يفد اليه من الضيوف فارسل الى "فهد الفهيد" احد تجار الكويت وكانت عنده بغيته ولكن خوفه من عدم الوفاء بالقيمة او طول المدة لدفعه جعله ان ينكر وجود تلك "العبي" تحت يده ، اما الشيخ جابر فلم يفته ما كان يجول في ذهنه بخصوص هذا التاجر وما كان يقصده من ذلك الافكار فأسر الأمر في نفسه ولم يظهر عليه شيء من التأثر الى ان مضت ايام وجاءت أخرى اخذ فيها بعض الاعراب اموالا ذلك التاجر والذي ابصر بعد فترة من الزمن الاعراب الذين سلبوا امواله في سوق الكويت ، فأبلغ الخبر للشيخ جابر وطلب منه القبض عليهم فقال له : من انت ومن تكون ؟ قال انا فلان بن فلان ، قال الشيخ انا لا اعرف احد من سكان الكويت بهذا الاسم ، نعم اعرف بهذا الاسم رجلا من اهل "الزبير" او الاحساء ، فاكثر التاجر الكلام معه ليقنعه فلم يقنع وقال نحن لا نطالب الا بأموال

رعيتنا لأغير ، فانصرف ذلك التاجر يتعثر بأذيال الفشل وقد علم ان هذا عقاب له على فعلته الاولى ، وفي نفس الوقت كان الشيخ جابر شديد الحرص على حماية رعاياه ، وكان قد ضمن احد ال الصباح نخلا لبعض "المنتفق" في البصرة ولكنه لم يسلم لهم شيئا فرفعوا الامر الى الشيخ جابر وطالبوه بأخذ حقهم منه فقال انه مفلس وليس في يده شيء فدفعهم عن حقهم بهذا العذر وبعد فترة من الزمن سافرا احد ابناء "ال بدر" من تجار الكويت الى "سوق الشيوخ" في البصرة للتجارة فقبض عليه هناك شيخ "المنتفق" وأخذ ما في يده من المال ثم زجه في السجن وما كاد يبلغ الخبر الشيخ جابر حتى جهز اسطوله البحري حتى وصل الى احدى مقاطعات "المنتفق" في البصرة فوقف امامها ومنع اهلها من الخروج الا بعد ان يسلم اليه ما أخذ من التاجر الكويتي وان يطلق سراحه من السجن فنزلوا على حكمه مضطرين(٨)

شهدت الفترة الأخيرة من حكم الشيخ جابر الهد... الاطمئنان والاستقرار وتوسعت مدينة الكويت وزاد عدد سكانها فاضطر الى تمديد السور من جهة الغرب وجعل اخره الى نهاية نقعة ابن عبدالجليل ، وتوفي الشيخ جابر عام ١٨٥٩ وكان له من الاولاد : صباح وعبدالله وخليفة ومحمد ومقرن وعلي وحمود وجراح ومبارك وشملان ودعيج وسلمان .

٤ - الشيخ صباح الثاني بن جابر ١٨٥٩ - ١٨٦٦

خلف الشيخ صباح الثاني والده في الحكم عام ١٨٥٩ فسعدت الكويت بحكمه وتقدمت التجارة في ايامه ولم يحدث في عهده حوادث تاريخية مهمة ذات اثر كبير على الكويت واستقرارها ولكن شهد ازدهار اقتصادي ورخاء وكثرت الاموال فاراد ان يضع رسوما جمركية على البضائع الخارجة من الكويت ولكن تجارها لم يوافقوه وصارحوه بقولهم : "لانقبل ان تجعل على اموالنا ما لم يجعله ابوك ولا جدك من قبلك" فتلطف في اقناعهم ولكنهم لم يقتنعوا وقال له : "كلنا تحت أمرك وطوع اشارتك واموالنا وقف على ما ينتابك من التكاليف وتحتاج اليه" . وفي تلك الفترة كان هناك عبداً يدعى "عنبر" من المقربين الى الشيخ صباح وكان عمله تحصيل الرسومات وكانت هناك قافلة تريد السفر وفيها كثير من اموال الكويتيين فطال انتظارها ولم يحصل عليها رسما فخاطبه عبدالله العنقرى احد وجهاء الكويت فأغلظ "عنبر" له القول فأفضى الامر الى التساب بينهما وعندما وجد "عنبر" ، التاجر عبدالله العنقري منفرداً فانهال عليه ضربا حتى اغمى عليه وهناك ثار وجهاء الكويت واعيانها على ما عمله "عنبر" فذهبوا الى الشيخ صباح وطلبوا منه ان ينفى "عنبرا" خارج الكويت لعمله الشنيع فلم يوافقهم الشيخ صباح وقال لكم على ان افصله من عمله واضربه

واسحنه ، فقالوا لايرضينا الا نفيه واذا لم تستجيب لطلبنا فسوف نغادر الكويت غير آسفين عليها فقال لهم كيف يسعكم ذلك وهي امكم ؟ فقالوا يسعنا لانها اساءت الينا و لم تعطف علينا ، فقاموا من عنده مغاضبين وكان ابنه الشيخ محمد حاضر في المجلس فرأى على وجوههم تصميما على الهجرة فشق عليه الامر ونهض من وقته الى عنبر فقتله فسكنت ثائرتهم وكفوا عما عزموا عليه[٩] .

(١) الشيخ صباح والعجمان

ينتسب العجمان الى مذكر بن يام بن اصبا بن رافع بن مالك بن جشم بن خيوان بن نون بن همدان الذي هو بطن من قحطان ، وكانت مساكنهم في اليمن ثم صاروا الى نجد وعرفوا بشدة البأس والشجاعة وكانت كثير من القبائل تخشاهم ، وفي عهد الامير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود حاكم الرياض الذي أحسن اليهم وجمعهم على رئيسهم فلاح بن حثلين وبذل لهم العطاء وانزلهم في ديار بني خالد فصارت لهم بعد ذلك شوكة وقوة كبيرة وعلا امرهم وأخذت ترهبهم القبائل وتتوقى شرهم ، وحدث في عهد الامير فيصل بن تركي حدث اختلافات بينهما فخرج العجمان عليه مما ادى الى مشاكل بينهما وأخذ الامير فيصل بن تركي يتتبع فلاح بن حثلين حتى ظفر به في عام ١٨٤٦ فقيده وارسله الى الاحساء فطيف به في الاسواق ثم ضربت عنقه ، فصار ابنه "راكان" زعيما على العجمان وصار اشهر من ابيه واشد منه بأسا ، واخذ يطلب من الامير فيصل ان يرد بعض من ممتلكات ابيه المصادرة ولعله لم ينجح فأغار الشيخ راكان بن فلاح على أبل الامير فيصل وأخذ منها طرفا ثم ارتحل من ديار بني خالد ومن معه من العجمان الى جهة الشمال ونزلوا على "الصبيحية" وهي منطقة توجد بها مياه قرب الكويت ، وامر الامير فيصل ابنه عبدالله ليسير بعدد كبير من الجيش لقتال الشيخ راكان بن فلاح ، فخرج الامير عبدالله من الرياض يقود جيشا كبيرا من اهل الرياض والخرج والجنوب واستنفر من حوله من البوادي من قبائل "سبيع" و "المطير" و "قحطان" وكان قد طلب من اهل "الوشم" و "سدير" و "المحمل" وغيرهم من قبائل البادية ليلتحقوا به بمنطقة "الدحاني" حيث توجد بها مياه عذبة وعندما وصل اليها وجدهم قد اجتمعوا هناك منذ ثلاثة ايام ، فارتحل منها وفي اثناء سيره اصطدمت قواته ببعض افراد من العجمان فانتصر عليهم وتمكن بعض العجمان من الهرب الى "الصبيحية" حيث كان يقيم هناك ال سليمان وابن سريعة وهم من العجمان ، ثم ارتحل الامير عبدالله من "الوفرة" وهي من المناطق التى توجد بها مياه في الكويت ، فادرك العجمان على "الصبيحية" فقاتلهم فانهزموا من امامه والتحقوا بابن "حثلين" وبمن كان معه من العجمان وهم يومئذ في "الجهرة" فارتحل الامير عبدالله ونزل على

"ملح" فصمم العجمان على مقاتلته برغم قلة عددهم امام ذلك الجيش العظيم الذي يضم معظم قبائل العربية في نجد والاحساء وتوجهوا بكل شجاعة دون خوف من هذا العدد الكبير لجيش الامير عبدالله حيث لاتوجد نسبة بينهما فجرت معركة حامية واشتعلت نار الحرب واستبسل العجمان بأعدادهم القليلة حتى احاط بهم جيش الامير عبدالله من جميع الجهات حتى قتل سبعمائة منهم والتجأ البعض الذي نجاة من تلك المعركة الى الشيخ صباح في ١٧ رمضان عام ١٢٧٦ الموافق ١٨٥٩ ، فأقام الامير عبدالله بمن معه من الجنود في "الجهرة" عدة ايام ارسل خلالها رجاله الى الكويت يطلب من الشيخ صباح اخراج العجمان من المدينة ورفع حمايته عنهم وعدم ايوائهم غير ان رسوله لم يحسن التعبير في اداء الرسالة واستعمل عبارة قاسية[١٠] معتمدا على كثرة عددهم وقوتهم وذلك عندما قال رسول الامير عبدالله : "ان معزبك (اي سيدك) الامام يأمرك باخراج العجمان اليه" وقد عد الشيخ دعيج اخو حاكم الكويت ما سمع اهانة وتحقيرا فسرت النخوة في راسه واظلمت الدنيا في عينيه وهناك اراد ان يعلم ال سعود بأنهم لايعترفون لهم بفضل ولايقرون بسلطة وان في استطاعتهم منازلتهم في الميدان وفي استطاعتهم صدهم عن الاعتداء[١١] فلم تعجب الشيخ صباح وكذلك ال الصباح جميعا ولاسيما الشيخ دعيج الجابر فيما اعتبر الشيخ صباح ما قاله رسول الامير عبدالله لايقصد به الا اهانتهم وتحقيرهم فأمر احد عبيدهم المدعو "عنبرا" ان ينادى في الميادين والاسواق والاماكن العامة في مدينة الكويت بالاذن لمن شاء الخروج من الكويت من ابناء نجد ورعايا ال السعود والالتحاق بأميرهم عبدالله في "الجهرة" ، وقد جرى ذلك النداء على مسمع من رسول الامير عبدالله ثم اوعز الى الرسول بالعودة الى سيده ليخبره بهذا الامر ويبلغه ايضا ان اخراج العجمان من الكويت بعد التجائهم اليها وطلبهم الحماية امر لاسبيل اليه بتاتا .

فعاد ذلك الرسول واطلع الامير عبدالله على ما شاهده من الحماس في الكويت فارسل رسولا ليعتذر الى ال الصباح فقبل عذره ، وبعد ابتعاد الامير عبدالله عن تلك المناطق اجتمع شيوخ العجمان وتشاوروا في امرهم فاجتمع رأيهم على ترك مدينة الكويت والمسير الى قبائل "المنتفق" و "الظفير" ، فاستأذنوا من الشيخ صباح فاذن لهم فخرجوا من سور الكويت وتوجهوا الى قبائل "المنتفق" و "الظفير" ونزلوا معهم في "الكاظمة" وتحالفوا معهم على التعاون ضد كل من يقصدهم بسوء ولما بلغ الامير فيصل بن تركي حاكم الرياض بترك العجمان الكويت من تلقاء انفسهم ورفع حماية الشيخ صباح عنهم امر جميع رعاياه والقبائل التابعة له في نجد والاحساء والتهيؤ والتجمع في منطقة "الجفنة الخبر" المعروفة في "العرمة" وامر ابنه عبدالله ان يسير بتلك الجنود لقتال العجمان ،

فخرج عبدالله ومعه اهل "الرياض" و "الخرج" و "الخرما" و "الجنوب" وقبائل تلك النواحي من "سبيع" و "المطير" و "السهول" وغيرهم وقصد "الجفنة" ونزل عليها اياما الى ان تكاملت جنوده ثم ارتحل منها وتوجه الى "الوفرة" فلما وصل اليها قدمت عليه هناك جماعة من "مطير" وبني "هاجر" وغيرها من قبائل تلك المنطقة ثم ارتحل منها وحث السير لضرب العجمان والقضاء عليهم وهم في "الجهرة" ، فصبحهم وحصل قتال بين الفريقين وصمد العجمان اما جحافل الامير عبدالله وجيشه وحاصرهم على ساحل البحر وهو حازر فدخلوا فيه فتوقفت جيوش الامير عبدالله من ملاحقتهم وظلت محاصرة لهم من بعيد ولما مد البحر طغى عليهم الماء فاغرقهم وهم نحو الف وخمسمائة رجل ولم ينج مهم الا رئيسهم "راكان" وزوجته فانه ركب جواده واردف زوجته خلفه وارسل له العنان فمر به الجواد خارقا تلك الصفوف بسرعة عجيبة وبقوة وبشجاعة نادرة دون ان يتمكن احد من التعرض له وسميت هذه المعركة بموقعة "طينة" بناء على هلاك اولئك العجمان بالحل والطين وسميت ايضا "بالطبعة" لطبعة الماء وغرق العجمان في البحر وذلك في ١٥ رمضان ١٢٧٧ هـ الموافق ١٨٦٠ ، ثم اقام الامير عبدالله في الجهرة عدة ايام قسم خلالها الغنائم على اتباعه ثم رجع الى الرياض ، وبعد وفاة الامير فيصل تولى ابنه عبدالله الحكم في الرياض كقائمقام عثمالي في عام ١٨٦٥ وبرغم تلك المعارك العنيفة الا ان قبيلة العجمان كانت من اشد القبائل معارضة لعبدالله ولحكمه فقام الامير عبدالله بحملتين ضدهم الى قرب الكويت فاشتبك معهم بمعركتين كانت في كليتهما له الغلبة عليهم والى الاحتماء بشيوخ قبائل "المنتفق" القوية حلفائهم(١٢) .

توفي الشيخ صباح عام ١٨٦٦ ولم يحدث في عهده ما يعكر امن واستقرار الكويت بل كان عهده عهد الهدوء والاطمئنان والسلام وترك من الاولاد : عبدالله ومحمد ومبارك وجراح وجابر وعذبي واحمد وحمود .

٥ – الشيخ عبدالله الثاني بن صباح ١٨٦٦ – ١٨٩١

ولد الشيخ عبدالله الثاني في العام الذي توفى فيه جده الشيخ عبدالله الاول عام ١٢٢٩ هـ الموافق ١٨١٤ وتولى امارة الكويت بعد وفاة ابيه الشيخ صباح عام ١٢٨٣ الموافق ١٨٦٦ وكان الشيخ عبدالله واسع الحكم محبا للاصلاح مكرها لسفك الدماء ميالا للجد والاخلاص غير مخادع ولا موارى ومن دهائه انه اذا ما وقع في مأزق حرج لايلبث ان يتخلص منه تخلص حسنا مما يثير اعجاب الناس ، وكان قد حدث عام ١٢٨٥ الموافق ١٨٦٧ مجاعه وسمي عام البوس والجوع على الكويت حتى اضطرهم الى اكل ذمام البهائم التى تذبح وقد سمى بعام "الهيلق" ايضا ولم تنته تلك

المشكلة الا في عام ١٨٧٠ وقد فتح الشيخ عبدالله خزائنه امام الكويتيين لـيرفع عنهـم الضائقـة و لم يترك وسيلة و لم يتذرع بها للتخفيف عن سكانه كما كان لرجلين آخرين من الكويتيين يـد بيضـاء في تلك الازمة الشديدة وهم "يوسف البدر" و "يوسف الصبيح" اما الاول فبذل الكثير من امواله في سبيل المعوزين واما الثاني فأتخذ بيته مأوى للفقراء والمساكين يقدم لهـم فيها الطعام والكساء ، وفي عام ١٨٧٣ اشتد النزاع بين الاخوين الامير سعود وعبدالله وجرت بينهما حروب ادت الى ارتحال الامير عبدالله من وجه اخيه الامير سعود ومعه الكثير من رجاله وخدمه الى الكويت فاقام في منطقة "الصبيحة" عند بادية عجمان التي كان قاتلهم فيها ، فلما علم الشيخ عبدالله بذلك احسن وفادته وقام له بأتم واجبات الاكرام والضيافة ولكن اخوه سعود بن فيصل قام في نفس العام وعزم على غزو الكويت فسار اليها بجيشه حتى اذا ما وصل الى "الجوافرا" هب الكويتيون لمقاتلته وأخذوا الاحتياطات اللازمة لذلك وخرجوا اليه بقيادة الشيخ مبارك فلم سمع الامير سعود بذلك تراجع عن عزمه وعاد الى نجد ، وفي عام ١٨٧٧ قدم الامير محمد الرشيد بجيشه وخيم على اطراف الكويت وأخذ يتعرض للقبائل القاطنين حولها وكانت افراد من قبيلة "العوازم" نازلة "الصبيحة" فاغار عليها ونهب مواشيها فلم علم الشيخ عبدالله بهذا الامر هب لمقاتلة ابن الرشيد وخرج من الكويت بجيش مملوء بالحماس للأخذ بثأر "العوازم" ، ولكنه لما وصل الى "ملح" بلغته الانباء بإرتحال الامير محمد بن الرشيد من حدود الكويت وعودته الى نجد فقفلوا راجعين ، وكان الامير عبدالرحمن بن فيصل مقيما في القطيف و لم يطيب له المقام هناك فتركها عام ١٨٩١ وقصد الكويت ولكن الشيخ عبدالله اعتذر له عن دخول مدينة الكويت ما لم يقترن ذلك برضا الدولة العثمانية فعاد الامير عبدالرحمن بمن جاء معه الى البادية واقام مع قبيلة عجمان وكانت الدولة العثمانية راغبة في عقد اتفاق معه فارسل اليه متصرف الاحساء وقرر على ان تدفع الدولة العثمانية الى الامير عبدالرحمن ستين ليرة عثمانية معاشا شهريا على ان يقيم مع اسرته في الكويت[١٣] .

توفي الشيخ عبدالله عام ١٨٩٢ وترك من الذكور خليفة وجابر .

٦ – الشيخ محمد بن صباح ١٨٩٢ – ١٨٩٦

تولى الشيخ محمد بن صباح الحكم في الكويت بعد وفاة اخيه وكان محمد رفيق القلب بعيدا عن الشر محبا لقومه ، وقد اشرك معه اخاه جراح في ادارة شؤن الحكم مشاركة غير رسمية وذلك ترضية له ، وبعد ذلك في نفس العام قدم ماجد الدويش من شيوخ قبيلة المطير واناخ بالقرب من الكويت فقدم له الشيخ محمد واجب الضيافة من ارز وتمر ولكن ماجد كان قد بيت أمرا آخر وذلك

هجومه على قبيلتي "عريدار" و "العوازم" التابعين للكويت والنازلين بجهة "ملح" فنهب اموالهم ومواشيهم(١٤)

لم يقتصر عمل ماجد الدويش على ذلك فقد كان الشيخ دعيج الصباح ضاربا خيامه على مقربة منهم فهاجمه ايضا ونهب اموالهم واستولى على مواشيهم ، فلما وقف الشيخ محمد الصباح على هذا الخبر امر بتجهيز جيش كبير واوعز لأخيه الشيخ مبارك بقيادة ذلك الجيش وتأديب ماجد الدويش فساروا اليه ولحقوا به في منطقة "الردينيات" فهجمت بعض فرسان قبيلة "عنزة" على اتباع ماجد الدويش فلم تفعل شيئا ثم تقدم بعدهم ابن مساعد رئيس قبيلة "العوازم" بمن كان معه من رجال قبيلته ثم لحقته بقية جيوش الكويت فدارت بينهم معركة لم تستمر اكثر من ثلاث ساعات اسفرت عن انهزام ماجد الدويش واتباعه وقد تم لقوات الكويتية استرجاع ما استولى عليه ماجد الدويش من الاموال والماشية وعادوا بها الى الكويت ، وبعده بفترة من نفس العام ١٨٩٢ حدث خلاف بين احد رؤساء طوائف قبيلة "الظفير" ويدعى "ابن الصميد" وبين شيخ القبيلة "ابن سويط" وحدث بينهما قتال فاضطر "ابن سويط" الى طلب النجدة والمساعدة من الشيخ محمد الصباح فانجده وبجيش اسند قيادته الى اخيه الشيخ مبارك وبذلك رجحت كفة ابن سويط وتم له الانتصار على الثائرين من قبيلته بفضل القوات الكويتية فشكر شيخ الظفير حاكم الكويت ، كما اعتدت في عام ١٨٩٣ عشيرة "السعيد" من قبيلة "الظفير" على بعض القبائل التابعين للكويت واستولت على اموالهم ومواشيهم فلما علم الشيخ محمد بذلك امر اخاه الشيخ مبارك بالهجوم عليهم واستردوا ما استولوا عليه من الاموال ، فادركهم الشيخ مبارك في منطقة "الخنقة" وتمكن منهم فانهزموا من امامه واسترد ما نهبوه من الاموال والمواشي الكويتية بكاملها ، وبعد ذلك تعدى قبائل بني هاجر في عام ١٨٩٤ على بعض السفن الكويتية واستولت على ما كان فيها من الاموال التجارية والاطعمة فلما علم الشيخ محمد ذلك ، اعد جيشا واسند قيادته الى اخيه الشيخ مبارك وكان معظم هذا الجيش الكويتي كان يتكون من قبيلة العجمان وعلى رأسهم زعيمهم المشهور "راكان" فساروا لمطاردتهم فادركوهم بين "الهفوف" والقطيف فتك بهم فتكا ذريعا واسترد منهم كل ما كانوا قد استولوا عليه من الاموال(١٥) .

قتل الشيخ محمد عام ١٨٩٦ وكان محبا للخير مسالما ولكنه غير حازم وضعيف الادارة وكان اخوه جراح يمسك شؤون المالية وقد عمر نخيل "الفاو" وبنى عدد من الدكاكين في مدينة الكويت ومنها سوق السمك وسوق اللحم ولما قتل مع اخيه وكان مجموع مايملك من اموال نقدية حوالى

خمسة وسبعون الف روبية في "بومباي" بالهند امانة لدى ال ابراهيم واما بيت المال فلم يكن فيه سوى سبعمائة روبية فقط(١٦) .

ثانيا : الحياة الاجتماعية في الكويت

لعب موقع الكويت دورا في اكساب المجتمع الكويتي ابرز ملامحه وخصائصه وسر وجودها وشهرتها وتطورها وتشكيل حياة السكان ووسائل معيشتهم وفي اكسابهم ابرز صفاتهم وسمات مميزاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية ومن ثم اصبح له دوره الهام في تشكيل حياة المجتمع العربي في الكويت وتحديد خصائصه واذا كان لبيئة الكويت البحرية هذا القدر من الأهمية في تشكيل حياة الكويت الاجتماعية فان بيئتها الصحراوية وفد الكويتيون الاوائل حيث طاب لهم المقام على مقربة من شاطيء الخليج العربي ولقد شهدت فيافيها نشاطهم ونسجت ابرز ملامح تاريخهم وان وجود الكويتي في وسط هاتين البيئتين جعل منهم اداة صراع في خضم يشدهم الى الصحراء نسب والى البحر سبب ومن ثم كان للبحر والصحراء اثر واضح في تشكيل حياة الكويتيين ورسم معالم مجتمعهم العربي ، وكان لفقر بيئتهم الصحراوية وملاصقتهم للبحر ارتبطت حياتهم به واعتمدوا في اقتصادياته وجمع الحرف اتسمت بصفة الجماعية ودعتهم الى تنظيم الحرفة على شكل هرمي يمثل بحارة السفن قاعدته العريضة في حين يحتل الطواشون وكبار تجار قمته وبين قاعدة هذا الهرم الاجتماعي وقمته احتل نواخذة السفن وغواصو اللؤلؤ مكانة اجتماعية مرموقة وانتظم ابناء هذه الحرف البحرية في عرف سائد توارثوه يحتكمون اليه في حل خلافاتهم وهم في عرفهم هذا يتعارفون على ان مركب الحرفة هي وحدة الانتاج تضم جميع العاملين فيها تحت امرة "النوخذة" الذي يملكها ويقودها ومن ثم فطاعته واجبة وتعليماته منفذة والكل يعمل فيما تخصص فيه فاذا اهمل تعرض للتأنيب وللتأديب والعقاب والكل يعمل في اوقات الفوها رغم ما قد يتخلل ذلك من ترنيم وانشاد بهدف الترويح والتشجيع وهو جزء من عملهم اليومي ومنهم النهامين والمطربين واذ جاء وقت الطعام التف الجميع حوله واذا حان وقتُ الصلاة وقفوا خاشعين مصلين وفي نهاية الرحلة الكل يأخذ نصيبه المتعارف عليه ، ولكن مكانة النوخذة لم يستمر طويلا حيث كان يلجأ في مواسم الكساد للاقتراض من كبار التجار بغية تجهيز الرحلة مقابل التزامهم ببيع محصولهم لمن يدينونهم من الطواشين والتجار وكثيرا ما كانوا النواخذة يضطرون للتنازل عن سفنهم وفاء بديونهم وقبول العمل لدى المالك الجديد مقابل نصيب معلوم من الانتاج وبمرور الوقت قوي نفوذ التجار واصبحوا يملكون مجموعات من السفن التي تعمل لحسابهم ومن ثم قلت اهمية "النوخذة" المنفرد

وانحدرت مكانته واصبح الاسطول الذي يملكه التاجر وليس المركب هو وحدة الانتاج الاساسية وبذلك بدأت ظهور الرأسمالية التجارية الجديدة في الكويت والتي اصبحت تلعب دورا اساسيا في المجتمع العربي الكويتي . ولعبت العلاقات الحرفية دورا في تحديد ملامح المجتمع وظهرت اثارها واضحة في شتى النظم والظواهر والقيم السائدة فيه فقد كانت الاسرة بعلاقاتها الاولية وتقاليدها الاجتماعية هي الوحدة الاساسية في التنظيم الاجتماعي وتستمد مكانتها من صلاتها القبلية التى انحدرت منها ومن علاقاتها بالنشاط الحرفي في الغوص او السفر والتجارة فكبير الاسرة مثل الموحدة له الكلمة العليا في تصريف امورها المالية والاجتماعية والعلاقات العائلية تكاد ان تمحو شخصية الفرد تماما(١٧) .

تشترك الاسرة او جزء منها في سكن واحد وقد يرجع السبب في هذا التجمع الى ارتباط افراد الاسرة جميعها بمهنة واحدة والى صلات الرحم والمودة التى كانت طابع العلاقات الاسرية هي السمة البارزة لتلك العلاقات اضافة الى قلة الامكانيات المادية المتوفرة لدى افراد الاسرة والتي يتعذر معها استقلالهم في منازل منفصلة ، وتشترك هذه الاسرة في "ديوانية" مستقلة وهي بمثابة مكان للتجمع والسمر والمناقشة وتجاذب شتى الاحاديث المختلفة وتعرف الديوانية باسم الاسرة وليس باسم كبيرها ويشار اليها لا باعتبارها مكانا عاما ولكن باعتبارها نظاما اجتماعيا يرمز الى مكانة وقيمة الاسرة الاجتماعية ذاتها .

تميل الاسرة الكويتية الى التجمع والاستقرار في احياء "فرجان" تنسب في اسمائها العائلة الكبيرة التى تقطن الحي "الفريج" الذي كانت له مكانة خاصة ويؤلفون اسرة واحدة وقد كانت لتلك الاحياء وما يتخللها من ساحات يلعب فيها الاطفال ويجلس فيها الكبار آثارها في خلق صلات الود والتعاون بين افراد المجتمع العربي في الكويت والتى انطبعت بطابع البساطة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وارتبطت اعمالهم وانشطتهم بالحرف البحرية ارتباط عضويا فالتعليم لم يكن له من هدف سوى معرفة مبادىء القراءة والكتابة والحساب حتى يسهل لهم تعلم حسابات الغوص والسفر والصناعات المحلية ارتبطت باعمال البحر ومن ثم نشأت صناعة السفن وصيانتها والشباك والحظور لصيد الاسماك وارتبط التبادل والمعاملات التجارية في السوق بحرفة الغوص ومحصوله واسعار اللولو فالنشاط التجارى يبلغ قمته في بدء الموسم ابريل – مايو عندما يجهز التجار والنواخذة مراكبهم للابحار ويتسلم البحارة جانبا من نصيبهم لتموين منازلهم وتأمين افراد اسرهم بالغذاء والكساء قبل مغادرتهم ثم يدب النشاط ثانية في السوق في نهاية شهر اغسطس مع عودة

السفن واتمام حسابات الغوص وتسريح البحارة وكان طابع هذه المعاملات هو الثقة التامة بين الافراد مع وجود مجموعة من القواعد المرعية في تسديد الديون او تسويتها ولتبادل السلع او تسويقها بالنقد دون حاجة كبيرة الى المستندات والوثائق ويتولى كبار العارفين بحرفتي الغوص والسفر تسوية المنازعات وخاصة ما اتصل منها بحسابات الغوص وتسوية ديون البحارة والنواخذة ، والتكافل الاجتماعي كان طابع العلاقات العائلية وعلاقات الانتاج الحرفية ومساعدة الغريب واعانة الجار والصديق واغاثة المنكوب وتعويضه وكما كان للبحر مثل هذه الآثار الاجتماعية فان الصحراء لعبت دورا في اكساب الكويتيين طابعها الخاص فهناك قطاع سكاني كبير يعتد به يجوب الصحراء بحثا عن العشب والكلاء وهم في تنقلاتهم ينصبون الخيام وهي بمثابة الديوانية فهي مكان اللقاء والاحاديث والسمر وكثيرا ما يقوم الصراع في الصحراء ولهذا فكان عليهم تعلم فنون الحرب والفروسية كما كانوا يصنعون الخيام وبيوت الشعر ومنتجات الالبان والصوف ولذا اصبحت صلة الكويت بالصحراء وثيقة تتمثل في ربط من عادات وتقاليد ونظم كقرب الاسرة وكشيخ القبيلة هو الحاكم المطلق صاحب الرأي النافذ والقول الفصل وكما تتجاوز سلطة شيخ القبيلة هو الحاكم المطلق صاحب الرأي النافذ والقول الفصل وكما تتجاوز سلطة شيخ القبيلة وتمتد لتشمل جميع العشائر والبطون والافخاذ المتفرعة عنها ، تتجاوز سلطة رب الاسرة لتشمل الاسر الاخرى التى ترتبط معها بنسب او صلة قرابة ولقد امتد تأثير الصحراء الى نظم المصاهرة وتقاليد الزواج فلا اختلاف الاسر من حيث الاصالة والشرف الموروث قام الزواج على اساس من التكافل الاسري ولذا كان الزواج الداخلي هو النظام الامثل الذي يقوم على فكرة وحدة الدم قوام العصبية القبلية ابرز سمات الحياة في الصحراء وكذلك الكبير في السن له منزلة خاصة عند الجميع يمثل دائما مراكز الصدارة من حيث التبجيل والاحترام كما يبدو تأثرهم بها في التاريخ بالاحداث والوقائع والطرب لاغاني البادية والاستمتاع بفنونها وازجالها وكذلك رقصة العرضة كما امتد تأثير البادية الى خصائل الكويتيين وسجاياهم فقد اخذوا من الصحراء صفة البساطة وخاصة علاقات الافراد الاجتماعية اذ لايقيم وزنا للتسلسل الوظيفي او الروتين البيروقراطي ومن ثم لم تكن هناك حاجة للنفاق والرياء او الرجاء والتكلف او المظاهر وعلى هذا النمو انعكست بساطة الصحراء في حياة سكان المدينة فالكويتي بسيط في كل شيء في ملبسه وطعامه وسكناه وكلمة الشرف هي السائدة وهي الرابط بين البائع والمشترى وتلك البساطة ممزوجة بالثقة والامانة وهناك تقدير للمرأة وكرامتها وحرمتها ، وجرت عادة الكويتيين على قاعدة الزواج المتكافىء من حيث الوضع الاجتماعي والانتساب الاسرى ومن ثم كان زواج ابن العم البكر لابنة العم البكر ، كما جرت العادة اذا اراد

الشخص الزواج فانه يعبر عن رغبته لقريباته من النساء اللاتي يقمن بدورهن بالبحث عن العروض المناسبة فاذا ما تم الاختيار فوتح والد العروس بمتطلباته الخاصة لاتمام الزواج وفي بيت العروس وفي الحي الذي تقطن فيه يعتبر يوما مشهودا اذ يبقى البيت طوال ذلك اليوم في حركة لاتهدأ فلكل واجبه عليه ان يؤديه ، وبينما يحدث هذا في منزل العروس يموج منزل العريس بالأهل والاصدقاء الذين يتدفقون استعدادا لمرافقته الى بيت العروس وتبدأ الزفة[١٨] . لاتتحول السلطة الابوية الى الزوج بل يظل هو يخضع لأبيه وتظل هي تخضع لأبيها .

يتمثل شهر رمضان بأهتمام بالغ فقبيل قدومه يتتبع المجتمع انباء رؤية الهلال ثم الاستعداد لاستقباله وبتجهيز قمح "الهريس" وتبادل التهاني وتدب الحياة في المدينة طوال ليالي اشهر رمضان اذ تزهو الحوانيت باضوائها وتعمر المقاهي بالرواد حتى ساعات الصباح الاولى ويتجمعون الاطفال للطواف على البيوت "يقرقعون" في الوقت الذي يكون فيه الاباء متجهيم الى المساجد لتأدية الصلاة وتلاوة القرآن وهم يطيلون في ذلك حتى موعد السحور عندما يتسنى لهم سماع المسحراتي وتستمد تلك السمات الى ما قبل نهاية رمضان بيومين لتبدأ الاستعدادات لاستقبال العيد بشراء الملابس والكساوي للأسرة وتعم الزينات مدينة الكويت وتخيم السعادة والفرحة على الجميع .

١ - الرحالة ووصف الكويت

ذكرنا سابقا اثر البحر والصحراء في تكوين السمات المميزة للمجتمع العربي في الكويت مما اعطى للحياة الاجتماعية دورها البارز وخاصة في مجال العلاقات الاجتماعية كما كان للرحالة الاجانب دورا بارزا في اعطاء صورة لاحوال الكويت الداخلية وتطورها من النواحي الاجتماعية والسكانية والتجارية فقد مر بالكويت او اقام بها ثلاثة من الرحالة تصادف مرور اولهم في بداية عام ١٨١٦ وهو الرحالة البريطاني "بكنجهام" الذي يتحدث بغزارة عن الخليج العربي ويورد تفاصيل هام عن الكويت ولاسيما فيما يتعلق بتجارة الخيول ، ثم جاء الرحالة "ستوكويلر" وهو خبير بشؤن الطرق الموصلة الى الهند وله مؤلفات عديدة في هذا الموضوع وقد زار الكويت في حوالي عام ١٨٣١ ، وكان ثالثهم الكابتن "بلي" وهو المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي وقام برحلات في مختلف نواحي المنطقة وكان هدفه جمع الحقائق وتسجيلها كانت ملاحظاته دقيقة وقد وقد مر في الكويت اكثر من مرة منذ عام ١٨٦٣ .

يشير هؤلاء الرحالة الى مدينة الكويت بانها ميناء كبير ومهم ويقول "بكنجهام" بأن الكويت مدينة متسعة كثيفة السكان على الرغم من ان رمال الصحراء تضغط دوما على اسوارها وليس بها خضرة تراها العين على مدى ابصارها وانها احتفظت باستقلالها وان اهلها معروفون بأنهم اكثر اهل الخليج العربي حبا للحرية والاقدام وان سكانها غالبيتهم من التجار الذين يعملون في التجارة الداخلية والخارجية ويمارسون جميع انواع التجارة السائدة في المنطقة دون استثناء والسفن التي تعمل في التجارة يتراوح عددها بين مائة من صغيرة وكبيرة وحديثة وان بحارة هذه السفن جميعا يتمتعون باكبر قسط من الحكمة والمهارة والحزم والشجاعة وتحدث "بكنجهام" عن جزيرة "فيلكا" و "مسكان" و "عوهة" و "كبر" ، اما "ستوكويلر" فقد سافر على "بغلة" كويتية من بومباي في ١٨٣١/٢/١٨ ووصفها وتحدث عن بحارتها وربانها وقال ان بحارة البغلة المسماه "بالناصري" نحو من خمسين وكانوا جميعا من سكان الكويت وكان عليهم نوخذة منهم في اوج شبابه وعلى الرغم من حداثة سنه فان البحارة كانوا يجلونه ويوقرونه كأنه بمثابة والدهم وذكر عن هولاء البحارة من تحليهم بروح المرح التى كانت تتحلى حين يغنون اهازيج البحر ويدقون الطبل وما يتميز به هولاء من انغماسهم في عملهم وعدم اكتراثهم بالمجاملات وانه كان عادة متبعة في الكويت من ان تطلق السفينة عندما تؤم مينائها مدافعها تحية للمدينة وهذا ما فعلته البغلة التي وصل عليها "ستوكويلر" والذي مكث اربعة ايام في الكويت ووصفها بأنها مدينة طوله ميل وعرضه ربع ميل وان البيوت كانت تبنى من الطين وتكس واجهتها من الخارج بطبقة خشنة من الملاط اما عدد سكان المدينة فقد قدره باربعة الاف نسمة اما شوارع الكويت فكانت واسعة اذا ما قيست بشوارع مسقط وبوشهر وان السور لايستطيع دفع خطر حقيقي عن البلده في نظر "ستوكويلر" اذ كان عرضه نحو قدم وكان يحيط بالسور خندق كما كانت البوابات الثلاثة تقل كل واحدة منها مدفعين وعلى امتداد ستين ميلا بعد الاسوار لم ير "ستوكويلر" اشجار بها سوى مجرد رمال اما ماؤها فهو ابعد ما يكون عن العذوبة اما عن زعامة المدينة فكانت لشيخها الذي وصفه بانه لايحتفظ بجيش دائم ومما لفت نظره الزي الموحد الذي كان يرتديه الكويتيون صغيرهم وكبيرهم ثم انعدام الاجانب فيها ، اما المقيم السياسي البريطاني "بلي" الذي اتيحت له فرصة اقامة اطول وله دراية اكبر وقد دون ملاحظاته الدقيقة في تقارير كانت تكتب لتقرأ على رجال الادارة في حكومة بومباي وقد حاول ان يرسم صورة واضحة لرؤسائه عن الكويت وامكانياتها التجارية ويصف بأنها صحية للغاية ولاتكاد تعرف حتى امراض التهاب العيون الشائعة في المنطقة على مدار السنة والحيات كانت نادرة ولم تعرف مرض الجدري منذ امد بعيد اما المرض السائد فهو الزهري الذي اتاها من بومباي

ويلي الزهري كمرض شائع الروماتيزم الذي ينتشر في فصل الشتاء وجو مدينة الكويت احسن من بغداد وبوشهر ولم يشهد "بلي" في الكويت "السراديب" مثل بغداد او العرائش في بوشهر في اوقات الصيف ذلك ان هواء الليل في الصيف لطيف وان المدينة مبنية من الحجارة الخالصة او من الحجارة والطين معا ولها بازارا او سوقا يؤمه العرب وما ذلك الا لعدل الحكام وحرية التجارة وقدر سكان المدينة بعشرين الف مواطن وان عدد البحارة اربعة الاف واثنى على سمعتهم الطيبة في ميدان عملهم وهناك ستة الاف مقاتل وان الكويت شديدة الحرص على السلم ويقول ان الشيخ صباح بشوش قوى البنية عليه وقار الثمانين عاما حسن المظهر وطيب القلب يدير الامور بروح الاب تجاه ابنائه لايأنف من ان ينزل على حكم القاضي اذا خالفه فيما ذهب اليه وان فرض العقوبات على السكان كان مسألة نادرة الحدوث وانك لاتجد تدخلا حكوميا في أي من امور الناس والحكومة لاتجد نفسها بحاجة لان تتخذ مثل هذا الموقف من الافراد ويقول ان الشيخ صباح كريم ويتناول الطعام في المساء مع فقراء المدينة ومع البدو النازلين خارج اسوارها وانه على جانب كبير من التواضع ، وقد زاره "بلي" في بيته ووجده يجلس على حصير وكان البيت بسيطا بل خربا ورثه عن والده في حين كان البيت المخصص للضيوف جيدا ومطلا على البحر وان الشيخ صباح كان يعزو حكمته هذه الى والده اذ روى عنه انه قال "البلي"[١٩] :

"عندما بلغ والدي المائة والعشرين من عمره ناداني اليه وقال : ياولدى انك تعلم انني سافارق الحياة التى اموت فقيرا دون ان اترك لك ثروة او نقود ، غير انني كونت في حياتي صداقات حقيقية خالصة مع اناس عديدين عليك ان تعتمد على هؤلاء انظر الى الدول المختلفة من حولك في منطقة الخليج العربي تجد انها قد تساقطت بسبب الظلم او سوء الادارة ، ولكن امارتي كانت دوما تقوى وتتسع تمسك بسياستي ومع انك بالصحراء ومع انك محاط بقبائل كانت ذات يوم معادية وهي مازالت حتى يومنا هذا غير مستقرة او متحضرة فلسوف تتقدم مشيختك وتزدهر" .

ثالثا : الحياة الاقتصادية في الكويت

ارتبطت حرفة الغوص على اللؤلؤ بحياة الكويتيين الاقتصادية منذ نشأة الكويت وانها اكثر الحرف صعوبة وخطورة مما اضفى عليه صبغة العمل الجماعي لان الفرد لايمكنه بمفرده القيام بهذه المهمة الشاقة واصبح لزاما على العاملين بهذه الحرفة ان ينتظمهم عرف يلتزمون به وهذا العرف ناشيء عن طبيعة العمل الذي يقومون به توارثوه واورثوه ومن هنا جاء التقسيمات البحرية للعاملين في الغوص كالنوخذة ثم الغواص والسيوب والرضيف وغيرهم ، وتبدأ عملية الغوص في

اشهر الصيف السنة تقريبا وقد يقل ولكن لاتزيد وان عملية الغوص في حد ذاتها عملية شاقة وخطيرة ويتم بشكل جماعي وتستمد عادة اربعة شهور يعودون بعدها الى وطنهم ومن ثم تبدأ عملية بيع محصول اللؤلؤ وهنا يبرز دور طائفة التجار "الطواشين" الذين يتولون هذا العمل بأنفسهم نظرا لما تدره عليهم من ارباح كبيرة ، وان عملية الغوص كظاهرة اقتصادية قامت على "الاستدانة" فالغواص يستدين من النوخذة وهذا يستدين من "الطواش" الصغير الذي يستدين بدوره من كبار الطواشين ويقدم كل نوخذه لبحارته مبلغا من المال عقب انتهاء موسم الغوص يطلق عليه "تسقام" بمثابة مقدم او عربون يرتبط بمقتضاه البحارة بهذا "النوخذة" خلال الموسم القادم ويصبح في غير مقدورهم الارتباط باي نوخذة آخر وقبيل بدء الغوص مباشره يعطى البحارة مبلغا آخر من المال كسلفة لكي تستعين به اسرته خلال الشهور الاربعة التى يقضيها في عملية الغوص وبعدها ينبغي لهؤلاء البحارة تسديد ديونهم فاذا كان محصول الغوص جيدا اصبح في امكانهم تسديد هذه الديون والا تراكمت عليهم عاما بعد الاخر حتى تثقل كاهل صاحبها ويصبح عاجزا عن تسديدها فاذا توفي ورث الدين لولده او لاحد اقاربه الذي يصبح بدوره مثقلا بالدين فيورثه هو الآخر لولده من بعده وهكذا وعلى هذا الاساس يرزح الجميع تحت طائل تلك الديون .

نتيجة لذلك صار الارتباط اداة تربط بين الجميع وليس معناه قيام نوع من الرق في العلاقة بين العاملين في حرفة الغوص نظر لانهم لم يكونوا في حاجة الى هذا النظام خاصة وان امتلاك عمل الإنسان افضل من امتلاك شخصه والاضطرار الى اعالته وقد جرت العادة على ان تقوم "محكمة الغوص" بالبت في جميع المشكلات التى تربط بهذه الحرفة ويلتزم الجميع بقراراتها وبذلك يعتبر الغوص نظام اقتصادي قاس قائم على العرف الذي ارتضاه الجميع شاءوا ام ابوا وعلى استغلال المال والإنسان والعمل معا وقد ينصب في النهاية لمصلحة بعض الاشخاص من كبار التجار ، والغوص يقوم في جملته على الطاعة العمياء للنوخذة والرزوح تحت طائل التسلسل الطبقي للعمل الوظيفي للغوص كظاهرة احتماعية يتربع على قمتها الطواشى في حين يأتي البحارة في القاع ويتعرضون لاشد انواع الجور والتعسف وهذا ما حدا بالمسؤلين في الكويت الى سن قانون ينظم هذه العملية ويعالج المشاكل التي كثيرا ما يتعرض لها العاملون في هذه الحرفة وتنظيم الروابط المختلفة بينهم ، وكان لعملية الغوص اثار انعكست على المجتمع منها ظاهرة اقتصادية يتمثل في الرواج او الركود الاقتصادي الذي يواكب بداية موسم الغوص ونهايته حيث تزدهر حركة البيع والشراء والاسواق عندما ينهض البحارة لشراء ما قد تحتاجه اسرهم من السلف والديون التي

تناولوها من نواخذهم وما يكاد اسطول الغوص يغادر المدينة حتى يحل بالاسواق الهدوء والركود في انتظار انتهاء موسم الغوص لكي يدب النشاط في المدينة مرة أخرى نتيجة لكسب الذي جاء به رب البيت بعد عودته من رحلته الطويلة سالما ، اما ظاهرة الاجتماعية فتتمثل في هذا العدد الضخم من سكان الكويت الذين يومون من البادية ايضا التماسا للاكتساب في البحر خصوصا وان ذلك لايتعارض ورعيهم لماشيتهم في فصل الشتاء ولما سوف يعود عليهم من المال الذي هم في امس الحاجة اليه كما تتمثل هذه الظاهرة الاجتماعية في تلك الفرحة التى تعم سكان المدينة عند توديع اهلهم وذويهم او عند استقبالهم بعد عودتهم وما يصاحب هذا الوداع او ذاك الاستقبال من انفعالات وانعكاسات كما تتمثل في تلك العلاقات الفردية التي تسود الكويتيين كالثقة المتبادلة والاعتماد على كلمة الشرف في المعاملات وفي التعاون بين ابناء المجتمع وذلك التعاون الذي يبدو واضحا في تعاون بحارة السفينة الواحدة على تسييرها ورعاية امورها كما يتمثل في ضروب الادب الشعبي والغناء والرقص الذي يصاحب كل عملية من عمليات الغوص وعلى هذا النحو لعبت حرفة الغوص دورا حيويا وهاما في حياة المجتمع العربي في الكويت[٢٠] .

٢ – النقل البحري التجاري

يعد النقل البحري التجاري بمثابة المصدر الثاني للدخل الوطني في الكويت بعد الغوص ، ويعتمد النقل البحري على السفن التى كان الكويتيون يجلبونها في بداية تأسيس الكويت من موانى الخليج العربي والهند نظرا لعدم اكتسابهم مهارة صنعها محليا في الكويت غير انهم لم يلبثوا ان بنوها بأنفسهم وصاروا يزودون بها غيرهم من سكان المناطق الأخرى بعدما اخذوا يعدلون من طرازها الموروثة حتى اهتدوا الى طراز أخر صارت مألوفة لديهم والتى تعتبر نتيجة لتجارب الكويتيين في البحار والتي تثبت صلاحيتها بالتجربة العملية لعبور المحيط الى الهند وحضرموت وشرق افريقيا ونظرا لعدم توفر الاخشاب والادوات اللازمة لبناء السفن في الكويت فقد عمدوا الى استيرادها من الهند وهم يقومون بصنعها بالسيلقة وكان الميناء مكتظ دائما بمئات من السفن ذات الصواري والاشرعة والمجاديف الواح ويجد الأخشاب والحبال والمراسى والاعمدة هنا وهناك والعمال يخيطون الاشرعة ويصلون الحبال بحيث اصبح ميناء الكويت يعج بالحياة والنشاط ففى كل مكان سفن من مختلف الاحجام وبحارة وربابنة ونجارون وفرقعة حدايد واغاني تتصاعد ودوي الطبول وتصفيق الايدي كلما طلى القسم من سفن بالكلس والشحم وطقطقة الرافعات الضخمة القديمة التى تسحب القوارب الى الساحل وصرير المناشير في جذوع الاشجار "الملابار" الضخمة اصوات لاتهدأ

طوال النهار الا عندما يؤدى فريضة الصلاة في اوقاتها المحددة بتسلم وخشوع . وتبنى السفن الجديدة على مسافة مأمونة من مياه البحر وذلك باقامة حاجز من الصخور المرجانية والطين يفصل مابين السفينة الجديدة ومياه البحر ثم لايلبث ان يهدم هذا الحاجز عندما يكتمل بناء السفينة وذلك في احتفال كبير تدشن فيه فتصبح هذه السفنية قادرة على القيام بمهمتها عقب تجهيزها وامدادها بالاشرعة والحبال والاسلاك وبعض المعدات الأخرى ، ويحتاج السفر الى عملية اعداد وتحضير اذ يصبح العاملين في السفر قبيل القيام برحلتهم المرتقبة مشغولين بتجهيز سفنهم بادخال الاصلاحات اللازمة عليها كما يقومون بتشحيمها وطلاء الاجزاء السفلى منها التى ستغيرها مياه البحر وغير ذلك مما اعتادوا القيام به قبيل البدء بالرحلة ويكون البحارة قد قاموا بشراء حاجياتهم وتدبير امورهم قبل الابحار الى البصرة حيث تحمل من هناك التمور والبضائع الأخرى ثم تبدأ رحلتها الطويلة وتأخذ سبيلها عبرمياه الخليج العربي ثم تنقسم الى قسمين الاول يتجه الى باكستان والهند في حين يتجه القسم الثاني الى ساحل حضرموت وعدن واليمن وشرق افريقيا وفي جميع الظروف تعود السفن قبل الصيف الى الكويت لكي يعمل بحارتها في عملية الغوص ، ويقسم العاملين بالسفينة الى ثلاث فئات وهم النواخذة والبحارة والركاب ، ومعظم النواخذة من ابناء العائلات الكويتية البحرية يتوارثون هذه المهنة الشاقة ابا عن جد فاذا ما اتم احد ابناء هذه العائلات تعليمه الديني وعرف ماتيسر من قواعد الكتابة والقراءة اللتين هو في حاجة ماسة اليهما لتسجيل حسابات السفينة فانه يرسل لركوب البحر وهو لايعمل بحارا لان هذا امتهان له ولايليق به وانما يرسل ليصبح ربانا ومن ثم يصحب عمه او اخاه الى ان يصبح قادرا على تسيير مركب خاص به والذي يتعلمه الصبي هو التفاصيل الدقيقة لكل ميل من الشاطيء ولكل تيار فضلا عن تعرفه على مواقع الرمال والصخور المخيفة وجميع التغيرات التى يأتي بها المد وعلى الرغم من ان النواخذة يعرفون النجوم فقلما يحتاجونها في ملاحتهم لان الربابنة الكويتيين لايكادون يبتعدون عن الشاطيء في ملاحتهم وعلى العكس من ذلك فانه يراقب القمر بعناية فاذا ما ابتعدت السفينة عن الارض اثناء ابحارها ادلى الحبل المعدني ورفع التراب والصدف من قاع البحر واستدل منها على موقعه ، واما الفئة الثانية فهم البحارة فتختار من مستوى اجتماعي يختلف تمام الاختلاف عن فئة النواخذة فالكثير من البحارة زنوج او خليط من الزنوج والاحرار ويقوم البحارة بجميع اعمال الحمل والرفع مادامت السفينة في الميناء فاذا ابحرت فانهم يشتغلون باصلاح الاشرعة وشد الصوارى ومراقبة عملية الابحار ومجال الترقي امام البحارة مسدود فلا مجال له بين "نواخذة" السفن وكل مايحدث له انه يبدأ عمله في هذه الحرفة وهو حديث عهد بها ثم لايلبث ان يصبح ذا خبرة واسعة قد تمكنه من

الوصول الى اقصى مايمكن ان يصبو اليه وهو ان يصبح ربانا لاحدى القوارب او السفن الساحلية في حين يقنع الآخرين بالحصول على قدر من المال يمكنهم من الزواج اما الفئة الثالثة وهم "الركاب" وكان من المتبع ان يصعد الركاب وينزلون في كل رحلة وكثير ما يأتي الركاب معهم بطعامهم حيث يعدونه بأنفسهم ويدفعون اجرةواحدة ايا كان مقصد سفرهم ومعظمهم ينامون ويعيشون على ظهر السفينة وبعد ان تصل السفينة الى الكويت بعد رحلتها التى تستمر حوالى ثمانية او تسعة اشهر او اقل حسب الجهة والبعد والمسافة ، يوزع حصيلتها بين طاقمها بنسب معينة متعارف عليها(٢١) .

٣ – صيد الاسماك

قام سكان الكويت بصيد للاسماك التى تشكل الغذاء الرئيسي لمعظم عائلاتهم ومن ثم هي من الحرف الرئيسية حيث يشتغلها ثلث السكان الذين يعملون بها معظم شهور السنة ويقسمون السنة الى ثلاثة مواسم الاول موسم "الخبط" في ثلاثة شهور السنة الاولى الى جانب "الهامور" والشعري" و "الحمام" و "الحمراء" و "الروبيان" ثانيا : موسم "الزبيدي" ويمتد طيلة ستة شهور اضافة الى "السردين" و "الروبيان" ثالثا : موسم "الهامور" و "النويبي" و "الشعرور" و "النقرور" و "السبيطي" و "البياح" و "الحمام" و "الحمراء" و "الميد" و "السردين" حيث تتكاثر خلال الشهور الثلاثة الاخير من السنة ، وكانوا يستعملون الشباك المصنوعة من "القطن" او الشص" لصيد الاسماك وهناك طريقتين لصيد الاسماك الاولى بالشباك وانواعها "اللينج" "عشاري" "صبور" "الطاروف" "الشرخ" "السالية" "القونة" والطريقة الثانية الصيد بالمصايد "كالحضرة" والقرقور" و "الحداق" .

٤ – الزراعة

تعتبر الزراعة مصدرا هاما من مصادر الانتاج الاقتصادي وتعاني الكويت من قصور في ظروف التربة وملاءمة المناخ وقلة المياه وبالتالي تتأثر الزراعة بتلك الظروف الطبيعية الصعبة ومن ثم تشكل الحياة النباتية في الكويت وفقا لتلك الظروف فتأتي على هيئة نباتات من النوع الصحراوي الذي يتحمل الجفاف وقلة المياه ونظرا للارتباط الكبير بين موسم المطر وموسم الدفء فان الاعشاب تنمو نموا سريعا في اواخر الفصل المطير فتزدان الصحراء بهذه النباتات العشبية وتتحول الى مراع في اواخر الشتاء وخلال الربيع ثم يلحقها الجفاف لعدم توفر المياه ما لم تتوافر الابار التى كانت تحفر احيانا بجوارها وكانت مشكلة هذه الابار ان مياهها تتحول تدريجيا الى ان تصبح شديدة الملوحة

بحيث لاتصلح للزراعة واحيانا تنضب مياهها فيلجأ الكويتيون الى حفر ابار اخرى بعيدة عن موقع البئر الذي ملحت او جفت مياهه وقد يلجا المزارع الى نقل مكان زراعته الى موقع آخر اذا ما ملحت الارض او انعدم توفر المياه الصالحة لريها وكانت الابار قليلة المياه بعيدة الغور وكانت وسيلتهم في حفرها هي امكانيات الحفر اليدوية المتوفرة بما تتضمنه من مشقة وخطورة او كثير ما كانت هذه الابار تنهار على القائمين بحفرها وتقضى عليهم وكانت الادوات المستعملة في الزراعة بدائية بسيطة نظر لصغر مساحات ما كانوا يقومون بزراعته واهم المزروعات كانت "القرع الاصفر" و "الطماطم" و "البطيخ" الجت أي "البرسيم" وغيرها ، وكان المزارعون الكويتيون يحترفون هذه الحرفة بقصد الربح واكتساب الرزق ولم تكن النواحي الجمالية بقصد الزينة اهدافا بحد ذاتها الا في احوال نادرة كزراعة بعض اشجار الظل والحدائق حول بعض البيوت[٢٢] .

٥ – الصناعة

لم يكن للصناعة في هذه الفترة اية اهمية بسبب طبيعة هذا المجتمع وظروفه بل كان المشتغل بالصناعة ساقط الاصل ولهذا يترفع ذات النسب عن تعاطي الصناعة ولم يكن هذا يعني ان الكويت خلت من أي نوع من الصناعة وانما العكس فقد قامت الصناعة وارتبطت بطبيعة الكويت ووجهتها البحرية نظراً لأعتمادها في معيشتها على اللؤلؤ وصيد الاسماك والسفر من اجل التجارة ولابد ان ترتبط الصناعة فيها بتلك الحرف ومن ثم عرف سكان الكويت صناعة السفن والقوارب وصناعة الشباك لصيد الاسماك بمختلف الانواع والاشكال الى جانب النجارة والحدادة والصباغة والحياكة كما قام الكويتيين بعمل السكاكين والمطارق وآلات الهدم والقدور والصحون والملاعق واباريق القهوة والمراجل الكبيرة والصغيرة ولم تكن تلك الصناعات تعتمد على اساس علمي او مهني لدى عمالها وانما كان العمل فيها مبنيا على اسس وقواعد اكتسبها العامل بالمران ومن ثم حملت في طياتها الكثير من النواقص الفنية والمهنية التي تجعل من الصعب معالجتها نظرا لأنها لاتكون اساسا للابداع[٢٣] .

٦ – التجارة

اعتمد الاقتصاد الكويتي على التجارة كمور رئيسي ولم يكن ذلك شيئا طارئا بل هو ضرورة اقتصادية فرضتها طبيعة المجتمع العربي في الكويت نفسه وطبيعةوضعه الجغرافي وامكانياته الطبيعية وهناك عدة عوامل تضافرت لازدياد الحركة التجارية في الكويت منها موقع الكويت الجغرافي اذ

جعلها هذا الموقع المطل على الخليج العربي صلة بين الصحراء في الداخل والبحر في الخارج فاتصلت الكويت بامارات المنطقة وبالعراق وايران ونجد ثم لم تلبث ان اتسعت تجارتها لتصل الى الهند وحضرموت واليمن وشرق افريقيا مما اهلها لاحتلال المكانة التي اكتسبتها في مجال التجارة عن جدارة واستحقاق اما العامل الثاني هو فقر البيئة المحلية الكويتية التي لم تكن مواردها الداخلية تتعدى بعض الاعشاب والنباتات التى تتبع نزول الامطار وتنتهي بعدها ومن ثم لم يكن هناك مناص للكويتيين من الاتجاه نحو البحر ليقتاتوا من رزقه ، والعامل الثالث هو وفود جماعات وهجرة جديدة على الكويت نتيجة لما كانت تتعرض له في مناطقها من بطش او ارهاب او على اثر غزو خارجي لم تجد امامه من مفر سوى الهجرة الى مناطق مجاورة اكثر استقرارا واهدأ حالا ولعل ابرزها تلك الهجرة التي قدمت من "البصرة" الى الكويت في الثلث الاخير من القرن الثامن عشر بسبب الاحتلال الايراني للبصرة فقد رافق هذا الحدث قيام نوع من الاحتكاك المباشر وغير المباشر بين سكان الكويت والبصرة التى كانت تحتل مكانة تجارية دولية في المنطقة وما لسكانها من خبرة كبيرة في هذا المجال اضافة الى انتقال مركز شركة الهند الشرقية البريطانية من البصرة الى الكويت وبالتالي انتقل معه مركز النقل التجاري اليها بحيث اصبحت السفن تؤم الكويت بدلا من البصرة مع ما كان يرافق هذا من احتكاك الكويتيين وتجار هذه السفن(٢٤) .

لم يكن نقل التجارة حكر على السفن البريطانية وانما ساهمت سفن عرب شرق الجزيرة العربية نقل البضائع من الهند الى المنطقة وكان حظ الكويت وفيرا ويقول بكنجهام عام ١٨١٦ بان السفن الكويتية التي تعمل في نقل التجارة عددها نحو مائة بين صغيرة وكبيرة ، ويقول بروكس في تقريره عام ١٨٢٩ : بان الكويت بلد هام نظرا لما امتاز به سكانها من حب للملاحة ولها تجارة عظيمة خاصة بها دون سواها ذلك انها تزويد المناطق البعيدة عن الساحل والتى تقع الى غربها "مثل بلاد نجد وجبل الشمر" بالحنطة والقهوة ومنتجات الهند وتمتلك الكويت خمسة عشر مركبا كبيرا من طراز البغلات والداوات مما تتراوح حمولتها ما بين اربعمائة طن الى مائة طن كما تمتلك عشرين بتيلا وبغلة تتراوح حمولة السفينة منها ما بين خمسين ومائة وعشرين طنا وتمتلك ايضا مائة وخمسين مركبا تجاريا تتراوح حمولة واحدها ما بين مائة وخمسين الى خمسة عشر طنا وتعمل هذه السفن الكويتية في مياه الخليج العربي والبحر الاحمر وسواحل الهند ، اما واردات الكويت فهي بضائع هندية مختلفة كالاقمشة والرز والسكر والخشب والبهارات والقطن كما تستورد الكويت القهوة وبعض المنتجات الزراعية من اليمن وكذلك الدخان والفواكه المجففة من ايران والحنطة والتمور من

البصرة وتستورد الاقمشة والتمر والسمك من البحرين ، اما صادرات الكويت فهي "السمن البلدي" "الخيول" التي يشترونها من القبائل نظير البضائع التي يوردونها اليها كذلك تتوفر في الكويت الماشية غير ان اثمانها باهظة اما قيمة الواردات الاجمالية فتبلغ حوالي خمسمائة الف ريال والصادرات تقل عن مائة الف ريال وتسهم الكويت في الغوص على اللؤلؤ في مياه الخليج العربي ، ويقول "ستوكويلز" بان السفنية "الناصرى" التى سافر عليها كانت تحمل البضائع والركاب حيث كانت الاجرة من بومباي الى البصرة مائة وخمسون روبية وانها حملت من مسقط الجلود والحصر وبان الكويت تتقاضى ٢٪ رسما جمركيا على جميع الواردات وذلك عام ١٨٣١ ، في حين اعد "فيلكس جونز" تقريرا عن الكويت عام ١٨٣٩ جاء فيه بان الكويت تستورد الفواكه كالبلح والحمضيات والرمان والبطيخ من البصرة كما ان الهند والبصرة تصدران الى الكويت الحنطة والشعير وتحصل الكويت على "الرز" من "منجالور" وعلى العدس من البصرة والماشية والدواجن من البدو النازلين باطراف المدينة وكانت اثمان الماشية تختلف انخافضا وارتفاعا حسب توفرها في حين تأتي القبائل الى الكويت للاتجار وتأتي معها بالخراف الذي يباع الواحد منها بريال وحين يندر الخروف يصل ثمنه ريالين للواحد وكانت الكويت تحصل على خشب الساج اللازم لبناء السفن من بومباي ، اما الكابتن "هنيل" المقيم السياسي البريطاني الذي زار الكويت وكتب تقريره عام ١٨٤١ يقول : ان لدى سكان الكويت احدى وثلاثون "بغلة" و "بتيلا" تتراوح حمولة الواحدة منها بين ١٥٠ - ٣٠٠ طن وهي تتاجر دوما مع الهند وهناك خمسون سفينة صغيرة تستخدم في التجارة الساحلية بالخليج العربي وحوالي ثلاثمائة وخمسون قاربا يعمل في صيد اللؤلؤ اما شيخ الكويت فكان لايحصل ضرائب او عوائد جمركية سوى ضريبة صغيرة على سلع البدو الذين يأتون الى مدينته اما ميناء الكويت حر لاقيود فيه ويكاد الداخل الذي يحققه الشيخ لايتجاوز ثلاثة الاف ريال[٢٥] .

كتب "كمبول" المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي تقرير عن تجارة الرقيق جاء فيها : ان السفن الناقلة للرقيق في مياه الخليج العربي خلال شهر اغسطس وسبتمبر واكتوبر من عام ١٨٤١ كانت ١١٧ سفينة ومن بينها ست سفن كويتية وكان المجموع لما حملته من الرقيق من الجنسين هو ١٢١٧ رقاً خص سفن الكويت منها ١٠٣ وكان هولاء الرقيق يرسلون الى الكويت والبصرة والمحمرة وكانت وجهة خمس من هذه السفن الكويت اما المائة والاثنا عشرة سفينة المتبقية فكانت وجهتها البصرة و "المحمرة" اما المصدر الرئيسي لتجارة الرقيق فكان بالطبع ميناء مسقط

حيث كان يؤتى بهم اليه من ساحل شرق افريقيا ومن بلاد الحبشة وان السفن التى كان ينقل فيها الرق من الخليج العربي ومن مسقط الى سواحل الهند كانت ملكا لتجار الخيول وتجار آخرين غيرهم من سكان البصرة والكويت والبحرين وبلدان صغيرة اخرى واقعة على سواحل الخليج العربي وكذلك تجار من بومباي وفي تقرير آخر كتبه "كمبول" بتاريخ ١٨٤٥/١/٦ يقول عن الكويت انها مدينة انموذج للنجاح التجاري وبعد ان قدر سكانها بنحو خمسة وعشرين الف نسمة احصى سفنها فذكر انها ٣١ "بغلة" و "بتيلا" تتراوح حمولة الواحدة منها بين ١٥٠ - ٣٠٠ طن ، وخمسون سفينة صغيرة تعمل في التجارة على سواحل الخليج العربي و ٣٥٠ قاربا تعمل في صيد اللؤلؤ وان ميناء الكويت حر لاتجمع فيه اية جمارك او مكوس وان شيخ الكويت يفرض ضريبة على البدو الذين يؤمون الكويت لشراء حاجياتهم ، وقدرها بسيط الا انها تدر عليه دخلا يقدر بثلاثة الاف ريال في السنة وفي تقرير آخر في ١٨٤٥/٢/١٧ يقول "كمبول" ان تعداد سكان الكويت بأثنين وعشرين الف نسمة وان مدخولها السنوي هو اثنان وعشرين الف كوروتة المانية بعضها يقدم كهبات والبعض يحصل من ضريبة قليلة تجمع عند مدخل المدينة على البضائع المنقولة الى القبائل المقيمة خارج المدينة او البضائع الداخلة الى الكويت نفسها ، وجاء في تقرير الكولونيل "بلي" المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي بتاريخ ١٨٦٣/٣/٣ عندما كان في "الجهرة" ورأى المكان الذي كانت تتجمع فيه الخيول العربية الاصيلة وذلك قبل ارسالها من "الجهرة" الى بومباي وحين بلغ "بلي" الكويت ذكر ان مراكب تتراوح حمولتها بين ٥٠ - ٦٠ طنا كانت تنقل البضائع من موانيء الخليج العربي الشمالية الى الكويت لتنقلها البغلات الكويتية الى بومباي وعلى نفس الشاكلة يجرى شحن البضائع من الهند في سفن كبيرة الى ميناء الكويت ثم تفرغ في سفن صغيرة تتولى توزيعها على مواني الخليج العربي الشمالية يستورد خشب الساج من الهند حيث يستخدم في صناعة السفن ومن الكويت يصدر عدد كبير جدا من افضل خيول العربية الى بومباى ، وفي تقرير لاحق آخر لتقريره السابق افاد "بلي" ان واردات الكويت من "ملبار" وبومباي تصل ٢٠٠,٠٠٠ روبية وذلك نظير استيراد اقمشة ورز وقهوة واخشاب وبهارات ، والكويت تصدر لمئمائة حصان عربي اصيل يبلغ متوسط لمن الحصان منها ثلثمائة روبية كما تصدر الكويت ما قيمته اربعون الف روبية من الاصواف وستون الف روبية من التمور واربعون الف روبية من بضائع اخرى متفرقة ، ويشحن من الخيول مباشرة من الكويت نحو ستمائة رأس اما الباقي وقدره مائتان فيشحن من البصرة ولتجار الخيول الكويتية وكلاء من قبائل "شمر" حيث معظم هذه الخيول تأتي من شمال الجزيرة العربية وخاصة من منطقة قبائل "الشمر" ، ويبدا هؤلاء الوكلاء في جلب خيولهم في شهري

يوليو واغسطس الى الكويت عن طريق البر من بادية العراق والشام و "الشمر" مفضلين ذلك على احضارها عن طريق البصرة خشية دفع الضرائب وغير ذلك من الامور التي تسبب لهم المضايقات والعنا[٢٦] .

يصف "بلي" البحارة الكويتيون بالسمعة الطيبة والمهارة ويذكر ان عددهم بلغ اربعة الاف بحار وترسل الكويت نحو ثلاثين مركبا الى بومباي ف العام الواحد معدل حمولتها مائة طن حاملة الفي سلة من التمور يبلغ ثمنها الف ريال فرنسي ومن هنا تكون جملة الصادرات من التمور ثلاثين الف ريال او ستين الف ريال ويأتي الكويتيون بالتمور من شط العرب واما علف الخيول فيأتي قسم منه من ميناء "الزبير" وتحصل الكويت على احتياجاتها من الاغنام والسمن العربي والحليب من البدو الذين ينزلون خارج اسوارها والكويت لاتتقاضى زكاة أو جمرك او عائدات من أحد اللهم الا اذا استثنينا بعض الهدايا التي تقدم عند بوابتها او ما يدفعه تجارها وحصيلة كل ذلك تصل الى نحو عشرين الف ريال فرنسي في السنة ، واثبت "بلي" جدولا خاصا بالكويت من ضمن جداول تجارة مدن الخليج العربي كما يلي :

بيــــــان	الكمية	القيمة (بالروبية)
قهوة من ساحل "ملبار	٤٠٠٠ من "تبريزي"	٨٠٠٠
فلفل اسود من ساحل "ملبار"	٥٠٠٠ من "تبريزي"	٦٢٥٠
قطع اقمشة قطنية	١٥٠٠ قطعة	١٨٠٠٠

اما الواردات عن طريق "بوشهر" الى الكويت فكانت كالآتي :

بيــــــان	الكمية	القيمة (بالروبية)
تنباك "دخان"	١٤٠٠٠ من "تبريزي"	٨٧٥٠
الغوة وهي مادة صباغة	٢٠٠٠ من "تبريزي"	١٢٥٠
الكراويا "نوع من البذور"	٣٠٠٠ من "تبريزي"	٧٥٠
جوز الاهلوك	٣٠٠٠ من "تبريزي"	٧٥٠

ذكر "بلي" في تقرير آخر عن تجارة الخيول من الكويت مع بيان اهمية ذلك كمصدر من مصادر التجارة الكويتية عند مروره "بالجهرة" من الكويت وهو في طريقه لزيارة الرياض في شهر فبراير عام ١٨٦٥ وان ازدهار تجارة الخيول في الكويت راجع الى الحروب الاستعمارية التي كانت تشنها بريطانيا ضد امبراطورية المغول الإسلامية في الهند حيث عن طريق هذه الخيول العربية كانوا يتوسعون في شمال الهند طوال القرن التاسع عشر حتى تمكنوا من السيطرة الكاملة على الهند بأستخدام الخيول العربية الاصيلة .

يذكر "بكنجهام" ان مجموع ما صدر من الخيول العربية من البصرة والكويت الى بومباي و "مدراس" و "كلكتا" في عام ١٨١٦ كان الفا وخمسمائة حصان ، اما ثمن الحصان فكان ٣٠٠ روبية واما تكاليف نقله وعلفه ورعايته حتى ايصاله الى نهاية الرحلة فكانت تصل الى مائتي روبية أي ان تجارة الخيل في السنة كانت ٧٥٠,٠٠٠ روبية أي ثلاثة ارباع المليون وكان يدفع على كل حصان في البصرة خمسين قرشا بمثابة هدية للمتسلم وكذلك كانت تلحق بالرأس مصاريف اخرى تصل في المجموع الكلي بالحصان الواحد الى ستمائة روبية أي ان التجارة السنوية كانت تصل ٩٠٠,٠٠٠ روبية او قرابة المليون روبية ، اما اسعار بيع الجياد فكانت تصل في بومباي ثمانمائة روبية وكان صافي الربح في الحصان الواحد مائة روبية اما الخيول التي كانت تباع في "البنغال" فكانت هي "المنتقاة" وثمن الجواد هناك الف روبية واذا اضفنا الى ذلك المصروفات تصل تكاليف الحصان الواحد في البنغال الى الف وخمسمائة روبية اما متوسط ثمن البيع فكان الفان روبية او مائتان جنية استرليني . ويصف بكنجهام السفن المخصصة لنقل الجياد ويقول ان "البغلات" هي التي كانت تستخدم في نقل الجياد من الكويت الى الموانيء الهندية وكان معدل حمولة البغلة هو ثمانين جواد تزداد احيانا حتى تصل الى المائة ، ويتضح من تلك التقارير بان السياسة الاقتصادية التى كان قد درج عليها حكام الكويت لم تتغير في هذه الفترة وخاصة في حرية التجارة وان نصيب الكويت من نقل التجارة في الخليج العربي والموانيء الهندية بقي كبيراً في القرن التاسع عشر واستمرت الكويت من اكبر موانى المنطقة في تعداد السفن الكبيرة من "بغلات" و "بتاتيل" فقد كان لدى البحرين عشرون سفينة كبيرة في حين كانت الكويت احدى وثلاثون سفينة من هذا الطراز وكانت هذه السفن القادرة على المتاجرة مع المناطق البعيدة مثل الهند وحضرموت واليمن وشرق افريقيا كما كانت للكويت حوالي خمسون سفينة من النوع المتوسط في حين كان للبحرين نحو مائة منها وكانت هذه السفن تعمل محليا في مياه الخليج العربي ، وان الكويت ساهمت بنسبة كبيرة في

تجارة الخيول مع الهند مما شكلت مدخلا كبيرا على العاملين فيها وبذلك استمرت العلاقات التجارية قوية بين الكويت وموانى الخليج العربي والهند وحضرموت واليمن وشرق افريقيا وان هذا النجاح في الملاحة البحرية هو الذي جنب الكويت المخاطر التى ترتبت على وجود الجيوش المصرية في شرق الجزيرة العربية ذلك ان السفن الكبيرة والكثيرة لدى الكويت سهل لها نقل ما كان لقوات المصرية بحاجة اليها في الاحساء جنوبا وكذلك سهل لها اسطولها نقل الغلال من البصرة الى ذلك الجيش الضخم حين كانت حاجته ماسة الى ذلك ويمكن القول بان تجارة الكويت استمرت تتقدم باطراد في خلال القرن التاسع عشر بسبب السياسة المتزنة والحكيمة التي اتبعها حكام الكويت بعدم الضغط على الشعب وعدم التدخل في شؤون التجار او التجارة مما قد يشكل عوائق في تقدمها وتطورها مما كان له اثر كبير في الاطمئنان والاستقرار السياسي ويكفى الدلالة على الازدهار التجارى ذلك الحجم الكبير في الاسطول الكويتي الذي شارك في الحملة العثمانية على الاحساء عام ١٨٧١[٢٧] . ولعل الجدول التالي المأخوذ عن تقرير متعلق بتجارة بومباي عام ١٨٣٦ - ١٨٣٧ يبين اهمية وحجم التجارة في المنطقة :

تجارة بومباي الواردات بالروبية الهندية ١٨٣٦ - ١٨٣٧

البلد	بضائع	عملة وكنوز	خيول	مجمل الواردات
بريطانيا	١٣,٢٤١,٩١٠	—	—	١٣,٢٤١,٩١٠
الصين	٤,٠٠٥,٦٦٩	١٠,٠٧٤,٢٨٣	—	١٤,٠٧٩,٩٥٢
الخليج العربي	١,١٠٢,٨٩٧	٢,٠١٠,٨٩٢	٤٤٥,٨٠٠	٣,٥٥٩,٥٨٩
كلكتا	٢,٥٣٨,١٠١	—	—	٢,٥٣٨,١٠١
سيلان	٥٥,٣٤٠	٥٣,٠٠٠	—	١٠٨,٣٤٠
ملبار	٧,٥٨٠,٦٧٣	—	—	٧,٥٨٠,٦٧٣
كتش	١,٤٩٩,٥٩٠	٥٥٠	٧٢,٥٠٠	١,٥٧٢,٦٤٠

تجارة بومباي – الصادرات بالروبيات

البلد	بضائع	عملة وكنوز	خيول	مجمل الواردات
بريطانيا	١٣,٥٢٩,٣١٧	—	—	١٣,٥٢٩,٣١٧
الصين	٣٢,٦٦٦,٢٤٧	٨,٨٠٠	—	٣٢,٦٧٥,٠٤٧
الخليج العربي	٣,٤٥٧,٣٤١	٤٢,٩٠٠	—	٣,٥٠٠,٢٤١
كلكتا	٨٧٦,٨٨٤	١٠,٢٠٠	٢٤٩,٩٠٠	١,١٣٦,٩٨٤
سيلان	٣٧,٨١٨	٤٨,٦٥٨	١٥,٠٠٠	١٠١,٧٤٦
مليبار	٩١١,٥٤٧	١,١١١,٥٨١	٢٩٥,٤٠٠	٢,٣١٨,٥٢٨
كتش	٢,٣٢٧,٣٤٧	٢٠٠	—	٢,٣٢٩,٣٤٧

رابعا : الحياة التعليمية

أثر الموقع الجغرافي للكويت في حركة التعليم اذ كان لنشأتها في اقصى الشمال الشرقي من الجزيرة العربية على ساحل الخليج العربي ولوقوعها في ممر للقوافل بين العراق والجزيرة العربية ان تحدد لسكان الكويت طريقة معيشتهم فسلكوا البحر متخذين منه موردا لرزقهم فعملوا في التجارة واشتغلوا بالغوص مما يسر لهم ذلك السفر والتنقل الى البلدان والمناطق المختلفة والاطلاع على الوان الحياة الثقافية فيها وعلى ذلك شعر الكويتيون بحاجتهم الى العلم بحافز من الحاجة ودافع من الرغبة ، ولقد وجد التعليم سبيله الى الكويت عن طريقين وهما **اولا – المساجد** : حيث اتخذت مساجد الكويت كحلقات للوعظ والاحاديث التي كان يعقدها علماء الدين الذين كانوا يؤمون الكويت من العراق ومن الاحساء واغلبهم يتكسب بما لديه من معرفة في الفقة او الحديث او في بعض الاحيان الشعر والادب القديم ، **ثانيا – الكتاتيب** : قيام فئة تولت تعليم الناشئة تلاوة القرآن والكتابة والحساب في الكتاتيب والبيوت وان كان هذا النمط من التعليم قد انحصر في افراد قليلين تعلموه خلال اسفارهم الى الاحساء او العراق او من ضيف نزل بساحة احدهم او بالنقل عن مكتوب حفظت عبارته ، ولعب الكتاب خلال هذه الحقبة دورا رئيسيا في هذا المجال اذ كان اداة تعليم النشيء مبادىء القراة والكتابة والحساب وقراءة القرآن وكان يقوم بدور "المعلم" او "المطوع"

في هذه الكتاتيب بعض افراد الاسر الكويتية التي توارثت امر التعليم ابا عن جد ، وكان التنافس فيه بين الكتاتيب شديدا اذ كان كل كتاب يحاول ان يلفت نظر المجتمع اليه حتى يكتسب اكبر سمعة وليستولى على اكبر عدد من التلاميذ وكانت وسيلة الدعاية ولفت النظر المبارة في حسن الخط وكانت تتم بأن يذهب المتبارون في الخط الى طائفة من التجار في محلاتهم لعرض خطوطهم عليهم والتجار هم الحكم الفاصل في ذلك ويتضح من عملية عرض الخطوط على التجار وتحكيمهم يرمز الى تأكيد الصلة بين التجارة والتعليم في الكويت وكانت هناك كتاتيب اهلية تعمل طوال العام وأخرى تعمل بعض العام نظرا لان اصحابها يضطرون لأغلاقها للذهاب للغوص او السفر ومن ثم لايجد الصبية من سبيل سوى الذهاب الى اقرب كتاب آخر وقد يحدث ان يقوم بعض كبار التجار بفتح كتاتيب من اموالهم الخاصة لتعليم ابنائهم وابناء الفقراء ورغم ان هذه الكتاتيب كانت افضل مستوى من تلك الكتاتيب الاخرى الا انها لم تعمر كثيرا نظرا لاعتمادها على التبرع الفردي غير الدائم او غير المستمر ، وكان المعلم او المطوع وهو محور هذه العملية التعليمية لايحسن بعضهم التجويد ولارسم الخط ولايميز بين القاف والغين وكان على من يريد ادخال ولده عند "المطوع" ان يجهزه باللوح يكتب عليه المعلم حروف الهجاء بالحبر الاسود فاذا حفظها الولد غسل اللوح وطين ثانية ليكتب عليه الدرس الثاني وهو عادة حروف الهجاء مُشَكلة ، فاذا عرفها كتبت له هذه الجملة "رب يسر ولاتعسر. رب تمم علينا بالخير" تكتب مشكلة ليقرأها ويكتبها فاذا ما حفظ الصبي هذا كله اعطى له جزء عم فيبدأ قراءة الفاتحة بالتهجي فاذا حفظها تهجيا قرأها سردا وهكذا حتى يكمل جزء عم وبعدها تقوى ملكة الصبي على القراءة سردا فيترك الهجي وقل من يستطيع قراءة الدرس الجديد بدون مساعدة المطوع وطريقتهم في ذلك ان يتلو المعلم الآية كلمة كلمة ويعيدها الصبي عليه كلمة كلمة كما تلاها المعلم ان صحيحة ام لا وكلاهما يهز رأسه ولابد في اثناء ذلك من خفقة أو خفقتين بالعصا ترهيبا واعداد للدرس الجديد فاذا ختم القرآن اعاد تلاوته كما بدأها من آخره الى اوله فاذا اراد ولي امره بعد ذلك ان يكمل ولده ويكتب لزمته الدواة والقلم فاذا حسن خطه او كاد سمح له بالخط على الورق وعندها يصبح كاتبا(٢٨) .

يعتمد "المطوع" في رزقه على عدة رسوم يدفعها له الصبية في مناسبات متعددة :

- "كالنخالة" وهي رسم يتقدم به والد الصبي منذ الحاق ولده بكتاب المطوع وتتناسب ومقدرة المعطي .
- "الخميسية" وتدفع صباح كل خميس اما عينا او نقدا .

- "النافلة" وهي بمثابة صدقة يدفعها الصبي الى المطوع في المناسبات الدينية كيوم مولد النبي الكريم ، والاسراء والمعراج ...الخ .
- "العيدية" وتقدم صباح العيد او في اسبوعه .
- "الفطرة" وهي صدقة الفطر وقد جرت العادة على تقديمها عينا من حنطة او تمر او ارز .
- "الجزء" وهي عبارة عن مجموعة رسوم يقدمها الصبي الى المطوع خلال فترة بقائه في الكتاب وقد جرت العادة على تقسيم القرآن وفق اصطلاحهم الى ثلاثة عشر جزءا غير اجزائه الثلاثين وكلما انتهى الصبي من حفظ جزء من هذه الاجزاء وجب عليه تقديم مبلغ الى المطوع نقدا ولابد ان تكون الهدية التالية خيرا من سابقتها .
- "الختمة" وتقدم عند ختم القرآن وتتراوح ما بين عشرين ومائة روبية وفق اتفاق سابق على ذلك واذا كان والد الصبي موسرا اصحب "الختمة" بكسوة اما من يدخل ولده "قطوعة" أي بأجر محدد على ختم القرآن فهذا لايدفع "لخالة" ولا "خميسية" ولا "جزء" بل يكون الدفع عند "الختمة" الا اذا كان قد اتفق على مقدم ومؤخر او اقساط .

جرت العادة ان يدفع الصبية الفقراء رسم "الختمة" مما يستجدونه بقراءة التحميدة ويستمطرون بها احسان ذوي الاحسان وكل ما يتجمع لدى الصبي من هذا الطواف يدفعه للمطوع وقد يرسل المطوع معه من يراقب طوافه ويحاسبه على كل ما حصله ، وكان من حق المطوع استخدام صبيته في شؤون منزله الخاصة كما كان له حق انزال الوان العقاب بمن يريد وكيفما يريد ، وكثيرا ما كان يرسل الصبية الى منزل في الحي لكي يقرأوا اجزاء من القرآن على مريض فيه حتى يتمم الله له الشفاء وربما ذهب المطوع نفسه معهم لمشاركتهم في قراءة القرآن وفيما قد يقدم لهم من شراب وطعام ثم يستولي دونهم على ما يقدمه اهل المريض من مال ، اما وسائل العقاب لدى المطوع متعددة وهي الى حد كبير على نحو ما كان سائدا في الكتاتيب في لاقطار العربية الأخرى ، فأداة المطوع عند انزال العقاب بتلاميذه هي "المطرق" "الجحيشة" الصنقل" واستخدامها يتم بمقدار ما اقترفه الصبي من خطأ او ذنب وقد يحدث ان تستخدم بطريقة فيها الكثير من القسوة والبطش حتى يبدو المطوع في نظر آباء الصبية واولياء امورهم بمظهر الحازم القوى والأمين الذي لايغفل عن اداء الواجب ولذا كثيرا ما كان يظهر المطوع امام تلاميذه بكل ما يستطيع اظهاره من غطرسة وعبوس ومن ثم كان طبيعيا ان تتولد لدى الصبية كراهية "للمطوع" و "كتابة" وما يترتب على ذلك من

نتائج وآثار فكم منهم جن او اغمى عليه او بال في ثيابه او القى نفسه من السطح فرار من غضب المطوع وبطشه اما من ارغمه اولياء امرهم على المثابرة وتحمل الام التعليم فقد قاسوا الكثير من موت ارادتهم وضعف نفوسهم واضطراب تفكيرهم واما من حرموا التعليم وقاسوا مرارة الامية كبارا فانهم يذكرون باللعنة ذلك "المطوع" وسوء معاملته ولن ينسوا مهما بلغت بهم السن ما كان بينهم وبينه من بغض وخوف اما الذين يوفقون الى ختم القرآن فقد جرت العادة على الاحتفال بهم وذلك في موكب يجوب بيوت المدينة يرتل فيه الصبية ابياتا في مدح الرسول ومدح العلم وقيمته ويكون ذلك بمثابة خير دعاية للكتاب الذي ختم فيه الصبي القرآن ، ولم يكن التعليم قاصرا على البنين فللبنات ايضا كتاتيبهن ولبعض "المطوعات" من كبيرات السن كتاب للأطفال من الجنسين على انه يلاحظ ان التعليم في كتاب البنات اقتصرت مهمته على تلاوة وحفظ القرآن نظرا للاعتقاد السائد في تلك الفترة بعدم حاجة المرأة للقراءة والكتابة قدر حاجتها الى الرقص والغناء المحليين ، وقد يرجع تأخر ظهور التعليم الحديث في الكويت او عدم تحول الكتاتيب الى مدارس حديثة لعدة اعتبارات يمكن اجمالها على النحو التالي[٢٩] :

١ - اجهزة التعليم الحديث لم تكن للتوافر وقتذاك فلم تكن هناك اجهزة ترسم لتلك المدارس نظمها ومناهجها كما لم تكن هناك الموارد المالية الدائمة والثابتة لكي تضمن لها البقاء والاستمرار .

٢ - وضع المجتمع العربي الكويتي في هذه الفترة لم تكن حاجته ماسة لدى افراده لقيام تعليم حديث نظرا لانهماكهم في تحصيل لقمة العيش ومن ثم كان تفضيل الآباء اخراج ابنائهم من الكتاتيب واصطحابهم معهم للعمل في الغوص والسفر على ابقائهم في الكتاتيب .

٣ - حالة المجتمع العربي في الكويت في هذه الفترة التى اتسم بالبساطة والرتابة وعدم تعقيد الحياة فيه ومن ثم لم يكن في حاجة الى خريجي هذا التعليم الحديث قدر حاجته الى العاملين في الغوص والسفر .

خامسا : نظام الحكم في الكويت من اول حاكم حتى مبارك الصباح ١٧١٨ - ١٨٩٦

(١) اختيار الحاكم

لم تكن هنالك اهمية للحكم في الكويت اول تأسيسه لان ال الصباح ومن نزحوا معهم الى الكويت لم يروا حاجة ضرورية لتنظيم حكومة تدير شؤونهم وتحكم في قضاياهم نظرا لقلة عددهم وندرة خلافاتهم وان حدث بينهم من خلاف احتكموا في ذلك الى حكم يصالحهم او يفصل بينهم في موضوعه ورايه هو الحكم النهائي البت والواجب التنفيذ ، فنظام البت في الخلاف ان حدث وقلما يحدث هو نظام تصالح وتحكيم ولما تكاثر المهاجرون الى الكويت وتصاعد عدد سكانها ادرك الكويتيون وجوب اتخاذ الحيطة والحذر محافظة على انفسهم وحماية وتصاعد عدد سكانها ادرك الكويتيون وجوب اتخاذ الحيطة والحذر محافظة على انفسهم وحماية لوطنهم من الغزو الخارجي فرأوا ضرورة حصر تلك المهمة في حاكم ينظر في امورهم ويصرف شؤون مدينتهم وينظم علاقاتهم وترفع اليه المشاكل والخلافات الداخلية فاختاروا صباح بن جابر بن سليمان رئيس لأسرة الصباح لتقليد هذا المنصب .

يقول ابو حاكمة : "انه لم يكن لصباح شهرة كبيرة قبيل تسلمه شوون المدينة فوالده جابر مثلا لم يرد له ذكر في الروايات المعاصرة" ويقول انه ادى ضعف الدفاع عن المدينة الى تخويل شيخها صباح سلطات واسعة وان صباح قد اختير من اسرة الخليفة والجلاهمة للنظر في شوون المدينة وسكانها وعلى هذا فان حكمه لم يكن مطلقا بالقدر الذي كنا نتوقعه من شيخ عربي يحكم مدينة او قبيلة ومرد هذا يرجع الى ان قبائل الكويت منذ نزولها كانوا تجار مستقرين ولم يكونوا بدوا متنقلين وكانوا قد مروا بعهد التنقل والبداوة وهم في طريق رحلتهم الى قطر في ابان القرن السابع عشر ولذا وجدنا انه على الرغم من ان سلطة شيوخ العرب في تلك الفترة من تاريخ الجزيرة العربية كانت مطلقة فان سلطة شيخ الكويت لم تكن كذلك فهو يستشير قومه في كل ما يخص بلدته لاسيما امورها التجارية ولعلنا نجد في لجوء الكثير من تجار البصرة الى الكويت حين هاجم الايرانيون البصرة عام ١٧٧٥ بقصد ممارسة نشاطهم التجارى فيها مايعزز ما ذهبنا اليه من المركز الممتاز الذي كان يتبواه تجار الكويت في مجتمعها"(٣٠) .

يذكر سيف مرزوق الشملان : ان سبب اختيار الكويتيين لصباح بالذات هوا نه كانت لوالده الزعامة على قومه منذ ان كانوا في نجد وهذا من ناحية اما من ناحية اخرى فيرجع الى ان اقامته كانت مستديمة في الكويت او في انحائها على خلاف باقي وجهاء القوم الذين تضطرهم اعمالهم كالملاحة وصيد الاسماك واستخراج اللؤلؤ ان يتغيبوا عن الكويت معظم ايام السنة . ثم يقول سيف[٣١] :

لم يتميز صباح الاول ولا الحكام الذين جاؤوا من بعده الى الحاكم السابع الشيخ مبارك الصباح الذي تولى الحكم عام ١٨٩٦ عن اهل الكويت تقريبا في شيء بل كانوا اشبه شيء بأمير عشيرة لافارق بينه وبين افراد عشيرته وكانت سلطة الحاكم في نطاق محدود وكان يوجد من الزعماء الكويتيون من سلطتهم تفوق سلطة الحاكم نفسه ، وكان الكويتيون يساعدون الحاكم ماديا اذ كان فيهم من الاغنياء والتجار من هم اغنى من الحاكم كثيرا كذلك ربابنة السفن كانوا من تلقاء انفسهم يعطون الحاكم شيئا معينا او كل قدر استطاعته ثم بعد ذلك تطور الامر بموافقتهم على وضع ضريبة جمركية قدرها نحو ٢٪ .

لايمكن ان تقاس عملية اختيار الحاكم في هذه الفترة على عملية الانتخاب بقواعدها الواضحة المنظمة فيما بعد ، وانه نشأت واستقرت في التاريخ السياسي الكويتي تقاليد يتم بمقتضاها عملية اختيار الحاكم بمرحلتين اساسيتين وهما الترشيح والمبايعة ، وان الشرط الاساسي الذي يجب توافره في ترشيح الحاكم هو شرط نسب ذلك ان ولاية مسند الحكم منحصرة في اسرة الصباح وعلى ذلك فشرط ان يكون من يتولى عند الحكم او من يكون مرشحا لشغل هذا المركز من ذرية آل الصباح هو شرط اساسي غير ان ولاية العهد لاتنتقل بالضرورة من أب الى ابن بل من ارشد الى ارشد دون ان تتعدى محيط العائلة فالشرط الوحيد الضروري والكافي هو ان يكون المرشح من عائلة الصباح ، وهذه القاعدة كانت مطبقة حتى عهد الحاكم السابع مبارك الصباح الذي حصر تولي حكم الامارة في ذريته ، وقد جرت العادة ان يجتمع آل الصباح بعد وفاة الحاكم على شكل مجلس عائلة يضم الذكور العاقلين الراشدين منهم ويرشحون خلفا له وهذه الطريقة لها ميزة امكانية استبعاد الضعفاء والقصر الا انها تترك الباب مفتوحا للمنافسة بين الاقوياء من افراد العائلة الحاكمة لذلك فإن وفاة الحاكم غالبا ما كانت تتبعها فترة انتظار وترقب ثم تأتي بعدها مبايعة وجهاء الكويت للمرشح فطبقا للأعراف القبلية العربية وعملا بقاعدة عشائرية مطبقة منذ اختيار الكويتيين صباح الاول على رأس الامارة جرى العمل على انه بعد ترشيح عائلة الصباح للحاكم يأتي باقي

الشيوخ ووجهاء الكويت في اليوم التالي لاعطائه البيعة وذلك بعد ان يشترطوا عليه اقامة العدل والمساواة فيما بينهم ومشاورتهم في الرأي وعدم الاستبداد فيه وان يدير شوون الكويت طبقا للقواعد المستقرة فيعاهدهم على ذلك مشترطا عليهم بدوره الولاء له وتنفيذ احكامه ، وهكذا فإن اختيار الحاكم لايمكن ان يكون تاما الا بمبايعة وجهاء الكويت له وباقرارهم اختياره اما صراحة او ضمنا فهو يستمد مركزه من هذه المبايعة لابمجرد ترشيحه ومن هنا يمكننا القول بان التكليف القانوني لعملية انتخاب الحاكم عبارة عن عقد بينه وبين وجهاء القوم واذا صح هذا التكييف ترتبت عليه النتائج الآتية[٣٢] :

١ - ضرورة سلامة الرضاء من طرفي العقد : سلامة رضاء المرشح لشغل هذا المنصب وكذلك سلامة رضاء الناخبين وهم هنا وجهاء الكويت فاكراه أي من طرفي العقد يبطل المبايعة .

٢ - اذا كان اختيار الحاكم عقدا فانه يرتب التزامات في مواجهة طرفيه الحاكم ووجهاء الكويت :

أ - اما التزامات الحاكم فهى اقامة العدل والمساواة بين قومه ومراعاة القواعد الملزمة التي استقرت الجماعة عليها ومن اهلها مشاروتهم في الرأي وعدم الاستبداد فيه .

ب - اما عن التزامات وجهاء القوم فهي الولاء والطاعة وقبول تنفيذ ما يحكم به .

٣ - ان وجهاء القوم لايستطيعون نقض المبايعة من جانبهم مادام الحاكم يقوم بتنفيذ كل التزاماته وواجباته التى عاهدهم على القيام بها ولهم من الناحية الأخرى سحب السلطة منه اذا عجز عن القيام بتلك الواجبات او اذا اساء استعمال السلطة المخولة له الا ان تاريخ الكويت لم يعطنا أي مثال على ذلك . وانه منذ ان تولى الشيخ جابر المبارك الحكم عام ١٩١٥ والى ان تولى الحكم الشيخ عبدالله السالم عام ١٩٥٠ كانت بريطانيا تعبر دائما عن اعترافها بالشيخ الجديد عن طريق احتفال رسمي يقيمه الوكيل السياسي البريطاني في الكويت والمقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي وتحاول ايضا تأكيد حمايتها له .

منذ اختيار صباح الاول كحاكم الكويت وحتى الوقت الحاضر تولى منذ الامارة ثلاثة عشرة حاكما كلهم من عائلة الصباح كما سبق القول وهنا قد يثور السؤال الآتي ، لماذا ظلت السلطة بين يدي عائلة الصباح دون سواها ؟ من الناحية القانونية لايمكن ان يوجد الا جوابا واحدا قد يكون قريبا من الصحة ومفاده : ان استمرار قبول الكويتيين ان تكون ولاية مسند الامارة منحصرة في عائلة الصباح قد كون قاعدة دستورية عرفية ومقتضاها ان تنتقل السلطة بصورة طبيعية من

سلف الى خلف دون ان تتعدى محيط عائلة الصباح فلقد تعارف الكويتيون على هذه القاعدة وترسبت في روح الجماعة فهي بمثابة العرف الدائم المستقر الذي له معنى النص ، ولقد اصبحت هذه القاعدة في وقتنا الحاضر قاعدة دستورية مكتوبة حيث نصت عليها المادة الرابعة من دستور الكويت الحالي الصادر عام ١٩٦٢ والتي تقضي بأن : "الكويت امارة وراثية في ذرية المغفور له مبارك الصباح" وهذه المادة لايجوز تنقيحها طبقا لنص المادة (١٧٥) من الدستور ونخلص من كل ما تقدم ان اختيار الحاكم يتم عن طريق نظام مختلط يقوم على المزج بين عنصرين[٣٣] :

١ - عنصر اتوقراطي وهو حصر تقلد مسند الامارة في عائلة حاكمة تقوم بترشيح الحاكم من بين افرادها .

٢ - الثاني شبه ديمقراطي او عنصر "اوليجارشي وهو ان الحاكم لايتم تقلده لمسند الامارة الا بعد مصادقة وجهاء الكويت واعيانها على ترشيحه وذلك عن طريق مبايعة وجهاء الكويت واعيانها للحاكم على الطريقة العشائرية وهذا مايقرب عملية اختيار الحاكم مما يطلق عليه اليوم بالاقتراع التصديقي او بالتصديق وهو صورة من صور الحكومة المختلطة بالتداخل .

(٢) سلطات الحاكم والقيود التي ترد عليها

سلطات حكام الكويت كانت قوية ومتينة غير ان الطبيعة التجارية التي تميزت بها حياة الكويت جعلت تلك السلطات القبلية ملطفة ولاتمتاز بنوع الدكتاتورية التي كان ينفرد بها شيوخ القبائل العربية انذاك ونعرض فيما يلي في فرعين لسلطات الحاكم ثم القيود التى ترد عليها .

(٣) سلطات الحاكم

تقوم العلاقات بين افراد المجتمع الكويتي الذي كان بسيطا على اساس من الثقة والتعاون والتضامن والتكافل في الازمات وكان الكويت تسوده اوضاع اقتصادية تقليدية تعتمد اساسا على البحر كالغوص لصيد اللؤلؤ وصيد الاسماك والنقل البحري وان كان هناك نشاط اقتصادي آخر يرتبط بالبر وهو الرعي الذي يقوم به اهل البادية الذين كانوا يقدمون في مواسم معينة الى مدينة الكويت لبيع منتجات اغنامهم وكانت اسرة الصباح في هذه الفترة تحكم مجتمعا قبليا لم تعقده مقتضيات المدينة الحديثة تسلم الحياة فيه مسلكا طبيعيا بلا طقوس ولا روتين ويعيش سكانه على التجارة والصيد ويرتبطون بمصالح اقتصادية واجتماعية مشتركة وتسودهم مجموعة من التقاليد والقيم الاجتماعية وكان الحكم يسير على نمط بسيط ، عائلة الصباح تحكم ووجهاء القوم

يستشارون ، كما ان حاكم الكويت لم يكن رئيسا دينيا برغم انه على رأس امارة إسلامية الا انه ليس برئيس لمذهب ديني رسمي للامارة وذلك على خلاف ما كان عليه الحال بالنسبة للامامة اليعربية في عمان ذات المذهب الخوارج الاباضية او الامامة الزيدية في اليمن ذات المذهب الشيعي الزيدي ، حيث يكون للامام الى جانب سلطته الحكومية والسياسية والادارية ، سلطة روحية كاملة تجعل منه رئيسا ومرشدا دينيا فليس ثمة وجود لمثل تلك الحالة في الكويت حيث لم يكن لحاكمها الا سلطة دنيوية سياسية . وان حاكم الكويت اثناء هذه الفترة ما كان يملك سلطة تشريعية ذلك ان القانون المطبق خلالها هو العرف في حين كانت الشريعة الإسلامية مطبقة في مجال الاحوال الشخصية فقط ، اما العرف وهو من صنع الجماعة وليس من صنع الحاكم وحده ، فالحاكم لايملك اذن سلطة تشريعية ولكنه يملك السلطة التنفيذية التي تندمج فيها السلطة القضائية وتستقران في يده فنظام الحكم اثناء هذه الفترة لايعرف مبدأ الفصل بين السلطات وكانت امور الادارة اثناء هذه الفترة مبسطة ليس فيها أي تعقيد وهي اقرب الى حالة بدائية فالحاكم هو الشخص الوحيد الذي ترفع اليه الشكاوى ويعتمد عليه في ضمان العدالة وهو الذي يفصل في الخلافات والقضايا الكبيرة اما القضايا الصغيرة فقد كان يوكل بها الى شيخ عائلته ويدعى شيخ السوق للنظر فيها وعلى الأخص فيما يتعلق منها بالبدو ووظيفة شيخ السوق تشبه الى حد كبير وظيفة مدير الشرطة ، وقد يستعصى على الحاكم امر يتعلق بقضية ما فيحيلها ان كانت شرعية الى قاضي بعينه وغالبا ما يكون من علماء الدين الذين كانوا موجودين في الكويت منذ تأسيسها وما يحكم به ذلك القاضي ينفذ ، وقد يحيلها ان كانت متعلقة بمهنة من المهن الى لجنة من ذوي الخبرة فيها ويسمون "اهل الصنف" وما تقره اللجنة هو الحكم البات في الموضوع(٣٤) .

(٤) القضاء

تصريف شؤون القضاء فقد كان من الطبيعي ان يمارس شيخ الكويت السلطات التي يمارسها معاصروه لشؤون الحكم من شيوخ القبائل في الجزيرة العربية ، فقد كان الشيخ ينظر في تطبيق العدالة بين جماعته والشيء الطبيعي في مثل هذه الحالة ان يسترشد الحاكم بالقرآن والسنة والعرف غير ان ما جاء في كتاب الرشيد والقناعي عن تاريخ الكويت تظهر بجلاء ان الاحكام المرعية في الكويت في هذه الفترة لم تسر مطابقة لاحكام الشريعة الإسلامية بقدر ما كانت مطابقة للسلف وليس هذا الامر بغريب على بيئة الكويت التي لم تزد على ان كانت جزءا من بيئة شرق ووسط الجزيرة العربية حيث سادت شريعة السلف او العادة السارية ، غير ان هذا لايمنع وجود قاضي في

الكويت منذ تأسيسها فالعلماء كانوا موفوري العدد في الاحساء منذ القرن الخامس عشر حتى التاسع عشر وابن سند في كتابه "سبائك العسجد" يترجم لنيف واربعين من هؤلاء ومن المترجمين جماعة من معاصريه وقد كان اثر هؤلاء العلماء على معاصريهم كبيرا و لم تخل منهم مدينة من مدن الاحساء[٣٥] .

يذكر ابن سند في كتابه "سبائك العسجد" وبين من ترجم لهم من العلماء الشيخ محمد بن فيروز ونجله عبدالوهاب بن محمد فيروز كما يذكروه المورخون الكويتيون على انه اول من تولى شؤون القضاء بالكويت ويورخ القناعي والرشيد وفاته بعام ١٧٢٢ ويتفق المورخان على ان ابن فيروز هذا كان القاضي في عهد صباح ، اما ابن سند المعاصر للشيخ محمد بن فيروز فقد حدد سنة ولادته بعام ١٧٣٣ وفاته بعام ١٨٠١ ويضيف ابن سند ان ابن فيروز قد ولد في هجر في الاحساء وانه دفن في مدينة "الزبير" الواقعة بين الكويت والبصرة [illegible] ن ابن سند المعاصر له اقرب الى الصحة في مادون عن تاريخ وفاة ابن فيروز ، الذي كان اول قاضي في الكويت وانه قام بهذه الوظيفة في عهد الشيخ صباح وفيما يلي قائمة بأسماء لقضاء الكويت[٣٧] :

(١) محمد بن فيروز (٢) محمد عبدالرحمن العدساني ١٧٥٦ - ١٧٦٥ (٣) محمد بن محمد العدساني ١٧٦٥ - ١٧٩٣ (٤) محمد صالح العدساني ١٧٩٣ - ١٨١٠ (٥) على بن شارح ١٢٢٥ - ١٢٢٨ (٦) القاضيان علي بن تسوان ومحمد بن محمود ١٢٣٣ - ١٢٣٥ (٧) عبدالله العدساني ١٢٣٥ - ١٢٧٤ (٨) محمد بن عبدالله العدساني ١٢٧٤ - ١٢٨٣ ويلاحظ ان معظم هؤلاء القضاة من عائلة العدساني .

(٥) القيود التى ترد على سلطات الحاكم

يملك الحاكم السلطة التنفيذية والقضائية الا أن حكمه لم يكن مطلقا مثلما كان الفرد يتوقعه من حاكم عربي يحكم في تلك الفترة من تاريخ الجزيرة العربية وقد يرجع ذلك الى ان العتوب كانوا منذ نزولهم الكويت تجارا مستقرين و لم يكونوا بدو متنقلين وكانوا قد مروا بمراحل التنقل والبداوة وهم في طريق رحلتهم من الجزيرة العربية الى قطر في القرن السابع عشر وانه على الرغم من ان سلطة حكام العرب في تلك الآوانة من تاريخ الجزيرة العربية كانت مطلقة فان سلطة شيخ الكويت لم تكن كذلك فإذا استثنينا حكم مبارك فانه يمكننا القول بان سلطات الحاكم كان يرد عليه قيدان هما مبدأ الشورى كقيد اول والقانون الواجب التطبيق كقيد ثان[٣٨] :

اولا : مبدأ الشورى كقيد اول

باستثناء عهد مبارك كان الحكم في الكويت يتبع القاعدة الديمقراطية التي تعتبر من اهم قواعد نظام الحكم في الاسلام وهي مبدأ الشورى ، فليس معنى اختيار الكويتيين حاكمهم هو تسليمهم كل امورهم اليه وانقطاع رأيهم بل على العكس فهم لم يبايعوه الا على اساس ان يستشيرهم في المهم من امورهم وتعهده بذلك يجعل من استشارتهم في مثل هذا واحبُ ان أخل به كان مسئولا امامهم فالمشكلات انما هي مشاكلهم والامور هي امور الجماعة وطرحها عليها للتشاور فيها والتوصل الى حل يرضيها هو أمر عادي استقرت روح الجماعة عليه واصبح قاعدة ملزمة وهو في حقيقته وضع للامور في نصابها لقد جرت عادة حكام الكويت اثناء هذه الفترة باستثناء مبارك على ان يستشيروا قومهم في كل مايخص بلدتهم لاسيما فيما يخص التجارة وفيما يحفظ الكويت من الطوارىء ويحميها من هجمات الجيران ويحدثنا مورخ الكويت "الرشيد" حين يكتب بهذا الصدد شارحا مدى ما لمبدأ الشورى من اثر كقيد من القيود التى ترد على سلطات الحاكم معا لرأي وجهاء القوم من نفوذ عليه خلال هذه الفترة فيقول[٣٩] :

ليس للحاكم الرفض ولا الخيار بعد ان يقر رأيهم أي وجهاء الكويت على امرها لان السلطة الحقيقية لهم وانما يعطى اسم الرئاسة عليهم تفضيلا بل لقد يذهب الامر الى ابعد من هذا مدى وهو عجزه عن أخذ الحق من بعضهم ولاثبات راية هذا يذكر الرشيد الواقعة التالية :

"استدان رجل من ال زيد من احدهم سلعة الى أمد وعندما قرب حلول الأجل نبه صاحبه الى الوفاء ولكن الزائدي أظهر من الامتناع ما دفع الرجل الى رفع الامر لعبدالله الصباح الاول وهو الحاكم انداك وصارحه بأن ليس في استطاعته اكراهه ولكن قال له الرأى ان تذهب الى زوجة صاحبك فتخبرها بان زوجها علق طلاقها على عدم وفائه الدين فانه سيتم لك بهذه الحيلة ما تريد اذ هو لايرد لها طلبا لما لها من السلطة التامة عليه ، قبل الرجل الرأي وذهب اليها كما امر وشرح لها الامر فوعدته بأن تكون له عونا وماذا عملت بعد ذلك احتجبت عن زوجها عندما دخل عليها واخبرته بالذي حملها على ما عملت فانكر ولكنها لم تصغ فاضطر الرجل الى ان ينزل على حكمها ويقضى الرجل حقه" .

ثانيا : القانون الواجب التطبيق كقيد آخر

لم يكن هنالك أي اثر لقانون وضعي اثناء هذه الفترة فقد كانت القاعدة القانونية تستمد قوتها الالزامية من مصدرين الشريعة الإسلامية والعرف :

أ – الشريعة الإسلامية :

قد يتبادر الى الذهن ان الشيء الطبيعي حين ينظر حاكم الامارة الاسلامية في تطبيق العدالة بين جماعته ان يسترشد ويستنبط الاحكام والفتاوى التي يصدرها من الشريعة الإسلامية الا ان الواقع كان على عكس ذلك ويبدو ان مجال تطبيق الشريعة الإسلامية كان منحصرا فيما يتعلق بالاحوال الشخصية وحتى في هذا المجال الضيق ما كان للحاكم الا سلطة تطبيق قواعد الشريعة والسهر على تنفيذها ذلك ان الحاكم ما كان يتمتع بسلطة روحية كما سبق ذكره وعلماء الدين كانت لهم وحدهم اهلية تفسير قواعد الشرعية .

ب – العرف :

اما العرف فكان بمثابة المصدر الرئيسي للقاعدة القانونية فقد اجمع المؤرخون المحليون على ان الاحكام المرعية في الكويت في تلك الفترة لم تكن مطابقة لاحكام الشريعة الإسلامية بقدر ما كانت مطابقة للعرف والعادات والتقاليد الجارية وذهب البعض الى ان القواعد العرفية كانت هي الوحيدة القابلة للاثارة والتطبيق عند النظر في النزاع وذلك في هذه الفترة والحقيقة ان العرف كان له المجال الارجح كمصدر من مصادر القاعدة القانونية اثناء هذه الفترة ففي مادة القانون الجنائي على سبيل المثال لم يوجد سابقة تشير الى قطع يد السارق او رجم الزانية المحصنة ، وهناك اعمال تحرمها الشريعة الإسلامية وتشمل ذلك التحريم بالعقاب الا انها كانت مباحة وشائعة في الكويت كالربا والتهريب وقطع الطرق ، وايا كان الدور الذي تلعبه الشريعة او العرف فقد كان المصدرين الوحيدين للقاعدة القانونية اثناء هذه الفترة ، ومفهوم ذلك ان القانون الوضعي لم يكن له أي اثر بل انه لم تكن ثمة من سلطة تشريعية بالمعنى المفهوم تسن قوانين تعدل او تلغي قواعد الشريعة او العرف كل في المجال الذي سبق ذكره والحاكم بافلات السلطة التشريعية من يده يبدو وكأنه محدد ومقيد فعلا باحترامه لقواعد العرف الملزم من ناحية ولقواعد الشريعة من ناحية اخرى تلك القواعد التي لايمكن تعديلها او الغاءها عن طريق اصدار قوانين وضعية لأنه لايملك السلطة التشريعية ولايملك اهدارها لأن الناس قد تعارفوا على قوتها الالزامية ولايملك ايضا ان يمتنع عن تطبيقها لأن

ذلك انكارا للعدالة يكون مسئولا عندامام جماعته ، ويمكن القول بأن القانون الواجب التطبيق هو قيد من تلك القيود التي ترد على سلطات الحاكم اثناء هذه الفترة وان نظام الحكم اثناء هذه الفترة كان يتميز بالخصائص الآتية(٤٠) :

١ – انه بدون اقتراع عام يختار الحاكم على الطريقة العشائرية القبلية البيعية من لدن سكان الكويت وفي الواقع عن طريق وجهاء واعيان الكويت .

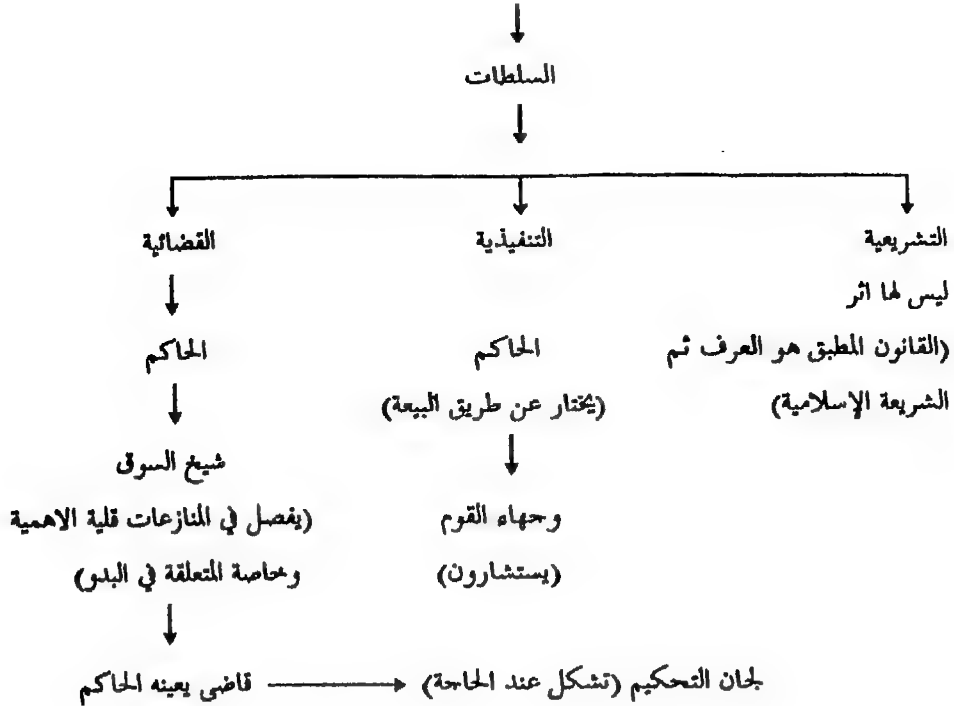
٢ – يملك الحاكم السلطة التنفيذية والسلطة القضائية وليس هناك من سلطة تشريعية لان الشريعة الإسلامية والعرف الذي تضعه الجماعة هما المصدران الوحيدان للقاعدة القانونية .

٣ – يستعين الحاكم بقاض او بلجنة من لجان التحكيم للبت في القضايا التى يستعصى عليه ايجاد حل لها .

٤ – ليست سلطات الحاكم مطلقة بل يرد عليها قيدان واقعيان هما :

أ – مبدأ الشورى كقيد اول وهو التزام الحاكم في ان يستشير وجهاء قومه في كل ما يخص شئون بلدتهم استشارة يلتزم بنتائجها .

ب – القانون واجب التطبيق كقيد ثان حيث كانت القواعد العرفية ومبادىء الشريعة الإسلامية هي الوحيدة القابلة للاثارة والتطبيق عند النظر في النزاع طيلة هذه الفترة ويمكن عرض نظام الحكم اثناء هذه الفترة على الوجه التالي :



علاقة الكويت بالقوى الاقليمية والدولية في القرن التاسع عشر

(١) علاقة الكويت بعربستان

جرى تحالف بين الشيخ حمود الثامر زعيم "المنتفق" والشيخ غيث بن غضبان الكعبي حاكم امارة عربستان ، يتضمن مناصرة احدهم الآخر اذا ما حل بهم خطب او داهمهم عدو لعلم زعيم "المنتفق" بما كان تبيته له الدولة العثمانية وما تضمره له من العداء منذ مقتل عبدالله باشا عام ١٨٢٢ ، وعندما التجأ الشيخ عقيل بن محمد الثامر (ابن اخ الشيخ حمود) الى والي بغداد دواد باشا الذي قرر عام ١٨٢٦ احالة امارة المنتفق الى الشيخ عقيل وجهزه بجيش كبيرة وأمره بمحاربة عمه الشيخ حمود الذي علم بذلك واستعد لمقابلة ابن اخيه الذي جاء على رأس الجيش العثماني وطلب من حليفه حاكم امارة عربستان ان يرسل جيشا لنصرته والذي بقيادة اخويه مبادر وثامر وكان

شيخ "المنتفق" قد سبقهم بقواته الى البصرة وامر ابنه فيصل ليرابط في جهة البصرة الجنوبية بالقرب من نهر "السراجي" في منطقة "ابو سلال" وان يضم اليه قوات عربستان القادمة مع مبادر وثامر ، اما ابنه الثاني ماجد فقد امره ان يرابط في الناحية الشمالية من البصرة عند نهر معقل وبهذا احاط الشيخ حمود زعيم المنتفق البصرة من الجانبين وضرب عليها الحصار ، وكان الشيخ غيث حاكم عربستان قد كتب الى سلطان عمان يطلب منه ارسال ما يمكن ارساله من السفن والرجال لمناصرتهم في ضرب الحصار على البصرة والذي لم يكن لدى متسلمها عزيز آغا من القوة والجيش ما يمكنه من مقابلة ذلك الحصار سوا قوات "على الزهير" وبعض افراد الجيش العثماني ، وفي اثناء ذلك وصلت قوات سلطان عمان بسفن كثيرة ولكنها رابطت دون ان تنضم الى احد الطرفين فاضطر عزيز اغا بمشورة من "علي الزهير" ان يرسل اليهم بعض الهدايا ويطلب منهم التزام الحياد اذا لم يرغبوا بالقتال معه فأعلنوا حيادهم وعدم انضمامهم الى احد الجانبين ثم كتب عزيز اغا متسلم البصرة كتابا الى الشيخ جابر الصباح يطلب منه القدوم بقواته من الكويت الى البصرة فقدم الشيخ جابر الصباح بأسطوله ورابط امام المدينة فأشار "علي الزهير" على متسلم البصرة ان يضاعف للشيخ جابر الصباح كميات التمر والمعينة له من قبل الدولة العثمانية ففعل المتسلم ذلك غير ان الشيخ جابر الصباح رفض قبول تلك التمور فاضطرب كاتبه لهذا الرفض وأخذ يتوسل ويحسن له قبولها ولكن الشيخ جابر الصباح ابى ذلك خشية من ان تكون دسيسة للايقاع به لدى الدولة العثمانية ويفسر قدومه لغرض مهاجمة البصرة وان قبوله لتلك الكميات من التمر قد تكون مصداقا لأقوالهم ولاسيما "على الزهير" ثم اوفد المتسلم عزيز آغا قسما من وجوه وسادات البصرة ورجال الدين الى مقابلة مبادر وثامر ليطلبوا منهما رفع الحصار وابطال الحرب واعلان الهدنة فلبيا طلبه وانسحبا بقواتهما وعادا الى المحمرة في عربستان مما اضطر الشيخ حمود زعيم المنتفق ان يطلب من قوات والدايه ماجد وفيصل بالانسحاب الى عربستان وبذلك رفع الحصار عن البصرة وعاد الاسطول العثماني الى مسقط ورجعت قوات الشيخ جابر الصباح الى الكويت[٤١] .

اصبح الشيخ عقيل زعيم المنتفق بعد ان هرب عمه الشيخ حمود الى الكويت ولكنه عاد بعد فترة الى نواحي البصرة فتمكن الشيخ عقيل من القاء القبض عليه وعلى أخيه راشد وارسلهما الى بغداد فأمر واليها دواد باشا بزجهما بالسجن حتى توفي فيها عام ١٨٣١ ثم قرر الشيخ عقيل مهاجمة الشيخ غيث في عربستان لايوائه ابناء عمه وجمع جيشا كبيرا وساروا بسفنهم لمهاجمة المحمرة في عربستان وكانت القيادة مشتركة لكل من عزيز اغا والشيخ عقيل وقاموا بتنسيق الخطط للأستيلاء

على عاصمة عربستان المحمرة فقسموا جيوشهم الى ثـلاث جبهـات ، جبهـة تهاجمها مـن الشـمال بقيادة الشيخ عقيل وأخرى من الجنوب بقيـادة "علي الزهير" والثالثة مـن الوسـط بقيـادة متسـلم البصرة عزيز اغا التي تحتوى على الجند النظامي للجيش العثماني بكامل معداتها الحديثة مثل المدفعية وعندما اكتمل حصـار المحمـرة شرعوا بـالهجوم عليهـا في رمضـان ١٢٤٢ الموافـق ١٨٢٦ ودارت بينهم رحى الحرب الدامية وشرسـه اسفرت عـن اندحـار الجيـوش المهاجمـة وانسـحابها خائبـة الى البصرة بعد ان تكبدت خسائر فادحة بالارواح والامـوال وبعـد هـذه الهزيمـة اخـذ متسـلم البصـرة والشيخ عقيل بجمع شتات جيوشهم المنهزمـة للاستعداد لهجـوم آخـر علـى المحمـرة فـاجتمعوا مـن "بغداد" و "ماردين" و "ديابكر" ومن العشائر التى كانت تخضع لنفوذهم وتوجهوا بها نحو "المحمرة" عاصمة امارة عربستان للمرة الثانية فتجمعوا قرب نهر "ابو جذيع" وكان عزيـز آغـا قـد كتـب الى الشيخ جابر الصباح في الكويت يطلب منه القدوم لنصرته بمن معه من الرجال فوافاهم الشيخ جابر الصباح بأسطول كبير ورست سفنه في "الهارته" مقابل "البريم" استعدادا للهجوم المنتظـر ، وعندمـا علم عزيز اغا والشيخ عقيل بوصول الشيخ جابر بذلك الاسطول ارسلوا فرقة من جيشهم مع بعض السفن وامروها ان ترابط في "كوت الزين" وتركوا فرقة في "ابوجذيع" كما ارسلوا فرقة أخـرى الى نهر "الدربند" وامروا فرقة أخرى بالذهاب الى "المصـلاوي" وعينـوا فرقـة اخـرى للاقامـة في "كـوت قمنه" ومهمته هذه الاخيرة الالتحاق في الفرقة المرابطة في "الدربند" عنـد الحاجـة . امـا بنـو كعـب حكام عربستان فقد استعدوا لهذا الحرب واصطدم الخصمان وجرى بينهما معركـة طاحنـة في عـام ١٨٢٧ انتهى باندحار القوات المتحالفة من الشيخ عقيل زعيم المنتفق وعزيز اغا متسلم البصرة ومن معه وانسحابهم بعد تشتيت شملهم بعدما خسروا مائة وخمسين اسيرا عدى القتلي والجرحى واكثر من مائة وخمسون من الخيل وقسما كبيرا مـن السفن عـدى اربعمائـة زورق محملـة باكيـاس الارز والشعير والسمن وقسما كبيرا من الاسلحة والذخيرة اما الشيخ جابر الصباح ومن كـان معـه فقـد تصادم مع جيش عربستان التي كان في "البريم" فكانت بداية المصادمات قد كبدتـه بعـض الخسـائر في الارواح بلغ مجموعها عشرين رجلا وجرحى كثيرين فعزم الشيخ جـابر الصبـاح علـى تـرك بـني كعب شيوخ عربستان وهم في اوج قوتهم ونشوة انتصارهم فاستشار اصحابه فوجدوا رايه مطابقـا لآرائهم لايتعدى الصواب فوافقوه على ذلك وعزموا على تجنب القتال الى ان تحين الفرصة المناسـبة غير ان رجلا من احدى السفن الكويتية قد أخذه الحماس فنزل من سفينته عاضا على سيفه بأسنانه واتجه سابحا نحو العدو دون ان يشعر به احد قبل ان يبتعد عن السـفينة وكـان اسمـه سـالم ، فصـاح القوم ينادونه باسمه سالم سالم فلما سمعت ذلك النداء بقية السفن هبوا جميعـا للقتـال فأشتعلت نـار

الحرب فتمكن الكويتيون من الاستيلاء على قرية "البريم" واخرجوا من كان فيها من قوات عربستان واضطروهم الى الالتحاق بقواتهم المرابطة في العاصمة "المحمرة" وأخذ الكويتيون جميع التمور التى كانت هناك وعادوا بها الى سفنهم ثم التحقوا بالقوات التي تمكن عزيز اغا والشيخ عقيل من جمع شتاتها ورابطوا بهـا امام المحمرة في "ام الجريذية" وصار الجميع يقذفون حصون عربستان بحمم نيران مدافعهم وبنادقهم حتى تمكنوا من الاستيلاء على احد حصونها التى كانت في "ام الخصاصيف" عام ١٨٢٧ واستمرت الحرب وطال الحصار وكان الشيخ جابر الصباح قد اتخذ له ولاتباعه حصنا في "ام الجبابي" بالقرب من سفنه التى كانت راسية مقابل "ام الرصاص" فرى الشيخ غيث حاكم عربستان ان يوفد وفدا الى داود باشا في بغداد ليفاوضه بالصلح والكف عن القتال فتم ذلك وعقد الصلح بين الطرفين(٤٢) وانسحبت الجيوش وعاد الشيخ جابر الصباح الى الكويت في رمضان ١٢٤٣ الموافق ١٨٢٧ .

شيدت عربستان ميناء لها بالقرب من المحمرة في عام ١٨٢٠ على شط العرب وأخذت تفرغ فيها بعض البضائع التجارية العائدة الى الكويت ولسفن عربستان وبدأت تتطور وتتوسع واصبح ينافس ميناء البصرة الذي كان الوحيد حتى ذلك الوقت فخشيت الدولة العثمانية عليها فعزمت على مهاجمة المحمرة بالقوة لتدميرها فخرج عام ١٨٣٧ علي رضا باشا بغداد لهذا الهدف على رأس جيش كبير وطلب من الشيخ جابر الصباح المساعدة والمجيء اليه بسفنه ورجاله واسلحته دون ان يشرح له الغرض من ذلك فوافاه حاكم الكويت بقواته وسفنه ولما استكملت قوات علي رضا باشا نصب جسرا على شط العرب وامر جيشه بالعبور والتوجه الى المحمرة وعندما وصلت تلك القوات الى نهر "القدرند" قسمها الى قسمين ، قسم يهاجم "المحمرة" من جهة البر والقسم الاخر يهاجمها من جهة النهر والتحقت قوات الكويتية بقيادة الشيخ جابر الصباح بالقسم الثاني وفي صباح ٢٠ رجب ١٢٥٣ الموافق ١٨٣٧ هوجمت المحمرة من الجهتين البرية والنهرية ودام القتال على اشده لمدة ثلاثة ايام ونجح علي رضا باشا الاستيلاء على المحمرة فأمر بدك حصونها وهدم دورها وقتل الرجال وسبي النساء واباح النهب والسلب ثلاثة ايام ولم يدر في خلد بني كعب شيوخ عربستان ان رضا باشا سيفاجئهم بمثل تلك القوات الكبيرة ليدمر بها مدينتهم دون ان يجنوا ذنبا او يقترفوا اساءة تدعو لكل تلك القسوة وقد كان شيوخ بني كعب منقسمين على انفسهم ، القسم الاول في "المحمرة" و "عبدان" تحت زعامة الحاج جابر بن مرداو وتتألف قبائلها من المحسن والدريس والنصار وغيرها والقسم الثاني في "الفلاحية" "الدورق" تحت زعامة الشيخ ثامر بن غضبان وتتألف عشائرها

من "ال بوغبيش" و "مقدم" و "العساكرة" وغيرها و لم تكن كلمتهـا موحـدة و لم تكـن قـد اعـدت العدة الكافية التي تمكنها من ردع هذا الخطر وصد مثل هذا الهجوم . اما علي رضا باشـا فقـد ترك المحمرة دون ان يسند الامر فيها الى احد وتوجـه وبصحبتـه الشيخ جابر الصبـاح قـاصد الكويت وكان غرضه من الذهاب الى الكويت للاطلاع على الخلاف الذي ساد بين خالد بن محمد السـعود وعبدالله بن الثنيان السعود وبعد ان حلا ضيفا على الكويت عاد الى بغداد ، اما الحـاج بـن مـرداو زعيم بني كعب سافر الى الكويت لكي يتفاهم مع علي رضا باشا وجهز لهذا الغـرض سـفنه وحمـل معه بعض الخيول العربية والهدايا الثمينة ولما وصل الكويـت قـدم تلـك الهدايا الى علـي رضـا باشـا واجتمع معه ليكشف له عن السبب الذي حدى به للقيام بمهاجمة المحمرة وليستوضح منه عـن تلـك الاسباب فأخبره بالاسباب التي ذكرت سابقا دون ان يزيد سببا آخر فأعتذر اليه الحاج جـابر بن مرداو قائلا : "ان بـني كعـب ميالون الى جهـة الدولـة العثمانيـة اذا ماصفت لهـم وانهـم علـى اتم الاستعداد لمناصرتها متى مارغبت و لم يشقوا عليها عصا الطاعة في يوم ما" . فسر علـي رضـا باشـا لذلك وخلع عليه خلعة ثمينة وأمره بالعودة الى المحمرة لتولي شؤونها من جديد ولكنه عندما عـاد الى المحمرة اضطرب حبل الامن وثارت بنو كعب فاضطر الى تركها والالتجاء بنفسه[٤٣] . ثم عاد وتمكن من الحكم على المحمرة في عربستان .

الشيخ عبدالله الصباح والحاج جابر المرداو

ارتبط الكويت بعلاقة قوية مع عربستان من الناحية السياسية والاقتصادية وكان الشيخ عبـدالله الصباح على علم بمدى الصداقة التي كانت تربط بين ابيه وجـده وبـين الحـاج جـابر المرداو شيخ عربستان وكان شديد الحرص على المحافظة عليها متحينا الفرصة المناسبة لتنميتهـا واظهـار شـعوره بذلك برغم بعض المواقف التي اضطرت الكويت بأن تقف مع الوالي او المتسلم العثماني في البصرة ضد عربستان ، وقد حدث ان ثـارت في عـام ١٨٦٨ عشـيرة "النصـار" مـن فـروع بـني كعـب في "القصبة" ضد شيخها الحاج جابر المرداو مما اضطر لشن حرب عليها فرأى الشيخ عبدالله الصباح ان الفرصة التي كان ينتظرها قد حانت فأمر بتجهيز عشرين سفينة ملئت بالذخـيرة والرجـال لتشـترك مع الحاج جابر بن مرداو ضد عشيرة "النصـار" فسـارت تلـك السـفن بأتجـاهين الاول عـن طريـق "بهمشير" والثاني عن طريق "الفاو" وكتب كتابا الى اخيه الشيخ جراح وكـان يومئـذ قـد قـدم الى "الفاو" يأمره بالاشتراك مع تلك القوات التي ارسلها بالقتال لمناصرة الحاج جـابر شـيخ عربسـتان ، ولكن قبيل وصول تلك النجدة الكويتية الى اطراف المحمرة كان الحاج جابر بـن مـرداو قـد تغلـب

على خصومه بفضل النجدات الكثيرة التي وصلته من صديقه ناصر راشد السعدون زعيم "المنتفق" ولكن مع ذلك لم يشأ الحاج جابر بن مرداو ان ينكر جهود الشيخ عبدالله الصباح فكتب اليه كتابا وارسله بواسطة اخيه جراح يشكره فيه على حميته التي بلها وكافأه على ذلك العمل بسبعين "كارة" من التمر معاشا سنويا ، وفي عام ١٨٩٦ حاولت عشيرة "النصار" التمرد على طاعة الحاج جابر المرداو مرة ثانية ورفضت تأدية ما هو مفروض عليها من الرسوم فعزم الحاج جابر بن مرداو على قتالهم وكان الشيخ عبدالله يومئذ قد قدم الى مقاطعة "الفاو" فرأى ان يتو في الامر وان يكون هو الضامن لتلك العشيرة لتأدية ما عليها من الرسوم فقبل الحاج جابر وساطته وكف عن القتال اكراما لوساطته ولكن النصار لما آن وقت دفع الرسوم امتنعوا عن تأديتها واظهرت التمرد والعصيان مرة أخرى مما اضطر الشيخ عبدالله الصباح وفاء الى ما تعهد به الى الحاج جابر بن مرداو أن يقدم لقتالهم ليرغمهم على تأدية تلك الرسوم فاشتبك معهم بمعركة المجلت عن انتصاره عليهم والاستيلاء على حصونهم التي في القصبة واستيلائه على الكثير من اموالهم وارغامهم على دفع الرسوم المفروضة الى الحاج جابر بن مرداو فدفعوا جميع ما عليهم وعندئذ عاد الشيخ عبدالله الصباح الى الكويت بقواته منتصراً(٤٤) .

٢ – موقف الكويت من جلاء ال السعدون

اصدرت الدولة العثمانية في اواخر عام ١٨٨٠ امرها الى والي بغداد بان يجلى ال السعدون ومن تبعهم عن اراضيهم خوفا من قيامهم بحركات ضدها وجاءت الحملة العثمانية انضم معهم خصوم السعدون والتقى الجيش العثماني معهم عند نهر "عريقة" ودارت المعركة القوية بين الفريقين اضطر فيها ال السعدون الانسحاب الى بر "الشامية" ومكث هناك في البادية نحو شهرين بالقرب من حدود "ال الشمر" ، وفي اثنائها وردتهم انباء بان بعض عشائر الشمر اتصلوا بالامير محمد الرشيد امير "حائل وجبل شمر" واغروه بغزوهم بعد ان افهموه بأن مع ال السعدون نقودا واموالا كثيرة سهلة السلب والنهب فلما احسوا بتحفز الامير محمد الرشيد للهجوم عليهم تركوا تلك المناطق بقيادة الشيخ فالح بن ناصر والشيخ سعدون بن منصور وعبروا شط العرب وتوجهوا الى "الحويزة" ونزلوا بجوار الشيخ مزعل بن الحاج جابر المردوا شيخ امارة عربستان ملتجئين اليه فاكرم مثواهم وظلوا هناك اكثر من عامين ثم سمحت لهم الدولة العثمانية بالعودة الى ديارهم ولكنهم خشوا ان تداهمهم قوات الشمر بزعامة محمد الرشيد فطلب الشيخ فالح بن ناصر من الشيخ مزعل حاكم عربستان اتخاذ التدابير اللازمة لحفظهم وحمايتهم من هذا الغزو ، وكان الشيخ مبارك في ذلك

الوقت في "الفاو" بمهمة خاصة ارسله فيها اخوه الشيخ عبدالله الصباح فأرسل اليه الشيخ مزعل ان يأتي الى المحمرة لمقابلته ثم اتفق معه على ان يخبر اخاه الشيخ عبدالله ليرسل قسما من عشائره الى مزيد باشا بالقرب من الناصرية تسلك الطريق البري وان يرسل قوة أخرى عن طريق البحر الى "سوق الشويخ" عن طريق شط العرب وان يدعو ما حد الدويش الى الكويت ويوكل اليه حفظ الحدود الكويتية الشمالية من غزو الامير محمد الرشيد اذا ما عزم على مهاجمة ال السعدون ، فارسل الشيخ مبارك الى اخيه الشيخ محمد ليقابله "بالفاو" لان الشيخ عبدالله كان غائبا يومئذ عن الكويت وكان الشيخ محمد ينوب عنه ، فنفذت جميع هذه الخطط وكتب الشيخ مبارك كتابا الى الشيخ مزعل حاكم عربستان يخبره فيه بما تم من تلك الاعمال هذا نصه :

الى حضرة الاجل الامجد الافخم الأكرم الاخ نصرة الملك الشيخ مزعل ابن العم الحاج جابر المحترم سلمه الله تعالى آمين .

بعد السؤال عن عزيز الخاطر النير على الدوام لازلت بخير وبعده نعرف جنابكم الشريف وبموجب امركم توجهنا الى "الفاو" وتواجهنا مع الاخ الشيخ محمد الصباح واخبرناه عن وصول حضرة صاحب السعادة فالح باشا الى بيت الجميع وافدناه بما امرتمونا به من المهمات اللازمة مقدار ساعة استقام وتوجه الى الكويت وفي حين وصوله الى الكويت يرسل خادمك سالم مع عشائره الى عمه مزيد باشا والسفائن في ساعة وصوله يمشيها من "الفاو" ومقداركم سفينة مشيناهم الى المحل نيته في حالة وصوله الى الكويت يطرش على الدويش ويجيبه عنده في الكويت عن لايصير اختشاش في ذلك الطرف .

وانشاء الله بسلامتكم تجي الامور على الارادة بموجب ما امرتم ومن بعد ممشى الاخ محمد جاء بتيل بن ناصر باشا وذاكر خمس المعامر ميرى الدواسر لاتسمحونه توجه لنا وهذا لاشيء ينبيء عن طيبة خاطره منا ، عرفنا الاخ الحاج سالم البدر لايسلم ميري الدواسر .

وبعد هذا المرجو ابلاغ سلامنا لحضرة صاحب السعادة فالح باشا والاخ سليمان المنصور ومن لدينا الاخ جراح يسلم وبعد هذا لاتخرجونا من اخباركم السارة على الدوام مهما يبدو لكم من اللازم نحن ممنونين ودمتم بحفظ الله سالمين والسلام .

أخيك مبارك الصباح

٣ - العلاقات الكويتية البريطانية

نلاحظ ان التحرك السياسي للكويت خلال القرن التاسع عشر كان يقرره امران اولهما طاقات الكويت البحرية والبشرية وثانيهما العوامل الخارجية الضاغطة او المؤثرة وفي هذه الفترة كانت العوامل تتأثر بالوجود البريطاني في مياه الخليج العربي والتواجد العثماني في العراق ثم المصرى والعثماني في شرق الجزيرة العربية ويقول "لوريمر" بأن العلاقات البريطانية مع الشيخ جابر كانت دوما طيبة منذ كان ينظر اليه على انه صديق للحكومة البريطانية اذا انه كان دوما مجاملا دمثا في رسائله معها" ، وان هذه العلاقات لابد وانها كانت قد استمرت طيبة حتى بعد عودة الوكالة التجارية البريطانية من الكويت الى البصرة عام ١٧٩٥ ، ثم انتقلت الوكالة التجارية البريطانية من البصرة مرة أخرى الى الكويت حيث بقيت فيها مدى اربعة شهور تقريبا من ١٨٢١/١٢/١٥ الى ١٨٢٢/٤/١٩ وهكذا بدا ان العلاقات البريطانية - الكويتية استمرت طيبة خلال الربع الاول من القرن التاسع عشر حتى بدون انضمام الكويت الى معاهدة يناير ١٨٢٠ التى حاولت ان تنظم العلاقات بين امارات ساحل عمان وبريطانيا غير ان هذه العلاقات كانت في الغالب تقوم على اساس علاقات فردية بين الحاكم وبين رجال الشركة المقيمين بالخليج العربي أي لم تكن هناك معاملات تحتاج لتوقيع اتفاقيات خاصة تنظمها وبقيت تلك العلاقات البريطانية - الكويتية حتى عام ١٨٣٩ حين صار الخطر المصري باديا امام اعين بريطانيا وتهدد مصالحها لاسيما بعد ان وقع شيخ البحرين اتفاقية مع المصريين في مايو ١٨٣٩ وعندما بلغ ذلك مسامع المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي في بوشهر هذا النبأ باشر باتخاذ الاحتياطات لمنع سريان عدوى تلك الاتفاقية الى اجزاء اخرى من الخليج العربي ولعل ذلك كان هو السبب الذي من اجله سارع المقيم البريطاني ونائبه لزيارة امارات ساحل عمان للتأكد من ان شيوخها لن يوقعوا اتفاقيات مماثلة لاتفاقية شيخ البحرين مع المصريين ولما كان المقيم البريطاني يعلم بما سيكون عليه الخطر المصرى لو ان اتفاقية عقدت مع شيخ الكويت تمكنت مصر من التحكم في الرأس الخليج العربي الشمالي وكان يعلم بوجود محمد افندي الوكيل المصري بالكويت ولهذا اضطر المقيم البريطاني ارسال مساعده الملازم "ادمونز" في مهمة خاصة الى شيخ الكويت ، وكان الكابتن "هنيل" المقيم البريطاني فيما يبدو على يقين من ان حاكم الكويت سوف يحسن استقبال مبعوثه لذلك ظن "هنيل" ان مبعوثه الذي ارسل تحت ستار التفاوض مع الشيخ جابر على انشاء خط للمواصلات يمتد من الكويت الى البحر المتوسط سيجد كل ترحاب من الشيخ وان مفاوضاته معه لن تعترضها اية

مصاعب غير ان "ادموندز" قد شعر بخيبة امل منذ البداية أي منذ ان وصل شاطيء الكويت ذلك ان اللقاء الذي كان يتوقعه لم يتم بالحرارة المطلوبة ولم يوقع حاكم الكويت معه اية اتفاقية(٤٦) .

يشير "ادموندز" في تقريره عن تلك الزيارة انه لدى وصوله الى الكويت في ١٨٣٩/١٠/٣٠ اطلقت سفينته مدافعها بالتحية كالمعتاد دون ان ترد عليها السفن الكويتية بذلك ، كما ان شيخ الكويت لم يبعث اليه برسول من طرفه للترحيب به على نحو ما جرت عليه العادة لدى زيارة السفن البريطانية لموانئ المشيخات العربية ومن ثم ظل في سفينته دون ان يتم أي اتصال بينه وبين شيخ الكويت وعندما ارسل "ادموندز" رسالة خطية للشيخ فرد عليه برسالة شفوية في اليوم التالي أي بعد يوم من التأخير كذلك لم يرسل احد من اقاربه أو ابناء الكويت الى السفينة للقيام بواجب التحية حسبما جرت به العادة عند الحكام العرب في مثل هذه المناسبات وهكذا بقي "ادموندز" ثلاثة ايام على ظهر السفينة دون ان يتم بينه وبين الشيخ جابر أي اتصال فما كان منه الا ان طلب مقابلة الشيخ جابر في وقت يحدده الشيخ نفسه فأجيب "ادموندز" الى طلبه ولما وصل الى مجلس الشيخ جابر وكان يحيط به نفر من قومه لم يقف الشيخ لمحييه وقفة كاملة كما جرت العادة عند شيوخ العرب بل حياه دون الوقوف وكان لايزال ممسكا بغليونه ولايزال يدخن ولم يتوقف عن ذلك ثم لما سأله "ادموندز" عن عدم رد تحية السفينة انكر ان العادة قد جرت بذلك ولم يكترث به الشيخ جابر كثيرا خلال مقابلته التي تباحث فيها في جملة امور من بينها مسألة البريد(٤٧) .

يعزو "ادموندز" في تقريره لسلوك حاكم الكويت معه الى انه لم يتعمد اهانة البريطانيين دون مبرر وانما السبب في ذلك يعود الى رغبته في التمسك بصداقته للمصريين واعجابه بحاكمها محمد علي والنجاح الكبير الذي حققه على نحو يتضح جيدا في معاملته الطيبة للمبعوث المصري الذي لم تقتصر مهمته على تحصيل المؤن والامدادات من شط العرب وانما كان ذلك بمثابة عملية ستار يختفي وراءه هذا المبعوث لكي يسهل له مراقبة النشاط العثماني في البصرة وخدمة اهداف مصر العسكرية الرامية الى التوسع في جنوب العراق خصوصا بعد ما أخذ موقف العثمانيين بعد هزيمتهم في موقعه "نزيب" ١٨٣٩/٦/٢٤ امام القوات المصرية يزداد من سيء الى اسوأ بشكل دفع القائد المصري خورشيد باشا الى ادراك ان الوقت قد حان لأخراج العثمانيين من العراق خصوصا وان العشائر والقبائل العربية والقوات العثمانية في جنوب العراق كانت مستعدة من تلقاء نفسها للتعاون مع المصريين ، فقد فرت احدى الكتائب العثمانية على سفن كويتية من البصرة لتنضم الى قواته

واتصل به زعماء عشائر "المنتفق" معربين عن رغبتهم وسكان البصرة في جنوب العراق في الخضوع للمصريين[٤٨] .

يقول سيف الشملان في كتابه تاريخ الكويت عن جابر والحكومة البريطانية[٤٩] : "جاء الكويت جماعة من الانجليز وحاولوا اقناع الشيخ جابر برفع العلم البريطاني فلم يقبل وقال : ان الدولة العثمانية جارتنا وكل ما نحتاجه يأتينا من البصرة ، فقالوا ان الهند من مستعمرات بريطانيا وانتم تحتاجون لها فلم يجيبهم وأخيرا استأذنوه في البناء فليم يسمح لهم ثم قالوا أتمنع الدولة العثمانية كما منعتنا ، فقال اذا رأينا في ذلك ضررا على البلدة منعناها وقد حاولوا ان يعطيهم ورقة بأنه يمنع الدولة عن ذلك فلم يعطهم ورجعوا ادراجهم . ولما بلغ هذا النبأ متسلم البصرة جاء الكويت زائرا وشكر الشيخ جابرا على موقفه الصلب من الانكليز ويقال ان الدولة العثمانية لم ترتب للشيخ جابر المائة والخمسين كارة من التمر والفرمان الشاهاني والعلم الأخضر الا نتيجة لمواقفه من الانجليز بجانبها" .

نلاحظ من ذلك ان الشيخ جابر رفض رفع العلم البريطاني او توقيع اتفاقية الحماية كما رفض اعطاء ارض للبناء للبريطانيين وكذلك العثمانيين اذا كان هناك ضررا على الكويت مما قد يفقد استقلالية قرارها السياسي ثم قام "هنيل" بزيارة مماثلة الى امارات ساحل عمان في اول يوليو ١٨٣٩ ونجح في الحصول على تواقيع علىاوراق وصكوك من شيوخها يتعهدون فيها بعدم التعاون مع المصريين وذلك بعد فشلهم في الحصول على تأجير اجزاء من ممتلكات الكويت لاقامة المنشآت عليها

استمرت العلاقات الودية الكويتية - البريطانية برغم حادثة "ادموندز" مع الشيخ جابر ، ومن الثابت ان الكويت لم تخضع للسيطرة العثمانية حتى السبعينات من القرن التاسع عشر اذ كان حكامها ينزعون الى الاستقلال عن التبعية للعثمانيين ولتعزيز موقفهم هذا كثيرا ما لجأوا الى الاتصال بالسلطات البريطانية وكان نتيجة ذلك ان اتجهت الكويت الى الانضمام للهدنة البحرية عام ١٨٤١ حيث تعهد الشيخ صباح بن جابر بالنيابة عن ابيه بأن تنضم الكويت الى تلك الهدنة لمدة عام و لم يكن ذلك الا لكي تبقى الكويت في منأى عن السيطرة العثمانية اذ لم يترك العثمانيون فرصة الا وحاولوا استغلالها لفرض سيطرتهم على الكويت التي كان حكامها يتخذون جانب الحذر والحيطة في تعاملهم مع اية قوة اجنبية ولايربطوا مصيرهم بأحدى هذه القوى التى كانت كل

منها تطمح في بسط هيمنتها على الكويت فقد تطلع انظار العثمانيين والبريطانيين اليهـا منذ مطلع القرن التاسع عشر لما يمتاز به من موقع تجاري ومركز استراتيجي .

لم تفقد بريطانيا الامل في التأثير على موقف حكام الكويت منذ ان عيثا حـاولت اقناع الشيخ عبدالله بن صباح عام ١٨٢٠ بالموافقة على عقد اتفاق الحماية اذ رفض كل ما قدم له من جهود بهذا الشأن ومرورا بفشل مهمة "ادمونز" مع الشيخ جابر ، فقد جاء "بلي" المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي الى الكويت في طريقه الى الرياض ، فقد وجدا حسن استقبال عندما ارسل الشيخ صباح ابنه مبارك لزيارته وصحبه الى "الجهراء" ثم اثناء عودته ارسل ابنه الاكبر عبدالله عند بلوغه الكويت قادما من الجهراء ، وقد اجرى "بلي" محادثات مع الشيخ صباح عام ١٨٦٥ في محاولة لإقناعه بالانضمام الى بريطانيا غير انه لم يفلح في ذلك اذ ان الشيخ اتخذ من تبعية الكويت الاسمية للعثمانيين مبررا للاعتذار "لبيلي" الذي التزم الصمت ولم يعلق بشيء على هذا الموقف ويبدو انه لم تكن لبريطانيا آنذاك اهتمامات فعلية في الكويت فيما عدا ما يؤثر على دورها التقليدي في تنمية تجارتها وعلى ذلك فقد كتب "بيلي" لحكومته مبينا اهمية الكويت كنهاية للخطوط البرقية ومشروعات السكك الحديدية ومحطات للسفن حيث شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهور الكويت على مسرح الاحداث بشكل واضح[٥١] .

يبدو ان الصحافة البريطانية قد ابدت هي الأخرى اهتماما بالكويت اذ نشرت صحيفة "بومباي تايمز" عن اخبار الكويت قائلة ان شيخها قد عرض على بريطانيا ان يرفع العلم البريطاني على سفنه فأثار هذا المقال نامق باشا الذي رأى ان لابد من وضع حد للأهتمام البريطاني خشية ان يتطور الامر الى امتداد النفوذ البريطاني الى الكويت فقرر انشاء جمرك عثماني فيها ويتبع ذلك بان يعلن شيخ الكويت كقائمقام عثماني غير ان نامق لم يتمكن من الوصول الى اهدافه حيث لقي معارضة من ال الصباح الذين كانوا يدركون ما يرمي اليه نامق باشا من هذه السياسة في جر الكويت الى مظلة السيادة العثمانية وبذلك استطاعت الكويت ان تبقى في منأى عن هذه السيادة وبقي ميناؤها حرا للتجارة و لم تكن تمضي عدة اعوام على زيارة "بلي" للكويت حتى جعلت شركة الملاحة الهندية من ميناء الكويت احد موانىء الخليج العربي والتى تمر فيها بواخر مما اثار حنق السلطات العثمانية خشية ان يودى ذلك الى التقليل من اهمية البصرة فأحتجت تلك السلطات بشدة على ذلك فاضطرت الشركة الى التراجع عن هذا الامر في ذلك حين وهكذا بقيت الامور حتى جاء مدحت باشا واليا على بغداد ١٨٦٩[٥٢] .

٤ – العلاقات الكويتية – المصرية في النصف الاول من القرن التاسع عشر

ارتبط ظهور المصريين على سواحل الخليج العربي في النصف الاول من القرن التاسع عشر بقيام "امارة الدرعية" التي اقلقت الباب العالي بدرجة كبيرة واعتبرت الدولة العثمانية "امارة الدرعية" خارجة على طاعة الخلافة العثمانية وانها خطر ينبغي التخلص منها ولذا كلفت واله على مصر محمد على بإرسال قواته الى "الدرعية" ونجحت القوات المصرية بتدمير "الدرعية" في ١٨١٨/٩/٩ ثم سيطرت على الاحساء وفي يوليو ١٨١٩ انسحبت منها ، وفي عام ١٨٣٨ عاد الجيش المصري الى الاحساء[٥٣] وبذلك اعادت مصر فرض سيطرتها على جميع اجزاء الجزيرة العربية ماعدا عمان وحضرموت والكويت .

اسهمت الكويت بدور مهم في هذه الظروف الصعبة من تاريخ الخليج والجزيرة العربية عندما كانت السياسة المصرية الجديدة تريد اعادة ترسيخ اقدامها في الاحساء لكي تعد خططها للتقدم نحو البصرة وبغداد وذلك عن طريق البر ويقول القائد المصري خورشيد باشا في رسالته الى محمد علي بأن البريطانيين لن يعترضوا لان المصريين سادة البر عن طريقه كان سيتم الزحف نحو العراق مما يبرز اهمية الكويت لوقوعها على طريق الحملة ، وكان القائد المصري خورشيد باشا يعلم بحاجته الى وسائل بحرية لتسند الحملة ولم يكن في مقدوره ان يغفل المساعدة الكويتية وكان على خورشيد باشا ان يعمل ويحسب العوامل المحلية اللازمة لانجاح الحملة بالاضافة الى تجنب المعيقات الخارجية المتمثلة في الوجود البريطاني الذي اخذ نشاطه يزداد بسرعة ملحوظة بعد بلوغ الجيش المصري في الخليج العربي ، وان الكويت في نظر خورشيد كانت تلعب ادوارا في المخابرات المحلية وهي لاشك قادرة على ذلك بحكم موقعها المتوسط بين الاحساء وبغداد وبحكم تكوين سكانها وكانوا في غالبيتهم من الجزيرة العربية اضافة الى الدور الذي كانت تؤديه الكويت من حيث تموين الجيش المصري في الاحساء ونجد وكذلك قدرة الكويت على مد يد العون والمساعدة للجيش المصري اذ طلب ذلك او دعت الضرورة بما يحتاجه من وسائل النقل البحري والى حد ما الخيل والجمال اللازمة للنقل البري هذا كما لعبت الكويت في هذه الفترة من تاريخها دورها المعهود في استضافة الفارين من وجه الجيش المصري من افراد وجماعات ، وكان الكابتن "هنيل" المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي قبيل نجاح المصريين في ادخال البحرين تحت سيادتهم بعد توقيع اتفاقية مع شيخ البحرين في ١٨٣٩/٥/٧ خشي ان يسعى المصريون الى توسيع رقعة نفوذهم في الخليج العربي شمالا وجنوبا ولهذا ارسل طبيبه في دار الميقمية البريطانية ببوشهر د. "ت مكنزي" الى

الكويت ليرى ان كان اشاعات بتوجهه المصريين شمالا للاستيلاء على العراق صحيحة ام لا وذلك يوم ٥ مايو ١٨٣٩ وبعدها بيومين ارسل السفينة الحربية "كلايف" الى الكويت مع رسالة الى خورشيد كلف ربان السفينة ان يسلمها الى شيخ الكويت ليقوم بايصالها الى خورشيد وفيها تنبيه له بعدم التقدم اكثر من حدود الاحساء والكابتن "هنيل" يقول للشيخ جابر انه يعتمد على حصافته في ابلاغ وافهام خورشيد ما قد ينطوى عليه اقدامه على تجاوز حدود الاحساء من مخاطر وفي الاسبوع الثاني من شهر مايو ١٨٣٩ اخبر شيخ الكويت "هنيل" ان خورشيد كان بالرياض وان وكلاءه الذين في الكويت كانوا يشترون التموين ولم يذكر الشيخ جابر في رسالته ان في نية خورشيد مهاجمة البصرة او التوجه شمالا من الاحساء يتضح بعد ذلك كيف كان البريطانيون يحاولون الاستفادة من وضع الكويت في التعرف الى تحركات الجيش المصري والحصول على معلومات ما يضمره قائدهم خورشيد من نوايا تجاه التوجه نحو العراق وحرص المقيم البريطاني في اقامة جسر للعلاقات مع خورشيد عن طريق الكويت ، كما يبدو بوضوح كيف ان عيون البريطانيين كانت تتابع تحركات الجيش المصرى وكتب "هنيل" في احد تقاريره بأن خورشيد ارسل وكلاءه الى الكويت وشيوخ "المنتفق" قرب البصرة لشراء التموين اللازم لجيشه ، وكان ذكر الكويت يتردد في كثير من مكاتبات خورشيد مع القاهرة ولعل حاجة الجيش المصري الى الذخيرة والمؤن فرضت على خورشيد ان يرسل موفدا خاصا الى الكويت يعمل على تأمين هذه الحاجيات وقد فسر البعض بأن محمد افندي موفد خورشيد الى الكويت انما كان يقوم بأعمال التجسس لحساب مصر وان اتخذ رداء جامع التموين للجيش المصري في الاحساء ويجد ستارا يخفى تحت طياته حقيقة امره[٥٤] .

تزويد الجيش المصري بالذخائر وبالمؤن اللازمة كان في الواقع الشغل الشاغل للقائد خورشيد ومما زاد الطين بلة انه كان يشكو نقص في الاموال اللازمة لشراء هذه الذخائر والغلال ولهذا اوفد مندوبا عنه الى الكويت والبصرة ليستعرض المال ، وكتب خورشيد الى القاهرة يطلب ارسال سفينتين من السفن المصرية الراسية في جدة الى ميناء القطيف لكي تعملا في تسهيل نقل الذخيرة من البصرة والكويت ويقول في احدى رسائله : "وقد لاحظنا هذه الاسباب من قبل محاولة الحصول على ذخائر ونقود وكانت نواحي البصرة والكويت تأبى اصدار الذخائر الينا عملا بأوامر حكمها فانتدبنا حكيمبا شي الجيش الذي بمعيتنا واوفدناه في ١٧ رمضان ١٢٥٤ الى قنصل فرنسا المقيم للتعارف الذي بينهما وعهدنا اليه ان يستقرض من القنصل المشار اليه نقدا قدر الفي كيس

وان يشتري بواسطته كمية من الذخيرة بذلك المبلغ فيحملها في سفينة ويأتي بها الى ميناء القطيف" . ويبدو ان ازمة المؤن لاسيما الرز للافراد والشعير للخيل بقيت مستحكمة ولذلك ارسل خورشيد في شرائها من الكويت مما يكشف عن اهميتها ليس في كونها سوقا لشراء العلف والمؤن فحسب بل ايضا لكون الكويت قادرة على نقل تلك المؤن للجيش المصري في الاحساء ويجد بل ان خورشيد يذهب ابعد من ذلك حين يرى غضب البصرة وبغداد نتيجة لمساهمة الكويت في حل ازمة الغلال ، ويبدو ان مساعدة الكويت في تحقيق قدر كبير من حل مشكلة المؤن والغلال من حيث شراؤها ونقلها على سفنها لم تكن هي الوسيلة الوحيدة التى افاد منها خورشيد ذلك انه حين وصل الكويت مجموعة عسكرية من الجيش العثماني وهربت من بغداد وجاءت الى الكويت فان سفنها ساهمت بنقلهم جميعا الى الاحساء ويقول "محمد اغا المورة" الذي فر من الجيش العثماني الى الجيش المصرى عن طريق الكويت(**) :

"وبما انني منذ القديم اومل ان اكون مشرفا ومفتخرا بالخدمة المصرية الموجبة للفخر فلقد عملت على قطع عرجي واتفقت مع نحو خمسمائة جندى من أصل الف جندى المار ذكرها الموجوده في البصرة على ان نلتحق بمعية حضرة خورشيد باشا فشاع هذا الامر فمنعوا من اجله اعطاء تذكر وسفن فلم يكن بالامكان ان تأتي بتلك المقدار من العسكر فاستدعيت بوجه السرعة سبعين جنديا وركبنا الفلك بالكره عنهم وتوجهنا الى الكويت وصعدنا اليها ، وجئت عند محمد افندي مأمور اشتراء الغلال في الكويت من قبل حضرة خورشيد باشا وبينما كان محمد افندي ناويا الاقامة في الكويت بضعة ايام جاء خطاب مع رجل مخصوص لابن صباح امير الكويت يطلب القبض علينا واعادتنا الى البصرة فلم يعبأ ابن الشيخ صباح بذلك الكتاب واجاب بانه غير قادر على القبض علينا وارسالنا بالاجبار ، ثم ان الامير المرموق اركبنا انا و محمد افندي والعسكر الذين معنا فوصلنا الى الاحساء فصعدنا اليها ومنها جئنا الى "ترمده" مع قافلة الغلال المرسلة الى خورشيد من طرف محمد اغا القاهرى رئيس المغاربة مأمور الاحساء وبعد ما جرت بنا السفينة من البصرة بثلاث ساعات او اربع جاءنا خبر من اولئك العساكر الذين اتفقنا معهم يسألوننا ان نعين لهم محلا يخرجون اليه وقالوا لنا اذ قبلنا ان نكون في الخدمة المصرية فلنبعث لهم علما بذلك" .

يتضح من ذلك دور الكويت المعروف في نقل الجنود والمؤن اللازم وحوادث لجوء الافراد والجماعات وكتب كان حكام الكويت يرفضون تسليم اللاجئين والمستجدين فعلى سبيل المثال كيف ان الشيخ عبدالله الصباح رفض تسليم المستجير به لمتسلم البصرة ووالي بغداد ولاريب ان

اللاجئ الى بلد انما يسعى الى امان من الهارب منه أي ان يوجد في بلد امين بعيد عن تسلط من يخشاه وكيف استطاع شيخ الكويت ان يقول لوالي بغداد انه لن يعيد "محمود الموره دي" ورفاقه الى البصرة فان ذلك يعني بانه قادر على حماية المستجير به من خطر ملاحقة والي بغداد ، اما القائد المصري خورشيد فلم يكن يضمر مهاجمة الكويت وحاكمها الذي قدم وكان سيقدم للمصريين اكثر من جميل بصنيعه ، فهذه سفن الكويت تنقل الغلال والمون ، ومن خلال مسلك خورشيد ورجاله تجاه الكويت والشيخ جابر يتبين ان العلاقات الكويتية - المصرية لم تتعرض للتردي طوال هذه الفترة من تاريخ الحكم المصري للجزيرة العربية بعامة وشرق الجزيرة بخاصة بل العكس كانت في صالح مصر .

وصف موقف الكويت في تلك الفترة من القوى الاقليمية والدولية في عرف الدبلوماسية الحديثة بأنه موقف المحايد وغير المنحاز وان بدا انه في بعض الاحيان يميل الى جانب الجيش المصري في الجزيره العربية الذي كان في جنوب الكويت اما العثمانيون فكانو في شمال الكويت في العراق والبريطانيون قد اقاموا قاعدة عسكرية في جزيرة "الخرج" مقابل المياه الاقليمية الكويتية وبذلك كان الموقف السياسي الكويتي دقيق وذات حسابات واقعية متزنة . ولاشك ان موقفا معاديا من المبعوث المصري محمد افندي الذي وكل اليه امر شراء الغلال او من عدم تيسير نقل المون والذخائر كان يمكن ان يتسبب في كارثة تصيب مئات الافراد من المصريين وان موقفا يميل الى أي جانب من الاطراف المتقاتلة كان سيسبب كارثة لأخوة تربطهم بأهل الكويت روابط روحية قوية ولعل المثل البارز على موقف الحياد هذا يتضح من رفض الشيخ جابر عام ١٨٣٩ مقابلة موفد "هنيل" المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي الى الكويت وكان الرفض قد تم في صلابة وحصافة مما دعا الكاتب الرسمي البريطاني "لوريمر" لمحاولة تبرير ذلك بأن الشيخ جابر لم يكن ليريد اغضاب المصريين ، وكان "لوريمر" يعتقد بأن محمد افندي مبعوث القائد خورشيد كان رقيبا او عينا مصريا على شيخ الكويت الذي كان يخشاه ولذا كان يجلسه في ابرز مقام في ديوانه ، وكان "هنيل" يعتقد ان الكويت والتي لم تكن بعد قد وقعت على اية اتفاقيات حماية بريطانية ربما خشى الشيخ جابر من خطر المصرى مما قد يدفعه الى الانحياز بجانب بريطانيا من اجل الحماية في ذلك الصراع السياسي الذي قد يتطور الى صراع عسكري واقتصادي ولعل زيارة "هنيل" لساحل عمان بعد توقيع شيخ البحرين اتفاقية الصداقة مع المصريين وعدم زيارة "هنيل" للكويت دليل اخر على قدرة الكويت على الوقوف على قدميها امام أي خطر خارجي معتمدا على حكمة سياستها مع القوى

الاقليمية والدولية ، واذا كانت الكويت قد اكرمت عمر بن عفيصان والذي كان مواليا لحاكم "الدرعية" بعد هزيمة فيصل بن تركي عام ١٨٣٩ فانها عادت لتفتح بابها واسعا لاستقبال خالد بن سعود بعد عامين ١٨٤١ حين اضطر لمغادرة الاحساء نتيجة لهزيمته امام ابناء عمومته عبدالله بن ثنيان وكان خالد معروفا بولائه التام للمصريين(٥٦) ويتضح مما سبق ذكره في علاقة الكويت مع القوى الاقليمية الدولية وكذلك استقبال وحماية المستجيرين والمعارضين للأنظمة الاقليمية سواء المعارضين من العراق او من المصريين او من امارة "الدرعية" او غيرهم كماسبق ذكره ، فانه لايمكن ان يجمع بين الاضداد الا من حافظ على حياده بين جميع القوى الاقليمية والدولية مثل الكويت .

٥ - العلاقات الكويتية - العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

التحرر من التبعية العثمانية كان من بين الاسس السائدة في سياسة الكويت منذ تأسيسها حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر على الرغم من ان الكويت كانت اقرب الامارات العربية لممتلكات الدولة العثمانية في اقصى شمال شرق الجزيرة العربية الا انه ليس هناك ما يثبت وجود أي نوع من التبعية الرسمية الا ان المستوطنين الاوائل لم يجدوا مناصا من تأمين مركزهم بالاعتراف بشيء من الولاء للسلطان العثماني الذي كانت له السيادة الروحية على مناطق الجزيرة العربية على نحو ما كان يحظى به في مناطق الوطن العربي الأخرى ، وكانت سياسة الكويت تعمل في اتجاهين الاول : الوقوف في وجه الدولة العثمانية في الامور التي تمس استقلال شيوخ الكويت وسيادتهم عليها وهذا ما نجد في رفض شيوخها لطلبات الولاة العثمانيين الخاصة بتسليم بعض الفارين الى الكويت والمحميين بشيوخها والاتجاه الثاني هو مساندة الدولة العثمانية وتدعيم نفوذها في المناطق التابعة لها عن طريق تقديم المساعدات الممكنة في قيام حكامها بارسال بعض سفنه الى الاحساء او الى البصرة سواء لرفع الحصار عنها او لمساعدتها في تدعيم السلطة العثمانية في عربستان فلما كان الهجوم على المحمرة عاصمة عربستان يتطلب قدرا من السفن كي ترابط في شط العرب فقد طلب على رضا باشا المساعدة من شيخ الكويت الذي بادر بتقديم العون اللازم . وتطوعت الكويت في الحملة العثمانية على الاحساء في ١٨٧١/٤/٢٠ واشترك شيخها الذي قاد القوات الكويتية بنفسه عن طريق البحر مرافقا للقائد العثماني نافذ باشا وذلك لتقوية العلاقة مع العثمانيين من جهة والتخلص من سطرة الامير سعود على السواحل المتاخمة للكويت ، اما اخو الشيخ مبارك فقد زحف الى الاحساء برا على رأس قوات كبيرة تتألف من اهالي الكويت وعشائرها ، وقد ساهمت الكويت بأكثر من ثمانين سفينة من سفنها لاستخدامها في تلك الحملة كما وقف شيخ الكويت الى

جانب مدحت باشا في جميع مشاكل الجزيرة العربية وساعده على اخماد معظم الثورات التى قامت في الاحساء وانه تطوع بنفسه في حمل الفرمانات والرايات العثمانية وعمل على توزيعها على شيوخ المنطقة ولكنه لم يلق نجاحا الا في قطر وان تعاون الكويت مع مدحت وقبولها لعروضه بسرعة ايضا بسبب العوامل الاقتصادية حيث الممتلكات الواسعة لال الصباح في جنوب العراق ولاشك ان الشيخ قد ادرك ان مدحت باشا لن يتواني عن اتخاذ اجراءات عنيفة وسريعة اذ لقى مقاومة من جانب الكويت وفي اواخر عام ١٨٧١ غادر مدحت باشا بغداد ومعه قوات كبيرة في زيارة الاحساء للاطلاع على احوالها فحل بطريقه في الكويت ضيفا على الشيخ عبدالله الصباح الذي استقبله بالحفاوة والاكرام وهناك استصدر مدحت باشا فرمانا يقضى باعلان الكويت قضاء مستقلا استقلالا ذاتيا تتوارثه اسرة الصباح ونص الفرمان ايضا ان يحمل شيخ الكويت لقب القائمقام ويستقل بتنظيم شوونه الداخلية ولما كان مدحت باشا يقدر موقف حكام الكويت وجنوحهم للاستقلال لذلك عمل على اعفائهم من الاتاوة بل واكثر من ذلك قرر استمرار صرف الرواتب السنوية لهم من خزانة البصرة وان ارتباط الكويت كان بالسلطان اسميا اكثر منه فعليا اضافة الى ان حاكمها كان يتسلم مقدارا سنويا من التمر ٢٠٠ كاره من باشا البصرة شرط حماية الميناء من أي اعتداء خارجي مما يعني بعد للنظر عند مدحت باشا بأن يخفف عن الكويتيين التزاماتهم المالية اضافة الى رغبته في كسب ود الامارة اليه وهو في اشد الحاجة الى سفنها لتعاونه في تنفيذ مشروعاته في الخليج العربي لعدم امكانية الاسطول العثماني بالقيام بالمهمة لوحده وربما كان للمساعدات التى قدمها شيخ الكويت اثرها في قيام الدولة العثمانية بمنحه لقب قائمقام واعطائه مساحات كبيرة من الاراضي بضواحي "الفاو" المجاورة[٥٧] .

٦ – دور الكويت في حملة العثمانيين على قطر

قرر قائد القوات العثمانية بعد نجاح الحملة على الاحساء عام ١٨٧١ والتي ساهمت فيها القوات الكويتية ، ان يرسل حملة أخرى بقيادة الشيخ عبدالله الصباح حاكم الكويت الى قطر وكان التوجه العثماني هذا كان سيخلق نوعا من الصراع مع بريطانيا التى عقدت مع قطر معاهدة ١٨٦٨ والتى كانت تنظر الي التوسع العثماني في الخليج العربي كخطر يهدد مركزها الممتاز ونفوذها في هذه المنطقة ولكن حملة الشيخ عبدالله الصباح نجحت في تحقيق اغراضها السياسية دون ان تصطدم بأية قوات تابعة لقطر وانما وجدت ترحيبا من الشيخ قاسم بن محمد الذي اعلن انضمامه للعثمانيين ورفع العلم العثمالي بنفسه على قطر واعلن بتبعيتها للدولة العثمانية مما اثار

حفيظة بريطانيا ضد قطر والدولة العثمانية معا . ويبدو ان تجنب وقوع ازمة عسكرية بين بريطانيا والعثمانيين الذي بعثوا بقوة الى "البدع" عاصمة قطر تشد ازرها قوة كويتية يعود الى توصية "بلي" المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي لحكومته بأن يترك الموقف في قطر مائعا في الظروف الراهنة ، وظل العثمانيون يطلبون مساعدة حكام الكويت كلما احتاجوا الى ذلك للقضاء على أي تمرد يحدث في الاحساء وقطر لتوفر السفن لديها واستعدادها لارسال قوات برية من البادية لانجاز المهام التى تطلب منها يؤكد هذا الدور الذي لعبته الكويت عام ١٨٩٣ عندما وقع التمرد القطري الكبير ضد العثمانيين الذين سارعوا بارسال حملة تأديبية الى قطر مستعينين في ذلك بالكويت عندما وافق الشيخ محمد الصباح على ارسال جيش بقيادة أخيه مبارك الصباح الا ان القوات الكويتية لم تكن تريد الاشتباك الفعلي مع القطريين ومن ثم تباطأ في تحركه مما وصل متأخرا عقب الحاق القطريين الهزيمة بالعثمانيين وتكبيدهم خسائر جسيمة في الارواح وبذلك يمكن القول بأن القوات الكويتية التى ساهمة في انجاح الحملة العثمانية على قطر عام ١٨٧١ هي نفسها التي ساهمت في الحاق الهزيمة بطريق غير مباشر بالقوات العثمانية عندما تركتها عاجزة عن الصمود او المقاومة امام التمرد القطري على التبعية العثمانية عام ١٨٩٣[٥٨] .

الهوامش :

١ - سيف مرزوق الشملان - من تاريخ الكويت - ذات السلاسل - الكويت ١٩٨٦ صـ ١٢٥ .

٢ - حسين خلف الشيخ خزعل - المرجع السابق جـ ١ صـ ٧٥ .

٣ - حسين خلف الشيخ خزعل - نفس المرجع صـ ٧٥ .

٤ - حسين خلف الشيخ خزعل - نفس المرجع صـ ١١٩ .

٥ - د. حسن سليمان محمود - المرجع السابق صـ ١٦٢ .

٦ - عبدالعزيز الرشيد - المرجع السابق صـ ١٢١ .

٧ - عبدالعزيز الرشيد - نفس المرجع صـ ١٢٤ .

٨ - عبدالعزيز الرشيد - نفس المرجع صـ ١٢٤ .

٩ - سيف مرزوق الشملان - المرجع السابق صـ ١٣٢ .

١٠ - حسين خلف الشيخ خزعل - المرجع السابق صـ ١٢٤ .

١١ - عبدالعزيز الرشيد - المرجع السابق صـ ١٢٨ .

١٢ - حسين خلف الشيخ خزعل - المرجع السابق صـ ١٣٠ .

١٣ - حسين خلف الشيخ خزعل - نفس المرجع صـ ١٤٤ .

١٤ - د. حسن سليمان محمود - المرجع السابق صـ ١٦٧ .

١٥ - حسين خلف الشيخ خزعل - المرجع السابق صـ ١٥١ .

١٦ - سيف مرزوق الشملان - المرجع السابق صـ ١٣٩ .

١٧ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - المرجع السابق صـ ١٢٣ .

١٨ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - المرجع السابق صـ ١٨٨ .

١٩ - د. احمد مصطفى ابو حاكمة - المرجع السابق صـ ٢٠٥ .

٢٠ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - المرجع السابق صـ ١٢٣ .

٢١ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - نفس المرجع صـ ٢٧٧ .

٢٢ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - نفس المرجع صـ ٢٥٠ .

٢٣ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - نفس المرجع صـ ٢٧٥ .

٢٤ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - نفس المرجع صـ ٢٥٩ .

٢٥ - د. احمد مصطفى ابو حاكمة - المرجع السابق صـ ٢٩٣ .

٢٦ - د. أحمد مصطفى ابو حاكمة - نفس المرجع صـ ٢٩٧ .

٢٧ - د. احمد مصطفى ابو حاكمة - نفس المرجع صـ ٣٠٢ .

٢٨ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - نفس المرجع صـ ٢٣ .

٢٩ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - نفس المرجع صـ ٢٧ .

٣٠ - د. احمد مصطفى ابو حاكمة - للمرجع السابق صـ ٢٣ .

٣١ - سيف مرزوق الشملان - المرجع السابق صـ ١١٧ .

٣٢ - د. عثمان عبدالملك الصالح - المرجع السابق صـ ٣٤ .

٣٣ - د. عثمان عبدالملك الصالح - نفس المرجع صـ ٣٦ .

٣٤ - د. عثمان عبدالملك الصالح - نفس المرجع صـ ٣٩ .

٣٥ - د. أحمد مصطفى ابو حاكمة - المرجع السابق صـ ٣٤ .

٣٦ - د. أحمد مصطفى ابو حاكمة - نفس المرجع صـ ٣٥ .

٣٧ - يوسف بن عيسى القناعي - صفحات من تاريخ الكويت - الكويت ١٩٥٤ صـ ٣٦ .

٣٨ - د. عثمان عبدالملك الصالح - المرجع السابق صـ ٤٠ .

٣٩ - عبدالعزيز الرشيد - المرجع السابق صـ ٧٥ .

٤٠ - د. عثمان عبدالملك الصالح - المرجع السابق صـ ٤٣ .

٤١ - حسين خلف الشيخ خزعل - المرجع السابق جـ ١ صـ ٧٨ .

٤٢ - حسين خلف الشيخ خزعل - نفس المرجع صـ ٨١ .

٤٣ - حسين خلف الشيخ خزعل - نفس المرجع صـ ١٠٩ .

٤٤ - حسين خلف الشيخ خزعل نفس المرجع صـ ١٣٤ .

٤٥ - حسين خلف الشيخ خزعل - نفس المرجع صـ ١٣٦ .

٤٦ - د. احمد مصطفى ابو حاكمة - المرجع السابق صـ ١٧١ .

٤٧ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - المرجع السابق صـ ١٧١ .

٤٨ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - نفس المرجع صـ ١٧٢ .

٤٩ - سيف مرزوق الشملان - المرجع السابق صـ ١٣٠ .

٥٠ - د. فؤاد سعيد العابد - سياسة بريطانيا في الخليج العربي ١٨٥٣ - ١٩١٤ جـ ٢ - ذات السلاسل الكويت ١٩٨٤ صـ ١٦٠ .

٥١ - د. فؤاد سعيد العابد - نفس المرجع صـ ١٦٠ .

٥٢ - د. فؤاد سعيد العابد - نفس المرجع صـ ١٦١ .

٥٣ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - المرجع السابق صـ ١٣٣

٥٤ - د. احمد مصطفى ابو حاكمة - المرجع السابق صـ ١٨٧ .

٥٥ - د. احمد مصطفى ابو حاكمة - نفس المرجع صـ ١٩٠ .

٥٦ - د. احمد مصطفى ابو حاكمة - نفس المرجع صـ ١٩٤ .

٥٧ - نورية محمد ناصر الصالح - المرجع السابق صـ ٦٤ .

٥٨ - نورية محمد ناصر الصالح - نفس المرجع صـ ٥٧ .

الفصل الثالث

الكويت قبيل وخلال الحرب العالمية الأولى
عهد الشيخ مبارك وابنه جابر ١٨٩٦ - ١٩١٧

اولا : الحياة السياسية والاوضاع الداخلية

(٧) الشيخ مبارك الصباح ١٨٩٦ - ١٩١٥

- موقعة "الصريف" بين الكويت والشمر ١٩٠١

- معركة هدية ١٩١٠ .

- هجرة تجار اللؤلؤ من الكويت

- اهتمام مبارك بمصالح رعاياه .

(٨) الشيخ جابر الثاني بن مبارك الصباح ١٩١٥ - ١٩١٧

ثانيا : الحياة الاجتماعية

- طابع الحياة فى مدينة الكويت

- الطبقات الاجتماعية

ثالثــا : الحياة الاقتصادية

رابعــا : الحياة الفكرية

خامسا : نظام الحكم في الكويت

- الشيخ مبارك والحكم

- نظام الحكم في عهد الشيخ مبارك

- وضع مبارك الكويت تحت الحماية البريطانية

سادسا : علاقة الكويت بالقوى الاقليمية والدولية

- العلاقات الكويتية - السعودية

- مساعدة الكويت لفك حصار العجمان عن جيش ال السعود

- العلاقات الكويتية - العربستانية

- العلاقات الكويتية - العثمانية

الكويت قبيل وخلال الحرب العالمية الأولى
عهد الشيخ مبارك وابنه جابر ١٨٩٦ - ١٩١٧

أولا : الحياة السياسية والاوضاع الداخلية في الكويت

(٧) الشيخ مبارك الصباح ١٨٩٦ - ١٩١٥

ولد الشيخ مبارك في الكويت عام ١٨٤٤ وتعلم وتأدب ببعض علوم الدين كما تعلم الفروسية ثم تمرن على الحكم في حياة جده ووالده وأخيه ، وكان صلب الارادة طموحا الى نشر سلطانه ونفوذه على المناطق المجاورة ولكن الظروف لم تساعده وقد اشتهر بالتقلب وعدم الثبات على سياسة واحدة فقد كان يساعد ال سعود لاضعاف نفوذ ال الرشيد كما كان يعهد احيانا لتقوية صلاته بال الرشيد خوفا من توسع نفوذ ال سعود ولكنه كان غيورا على مصالح الكويت ، فقد تولى مبارك الحكم في الكويت عام ١٨٩٦ وذلك انه في صبيحة الليلة التي قتل فيه اخويه محمد وجراح جمع وجهاء الكويت وقال لهم : "قد قضى الامر وما قضي لأمره فماذا ترون وعلى ماذا انتم عازمون ؟ فعلموا اذ ذاك ان مبارك اخا القتيلين ان لم يحكم اليوم فسيحكم غدا !! فصافحوه مبايعين وقد اظهروا له الخضوع والاذعان ، اما هو فعاهدهم على اقامة العدل والسعي في الاصلاح وان لايقطع امراً دونهم وان يستشيرهم في شؤونه كلها وبذلك زالت عنه بعض المخاوف التي احاطت به والتي كان يحس بها من آن لآخر . ولكن لم يكن يستقر حتى فاجأته المشاكل والصعوبات ذلك لان ابناء اخويه محمد وجراح لن يغفلوا عن ثأرهم وكذلك الداهية يوسف بن عبدا لله الأبراهيم الواسع الغنى وهو ممن كان في صف الشيخ محمد وجراح وقد حاول الشيخ مبارك استدراج يوسف ولكنه هرب الى البصرة حيث استقر في املاكه وتحصن هناك. وما لبث ان لحق به اولاد الشيخ محمد وجراح طمعا في مساعدة يوسف لهم على استرداد حقهم ولقد لعب يوسف هذا دورا في اثارة العثمانيين وال الرشيد ضد الشيخ مبارك[1] .

استنجد يوسف الابراهيم بحمدي باشا متسلم البصرة الذي كان احد اعداء مبارك الالداء ، كذلك اجري يوسف اتصالات بالقنصل البريطاني باسم اولاد محمد وجراح وقد كان هدف الاتصال عن الاول من اجل اعادتهم الى الحكم في الكويت واما الاتصال عن الثاني من اجل طلب

الحماية البريطانية على الكويت اذ عملت بريطانيا على اعادتهم للحكم وفي نفس الفترة اتصل مبارك برجب باشا والي بغداد والشيخ ابو الهدى شيخ الإسلام في اسطمبول من اجل اعتراف السلطان العثماني به حاكما على الكويت . واجرى اتصالات بالمقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي مظهرا له رغبته في الحماية البريطانية وهذا يوضح ان طرفي النزاع قد اتجها الى اقوى دولتين في المنطقة من اجل نفس الهدف من الناحية السياسية اما العسكرية فكان يوسف الابراهيم بما توفر له من الاموال الطائلة يعد العدة للهجوم على الكويت وانتزاعها من يد مبارك وكان الأخير يدرك ما يديره يوسف ولذا كان دائم التيقظ للغزو المرتقب اذ كانت المعركة سياسية وعسكرية في ان واحد لاسيما وان الاعوام الثلاثة الاولى من حكم مبارك كانت احرج اعوام حكمه وان الاموال الطائلة الذي انفقه مبارك في بغداد واسطمبول ضمن له قرار الدولة العثمانية بدليل ان ارادة سلطانية قد صدرت في ديسمبر عام ١٨٩٧ في اسطمبول بتعيين الشيخ مبارك "قائمقام" للكويت وهكذا يبدوا انه على الصعيد العثماني كسب مبارك المعركة الاولى في تقوية مركزه في حكم الكويت ويتجنب مومرات الباب العالي وولاتها في بغداد والبصرة . وفي يوم ١٨٩٧/٦/٣٠ وصلت الحملة البحرية التى اعدها يوسف الابراهيم الذي شهد استعداد الكويت للمعركة عاد ادراجه دون ان تحقق حملته هدفها ثم توجه بعد ذلك الى البحرين وبرغم فشله في اقناع حاكم البحرين فلم يثنه عن التوجه الى الدوحة حيث اتفق مع شيخها على المساهمة في غزو الكويت ويبدو ان هذه الخطة لم تنجح ثم اتجه الى الامير عبدالعزيز الرشيد امير حائل ونجد الذي كان يأمل ان يتخلص من مبارك الذي آوى منذ عام ١٨٩٢ الامير عبدالرحمن وابناءه الذي كان خصمه وبدأت المناوشات بين مبارك وحلفائه وبين عبدالعزيز الرشيد في صيف ١٩٠٠ عندما اغار سعدون باشا امير المنتفق على انحاء "شمر" ربما بايعاز من مبارك الذي كان يساند غزوة قام بها عبدالرحمن بن فيصل من الكويت الى نجد في اغسطس ١٩٠٠ كما امده مبارك بجيش كويتي في شهر سبتمبر ثم انضم اليهم في اكتوبر من اجل اعادة عبدالرحمن السعود للحكم في الرياض[٢] .

موقعة الصريف بين الكويت والشمر ١٩٠١/٣/١٧

قرر مبارك القيام بغزو ضد عبدالعزيز الرشيد في عقر دار "الشمر" وفي ديسمبر ١٩٠٠ توجه مبارك وعبدالرحمن السعود على رأس جيش كبير مكون من اهل الكويت والبادية واهل نجد وقبائل كثيره منها ال سليم امراء بلدة "عنيزة" في نجد وال مهنا امراء بلدة "بريدة" في نجد وقبائل المنتفق والظفير والمطير والعجمان وبنو هاجر والمرة والعوازم والرشايدة والسبيع والسهول وال عتيبة وال

قحطان وال الرولة وبني خالد ونحو الف من ابناء مدينة الكويت قاصدين "جبل شمـر" وقـد فتحـت "الرياض" دون مقاومة ونصب مبارك صديقه عبدالرحمن ال سعود حاكما على الرياض وبعد ذلـك تقدم الجيش الكويتي والنجدي نحو "حائل" لفتح جبل "الشمر" غير ان اميرها عبدالعزيز الرشـيد قـد هزمهم في "الصريف" على بعد عشرين ميلا شمال شرقي "بريدة "بـالقصيم" في يـوم ١٩٠١/٣/١٧ بعد ان خسر مبارك معظم مقاتليه من الكويتيين .

معركة هدية ١٩١٠

وقعت معركة هدية ١٩١٠ بين الشيخ مبارك وسعدون باشا المنصور شيخ قبيلـة "المنتفـق" عـام ١٩١٠ بعدما نهب "معطى بن حلاف" من شيوخ "الظفير" اموالا لعثمان الرشيد من تجار الكويـت ثم التجاء الى سعدون فطلب الشيخ مبارك ارجاع المنهوبات فلم يجبـه سـعدون الـذي اغـار بنفسـه على قبيلة "عريبدار" الكويتية لهذا سيرا مبارك جيشـا كبـيرا لقتالـه بقيـادة ابنـه الشـيخ جـابر ومعـه عبدالعزيز ال سعود وكان سعدون لم يكن يريد قتـالهم ولكـن لم يـر بـدا مـن قتـالهم فقـاتلهم قتـال المستميت حتى دارت الدائرة على الجيش الكويتي واحاط به سعدون ورجاله من كل جانب وهـذه المعركة تشبه معركة "الصريف" نظرا لتفوق الجيش الكويتيى على خصمـه كثـيرا مـن ناحيـة العـدد والعدة و لم يقتل في هذه المعركة الا عدد قليل من الفريقان نظرا لما قام به سعدون المنصـور بأعمـال جليلة يشكر عليها فلم يقتل أحد و لم يتعقب المنهزم وكان في استطاعته ابادة الجيـش الكويـتي كمـا فعل "الرشيد" في "جبل شمر" ، ولكنه لم يقتلهم بل اكرمهم وارجع الاسرى الى الكويت دون مقابل سميت هذه المعركة بالهدية لأنه لم يحدث فيها قتـال يذكـر فكـأن سـعدون المنصـور استلم الامـوال والغنائم كهدية[٣] .

هجرة تجار اللؤلؤ من الكويت

ضاعف الشيخ مبارك التكاليف والضرائب الحربية بعد معركـة "الهدية" علـى سـكان الكويـت وبخاصة التجار و لم يكتف بهذا بل منعهم في ذلك العام من الذهاب الى الغـوص لاسـتخراج اللؤلـؤ وهو عماد الاقتصاد الكويتي وبدونه لن يستطيع اكثر الكويتيين العيش نظرا لاعتمادهم الكلـي عليـه وكان الغوص قد بلغ ذروته في عهد مبارك حتى سموا بالطفحة أي مجاوزة الحد وكان للكويت أكثر من ثمانمئة سفينة كبيرة وصغيرة وجرى نقـاش بـين الشـيخ مبـارك و "هـلال بـن فجحـان المطـيرى" وابراهيم بن مضف" و "شملان بن على بن سيف" وبعـد ذلـك رأى هـولاء الثلاثـة وكـانوا رؤسـاء القوم واشهر تجار اللؤلؤ بأن يغادروا الكويت ، وعندمـا علـم الشـيخ مبـارك بمـا صنعـوا نـدم علـى مافرط منه فأرسل وفد يحمل رسالة تتضمن الاعتذار وحثهم على الرجوع للكويت ولكنهم رجعـوا

خائبين ثم جهز الشيخ مبارك ثانية ابنه الشيخ سالم ومعه نفس الوفد حاملين رسلة من الشيخ مبارك وهناك طلب الشيخ سالم الرجوع من "الشملان" فقال لابد من ان استشير "هلال المطيرى" و "ابرهيم مضف" فسار الشيخ سالم مع الشملان لمقابلتهم ولكن "هلال المطيرى" طلب ان يكون الاجتماع بالشيخ سالم في مجلس حاكم البحرين وقال "هلال المطيرى" لن ارجع الا بعدما يتعهد لي الشيخ عيسى الا يجرى على أي شيء في الكويت فتعهد له الشيخ عيسى بذلك ثم ان "هلال المطيري" اشترط وقال : "ان الذي يرشني بماء ترشونه بدم" فارتبك الشيخ سالم وقال اراجع الوالد بذلك فرجع الكويت ومعه ابراهيم المضف والشملان ولما اخبر والده لامه على ذلك في عدم البت فيما طلب هلال المطيرى ، وبعد ذلك عزم "هلال المطيري" على عدم المجيء الى الكويت واستقدم اهله الى البحرين ووهب كل مايملك من خيل وابل وغنم للشيخ جابر المبارك وهناك أخذ شملان يخطيء مبارك ويقول له : بأن مهاجرة "هلال المطيري" الى البحرين فيها ضرر على الكويت لأنه ينفق مبلغا كبيرا من الدراهم على الفقراء والمساكين هذا بالاضافة الى ان كونه في البحرين يكون مركزا لمن يريد الهجرة اليها من الكويتيين وخاصة من قبيلة "المطران" القوية والتي يحتاجها لهم الشيخ مبارك في حروبه ضد اعداء الكويت . فرأى الشيخ مبارك ان نظر شملان صائب فاراد ان يرضى "هلال المطيري" بنفسه فقصده على يخته "مشرف" الى البحرين ومعه الشملان والمضف وهنا ارضى هلال المطيري امام شيخ البحرين فرجع هلال المطيري بعد ذلك الى الكويت(٤) .

اهتمام مبارك بمصالح رعاياه

اهتمام مبارك بمصالح رعاياه راجع الى حبه لأهله ولبلده وكان يفتح خزائنه لتجار الكويت ويمدهم منها بمئات الألوف وعشراتها ليتاجروا بها ويبيعهم قسما من تمر املاكه في البصرة ويمهلهم بالقيمة امهالاً طويلا كل ذلك رغبة في نمو تجارتهم وزيادة ثروتهم ، وقد ذهب في احد الاعوام جملة من تجار اللولو الى "بمباي" لبيع لولوهم هناك ولكن صادفوا نزول الاسعار وكساد الاسواق فأصدر امره اليهم بابقاء لولوهم عند قاسم ال ابراهيم ومبادرتهم بالرجوع الى وطنهم امرهم بذلك لئلا يتحملوا الخسائر الكبيرة بطول اقامتهم هناك وقد اعطاهم عندما جاءوا الى الكويت من ماله الخاص ما يقابل قيمة اللولو ليتاجروا به ، وفي احدى المرات هجمت سفينة مسلحة على سفينة كويتية خارجة من البصرة الى ايران فيها اموال للحاج "حمد المنيس" بقرب "بوبيان" فأخذوا الاموال وقتلوا رجلا من اهل السفينة وعندما بلغ مبارك الخبر اسرع بالسفر الى "القصبة" لتحقيق امر الجناة وارسل تلغرافا الى وكيله في البصرة ليخبر الحكومة بما وقع من الاعتداء واتبعه بتلغراف

الى الشيخ خزعل حاكم عربستان في "ناصرية الاهواز" يرجو منه العون في البحث والتحقيق عن المعتدين وقد بذل مبارك في تلك القضية اهتماما كانت النتيجة احضار الجناة بين يديه وانزل بهم العقاب ، وهكذا ينبغي ان يكون اعتناء الحاكم بمصالح رعاياه وسعيه فيما يدفع عنهم الخسائر والاضرار وان يكون سهره على مصلحتهم(٥) - وللشيخ مبارك من الاولاد جابر وسالم وصباح وفهد وناصر وحمد وعبدالله .

(٨) الشيخ جابر الثاني بن مبارك ١٩١٥ - ١٩١٧

تولى الحكم بعد وفاة ابيه الشيخ مبارك ١٩١٦/١/٣ وكان حليما متواضعا عادلا وكان اول عمل قام به هو ان الغى عن الكويتيين ضريبة الثلث على العقارات والبيوت التي اثقل فيها الشيخ مبارك كاهل الكويتيين فكان كلما بيع بيت او عقار اخذ لنفسه ثلث الثمن ولو تكرر بيعه وفي عهده ازدهرت التجارة وانهالت الارباح الطائلة عل[illegible]ار حتى وصلت بضائعهم الى سوريا والحجاز ونجد بل انها تعدتها الى اسطمبول نظرا للحصار البحرى المفروض على الاتراك اثناء الحرب العالمية الاولى(٦) .

فاتجهت البضائع المحملة والمختلفة الى اهل الشام والاتراك التى كانوا في امس الحاجة اليها وبذلك عملت الكويت على كسر حلقة الحصار الذي كان يفرضه الحلفاء على العثمانيين ولم ينظر البريطانيون بعين الرضا الى موقف حاكم لكويت الذي وان لم يكن يؤيد تهريب البضائع عبر الكويت الى العثمانيين الا انه لم يكن ليتدخل في تلك التجارة لمنعها وان البريطانيين لم يجاهروا باحتجاج علني لدي حاكم الكويت فيما يتعلق بتلك التجارة وذلك لان جابر كان قد اعلن وقوف الكويت رسميا الى جانب بريطانيا والحلفاء ولكنه توفي بعد مرور اكثر من عام(٧) .

ثانيا : الحياة الاجتماعية

طابع الحياة في مدينة الكويت

اتسمت الكويت بطابع المدينة العربي الصحراوية بيضاوية الشكل قابعة على شاطيء الخليج العربي وكان اول ما يسترعي انتباه الزائر لها ذلك السور الكبير الذي كان يحيط بها والذي كان بمثابة المثال الحي لتضامن الكويتيين وخير شاهد لتآزرهم وقد اقام الكويتيون به اربع بوابات تفضي الى الصحراء المترامية التي تحيط بالسور ولم تكن مدينة الكويت التي امتدت على طول شاطيء جون الكويت لاميال قليلة مزدحمة بالسكان نظرا لصغر مساحتها بل كان كل ما فيها عدة احياء رئيسية

يفصل بينها شارع رئيسي يصل ما بين اهم اسواقها وشاطىء الخليج العربي فالقسم الشمالي منه مقسوم الى قسمين فالذي يلي البحر يسمى "الشرق" والذي يلي البر يسمى "المرقاب" اما القسم الآخر فينقسم هو الآخر الى قسمين كذلك فالذي يلي البحر - سمي "القبلة" والذي يلي البر يسمى "الصالحية" اما حي الوسط فيقع وسط المدينة بين "الشرق" و "القبلة" والى جانب هذه الاحياء الكبيرة تتناثر بعض الاحياء الصغيرة مثل حي "العوازم" و "الرشايدة" و "المطران" . وكانت من ابرز معالم مدينة الكويت تلك الاسواق التى تتناثر داخل هذه الاحياء والتي كانت بمثابة المناطق الحيوية حيث يتجمع الناس بغية البيع والشراء وكانت ساحة الصفاة هي اهم تلك الاسواق حيث يعرض فيها البدو ما يأتون به من اغنام والبان لاستبدالها بما كانت تزخر به اسواق الكويت من ملبس اوزاد اضافة الى عدة اسواق اخرى خاصة كسوق "اللحم" و "السمك" و "الدهن" و "الصفرة" أي "النحاس" و "الحدادة" و "الخضرة" ... إلخ .

لم تكن اكثر الحوانيت في الاسواق يرتفع عن مستوى الشارع الا بقليل حيث يرى الباعة جالسين القرفصاء تحيط بهم الاوعية والصناديق المملوء بالسلع والمواد الغذائية المختلفة والى جانب هذا الازدحام المشاهد في الاسواق كانت واجهة المدينة البحرية تذخر كذلك بأنواع كثيرة من السفن الشراعية الكبيرة والصغيرة حيث كانت ترسو في صفوف طويلة بينما ينشط بحارتها الى اعمالهم المختلفة في حركة لاتهدأ وكانت احياء الكويت تذخر بالمساجد لتلاوة القرآن والاذكار وتأدية الصلاة ، وكان من معالم مدينة الكويت الرئيسية قصر الحاكم المطل على شاطىء البحر "السيف" وكان يعرف "بالسراي المباركية" والى القرب منه دار الضيافة تحتوي على العديد من الغرف لاستضافة الضيوف و لم تكن طرق المدينة بعيدة بل كان اكثرها ضيقة ملتوية وغير مستوية رملية بحيث كان على العابر ان يتبين بحذر موطىء القدم كما كان عليه ان يتنحي جانبا اذا ما وجاه بين الفينة والفينة جملا ضخما محملا بالقش وهو منظر من المناظر المألوفة لافساح المجال له بالمرور وعلى طول هذه الطرق امتدت مساكن الكويتيين المتلاصقة وهي في معظمها تتسم بالبساطة ورقة الحال ومعظمها من طابق واحد ، وكان الكويتيون الى وقت قريب يعتمدون في معيشتهم على مايمكن جمعه من مياه الامطار داخل "برك" مقروها في وسط ساحات دورهم عن طريق "مرازيم" تمتد من اسطحها اليها اضافة الى مياه بعض الابار الجوفية التي حفرت في بعض احياء المدينة وضواحيها غير ان مياه هذه الابار بمرور الوقت ومع تزايد عدد السكان لم تعد كافية لتأمين حاجة السكان المتزايدة من الماء وهو الامر الذي جعلهم يتجهون الى جلب حاجتهم منها من شط العرب

في سفن شراعية "ابوام" كانت تقلع من الكويت الى شط العرب لنقل المياه الى الكويت داخل براميل خشبية حيث تفرغ حمولتها في برك مبطنه بالاسمنت يفد اليها الكويتيون لأخذ حاجتهم منها كما يقوم بعض الصبية بنقل هذه المياه لبيعها الى المواطنين في "قرب" صنعوها من جلد الماعز او بواسطة صفائح معدنية يحملونها على ظهور حميرهم ودوابهم واول من ابتكر طريقة نقل الماء من شط العرب الى الكويت وبيعه على الاهالي هو "محمد اليعقوب" عام ١٩٠٧ وذلك في سفينته "النشالة" التى زودها بعدة براميل خشبية لهذا الغرض ولقد شجعت الارباح التي حصل عليها محمد اليعقوب الكثير من اصحاب السفن على الحذو حذوه ولكن بالرغم من تزايد اعداد السفن العاملة في نقل الماء من شط العرب فانها لم يكن بمقدورها سد حاجة الاهالي من الماء خصوصا عند اشتداد الحرارة وركود الرياح ولذا عمد الشيخ مبارك الى شراء سفينة كبيرة لهذه الغاية اطلق عليها اسم "سعيد" من الهند وكان سعر الجالون من الماء حوالي "٦٠ . "(٨) .

الطبقات الاجتماعية

يتكون طبقات المجتمع الكويتى من (١) التجار ، (٢) البحاره ، (٣) اهل البادية . ان البيئة خلقت ذلك التاجر الكويتيّ الذي امتاز بالتعاون مع ابناء مهنتـه والبيئة فهي التي وجهت البحار الذي يركب السفينة لان يشتغل بالتجارة الى جانب ركوبه البحر ، وكان التجار يملكون المال بأنفسهم او بمولهم الافراد وفقا لنظام يعرف "بالبضعة" وهو اسلوب تعاوني يقدم بموجبه احد التجار مالا او بضاعة لفرد يسعى في استثمارها تجاريا ويقسم صافي الربح عند التصفية بينهما بنسبة الثلثين لمول والثلث للقائم بالمتاجرة اما في حالة الخسارة او الهلاك فصاحب المال هو الذي يتحمل الاعباء وحده وطبقة التجار هي التى تملك الاسطول التجاري الكويتيّ ومن السمات الرئيسية لطبقة التجار الكويتية اعتمادها الكامل على البحر ، فنشاطهم مرتبط به كل الارتباط سواء في الغوص على اللؤلؤ او في النقل البحري او في بناء السفن اما الطبقة الثانية فهي من البحارة وهم الغالبية العظمى من المجتمع الكويتي وهم اقرب الى الطبقة الدنيا من الطبقة الوسطى وتتكون من النواخذة والسيوب والغواصين "التباين" وجميع العاملين سواء في صناعة السفن او في الغوص على اللؤلؤ اما الطبقة الثالثة فهم سكان البادية . يفد سكان البادية الى مدينة الكويت في فصل الربيع وهم من قبائل العجمان والمطران والعوازم والدواسر وسبيع وعدوان والرشايدة الا ان الاكثرية من العوازم وتؤخذ منهم الزكاة وكانوا يبيعون في سوق الكويت ما يحملون من "صوف" و "سمن" و "الماعز" واغنام ويشترون حاجتهم من السوق المحلية بنظام "المسابلة" أي يدفعون بالأجل في الموسم القادم ومعظم

الجيش الكويتي ان لم يكن جميعه يتشكل من البدو وقبائل البادية مثلما ذكرنا في موقعة "الصريف" و "هدية"(٩) .

اثرت البيئة الجغرافية على افراد المجتمع العربي في الكويت فخلقت فيه روح التعاون حتى اصبحت الكويت كلها اسرة واحدة فاذا تعرضت سفينة من السفن للغرق في عرض البحر وكثيرا ما كان يحدث ذلك فسرعان ما يجمع الاصدقاء والمعارف التبرعات على عجل لتغطية الخسارة كلها بل واحيانا على جملة الخسارة وغالبا ما يحدث ذلك دون علم من اصابته الكارثة ودون استعطاف من جانبه ، وكان رفع العلم الكويتي على سفينة انتهى العمل فيها يمثل مناسبة اجتماعية عامة فيتجمع ممثلون لمختلف العائلات من اصحاب السفن ليشتركوا معا في انزالها الى الماء ، اما الأسرة الكويتية لم تفتقد أمنها وتوفر احتياجاتها فترة غياب عائلها في الرحلات الطويلة وانما كان كل مقيم من اهل المنطقة يشعر انه مسؤل ادبيا عن اسرة جاره او صديقه او أخيه المسافر وكان يتحسس في ادب جم احوال جيرانه وعشيرته لجلب ما يحتاجونه زيادة على ما كان يتركه المسافر لأهله قبل رحيله لسد حاجاتهم المعيشية لقد كان كل رجل في "حيه" اشبه بحارس يقظ لهذا الحي بحيث لايسهل لغريب ان يتسلل ، وانه برغم الزيادة المستمرة في عدد السكان الا ان القضايا المعروضة على المحاكم ظلت قليلة ويرجع ذلك الى نزاهة الحكام والى فطرة الكويتيين على الانصاف وعدم التعدي كذلك قيام كل جماعة بحل مشاكل افرادها ذاتيا ، فالتجار لهم لجنة من اهل التجارة لفض مشاكلهم وتدارس امورهم وبالتالي فهي اقرب الى "النقابة المهنية" وكذلك للعاملين في مهنة الغوص وكذلك للعاملين في مهنة السفر وغيرهم ... إلخ . وهذه الروح التعاونية التي سادت المجتمع الكويتي جعلتهم يتعاونون في بناء سور حول مدينتهم لمنع هجمات السعوديين المتكررة . كما تأسست بالكويت "الجمعية الخيرية" عام ١٩١٢ وكان هدفها ارسال طلاب العلم الى خارج الكويت وفتح مكتبة عامة وتوزيع الماء على الفقراء وتكفين اموات المسلمين الفقراء والغرباء وجلب محدث يعظ الناس واحضار طبيبة وصيدلي لعلاج الفقراء بالمجان ، وبنفس هذا الحماس تعاون الكويتيون في انشاء المدرسة "المباركية"(١٠) .

يعتبر صبغ واوجه التطور الاجتماعي للكويت قبيل الحرب العالمية الاولى وهي الفترة التي تغطي الاعوام الأخيرة من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين وما طرأ على المجتمع العربي في الكويت من تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية ، بمثابة المنعطف التاريخي الاكثر اثراء من حيث انه اسهم في وضع اللبنات الاولى للبنية الثقافية للمجتمع الحديث فمع وجود اختلاف ما بين مجتمع

الغوص وصيد اللؤلؤ ورحلات التجارة البرية المضنية وبين مجتمع الوفرة النفطية فيما بعد والتي نجح الكويتيون في خوض غمار مجتمع الغوص ونجحوا فيها ، الا ان العلاقات الانتاجية والتشكيلة الطبقية للكويت الحديث ربما يكون والى حد كبير صورة أخرى من صور العلاقات القديمة التي كانت تميز الفئات الاجتماعية في الكويت في نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين اذا تركنا جانبا افرازات الحياة الحديثة ومؤثراتها على علاقات الانتاج وعلى طبيعة حياة السكان وعلاقاتهم الاجتماعية الجديدة ، وان التطور الاجتماعي الذي شهدته الكويت قبيل الحرب العالمية الاولى تميز بثلاثة عوامل[١١] :

العامل الاول : شهد المجتمع العربي في الكويت ولاول مرة في تاريخها الحديث عملية التحول الكبير من مجتمع البداوة وحياة التنقل والترحال الى مجتمع حديث لم يكن مألوفاً لسكانه وهو مجتمع التجارة والاستقرار وسريان الانظمة والقوانين وتنظيم العمل وتقسم الادوار المختلفة بين قوى الانتاج فقد هيأ لموقع الحيوي للكويت وتوسطه في طريق التجارة لابنائه فرصة الاستفادة القصوى من هذه الخاصية الجغرافية حتى اصبحت المدينة مركز للخدمات بمثل ماهو الحال في المدن الحديثة التي تتميز بنشاطها التجاري والخدماتي مع اعتبار الفارق الزمني وحجم التجارة والخدمات بين القرنين التاسع عشر والقرن العشرين ، وهذا راجع منذ مرحلة التأسيس والاستقرار في الموقع الحالي للكويت بعد ان نجحوا في تكوين مجتمعهم في منتصف القرن السابع عشر حيث كانوا يمتلكون ارادة خاصة لتطوير مجتمعهم كما انهم نجحوا في استغلال الاستقرار السياسي الذي ساد بفعل توازن القوى بين القوى الاقليمية والدولية ليجعلوا من مدينة الكويت اهم المدن والمرفاء التجارية في شمال الخليج العربي .

العامل الثاني : يتمثل المجتمع العربي في الكويت قبيل الحرب العالمية الاولى في حالة التحول الجذري الذي عصف بالنظام السياسي في الكويت فقد كان الشيخ مبارك منذ تولى السلطة على ان يترك الامور تسير سيرا طبيعيا دون تدخل من قبله بمعنى انه وان كان ظل يفتعل بمزيج من الرغبة والتخطيط لاجراء تحولات جذرية على طبيعة النظام السياسي القائم وهو نظام يقوم على العلاقات القبلية السائدة الا انه لم يكن يشاء ان يبدأ حكمه باتخاذ قرارات فورية قد تتسبب في احداث حالات من الشك والقلق في اوساط السكان ومع مرور الزمن بدا في الافصاح عن خططه الجديدة وهي في مجملها تهدف الى ايجاد الادوات والوسائل لتغيير المجتمع القبلي الى مجتمع جديد يخضع لنظام مركزية السلطة واكتساب صيغة شرعية جديدة تقوم على الشعور بالولاء للحاكم ولافراد

الاسرة الحاكمة وقد حقق مبارك في حركته نجاحا كبيرا في توجيه السلطة في الكويت وتخلص من اللقب القديم وهو لقب الشيخ الى لقب الامير كما اصبحت الكويت وراثية يقوم نظامها السياسي في زرية مبارك .

العامل الثالث : والذي جاء كنتيجة طبيعية لحركة التحول الجذري الذي شهده المجتمع الكويتي تحت حكم مبارك فتغير وجه السلطة ودخول الكويت الى معترك الحياة الاجتماعية غير القبلية بمدلولها الاجتماعي والانتاجي ادى الى ظاهرة تكديس الثروة وهي خاصية افضت بدورها الى مزيد من الحاجة لتطبيق نظرية تقسيم العمل داخل المجتمع الجديد ومن ثم العمل على فتح افاق جديدة للنشاط التجاري والانتاجي في الكويت وقد تحقق بفعل هذا النظام نموذج من التطور شبيه بالنظام الرأسمالي السائد في تلك الفترة وتحقق للكويت نسبة متفاوتة من الازدهار الاقتصادي التي لم تكن لتنتكس لولا وجود العديد من العوامل الخارجية كنشوب الحرب العالمية الاولى والكساد الاقتصادي العالمي وظهور اللؤلؤ الصناعي وظهور بعض الاوبئة كأحد العوامل المعطلة لازدهار الكويت في بداية القرن العشرين .

ادى التطور الاقتصادي الاجتماعي الى زيادة المعدلات الانتاجية لصيادي اللؤلؤ والسمك ، وكان مبارك حاكما مطلقا احب زيادة حجم الثروة واجتهد كثيرا في البحث عن وسائل جديدة لأكتساب المزيد من المال وعرف عنه انه كان يبالغ كثيرا في تغريم الخارجين على القانون وقد سن الضرائب وبلغ نصيب الحاكم من فائض الانتاج المحصل من تجارة اللؤلؤ وصيد السمك الثلث ، ويمكن القول بأن الكويت بحجمها وبالدور الحيوي الذي كانت تمارسه في الشوون الاقتصادية في شرق الجزيرة العربية وشمالها كانت من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية صورة مماثلة للكويت الحديثة فالاختلاف لم يكن في نوع الدور الذي قدر لها ان تلعب منذ وقت مبكر واذا ما قارنا طبيعة الاقتصاد الكويتي في بداية القرن العشرين وطبيعة الاقتصاد المماثل في العقد الاخير من القرن نفسه لنجد ان الاقتصاد القديم كان احادي المصدر فقد كانت هذه الحقبة تخضع في مجملها لطبيعة الاقتصاد البحري الذي يعتمد على استخدام اللؤلؤ وصيد الاسماك وكانت هذه الصناعة تخضع بدورها لسلسلة من القوانين والنظم والعادات والتقاليد التقليدية وجعلت هذه الصناعة ذات طقوس وملامح خاصة ارتبطت مع مرور الزمن بعلاقات انتاجية تحدد على ضوئها دور الفئات الاجتماعية الكويتية بشكل قاطع ومتنوع الى حد كبير وقد كان هذا النشاط مصدرا لايتوقف للحراك الاجتماعي فضلا عن انه ادى في احيان اخرى الى درجة من التناقض واختلاف الأراء فقد كان

بمجتمع الغوص وصيد السمك في الكويت يحمل في داخله بذورا مبكرة للنضج الاجتماعي الذي شهدته الكويت طوال اعوام القرن العشرين ، وان تأسيس السلطة المركزية في الكويت قبيل الحرب العالمية الاولى ووضوح ملامح المجتمع الانتاجي الجديد ادى الى بروز علاقات جديدة لم تكن معروفة من قبل و لم تكن سائغة في اطار المجتمع القبلي البدائي الرحالي القديم وهي فئتين رئيسيتين الاولى فئة المنتجين والثانية هي تشكيلة الفئات المشرفة على وسائل الانتاج ، ولهذا فان الطبقة الجديدة في الكويت والتي جاءت افرازا لحالة التحولات الاجتماعية من مجتمع التنقل الى مجتمع الاستقرار ومن مجتمع القبيلة الى مجتمع المدينة بعلاقاتها المركبة هذه التركيبة الجديدة ادى الى ظهور نموذجين من التمايز الطبقي في المجتمع الكويتي لم تكن مألوفة من قبل الاول ويرتبط بالظاهرة الاجتماعية والاقتصادية الجديدة وهي ظاهرة تكديس الثروة والذي يعني في الاساس ظهور طبقة من الاثرياء واصحاب المال الذي يملكون وسائل الاستئثار بالثروة الآتية من عوائد البحر والتجارة والظاهرة الثانية ترتبط بعلاقة جديدة من التجاذب بين حالات الاعتماد على عوامل خارجية وحالة الاستقلال في اتخاذ القرار ، وهذا الوضع يندرج تحت النظرية التي ترى ان الناس والمجتمعات والجماعات لابد ان تخضع لمؤثرات قوتين متناقضتين بحيث تخضع احداهما لدرجات متفاوتة من الاعتمادية في حين تكون القوى الأخرى على الطرف النقيض تؤكد الاستقلالية في التوجه وفي اتخاذ القرار ، وفي ضوء ذلك فأن اية محاولة لمعرفة الاحوال السائدة في الكويت والعلاقات القائمة بين سكانه سوف تودي الى اكتشاف العلاقة التي قامت بين فئة المنتجين وفئة المستفيدين من تكديس الثروة التي تضخها تلك الفئة المنتجة من فائض الربح المحصل على انتاج اللؤلؤ والاتجار بالسمك ووسائل النقل المختلفة في ذلك الوقت فقد كان ازدهار تجارة اللؤلؤ وزيادة الطلب العالمي عليه هو الذي ادى الى ازدياد الاستثمار في صناعة اللؤلؤ ومن ثم الى زيادة حكم العمالة المكرسة لاستخراجه من اعماق مياه الخليج العربي وكانت الكويت اكثر نجاحا من غيرها في المنطقة في مثل تلك الصناعة اذ شهدت الكويت في عام ١٩١١ اكثر السنوات ازدهارا في تجارة اللؤلؤ خاصة وان فريق الغواصين عاد في تلك الفترة بمحصول ضخم من اللؤلؤ وهو العام الذي يعرفه الكويتيون بعام الطفحة أي طفح المحصول من اللؤلؤ ، وان نموذج العلاقات التي كانت تتحكم بظروف ووسائل انتاجه ينقسم الى نموذجين الاول نظام "الخماميس" والثاني نظام "السلفية" ، فقد اخذ نظام "الخماميس" اسمه من طبيعة توزيع محصول اللؤلؤ حيث كان الشخص او الجهة الممولة تحصل على خمس القيمة الانتاجية للمحصول بمعنى ان الممول يحصل على هامش من الربح يصل الى ٢٠٪ من قيمة المحصول وتمضى القسمة بين المشتركين في الصناعة على نحو يكون نصيب صاحب القارب

الذي ينقل الغواصين الى عرض الخليج العربي ويأويهم طول حملات الصيد ويحمل المحصول في العودة الى بر الكويت يحصل هذا المالك على الخمس الثاني أي ٢٠٪ من قيمة استهلاك المرحلة من مواد غذائية لفريق الغوص ومن نصيب الشيخ الذي يمثل الضريبة المقررة على المحصول وهذه نسبة اخرى تبلغ ٣٠٪ من جملة المحصول واذا جمعنا النصب الثلاثة فأن مجموعها يكون ٧٠٪ فأين يذهب ما تبقى من محصول الحملة ؟ هنا تتضح نقطة الضعف في هذا النظام حيث نجد ان نصيب فريق العمل من ملاحين وغواصين والسيوب والتباب وغيرهم من العاملين والطباخين من قيمة عملهم الحقيقي نسبة لاتزيد عن ٣٠٪ فقط وهم الاساس الذين يقع عليهم العبء الأكبر ان لم يكن كلها من عملية الغوص ، وفيما يلي جدول يوضح توزيع الاسهم على الاشخاص المشاركين في قارب من قوارب صيد اللؤلؤ(١٣) :

جدول توزيع الانصبة على طاقم صيد اللؤلؤ

الطاقم	العدد	توزيع الاسهم	مجموع الانصبة
النوخذة	١	٣	٣
الغواصون	١٠	٣	٣٠
السيب	١٠	٢	٢٠
الطباخ	١	٢	٢
مساعد السيب	٢	١	٢
الضريبة	—	٣	٣
المجموع	٢٤	١٤	٦٠

اضافة الى ذلك الجدول هناك طريقة أخرى قد تختلف قليلا حيث توجد نوعان من الأجرة لصاحب السفينة فان اعطى الشخص سفينته للعاملين في الغوص واعطاهم مع ذلك ما يطلبون من النقود فيكون له هنا خمس حاصلهم وان لم يعطهم الا ما سمحت به نفسه فهذا يكون له ايضا خمس حاصلهم الا انه يوخذ منه لكل "غيص" ما يقابل خمس سهمه او ربعة على مقتضى الشرط ويعطى له وحده ، اما السيب فلا يناله منه شيئا وان اعطاهم للعاملين المشتركين في العمل و لم يعطهم شيئا

اصلا فهنا يكون له نصف الحاصل لاغير ، اما توزيع الحاصل على العمال فيوخذ من الحاصل قبل كل شيء اجرة صاحب السفينة ثم قيمة ما استهلكوه من طعام وشراب وغيره ثم يوزع الباقي على العمال "فالنواخذ" له سهم كامل و "الغيص" كذلك اما السيب فيعطى ثلثي "الغيص" و "الرضيف" نصفه و "التباب" له ما وحده في المحار من اللولو وهناك شخصان آخران كل منهما كسهم "السيب" احدهما المباشر للمطبخ والثاني "النهام" وهو المطرب للعاملين في السفينة بما ينشده لهم من الاشعار النبطية عندما يباشرون خدمة السفينة ، ولحاكم البلد سهم كامل كما للغيص[١٤] .

لم يكن الغوص مجرد تجارة وارباح وانما كان الغوص حياة اجتماعية كاملة حافلة بالعادات والتقاليد وكان مصدرا لمعظم الفنون الموسيقية والغنائية بل طبع الحياة في ساحل شرق الجزيرة العربية كلها بميسمه وطابعه حتى ان النشاطات الاجتماعية نظمت حسب مواسمه وابتدائه وانتهائه فحفلات الزواج تقام بحيث لاتخالف مواعيده وحركة صناعة السفن وبناء المساكن وتنظيم التجارة ماهي الا موجات تتصاعد وتهبط مع مده وجزره لقد كان الغوص هو المحرك الاكبر للحياة الاجتماعية والخارجية ليس للكويت وانما للمجتمع العربي في شرق الجزيرة العربية[١٥] .

ثالثا : الحياة الاقتصادية

اعتمدت الحياة الاقتصادية في هذه المرحلة ايضا على التجارة والملاحة وصيد اللولو وكان الاقتصاد الكويتي ينمو نموا طبيعيا حتى وصل في هذه المرحلة الى الذروة فالكويت غدت ميناء هاما مع ازدهار التجارة وكانت الكويت تستورد بعض احتياجاتها الضرورية من البصرة وكذلك الكمالية مثل الارز والقمح والشعير والتمر والخضر والفواكه والمنسوجات والاواني..

لعب صناعة الغوص في هذه الفترة دورا حيويا وهاما في الحياة الاقتصادية للكويت وعلى الرغم من عدم توافر الاحصائيات عن عدد السفن التي كانت محورا لتلك العملية ولا عن عدد الرجال العاملين فيها الا ان العدد التقريبي في عهد الشيخ مبارك كان ستمائة سفينة على اقل تقدير وثمانمائة كحد اقصى وكذلك بلغ العدد التقريبي للعاملين في الغوص حوالي ما بين تسعة الى عشرة الاف شخصية كما ازدهرت صناعة السفن في هذه الفترة بالكويت كما نمت التجارة عن طريقها حتى بلغت اوجها قبيل واثناء الحرب العالمية الاولى عندما قامت السفن الكويتية الشراعية بدور كبير في تموين مناطق مختلفة من شرق وشمال الجزيرة العربية والمناطق العربية المجاورة لها كالعراق والشام نظرا لاستيلاء القوات العسكرية البحرية البريطانية على جميع سفن النقل البخارية وتجنيدها للخدمة في

ميادين القتال وقد تسبب ذلك في انقطاع هذه السفن التجارية عن نقل السلع والمواد الضرورية الى موانىء شرق وشمال الجزيرة العربية ومن ثم كثر الطلب على السفن الشراعية الكبيرة التى بلغ عددها في نهاية الحرب العالمية الاولى حوالي مائة وخمسين سفينة بمجموع حمولتها حوالي اربعين الف طن ، اما التجارة فقد كان الشيخ مبارك حريصا على انماء مصدر التجارة بالكويت ومساعدته بما قد يحتاجه من اموال لتحقيق اهدافه فسعى لتوسيع ميناء الكويت واصلاحه لرسو السفن كما عقد لهذا الغرض اتفاقا مع "شركة البواخر البريطانية الهندية" لكى ترسل الى الكويت باخرة من بواخرها في كل اسبوع لنقل الركاب وتحميل البضائع كما سعى لدى السلطات البريطانية لكي تقوم سفن البريد الاسبوعية بزيارة الكويت مرة كل اسبوعين اذان عدم وجود المكتب البريدي يجعل التجار يرسلون خطاباتهم ووثائقهم التجارية بواسطة المسافرين او عن طريق اصدقائهم في الموانىء الأخرى مما ينشأ عنه عدم انتظام وصولها وفي بعض الاحيان لاتصل على الاطلاق ، وبعد هذه العلاقة التجارية بين الهند والكويت اصبح التاجر بامكانه التردد على الهند في كل شهر بلا مشقة ولا عناء بعد ان كان ليس في استطاعته ذلك الا مرة أو مرتين في السنة مع ما يلاقيه من الصعوبات والاخطار وكانت الاموال والبضائع التي تحمل في المراكب التجارية من الهند قبل الاتفاق كانت تنزل في المحمرة ومنها تشحن في سفن شراعية الى الكويت وبذلك اخذت الكويت تنمو سريعا ولاسيما بعدما شرعت البواخر الهندية البريطانية تأتيها باضطراد وبانتظام تنقل منها محصولات البادية وشمال الجزيرة العربية الى الهند وتأتى من الهند بحاجيات سكان داخل الجزيرة العربية وشمالها الى الكويت كالأقمشة والارز وغيرها(١٦) .

جذب ميناء الكويت اليه كثير من السكان من نجد والاحساء والعراق وكذلك تطورت صناعة السفن تطورا كبيرا يناسب التطور التجاري وقادرة علىالوصول الى مناطق بعيدة وأصبحت الكويت مركزا تجاريا ومعبرا الى نجد والاحساء وبلاد الشام ويصف لنا عبد المسيح الانطاكي سوق الكويت عندما زارها في عهد مبارك فيقول : "تجارة الكويت هي الوارد والصادر شأن الثغور المهمة واكثر اهلها من التجار "ثم يقول : "اما الحركة التجارية في الاسواق فقد رأيتها نامية زاهية حيث كانت الاسواق غاصة بالناس وقال لي دليلى ان الوقت الذي كان فيه ليس من اوقات المواسم والناس في قراهم ومزارعهم وباديتهم وحدثني حالة الاسواق في ايام المواسم الشيء الكثير" . ويرجع هذا الاذدهار الى سهر مبارك على حماية التجارة من السلب والنهب وميله الشديد الى شد عضدها بماله من قوة ومال ونفوذ وإنزاله العقاب الصارم بمن يعتدي عليها وعلى أهلها لان تعميم العدل

والامان هما قوام العمران ، واصبحت الكويت في هذه الفترة محط منافسة بين الدول الاوربية كبريطانيا والمانيا وروسيا وكذلك الدولة العثمانية[١٧] .

ومع نشوب الحرب العالمية الاولى وصلت تجارة الكويت الى اماكن بعيدة مثل البلاد التي كان الحصار البحري مضروبا عليها كالشام والحجاز والعراق بل وصلت تلك التجارة الى الأستانة ويرجع السبب في وصول التجارة الكويتية الى تلك الاصقاع الى ان السفن الكويتية التي تسير بالشراع وبمساعدة الالات البخارية التي ادخلت ايام الحرب العالمية الاولى لم تكن تتعرض لمضايقات الاساطيل المتحاربة مما جعلها تستيطع ان تمون مناطق كثيرة وكان الشيخ مبارك قد انشأ وكالة تجارية في "بومباي" وذلك لمساعدة التجار والرعايا الكويتيين والدفاع عن قضاياهم ورعاية مصالحهم وكان يرأسها سالم السديراوي ثم حل محله ابنه محمد سالم كما اهتم الشيخ مبارك بالطريق البري بين الكويت والبصرة وعين عام ١٩١١ اربعين رجلا لحراسة الطريق اما الواجهة الاساسية للرحلات الكويتية فهي شط العرب بالعراق حيث يتم شحن السفن بالتمور كما تشحن نسبة حوالي ٣٪ بالذرة العراقيةوكانت هذه السفن تتجه بحمولتها المذكورة الى الهند وباكستان والى ساحل مهرة وحضرموت وعدن والبحر الاحمر وكذلك الى شرق افريقيا وخاصة الصومال على ان الهند كانت هي المستهلك الاكبر لأغلب كميات التمور المصدرة أي ما يقارب ٧٠٪ منها وفي رحلة العودة تحمل السفن الكويتية من الهند الأخشاب اللازمة لسد حاجة الكويت في اعمال الانشاءات والتجارة وكذلك لبناء السفن كما كانت تحمل الأقمشة والاطعمة والتوابل والحبال وغيرها مما يحتاج اليه الكويتيون في حياتهم اليومية اما الواردات من حضرموت وعدن والبحر الاحمر فكانت قليلة واهما "البن" واللبان والصمغ العربي من حضرموت وكذلك كان يرد من ساحل حضرموت "الصل" أي دهن السمك وذلك بكميات كبيرةووفيرة وتستعمل بصفة خاصة في دهان انواع السفن التجارية المصنوعة من الأخشاب في كل رحلة جديدة تقوم بها وقد وصلت الملاحة الكويتية الى قمة ازدهارها اثناء الحرب العالمية الاولى وقدرت الطاقة المقدرة لحمولتها بحوالي الثلاثين الى اربعين طن ولكن يجب ان نلاحظ ان جملة البضائع المشحونه سنويا بالاسطول التجاري الكويتي كانت تزيد على هذا التقدير الاسمى نظرا لتعدد رحلات السفينة الواحدة خلال العام الواحد كما يجب ان نلاحظ بالاضافة الى سفن الاسطول التجاري الكويتي كان التجار الكويتيون يستأجرون الاغلبية الكبيرة من السفن المملوكة لغير الكويتيين في مختلف الاماكن في الخليج العربي وحضرموت وبخاصة في تجارة التمور وكانت هذه السفن المستأجرة تقارب سفن الاسطول الكويتي

في الطاقة والعدد وبذلك لعبت التجارة الكويتية بدور فعال في تموينها وسد حاجاتها في اثناء الحرب العالمية الاولى حيث تشكل القيود العسكرية الملاحة التجارية الى حد كبير و لم تكن الكويت تشعر في مثل هذه الاوقات بانعدام أي من المواد الغذائية او البضائع(١٨) كما حدث في غيرها من المناطق في الخليج العربي بل كانت هذه المواد متوفرة فيهـا كل الوفرة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى عندما بدأ البريطانيون يضايقون التجارة الكويتية بحجة انها تشكل خرقاً للحصار البريطاني على الممتلكات العثمانية في المنطقة .

اتيحت الفرصة للشيخ مبارك لتحقيق ما كان يصبو اليه من ابراز مكانة الكويت التجارية عندما خاطبه الالمان في يناير عام ١٩٠٠ حول مد "سكة حديد برلين بغداد" الى الكويت بالرغم مما كان يصاحب هذا المشروع من اغراض ساسية موضحين له ان تجارة الكويت سوف تزداد بدرجة كبيرة مما ينشأ عنه ازدياد كبير في الدخل وتضاعف عظيم في قيمة الممتلكات هذا عدا ما سيوفره من ايجاد العمل لكل شخصية ولكن بالرغم من هذه الاغراءات والتسهيلات الكبيرة التي يمكن لمثل هذه المشروع ان يقدمها لتجارة الكويت فان الشيخ مبارك لم يكن يملك وقتذاك حرية الموافقة عليه ، والواقع ان هذا الازدهار الذي شهدته التجارة في عهد الشيخ مباركة قد تعرض لعدة هزات كادت ان تعصف بشهرة الكويتيين التجارية بل وتقضي على نشاط الكويتيين التجاري من ابرزها ما تعرضت له تجارة الكويتيين من هزات جرى خلال الحرب العالمية الاولى وزلك بالرغم من النشاط الكبير الذي شهدته الحركة الملاحية التجارية الكويتية خلال سنوات الحرب نتيجة لانقطاع معظم السفن التجارية الاوربية اذ كانت الهند وجنوب الجزيرة العربية تعتمد في معاملاتها التجارية على السفن الكويتية والتجار الكويتيين وذلك عندما اتجهت السلطات البريطانية الى فكرة تشديد الحصار الاقتصادي على الدولة العثمانية خاصة عندما ادركت ان حلقة الحصار تعاني من نقاط ضعف كانت الكويت احداها ومن ثم اهتدت الى توجيه انذار الى شيخ سالم الصباح حاكم الكويت يحمله مسؤولية تسهيل مهمة نقل المؤن والمواد الى الاعداء مما ادى الى احتدام الموقف بين الطرفين وذلك عندما قدم الى الكويت المستر "بل" المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي في ١٩١٧/١٢/٢٩ لمباحثة الشيخ سالم حول هذا الموضوع غير ان البريطانيين كعادتهم رأوا معالجة الموضوع باللين والسياسة والابتعاد عن الصرامة والعنف ومن ثم اتصل السير "برسي كوكس" المعتمد البريطاني في العراق وذلك بعدما اتصل الشيخ خزعل حاكم امارة عربستان طالبا منه ان تبتعد الحكومة البريطانية عن استعمال الشدة مع الكويت ومن ثم ارسل برقية الى الشيخ وبذلك

طلب كوكس حاكم الكويت ورجاه قبول ما اقترحته الحكومة البريطانية من تعيين هيئة من قبلها في الكويت للاشراف على ما يخرج منها من سلع وبضائع الى سائر الجهات مظهرا له ان تلك الهيئة التى سيناط اليها عملية تنفيذ الحصار مهمتها مؤقتة تنتهي بانتهاء الحرب كما اوضح له ان الحكومة البريطانية ستعوضه عما يلحق ببلده من اضرار نتيجة فرض هذا الحصار فقبل سالم طلب كوكس ومن ثم ارسلت بريطانيا احد ضباطها العسكريين مصحوبا بضابطين آخرين للقيام بمهمة المراقبة وتشديد عملية الحصار فصار الضابط البريطاني يراقب بشدة وبدقة شديدة جميع البضائع والاطعمة الواردة الى الكويت بالسفن البخارية والشراعية وقد نتج عن ذلك الحصار ان صارت الاموال لاترد الى الكويت الا بمقدار ولاتخرج منها الا بموافقة الضباط البريطاني "ملكلم" والذي كان يعمل وقتذاك حاكما سياسيا لمدينة "الزبير" ، الى ضواحي مدينة الكويت واطرافها واشتد الضيق بالكويت وصارت المخازن والدكاكين تفتش لاقل شبهة وكاد التفتيش يصل الى الدواوين والمنازل ، وطولب التجار باحصاء جميع الاموال الموجودة في مخازنهم ودكاكينهم فبادر الجميع بالعمل وظل الركود التجاري يخيم على الكويت خلال فترة الحصار الذي استمر حتى نهاية الحرب العالمية الاولى وخلال هذه المدة لم تنتعش احوال الكويت التجارية بل على العكس من ذلك اصيب عدد كبير من التجار الكويتيين مما كانت لديهم كميات كبيرة من البضائع والسلع كانوا قد اختزنوها خلال الحرب بخسارة كبيرة من جراء ذلك الهبوط الكبير الذي اصاب السلع التجارية في اعقاب انتهاء الحرب[١٩] .

رابعا : الحياة الفكرية

مرت الحركة الفكرية والثقافية في الكويت بعدة مراحل منها المرحلة الاولى وهي مرحلة الجمود الفكري ويمكن اطلاقها على مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ والمرحلة الثانية مرحلة النضج الفكري ويقصد بها تلك المرحلة التي تميزت بها الحركة الفكرية خلال فترة ما بين الحربين العالميتين والمرحلة الثالثة مرحلة النضوج الفكري ويقصد بها تلك الفترة التي اعقبت تدفق البترول بغزارة في الكويت وما اعقب ذلك من قيام نوع من التغير والتطوير لشتى نواحي الحياة الاجتماعية ولاسيما الحركة الفكرية ، ففي المرحلة الاولى مرحلة الجمود الفكري كانت الكويت في شبه عزلة عن التيارات الفكرية المعاصرة في المناطق العربية القريبة منها او البعيدة وترجع هذه العزلة الفكرية الى طبيعة الحياة الفطرية في الكويت حيث كان الكويتيون يجاهدون في مجتمع البداوة من اجل الحصول على لقمة العيش وبالتالي لم يكونوا في وضع يساعدهم على المشاركة او الانغماس في أي

من هذه التيارات الفكرية الأخرى المعاصرة ، صحيح كان الكويتيون يتنقلون عن طريق اسفارهم الى مناطق بعيدة مثل الهند وحضرموت وشرق افريقيا انما يمكن القول ان هذا الاتصال لم يكن ليتولد عنه ذلك الاحتكاك الفكري المؤثر لسببين اولهما اختلاف طبيعة هذه المجتمعات غير العربية عن طبيعة المجتمع العربي في الكويت بحيث لم يكن من السهل وجود شكل من اشكال الاقتباس او النقل ، والثاني عدم تقبل الكويتيين لما هم ليسوا في حاجة اليه في وقت كانت فيه لقمة العيش هي شغلهم الشاغل وعلى ذلك لم يكن مستغربا ان تكون الكويت خلال هذه المرحلة غارقة في بحر الجمود ومنافسة في حماة التأخر ولا أثر للحركة العلمية والفكرية فيها فقد كان الشائع بين اهلها اذ ذاك مبادىء الفقة والعربية والخط المتوسط والحساب البسيط وما عدا هذا من العلوم العصرية والمشاريع النافعة والآراء الحية فليس لها اثر بينهم ولو وجدوا شيئا منها اذ ذاك لنفروا منه ومن اهله النفور العظيم ولرموا متعاطيه بالزندقة والالحاد[٢٠] .

بدأت فكرة ظهور التعليم الحديث قبيل الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٠ وان كانت تلك البداية لم تأت في صورتها المتكاملة نظرا لانها كانت بمثابة اول محاولة لتنظيم التعليم وكانت في حد ذاتها محاولة اهلية صرفة وقد جرت فكرة قيام اول مدرسة نظامية في الكويت خلال الاحتفال بذكرى المولد النبوى عام ١٩١٠ في ديوانية الشيخ يوسف عيسى القناعي عندما تطرق السيد ياسين "الطباطبائي" الذي نوه في كلمته بمناسبة الاحتفال بذكرى مولد النبي الكريم والاقتداء بما جاء به النبي من اعمال جليلة ولايمكن الاقتداء بسنته ما لم تعرف سيرته ولاتعرف سيرته حق المعرفة دون تعلمها ولايتأتى ذلك الا بفتح المدارس المفيدة ومن خلال الاحتفال بمولد النبي الكريم جاء فكرة الوجوب بفتح المدارس المفيدة وانقاذ الامة من الجهل ولقد كان لذلك تأثير كبير لدى السامعين خاصة الشيخ يوسف عيسى القناعي الذي يصف ما دار عقب طرح تلك الفكرة فيقول : ... وبعدما انتهى من كلامه السيد ياسين الطباطبائي تدبرته فاذا هو الحق فأخذت افكر في الوسيلة التي يكون لها فتح مدرسة علمية فرأيت ان اكتب مقالا ابين فيه فضل العلم والتعلم ومضرات الجهل وقيمة التعاون على هذا المشروع فكتبت هذا المقال ثم وقعت عليه بامضائي وابتدأت بالتبرع لهذا المشروع بمبلغ ٥٠ روبية ليست ملكي حينئذ وانما دفعتها بعد ان يسرها الله لي ثم ذهبت الى ... وخرجت منه قاصدا محل ... فخرجت من محله ... ثم جرى الاكتتاب فحصل من بقية اهل الكويت ١٢,٥٠٠ روبية ثم كتب آل خالد وناصر المبارك وشملان وهلال المطيري الى قاسم وعبدالرحمن ال ابراهيم فتبرع قاسم بثلاثين الف روبيه وتبرع عبدالرحمن بعشرين

الف فصار بمجموع رأسمال المدرسة ٧٧,٥٠٠ روبية وتبرع ايضا اولاد خالد الخضير ببيت كبير للمدرسة .

يتضح من ذلك ما مدى التشجيع الذي لقيته فكرة اقامة اول مدرسة نظامية في الكويت وهي المدرسة المباركية نسبة الى حاكم الكويت الشيخ مبارك وبنفس الطريقة التي تم بها جمع نفقات انشاء هذه المدرسة امكن للقائمين على تنفيذها الانتهاء من اقامة مبناها في فترة وجيزة لم تتجاوز التسعة شهور كما امكنهم ايضا من فتح ابواب تلك المدرسة للدراسة في ١٩١١/١٢/٢٢ وكان يشرف على هذه المدرسة مدير عهد اليه القيام بالاشراف على سير الدراسة فيها ومن اشهر من تولى ادارة هذه المدرسة الشيخ يوسف عيسى القناعي ، يوسف بن حمود ، عبدالعزيز الرشيد ، ويرجع الفضل في انشائها الى ثلاثة من فضلاء الكويت وهم الشيخ يوسف القناعي والشيخ ناصر المبارك والسيد ياسين الطباطبائي فهم اول من حث على تأسيسها واول من رغب الجمهور في الانفاق في سبيلها وقد كان لآل خالد دورا لايقل عن سواهم اسست اولا على انقاض بيت كبير من بيوتهم وكانت ماليتها في عهدتهم وكانوا يحرصون على تنميتها كما يحرصون على تنمية اموالهم بدون أي مقابل .

يعاون مدير المدرسة المباركية مجلس من التجار الذي اسهموا في التبرع لها ، وكان المجلس في البداية من ثلاثة اشخاص هم احمد الخالد الخضير وشملان على سيف واحمد الحميضي فكانوا يجمعون الاموال من الكويتيين للانفاق على المدرسة ويكملون الناقص من نقودهم وقد اعتمدت شوون هذه المدرسة على موردين الاول ما فاض عن تكاليف انشاء هذه المدرسة وقد رؤى استثمار بعض هذا المبلغ في عمليات الغوص على اللؤلؤ لتنميته والبعض الآخر في شراء بعض الدكاكين في بعض احياء المدينة وكانت حصيلة هذا الاستثمار تكون المورد الرئيسي لميزانية هذه المدرسة اما المورد الثاني فكان يتم تحصيله في صورة مصروفات يدفعها الطلبة عند الالتحاق بالمدرسة وكان يتم تحصيلها وفق حالة الطالب ووضعه الاجتماعي وكانت تتراوح في سنواتها الخمس الاولى بين ثلاثة الاف واربعة والاف روبية ، وكانت الدراسة في تلك المدرسة تسير وفق نظام معين متفق عليه فاليوم المدرسي خمسة دورس ثلاثة في الصباح واثنان بعد الظهر ومدة الدرس ساعة ويفصل بين الدرس والدرس التالي عشر دقائق كما كانت الدراسة تجرى على مدار السنة فلم تكن هناك عطلة سنوية وانما كانت هناك عطلة ربيع في شهر مارس يذهب الطالب والمدرسون الى خارج الكويت طلبا للراحة والاستجمام اما هيئة التدريس فيها كانت قسمين الاول مدرسون محليون ذو ثقافة دينية

في الغالب تلقوها خارج الكويت كالاحساء والعراق والثاني مدرسون وافدون يهبطون الكويت من وقت لآخر ، فكان يستفاد بخبرتهم عن طريق قيامهم بالتدريس بتلك المدرسة ومنهم الشيخ حافظ وهبة والشيخ عبدالعزيز بن حمد الاحسائي والشيخ نجم الدين المندي الشيخ محمود الميتي الشيخ نوري الموصلي السيد عبدالقادر البغدادي وعبدالملك صالح المبيض الزبيري وكانت المدرسة مكونة من خمسة اقسام يتشعب القسم الاول منها اربع شعب يدرس في الشعبة الاولى الحروف الهجائية ومتى اتقن الطالب ذلك نقل الى الشعبة الثانية ليتعلم فيها كتابة الكلمات والجمل ومبادىء الحساب التي هي كتابة الاعداد والجمع ثم ينقل الى الشعبة الثالثة ليصحح املاءه ويقرأ في الجزء ويتعلم الطرح ويقرأ ويكتب ثم ينقل الى الشعبة الرابعة فيحفظ جدول الضرب ويقرأ بعض قواعد التجويد ويقرأ كتابة غيره ويتعلم من قواعد الاملاء الشيء البسيط ومتى انتهى من هذه الشعب الاربعة نقل الى القسم الثاني وفيه يتعلم القسمة في الحساب وحسن الخط ومبادىء الفقه وهكذا يتدرج في النقل حتى القسم الخامس الذي يكمل فيه الطالب كتاب العبادات في الفقه مفصلا وقواعد اللغة العربية وشيئا من الفرائض ومما هو جدير بالذكر ان عملية الانتقال من شعبة الى اخرى لم تكن تتم وفق اختبارات شهرية او امتحانات تجرى في نهاية العام انما جرت قاعدة الانتقال بناءا على شهادة من مدرس الفصل بان التلميذ قد ارتفع عن مستوى زملائه وعندئذ يخضع الطالب لامتحان يجريه عليه مدير المدرسة ومدرس الفصل الذي سينقل اليه فاذا اقتنعا بنقله نقل الى الشعبة الاعلى وهكذا وقد يلجأ المعلمون احيانا الى جمع النقود للطلاب ممن يتوسمون فيهم الذكاء تقديرا منهم ومساعدة لهم ، اما رواتب المعلمين فكانت تتراوح ما بين ١٥ و ٣٠ روبية[٢١] .

الجمعية الخيرية

لعب الشاب فرحان الفهد الخالد الخضير دورا مهما في اقامة "الجمعية الخيرية" وأخذ يفاتح الناس بأمرها ويحسن لهم القيام بمشروعها وكان الغرض من تأسيسها كما جاء في المنشور الذي اذاعته الجمعية اذ ذاك هو ارسال طلاب العلوم الدينية الى الجامعات الاسلامية في الاقطار العربية وبذل ما يقتضى لهم من المصاريف في مدة تحصيلهم من صندوق الجمعية وجلب محدث فاضل يعظ الناس ويرشدهم الى الصراط المستقيم وكذلك جلب طبيب وصيدلي مسلمين حاذقين لمداواة الفقراء والمساكين واعطائهم العلاج اللازم مجانا وتوزيع الماء الذي هو من اهم حاجات الكويت وتجهيز وتكفين اموات المسلمين الفقراء والغرباء وافتتحت الجميعة في عام ١٩١٢ وقد جمع في اول الامر لها كمية وافرة من اموال المحسنين وكثير من الكتب النافعة يرد مناهلها القراء ودعا اليها الشيخ

محمد الشنقيطي من "الزبير" ليقوم فيها بمهمة الوعظ والتعليم ودعا اليها اسعد افندي ايضا من البصرة وهو طبيب تركي وجلب لها ما تحتاجه من ادوية وادوات وأسلم في اثناء فتحها رجال من اليهود ومن النصارى وقامت الجمعية بأبوابهم وشد عضدهم خير قيام واستمرت تخدم المجتمع العربي في الكويت حتى اصدر الشيخ مبارك امراً بمغادرة الطبيب التركي الكويت ليمهد السبيل لإقفالها اما الاستاذ الشيخ الشنقيطي فغادرها بعد مدة لسبب سياسي وبذلك اقفلت الجمعية واوقف حركتها(٢٢) .

خامسا : نظام الحكم في الكويت

الشيخ مبارك والحكم

بداية التحالف بين مبارك وبريطانيا كان المدخل الرئيسي لصياغة الاوضاع السياسية والاقتصادية التى سادت في المنطقة على اثر التوقيع على الاتفاقية المشتركة بين بريطانيا والكويت وقد يرجع ذلك الى الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لسكان شرق الجزيرة العربية حيث كان يغلب الطابع القبلي الصرف فمن الوجهة الاجتماعية كان النظام السياسي السائد في ذلك الحين غير نهائي وغير محدد الملامح لعدة اسباب منها لان زعماء القبائل الكبرى لم يكونوا في اوضاع سياسية تمكنهم من انشاء مشيخات وامارات ذات نظم سياسية حديثة او المحافظة عليها لفترات طويلة اما لغزوات التي تشنها قبائل اخرى او لان الوجود العثماني في المنطقة كان بدوره يمارس مع تلك الزعامات وشيوخ القبائل لعبة الشد والمطاردة وقد اشتهر ولاته بالفساد وتقبل الرشاوي من قبل القادرين من زعماء وشيوخ تلك القبائل بحيث كان امر مألوفا ان يهب احد الولاة للدفاع عن زعيم قبيلة ضد زعيم آخر اذ نجح هذا الزعيم او الشيخ في استمالة الوالي العثماني وضمن وده ورضاه مقابل بعض الهدايا والرشاوي والهبات ونظرا لان الوالي العثماني كان يمثل الخليفة الذي يعتبر الواجهة الشرعية للمسلمين ، فقد كان من السهل على هذا الوالي ان يلصق بأعدائه تهمة الكفر والخروج عن الإسلام وهي تهمة مخيفة كانت تستخدم كوسيلة لتفريق الناس من حول زعمائهم واستعداء آخرين ضدهم لأضعاف مواقفهم بين الناس وللأسف لازالت تلك السياسة متبعة في بعض الأنظمة العربية حاليا ، اما السبب الآخر فأن منطقة شرق الجزيرة العربية كانت مثار تفاعلات ومخاطبات جديدة فرضتها حالة الازدهار التي نشأت بفعل رواج تجارة اللؤلؤ من ناحية وزيادة نشاط الشركات الاوربية الكبرى التي كانت في مقدمتها شركة الهند الشرقية البريطانية فقد كان الامر يتطلب نشوء علاقات انتاجية جديدة ونظم سياسية وادارية مختلفة ادت في

نهاية المطاف الى بروز ظاهرتين جديدتين في العلاقات الاجتماعية والسياسية في شرق الجزيرة العربية وهما[٢٣] :

الظاهرة الاولى : توفر العمالة الضرورية لتسيير رحلات الغوص والنشاط البحرى وتنظيم العلاقة بين الفئات المنتجة المشتركة في وضع القوانين والنظم الصارمة التي تنظم تلك العلاقة وتأكيد الامن والاستقرار والزيادة المضطردة للانتاج ووسائل الانتاج واستتبع ذلك تنظيم الادوار للجماعات على قاعدة توزيع العمل وتحديد المهام والاختصاصات .

الظاهرة الثانية : ضرورة تأسيس علاقات جيدة بين الانظمة المختلفة القائمة في شرق الجزيرة العربية يستوى في ذلك العلاقة بين الانظمة ذات الجوار الجغرافي والانظمة البعيدة ذات الاتصال في مجال التبادل التجاري الذي كانت تفرضه ظروف الانتاج الصناعي والتجاري القائم مثل صيد اللؤلؤ والاتجار فيه عبر طرق واسواق في الخليج العربي والهند وحضرموت وشرق افريقيا اما اطار العلاقات الخارجية الأخرى فقد كانت تشمل القوى الدولية الموجودة اساطيلها في مياه الخليج العربي حتى خلا الجو في نهاية المطاف للوجود البريطاني منذ بداية الحرب العالمية الاولى وحتى نهايتها وفي اعقابها .

فرضت الظروف المناسبة لتأسيس علاقات اقليمية ودولية اكثر نضجا وتنظيما بين سكان شرق الجزيرة العربية شروطا توفر جملة من التحولات الكبرى بدت اثارها على اكثر ما يكون في حالة دولة الكويت في عهد الشيخ مبارك الذي اشتهر بين اخوته بقوته وجبروته وحبه للحروب والغزوات وكان يثقل كاهل خزانة الكويت بالنفقات الحربية التى كان اخوه محمد الصباح حاكم الكويت يشكو منها مر الشكوى ونقد مبارك الاول في تعاون اخيه وشعر الحرج من جراء المواقف التي كان يضعه فيها خاصة الحالات التى كان يضطر فيها للاقتراض من التجار لتسديد ديون النفقات الحربية التى كان يخرج فيها اما مدافعا عن الكويت او غازي لحسابها وان هذه العلاقة المنفردة بين مبارك واخيه كانت من بين الاسباب التي ادت الى دفعه بتصفية اخيه جسديا لينفرد بالسلطة ويبدأ في الكويت عهدا جديدا دعامته القوة وقاعدة الدهاء في الحكم والذكاء والتفاعل مع مؤثرات العصر التي بدأت رياحها تجتث جذور المجتمع القديم[٢٤] .

نظام الحكم في عهد الشيخ مبارك

ينفرد نظام الحكم في عهد الشيخ مبارك بخصائصه المميزة وبوضع الكويت تحت الحماية البريطانية وكان للظروف التى مر بها الوطن العربي والتى احاطت بمبارك لابد وان يكون لها انعكاس على طبيعة حكمه وان فترة مبارك كانت من الفترات المهمة التى مرت بها الأمة العربية فهي الفترة الفاصلة في سير النهضة العربية بعد تفكك العرب وتبعثرهم قرونا عديدة تحت الحكم العثماني التركي الذي افقدهم استقلالهم وكاد يفقد قوميتهم العربية ويلبسهم القومية التركية العلمانية وانقسم العرب الى فريقين الاول في "المغرب العربي" ينادون بالوحدة الإسلامية معتقدين ان الدولة العثمانية ستسعى الى تحقيقها بعدما تحولت الى العلمانية والقومية التركية بعد اسقاط السلطان عبدالحميد الثاني مع اعتقاد عرب المغرب بأن الخلافة الإسلامية يجب ان تكون عربية وليس تركية وان يكون الخليفة من "قريش" كما قاله الرسول ﷺ في احاديثه الشريفة والعديدة وذلك بعدما لقوا الامرين من بطش الاستعمار المسيحي الفرنسي الذي اراد تغير الهوية العربية والاسلامية من عرب المغرب ، اما الفريق الثاني فهم عرب المشرق الذين كانوا ينادون بالقومية والوحدة العربية ودعم اواصرها مستمدين قوتهم من جذور تاريخهم الحافل بالتضحيات والبطولات وبعدما ذاقوا الامرين من الحكم التركي العثماني غير ان هذه الوحدة العربية لم تكن الا حلما دهمه كابوس الاستعمار المسيحي الغربي الذي لم يكتف بالتسلط على المشرق العربي واستغلال موارده وخيراته وانما مزقها فيما بينها شر ممزق وباعد ما بين اجزائها بالحدود والسدود من الكيانات السياسية المتعددة والمتبعثرة ، وشهدت تلك الفترة تنافسا بين الدول الاستعمارية المسيحية الغربية كبريطانيا وفرنسا والمانيا وروسيا لاخراج المشرق العربي من تحت الحكم العثماني التركي وانتهت تلك المنافسة باستقرار واستعمار بريطانيا على المشرق مع اعطاء الشام لفرنسا .

عاشت الكويت كجزء من الامة العربية تلك الظروف العامة اما الظروف الخاصة التي احاطت بمبارك فهي :

(١) قتل مبارك لأخويه وخشيته من ان ينتقم ابناء القتلين منه فيهبوا لأخذ ثأرهم .

(٢) محاولة قريب ابناء القتلين والد اعداء مبارك وهو يوسف الابراهيم غزو الكويت عن طريق البحر عام ١٨٩٧ ثم تآمره على اغتيال مبارك بعد ذلك عام ١٩٠٣ .

(٣) محاولة ابن الرشيد الهجوم على الكويت بتحريض من الدولة العثمانية وكذلك محولة الدولة العثمانية ابعاد مبارك عن الكويت .

ولعل لكل هذه الظروف اثر في نفسية مبارك مما جعله لايؤمن الا برأيه فانفرد بالحكم لايشاور في شوونه احدا مما جعل لنظام حكمه في الداخل خصائصه المميزة التي تختلف عن خصائص من سبقه ومن لحقه من ال الصباح ومما دفعه لوضع الكويت تحت حماية بريطانيا ، وقد اجمع المورخون معظمهم على ان الكويت قد عاشت في عهد مبارك تحت حكم فردي مطلق ومن اهم مظاهر ذلك هو هدر مبارك لتلك القاعدة الديمقراطية الاصيلة التي استقرت عليها روح الجماعة والتي تعتبر قاعدة دستورية مستقرة واساس نظام الحكم لسلفه وهي مشاورة الحاكم لوجهاء الكويت واعيانها في كل مايهم شوون بلدتهم كما سبق ذكره في حكام الكويت السابقين ، ولقد كان وجهاء الكويت واعيانها يرهبون مبارك ويخشون سطوته فلقد حدث ان ضاعف مبارك الضريبة على تجار اللولو فامتنع ثلاثة منهم وهم من وجهاء الكويت هلال المطيرى وشملان بن علي وابراهيم المضف عن دفع تلك الضريبة فارسل اليهم مبارك ولما حضروا الى مجلسه وبخهم وهددهم بشدة مما دفعهم الى الهجرة من الكويت الى البحرين ، ولقد حاول احد وجهاء الكويت وهو في نفس الوقت قائد جيوش مبارك البرية القيام بمؤامرة ضده فأمر مبارك بزجه في السجن وبعد مدة اطلق سراحه بعد ان سمل عينيه ولو قارنا هاتين الحادثتين بحادثة الزائدي التي سبق وان ذكرناها في عهد الشيخ عبدالله الاول ١٧٦٢ - ١٨١٤ لرأينا الفارق الكبير بين سلطة الحاكم آنذاك والسلطة التي يتمتع بها مبارك ، ولحدث امين الريحاني عن مبارك فقال[٢٥] : "كان حاد المزاج شديد البأس كثير التقلب فيه شيء من الاسد واشياء من الحرباء وهو من اولئك الحكام المنفردين الحكم الذين يرهقون الأمة بالضرائب ليحيكوا لها حلا من الفخر والعزة باهرة ..." وليس هناك مايعطى صورة واضحة عن طبيعة نظام الحكم في عهد مبارك اكثر مما ذكره مؤرخ الكويت الاول عبدالعزيز الرشيد حين يتكلم عن الجانب المذموم من اخلاق مبارك قائلا :

"على ان الحكم انتقل الى استبداد صارم وجور عظيم عندما قبض مبارك زمام الحكم وتربع على كرسيه" ثم يقول الرشيد "... كان مبارك عنيدا غشوما ظلوما وكان من المستبدين الجائرين شغفوفا بحب المال وشديد البحث عن الطرق التى توصل اليه حتى كان يرهق بعض الجباة من رعاياه بضرائب من المال فادحة وحتى اخترع رسوما مستمرة فمن زيادة في المكوس الى مشاركة في الاملاك والعقارات بل كان حظه احسن من حظ الشريك فله ثلث ما بيع واجر من كل عقار

ولو تكرر ذلك في اليوم مرات وكان ذا مكر وخداع ومراوغة .. لا بل نكاد نفهم منه ما انطوت عليه نفسه الكبيرة من حب التفرد في كل شيء حتى في تلك الاعمال التي استحق عليها الذم واذ علمنا ان كثيرا من رعيته تجنوبا ركوب الخيل لانه كان يركبها وتجنبوا ازياء مخصوصة كانت مختصة بال الصباح وتجنبوا التشبه به في مجلسه لعلمهم كراهته لذلك امكننا ان نفهم السر فيما قدمناه .. لم يكن لمبارك ميل الى العلم ولا رغبة في المعارف و لم ينشط لها في ايامه يوما"[٢٦] .

وضع مبارك للكويت تحت الحماية البريطانية

تلك هي كانت خصائص حكم مبارك في الداخل اما في الخارج فقد كان سياسي بالفطرة واظهر فيها تفوقا ومن اهم الاحداث السياسية التي جرت في عهده هو وضعه للكويت تحت الحماية البريطانية التى انتهجت سياسة توسعية استعمارية بعد انتصاره على ساحل عمان عام ١٨١٩ للتدخل شيئا فشيئا في شؤون امارات شرق الجزيرة العربية الا انه كان من اهم المحاور التى ارتكزت عليها سياستها الاستعمارية هو المحافظة على الوضع الراهن لشيوخ شرق الجزيرة العربية مما شجع شيوخ المنطقة على ان يسعوا من تلقاء انفسهم لطلب الحماية البريطانية وهكذا ترى شيخ البحرين عام ١٨٨٠ والكويت ١٨٩٩ والسعودية معاهدة دارين عام ١٩١٥ وقطر ١٩١٦ .

دفعت مبارك بعض الظروف الى عقد تلك المعاهدة وانه كان قد سبق له ان طلب من الحكومة البريطانية في سبتمبر ١٩٨٧ وضع الكويت تحت حمايتها الا ان بريطانيا رفضت ذلك فلقد ارسلت وزارة الخارجية البريطانية برقية بهذه المناسبة الى حكومة الهند تؤكد فيها ان حكومة بريطانيا لاترى أي ضرورة للتدخل في شؤون امارات شمال شرق الجزيرة العربية وان همها الوحيد كان العمل على استتباب الامن في هذه المنطقة الا ان الظروف السياسية في الكويت والعراق قد غيرت موقفها فيما بعد وربطت مبارك بمعاهدة الحماية ويمكن اجمال الظروف التي دفعت بمبارك لعقد تلك المعاهدة بأنها الخشية من هجوم خارجي سيتعرض له الكويت من جانب الدولة العثمانية او بتحريض منها وذلك عندما ارسلت بارجة حربية "زحاف" عام ١٩١٠ لابعاد مبارك عن الكويت وكان على ظهر تلك السفينة وفد يتكون من اعيان البصرة لكي يسلم الشيخ مبارك انذارا من الباب العالي طالبا منه ان يختار احد حلول ثلاثة وهي :

(١) اما ان يقبل بنزول فرقة عسكرية تركية في الكويت .

(٢) اما ان يغادر الكويت الى الآستانة حيث يعين عضوا في مجلسها الاستشاري .

(٣) او ان يرحل الى أي اقليم من الاقاليم الخاضعة لسيطرة الدولة العثمانية وستعين له هذه الاخيرة معاشا شهريا .

وفي حالة رفضه هذه الاقتراحات فأن الدولة العثمانية ستجبره بالقوة على ترك الكويت الا ان مباركا قد اعطى جوابا مهذبا بالنفي انسحبت على اثره البارجة التركية وكذلك ارسلت الحكومة العثمانية حملة عسكرية للاستيلاء على الكويت عام ١٩٠٢ وصلت الحملة الى منطقة "الفاو" بالبصرة وكان مبارك طموحا الى درجة انه لايريد فقط استبعاد ان تصبح السلطة الاسمية للدولة العثمانية على الكويت سلطة فعلية بل كان يريد مد سلطانه الى المناطق المجاورة من الجزيرة العربية فكان من الطبيعي اذن ان يستند الى دولة قوية تحميه من الاتراك الراغبين في ابتلاعه وتساعده على تحقيق اماله الواسعة وتدفع عنه الخطر اذا اقتضى الأمر تلك هي ظروف مبارك ، اما الظروف التي دفعت بريطانيا لعقد مثل تلك الاتفاقية فهي رغبتها في اقصاء النفود الالماني والروسي عن المنطقة فقد علمت بريطانيا ان السلطان العثماني عبدالحميد قد منح المانيا امتياز خط برلين بغداد وبدأ الالمان يعملون بمد ذلك الخط الحديدي ليخترق اراضي الدولة العثمانية مارا ببغداد على ان ينتهي عند رأس "كاظمة" على جون الكويت فيكون لهم في هذا الخليج ميناء طبيعي لبوارجهم يهددون به مواصلات بريطانيا ، وان المانيا بعد توقيع الاتفاقية ١٨٩٩ الحصول على موافقة الشيخ مبارك على هذا المشروع وزارت الكويت عام ١٩٠٠ لجنة المانية خاصة لهذا الغرض على رأسها قنصل المانيا العام في "الآستانة" يرافقه الملحق العسكري الالماني ولكن الشيخ مبارك راعى معاهدته مع بريطانيا رفض العرض ولهذا حرضت المانيا بعد هذا الرفض السلطان العثماني على ان يضم الكويت ويصفى مبارك . اما الروس ايضا قد بدأو بسياستهم التوسعية من اجل السيطرة على شمال الخليج العربي وتقدم القنصل الروسي في بغداد يطلب من الدولة العثمانية السماح لشركة روسية بمد خط حديدي من سواحل الشام حتى الكويت وانشاء ميناء للفحم فيها ففزعت بريطانيا من مجرد التفكير بوجود مثل ذلك الميناء للروس على الخليج العربي واندفعت الى توقيع تلك الاتفاقية ، وقدمت الى الكويت عام ١٩٠١ بارجة روسية تقل المقيم السياسي الروسي في ابو شهر الذي قابل مبارك وفاوضه باستعداد الحكومة الروسية لعقد اتفاق معه يكون اكثر ملاءمة من اتفاقية ١٨٩٩ الا ان مبارك قد اعتذر للروس ، تلك هي اهم الظروف التي دفعت كل من بريطانيا والشيخ مبارك الى عقد اتفاقية الحماية علما ان بريطانيا حرصا منها على عدم اثارة مشاكل مع الدولة العثمانية كانت تدفع للشيخ مبارك مبلغ ١٥,٠٠٠ روبية كل عام مقابل ان يحفظ بسرية تلك المعاهدة الا ان حماية

بريطانيا لمبارك وارسالها مدمرة بريطانية لطرد السفينة التركية "زحاف" التى ارسلت لابعاد مبارك عام ١٩٠١ قد شجع مبارك فاعلن تلك الاتفاقية ، وفي ظل الظروف السابقة كانت قد تمت المفاوضات بين الشيخ مبارك والمقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي الكولونيل "ميد" وانتهت في ٢٣ يناير تلك المفاوضات الى اتفاقية لم تعلق في حينها وارسلت الاتفاقية الى الهند فصادق عليها "كرزن" نائب الملك والحاكم العام للهند في ١٨٩٩/٢/١٦ وبذلك دخلت تلك الاتفاقية حيز التنفيذ فعلا وكان هذا نصها[٢٧] :

"المقصود من توقيع هذا الصك الحقانية المعتبرة انه قد تحقق العهد والقبول بين : كرنل ملكم جان ميد اندين ستاف كار باليوز جلالة الملكة البريطانية العظمى من جانب الدولة البهية القيصرية في طرف وجناب الشيخ مبارك بن صباح شيخ الكويت بالطرف الثاني .

بأن جناب الشيخ مبارك بن صباح المذكور برضائه واختياره ، يعطي العهد ويقيد نفسه وورثته واخلافه الى الابد : بأن لايقبل وكيلا او قائم مقام من جانب دولة أو حكومة في الكويت او في قطعة اخرى من حدوده بغير رخصة الدولة البهية القيصرية الانكليز . ولا يفوض ولا يبيع ولا يؤجر ولا يرهن ولا ينقل بنوع آخر ولا يعطي للسكون ، قطعة من اراضيه الى دولة او رعية احد من الدول الأخرى بغير ان يحصل على اجازة اولا من دولة جلالة الملكة البريطانية العظمى لأجل هذه الارادة . وهذه المقاولة ايضا تشتمل على كل قطعة من اراضي الشيخ المذكور التى تكون حالا في تصرف رعايا كل واحد من الدول الغير .

ولأجل الشهادة لتكميل هذه المقاولة الحقانية المعتبرة المحترمة كرنل ملكم جان ميد اندين ستاف كار باليوز جلالة الملكة البريطانية العظمى في خليج من جانب الدولة البهية القيصرية الانكليز والثاني منهما من جانب نفسه وورثته واخلافه كل منهما بمحضر الشهود وضعا صحيحهم في هذا اليوم العاشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٣١٦ هجرية مطابق ٢٣ جنيوري سنة ١٨٩٩ ميلادية" .

توقيع مبارك الصباح   توقيع الكولونيل "ميد" – المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي

يتضح من تلك المعاهدة "الغموض" فقد انتقد اللورد لاندسون بشدة موقف حكومة الهند البريطانية في برقية ارسلها في سبتمبر عام ١٩٠٠ للغموض الوارد فيها كما انها مانعة فهي تمنع الكويت من ان تستقبل في اراضيها وكيلا او ممثلا لأى دولة او حكومة او ان تؤجر او ترهن او

تعطي للتملك او لأي غرض آخر أي جزء من اراضيها الى حكومة أي دولة أخرى ففي كل هذه الحالات قد قيدت الكويت سيادتها بوجوب الحصول على الموافقة المسبقة للحكومة البريطانية الا ان ذلك لايعني تنازلها عن تلك السيادة ، اضافة الى ان هذه الاتفاقية مؤبدة ذلك انها لم تنص على تاريخ تنتهي عنده بل نصت على عكس ذلك وبصراحة على صفة التأبيد حيث تقول : "بأن جناب الشيخ مبارك الصباح يعطي العهد ويقيد نفسه وورثته واخلافه الى الابد ... " . كما ٥ تتعرض هذه الاتفاقية لا صراحة ولا ضمنا الى سيادة الكويت في شؤونها الداخلية الا ان بريطانيا قد اعترفت صراحة باستقلال الكويت في شؤونها الداخلية وذلك بالاتفاقية "الانجلو - عثمانية لعام ١٩١٣" وكذلك برسالة وجهتها الى الشيخ مبارك بتاريخ ١٩١٤/١١/٢ ، والاهم من ذلك بأن هذه المعاهدة لم تنص صراحة على الالتزامات التي تقوم بها بريطانيا مقابل تلك الالتزامات التي تتحملها الكويت الا انه من الظروف الملابسة لعقد تلك الاتفاقية يمكننا ان نستنتج ان بريطانيا تعهدت ضمنا بمقابل ذلك ان تحمي الكويت من أي هجوم خارجي وفضلا عن ذلك فقد ذكر "خزعل" انه بعد توصيات اللورد "لاندسون" وزير خارجية بريطانيا الخاصة بشرق الجزيرة العربية أخذت بريطانيا تجدد علاقاتها مع شيوخها فتجددت اتفاقياتها مع مبارك واعترفت باستقلال الكويت الداخلي وبحمايتها لمبارك وعدم تدخلها في شؤون ادارة حكمه كما تعهدت بحصر حكم الكويت في الذكور من نسله دون سواهم من ال الصباح وذلك عام ١٩٠٣ وبذلك اعترفت بريطانيا باستقلال الكويت الداخلي وبحمايتها له وذلك بكتاب تبليغ الذي وجهه المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي الى الشيخ مبارك بتاريخ ١٩١٤/١١/٢ الذي جاء فيه "تقر الحكومة البريطانية وتعترف ان مشيخة الكويت حكومة مستقلة تحت الحماية البريطانية ، كما يتضح من نصوص تلك الاتفاقية نية بريطانيا احتجاز كل الامتيازات المتعلقة باستغلال المصادر الطبيعية في الكويت لرعاياها دون سواهم وبهذا نجدها تربط مبارك باتفاق لاحق بتاريخ ١٩١١/٣/٢٩ يتعهد فيه بأن لايعطي ترخيصا لصيد اللؤلؤ او الاسفنج الا بعد موافقتها مع ان صيد اللؤلؤ كان يمثل المصدر الرئيسي لاقتصاد الكويت في تلك الفترة ، وكذلك نجد مبارك يتعهد في ١٩١٣/١٠/٢٧ بأن لايمنح عقد امتياز للتنقيب عن البترول الا لمن تعينه الحكومة البريطانية[٢٨] .

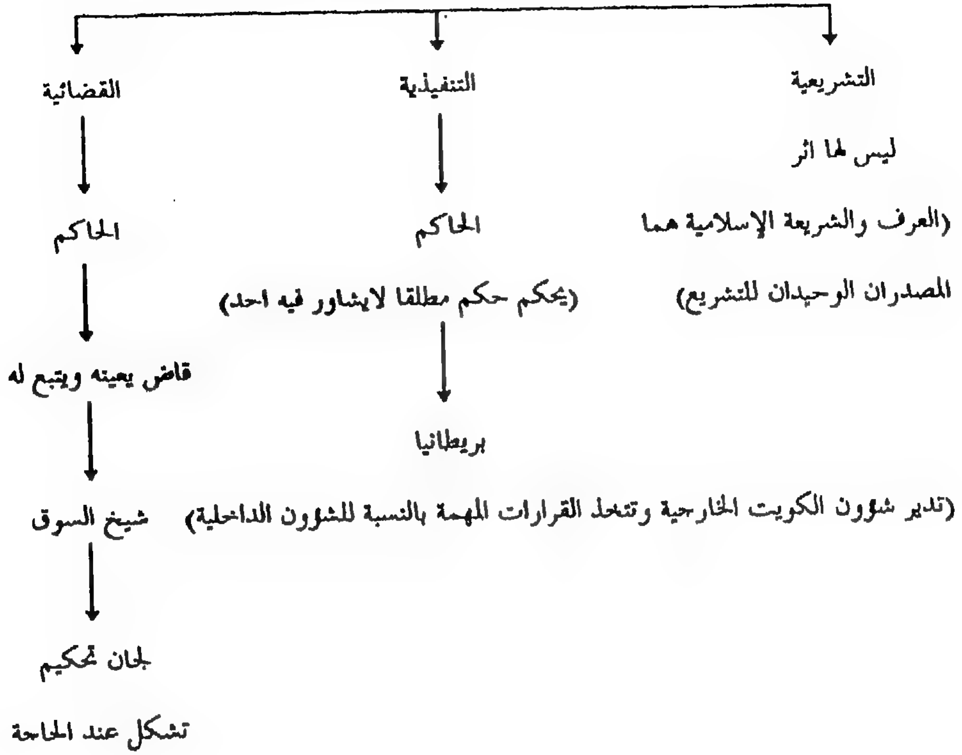
اختلف المؤرخون والسياسيون في تكييف الوضع القانوني والسياسي للكويت في ظل معاهدة ١٨٩٩/١/٢٧ فذهب البعض ان الكويت صارت بمقتضى هذه المعاهدة محمية مستقلة تتبع وزارة الخارجية لا وزارة المستعمرات البريطانية وذهب البعض الآخر الى ان الاثر القانوني لهذه المعاهدة قد

زال بزال ظروفها التي كانت مؤقتة وطارئة وان القيود التي قبلتها الكويت على سيادتها قد زالت بزوال مسبباتها وان كانت لم تمارس كافة مظاهر سيادتها الخارجية لسنوات عديدة فقد كان ذلك بمحض ارادتها ولظروفها الخاصة ، وهناك رأى ثالث يقول الى ان الوضع الدولي للكويت شأنه شأن وضع امارات شرق الجزيرة العربية التى كانت مرتبطة ببريطانيا باتفاقيات مماثلة مثل البحرين وامارات ساحل عمان ، ليس واضح من عدة نواح فعلى الرغم من ان الرسميين البريطانيين غالبا ما يشيرون الى هذه الامارات بأنها دول ذات سيادة في علاقتها التعاقدية بصاحبة الجلالة الا ان هذا التعريف يشوبه الغموض ولا يعطى تحديدا كافيا وواضحا للوضع القانوني لهذه الامارات ، اما الفريق الرابع وهو الفقيه الامريكي "ليبسني" ذهب الى حد التساؤل فيا إذا كان من الممكن اعتبار هذه الاتفاقيات ملزمة لأطرافها من الناحية الدولية ؟ ومهما كانت تلك الآراء فأنه من الواضح ان بريطانيا كانت تدير الشوون الخارجية للكويت ، وان الكويت كانت خاضعة فعلا للنفوذ البريطاني وان بريطانيا كانت هي التي تتخذ القرارات الهامة في كلا المجالين الداخلي والخارجي تاركة للأمير ما يخص المسائل العادية وان حكام الكويت كانوا يتقبلون عند توليهم لمنصبهم ما يفيد موافقة الحكومة البريطانية على تلك الولاية كما سبق القول وان مرفق القضاء وهو من اهم مظاهر السيادة الداخلية للدولة كانت تمارسه بريطانيا منذ عام ١٩٢٥ بالنسبة لرعاياها وكافة الاجانب غير المسلمين الموجودين في الكويت واخيرا فأن كلا من بريطانيا والكويت اعترفا بأن معاهدة ١٨٩٩ تتعارض مع السيادة الكاملة للكويت وذلك في معاهدة استقلال الكويت عام ١٩٦١ التي نقرا فيها :

"تلغى اتفاقية ٢٣ يناير ١٨٩٩ لكونها تتنافى مع سيادة واستقلال الكويت " . هذه هي خصائص نظام الحكم في عهد مبارك الصباح وابنه جابر ١٨٩٦ - ١٨١٧ والذي يمكن عرض نظام الحكم على الوجه التالي[٢٩] :

نظام حكم مبارك

الحاكم مصدر السلطات



سادسا : علاقات الكويت بالقوى الاقليمة والدولية

العلاقات الكويتية – السعودية

لم ييأس الشيخ مبارك من محاولة اعادة الامير عبدالعزيز بن السعود الى الحكم برغم فشله في معركة "الصريف" التى راح ضحيتها معظم الجيش الكويتي امام قوات "الشمر" ، عندما اخذ الامير الرشيد يتجول قرب حدود الكويت رأى الشيخ مبارك ان الوقت المناسب قد حان لتنفيذ الخطة السياسية التى رسمها بعد فشله في معركة "الصريف" فخرج الى الجهرة بقسم كبير من رجاله المسلحين لاشغال ابن "الرشيد" ولاضطراره للبقاء في تلك البقاع بعيدا عن مركز امارته ثم حث الشيخ مبارك الامير عبدالعزيز السعود على الذهاب للاحتلال الرياض مغتنما فرصة غياب ابن الرشيد مع قسم كبير من رجاله عن تلك البقاع وكان الامير عبدالعزيز السعود يتمنى ان تتهيأ له مثل هذه الفرصة الثمينة فأظهر رغبته الشديدة لقبول عرض الشيخ مبارك ، فخرج الامير عبدالعزيز السعود من الكويت عام ١٩٠١ بعد ان جهزه الشيخ مبارك بأربعين بعيراً وثلاثين بندقية والاموال والزاد و لم يكن معه الا اربعين رجلا فرأى ان يبدأ هجومه اولا على بعض القبائل الجنوبية ليموه ابن الرشيد فقصد قبيلة "العجمان" فانضم اليه قسم كبير من افراده كما انضم اليه قسم من ال مرة وسبيع والسهول فغزا بهم قبيلة "قحطان" و "المطير" وغنم من اموالهم شيئا كثيرا وكان اتباعه يزدادوون في كل غزوة فعزم على الاتجاه بهم نحو "الرياض" ، وعندما وصل الى الرياض وتسلق مع بعض اتباعه سور المدينة ليلا وساروا الى أحد الدور التي تجاور الدار التي يسكنها عامل ابن الرشيد وكانت تعود لأحد عبيد السعود فلما دخل عليهم رحبوا به وعند طلوع الفجر خرج عجلان بن عبدالرحمن عامل ابن الرشيد من قصره الى المسجد لصلاة الفجر فخف اليه الامير عبدالعزيز ال السعود واطلق بندقيته عليه فلم تصبه فهم عجلان بالهروب الى داخل القصر فلحق به الامير عبدالعزيز ال السعود وامسك به ليمنعه فجرى بينهما صراع كاد ان يتغلب به "عجلان" فتدارك الامر الامير عبدا لله بن جلوى وانقذ الموقف باطلاق بندقيته على "عجلان" فاردته قتيلا في الحال عندئذ دخل الامير عبدالعزيز السعود ومن معه القصر دون ان يجدوا مقاومة تذكر فبعث بعد ذلك رسولا الى الكويت ليبشر الشيخ مبارك بهذا النصر ثم كتب الشيخ مبارك الى والي البصرة يخبره باستيلاء الامير عبدالعزيز ال سعود على الرياض ويطلب منه رفع الأمير الى الباب العالي للاعتراف به ومنذ تلك اللحظة لم ينقطع الشيخ مبارك عن مناصرة الامير عبدالعزيز السعود فكان يبعث اليه القوافل المجهزة بالاطعمة والذخيرة والاسلحة والاموال ويزوده فوق كل ذلك بالخطط الحربية لانه

رأى في انتصاراته على خصمه ابن الرشيد ما يشفي حقده بعد ما ناله من الخسائر في حرب "الصريف" ، وبلغ الشيخ مبارك ان ابن الرشيد اخذ يسعى للهجوم على الرياض لاسترجاعها وانه يفاوض بعض القبائل لتشد ازره ومن ضمنها قبيلة "الظفير" التى كانت مقيمة بالقرب من الكويت ، فجهز مبارك جيشا كبيرا واسند قيادته الى صقر الغانم ليغزوا به "الظفير" الذين كانوا قد ارتحلوا متجهين الى الرياض فأمر صقر الغانم جيشه بحمل كمية كبيرة من الماء تكفيهم لمتابعة "الظفير" فلحق بهم وانقض عليهم فكبدهم خسائر فادحة بالاموال والارواح وفرقهم وبهذا احبط الشيخ مبارك عزيمة ابن الرشيد من القيام بمهاجمة الرياض ، وكان الامير عبدالرحمن وبقية ال السعود في الكويت كان قد اضربهم العسر ولم يكن لهم مورد غير ما كان يتقاضاه الامير عبدالرحمن السعود من المعاش الشهري الذي تدفعه الدولة العثمانية وما يمده الشيخ مبارك بالمساعدات وكان الامير عبدالرحمن السعود قبل خروجه من الكويت الى الرياض قد كتب الى المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي يخبره بخروجه من الكويت ويرجوه بأن تضع الحكومة البريطانية انظارها عليهم وان تشملها بعطفها ولطفها ويخبره بأن روسيا عرضت عليه مساعدتهم غير انه رفض ذلك رغبة منه في ارضاء الحكومة البريطانية وعدم استعدادهم لقبول المساعدة من دولة اخرى سواها[٣٠] .

زار الامير عبدالعزيز السعود الشيخ مبارك في عام ١٩٠٣ وكان سلطان الدويش بعد معركة الصريف قد تحالف مع ابن الرشيد ونزل مع اتباعه على الحدود الكويتية فجهز مبارك جيشا كبيرا من الكويتيين واسند قيادته الى ولده جابر فرافقهم الامير عبدالعزيز السعود فادركوا الدويش في "جولين" وهو في غفلة فهجموا عليه وانزلوا به خسائر فادحة ولم يجد امامه مجالا للمقاومة ففضل الانسحاب بعد ان استولى الجيش الكويتي على كثير من امواله ويقدر ما أخذ من الابل وحدها بنحو خمسة الاف . فأغتنم ابن رشيد وجود الامير عبدالعزيز في الكويت فعزم على مهاجمة الرياض فأرسل الامير عبدالرحمن السعود رسولا الى الكويت ليخبر ابنه بذلك فذهب الرسول وفي طريقه علم بأن جابر وابن سعود قد فرغوا من قتال "الدويش" فقصدهم فافضى اليهم بالخبر فطلب عبدالعزيز السعود من جابر ان يصحبه بجيشه الى الرياض لطرد ابن الرشيد فاعتذر جابر ما لم يأذن له أبوه فقبل عذره وعزم على الذهاب بنفسه الى الكويت ليطلب النجدة من الشيخ مبارك وان هذا الامر يتطلب السرعة والاستعجال فاهتدى الى طريقة غريبة هي ان يطلب النجدة بصورة علنية وعلى مسمع ومرأى من جميع سكان الكويت ليحرج بها موقف الشيخ مبارك ويأمن مماطلته فلما

قرب من مدينة الكويت ولاحت مبانيها تقدم اليها راكب ذلوله مسرعا بالسير وهو ينادي بصوت مرتفع : "يا أهل الكويت هلموا خلفي اتبعوني الحقوا بي" ولقد دوى صوته في ارجاء المدينة وبلغ مسامع اغلب الاهالي فهرعوا اليه مسرعين وهو يسير نحو قصر الشيخ مبارك لايلوي على شيء ولا يتحدث الى أحد فظن الناس ان الجيش الكويتي الذي ذهب الى مقاتلة "سلطان الدويش" قد أبيد عن آخره وان الامير عبدالعزيز السعود ومن عاد معه هم البقية الباقية فسبق نداؤه الشيخ مبارك فخرج من قصره مسرعا مضربا فما وقع بصره على الامير عبدالعزيز السعود وهو على تلك الحالة حتى بادره قائلا : "على مهلك ياولدي عبدالعزيز ما الذي دهاك آمن با لله قر عينا اعلمني خبرك" . هناك تقدم الامير عبدالعزيز وقال له "يا والدي يا مبارك يا أهل الكويت يا أصحاب الحمية لقد هاجم ابن الرشيد الرياض مغتنما زيارتي اليكم فرصة وهو كما تعلمون عدو لي وعدو لكم فالنجدة النجدة النصرة النصرة" . فلما وقف الشيخ مبارك على هذا الخبر وعلم ما يطلبه الامير عبدالعزيز السعود منه وعده بالمساعدة واوعز في الحال بشحن جملة من السفن بالاطعمة والسلاح والذخيرة وان تذهب الى "الظلوف"جنوب الكويت واصدر أمره الى الجيش العائد من حرب سلطان الدويش بالمسير الى الرياض وان يتزود بما يحتاجه من تلك السفن فلم علم ابن الرشيد بما دبر له الامير عبدالعزيز السعود في الكويت وشعر بمسير ذلك الجيش لمقابلته عدل عن مهاجمة الرياض فسكن جأش الامير عبدالعزيز السعود واطمئن على بلده وعاد اليه مسرعاً(٣١) .

مساعدة الكويت لفك حصار العجمان عن جيش ال السعود

خضعت الاحساء لنفوذ العثماني وكان لقبيلة العجمان نفوذ في الاحساء لايقل عن العثمانيين بل يفوقهم وحقوقا كبير ولما استولى الامير عبدالعزيز على الاحساء قطع حقوق العجمان وزال نفوذهم ولكن العجمان استطاعوا السيطرة على الاحساء فتقدم الامير عبدالعزيز ال السعود في شهر يوليو ١٩١٥ على رأس جيش كبير لأسترجاع الاحساء من سيطرة العجمان فاشتبك جيش السعود في معركة قوية وشديدة قتل فيها سعد بن عبدالرحمن شقيقه الامير عبدالعزيز الذي جرح جرحا بليغا ودارت الدائرة على جيش ال السعود فانسحبوا الى داخل الاحساء فتعقبهم العجمان وحاصروهم لمدة ثلاثة اشهر فكتب الامير عبدالعزيز السعود الى والده في الرياض يطلب المدد فأمده بجيش تحت قيادة ولده محمد ومعه احد اقاربه سعود عبدالعزيز ، كما كتب الى الشيخ مبارك الذي لم يكن راغبا في استنجاده وتباطأ في ارسال النجدة فكتب الامير عبدالعزيز الى بريطانيا التي كانت ترمي الى تقوية الامير عبدالعزيز ، ولهذا طلبت الحكومة البريطانية من الشيخ مبارك ان يمد الامير

عبدالعزيز السعود بقوة حربية كبيرة وقوية تساعده على فك حصار قبيلة العجمان واخضاعهم لحكمه ، فتقبل الشيخ مبارك هذا الطلب بدون رغبة منه فأمر بتجهيز قوة عسكرية كبيرة يرافقها قوة كبيرة ايضا من قبائل البادية في الكويت واسند قيادتها الى ولده سالم واوصاه بالتحفظ والابتعاد عند الاشتباك بالحرب مع العجمان كما اوصاه ايضا ان يتباطأ في السير ولايقطع المسافة الى الاحساء الا في خلال عشرين يوما بينما اوسط السير لقطع تلك المسافة سبعة ايام ولكن الشيخ مبارك اراد بهذا ان تتمكن العجمان من الاستيلاء على الاحساء قبل وصول الجيش الكويتي ولكن الشيخ سالم بعد ان خرج من الكويت حث السير وقطع المسافة في ستة ايام فأوصل قواته الى الامير عبدالعزيز السعود كما وصلته القوات النجدية التي كانت بقيادة اخيه محمد وفي اكتوبر ١٩١٥ ادركوا العجمان واطلقوا عليهم نيران بنادقهم ففر العجمان امامهم واتجهوا نحو الكويت فلم يتمكن الامير عبدالعزيز السعود من اللحاق بهم فعاد الى مقره وامر اخاه محمد والشيخ سالم الصباح بمطاردة العجمان فادركوهم وجرت بينهم معركة ضارية اضطرت الشيخ سالم ان يشتبك مع قواته بالقتال وان لايعبأ بوصية ابيه فقاتل واصدق القتال وقد قتل في تلك المعركة حصانه الذي كان راكبا عليه فتم لهم النصر على العجمان فقرر الامير محمد الفتك بهم فابرز العجمان الى سالم كتابا من ابيه يقول له فيه : "ارسلتك مراقبا لا مقاتلا فاذا غلبهم ابن سعود فنحن معهم ياولدي وابواب الكويت مفتوحة امامهم ولاتمكنه من تشتيت شملهم واعلن حمايتك عليهم واذا غلبوه فلا تردهم عنه ولا تساعدهم عليه" فأمتثل سالم امر ابيه وخالف الامير محمد السعود على قتال العجمان واشتد الخلاف بينهما حتى حجر الشيخ سالم الصباح الجيش السعودي واعلن حمايته على العجمان ثم قفل الشيخ سالم راجعا بقواته الى الكويت ومعه قسم كبير من العجمان وعندئذ جمع الامير عبدالعزيز السعود قواته لملاحقة الشيخ سالم ومقاتلة العجمان الذين معه في داخل الكويت ولم يلبث الشيخ مبارك بعد ذلك طويلا فقد توفي وبوفاته انتهت تلك المشكلة(٣٢) .

العلاقات الكويتية العربستانية

ارتبط الشيخ مبارك بعلاقة شخصية وطيدة مع الشيخ خزعل وكانت العلاقة بين الكويت وعربستان قديمة ترجع الى القرن الثامن عشر وان الاخطار الخارجية المشتركة دفعتهما الى تقويتها واستمرارها والتعاون معا واستحكمت العلاقة والصداقة بين الشيخ مبارك والشيخ خزعل بدرجة كبير وقد اتفقا اتفاقا محكما في السر والعلانية فما كان يؤثر على احدهما يؤثر على الآخر واذا ما

حل احدهما في بلد الآخر انزله في داره الخاصة بحيث لايحجبه عنه حاجب وكل منهما نافذ الامر في امارة صاحبه وفي امواله ومقتنايته .

يرجع هذه العلاقة منذ ان كان اخوة مبارك يرسلونه الى "الفاو" ايام الثمر وهناك يلتقي بالشيخ خزعل الذي يرسله اخوه الشيخ مزعل بن مرداو الى مقاطعة "القصبة" لنفس المهمة وكان كلاهما مضطهداً وكلاهما يعاني من المزلة والحرمان ما يعاني فمبارك مثلا لايستطيع اخفاء قلقه وتبرمه باخوته الذين سدا عليه المنافذ وضيقا عليه الحياة وخزعل هو الآخر واقع تحت نفس الظروف الذي شعر به زميله ومبارك وكلاهما كان يتمنى اليوم الذي يتحقق فيه خلاصهما واخذت روح الانتقام فيهما وتوحدت شعورهما وتوقفت علاقتهما فراحت الايام واستولى مبارك على الحكم فراح يسعى جهده لجمع المؤيدين والانصار فكتب الى الشيخ مزعل حاكم امارة عربستان يطلعه على ما حدث ويستطلع رأيه ويطلب منه الموازارة والتأييد في الوقت الذي كان اخوه الشيخ خزعل حاضرا فأوجس شرا من أخيه الذي ربما يقوم بنفس الدور الذي قام به مبارك و لم تكد تمر سوى عام ونصف حتى قتل الشيخ مزعل بتدبير من اخيه الشيخ خزعل الذي استولى على حكم امارة عربستان[٣٣] .

قام الشيخ مبارك بهذه المناسبة الاحتفالات والزينات في الكويت ابتهاجا ثم سافر الى "المحمرة" عاصمة عربستان ليقدم التهنئة بنفسه ، كما نجد الشيخ مبارك يوسط الشيخ خزعل حاكم امارة عربستان ليبطل مساعي يوسف الابراهيم لدى الأستانة من ناحية ولينهي الازمة بين الشيخ مبارك والدولة العثمانية من ناحية اخرى ونجح الشيخ خزعل في ذلك ولقد وصلت العلاقات الكويتية العربستانية الى دور كبير من الازدهار في هذه الفترة وقد يرجع هذه الصداقة ايضا الى شعور الخطر الذي يتعرض له التجار الكويتيين في الموانىء التابعة لعربستان وما يلقونه من مضايقات دوائر الجمارك البلجيكية في المنطقة ومن حركة الغزو والتعديات في مدخل شط العرب وساحل عربستان ولذلك فأن صداقة مبارك لخزعل انما كانت تعنى إعطاء الفرصة لتجار الكويت لممارسة تجارتهم في امان تام كما جمعت بين الحاكمين سياستهما التي تسير في نفس الاتجاه نحو المحافظة على استقلال بلديهما في مواجهة المطامع الأجنبية وفي موقفهما المشترك من الدولة العثمانية[٣٤] .

اشترك الاثنان في الاتصال بالحركة العربية القومية التي اتخذت دمشق مركزا لها والتي كانت تطالب بالاستقلال للعرب عن السلطة التركية واشتركا معا في حزب "الحرية والائتلاف" ودعيا لمؤتمر ١٩١٣ المنعقد في "المحمرة" ، وبعد اندلاع الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ اندلعت الثورة في

عربستان ضد الشيخ خزعل بسبب تأييده لبريطانيا ضد الدولة العثمانية وعندما اعلن رجال الدين ان كل من ينضم الى بريطانيا فقد ارتد عن الإسلام ، ثارت قبائل "بني طرف" وبني "كعب" و "ربيعة" وكان الشيخ مبارك في تلك الاثناء في "المحمرة" قادما لزيارة الشيخ خزعل وكان مدركا لكل تلك التحركات فرأى ان ينهض لمساعدة صديقه الشيخ خزعل في تلك المرحلة الحرجة من حكمه فكتب الى ولده جابر يطلب منه جندا من الكويت ليشد به ازر الشيخ خزعل وليخفف الثوار ويرهبهم ولكن الكويتيين عصوا تنفيذ هذا الامر حتى لايقاتلوا أخوة لهم من عرب عربستان من اجل بريطانيا ضد الدولة العثمانية وهنا بادر الشيخ مبارك بإرسال ست سفن الى الشيخ خزعل حتى يمكنه الرحيل عليها الى الكويت اذ حدث له ما ليس في الحسبان وقد ظلت تلك السفن مرابطة في مياه عربستان لمدة شهرين حتى استطاع خزعل ان يخمد الثورة ضده وكان من مظاهر هذه الصداقة الوطيدة ان تبادلا بناء القصور كل للآخر في بلده لينزل به عند حضوره زائرا كما كانا يقضيان اوقات طويلة في رحلات الصيد بل لقد وصل تقدير كل منهما لمكانة الآخر ان عفا الشيخ خزعل عن احد المتآمرين لقتله بسبب تدخل الشيخ مبارك وطلبه الشفاعة لهذا المتآمر وكانت سيادة عربستان دائما نصب عين مبارك الصباح الذي تباحث مع السفير الروسي أسباب الاعتراض التى تريدها روسيا لبلجيكا في السيطرة على موانىء عربستان وهي التى تنصرها على سكان عربستان[٣٥] . وقد ظلت العلاقات الكويتية - العربستانية قوية حتى الاحتلال الايراني لها عام ١٩٢٥ .

العلاقات الكويتية - العثمانية

استمرت السيادة الاسمية العثمانية على الكويت فترة طويلة احترمت خلالها الدولة العثمانية استقلال الكويت حتى استيلاء مبارك على الحكم بعد مقتل شقيقه وحاول متسلم البصرة عدم الاعتراف بحكم مبارك ولكن صديقه والي بغداد كتب تقريرا الى الباب العالي في صالح مبارك ومدافعا عنه بأن قتل الأخوة شيء عادي في المنطقة فأخذ الباب العالي باقواله واصدر تعليماته الى متسلم البصرة بالاعتراف بالشيخ مبارك الذي رحب باعتراف الدولة العثمانية به بالوضع الجديد في الكويت واستمر في رفع العلم العثماني على امارته وارتضى منصب قائمقام الكويت الذي منحه اياه السلطان عام ١٨٩٧ وعلى الرغم من كل هذا الولاء الذي اكده الشيخ مبارك للدولة العثمانية الا ان الأخيرة لم تطمئن الى ولائه وأخذت تشكك في موقفه ومن اهداف بريطانيا في الكويت ولما رأت الدولة العثمانية توجه مبارك نحو بريطانيا واستجابة الاخيرة له واستعدادها لتثبت نفوذها في

الكويت بموجب اتفاقية تؤكد بها هذا النفوذ وتقوض أي تبعية عثمانية هناك قدرت مدى خطورة هذه الخطوات وعملت جاهدة للتصدي لها من خلال كسب ود الشيخ مبارك واستعادته الى جانبها ودفعه للتحول عن بريطانيا وعدم اتاحة الفرصة لها لاستغلال الظروف وتثبيت نفوذها بالكويت فأوفدت لهذه الغاية نقيب اشراف البصرة "رجب النقيب" ولكنها لم تنجح في مسعاها في عام ١٨٩٩ ، وكان الشيخ مبارك من الدهاء في السير بالاتجاه الذي تتأكد فيه معالجة وترسيخ حكمه فأخذ يراوغ الدولة العثمانية ففي الوقت الذي كان قد وقع فيه اتفاقية الحماية مع بريطانيا في ١٨٩٩/١/٢٣ والتي ضمن من خلالها دعم بريطانيا له في مواجهة أي محاولة من العثمانيين لازاحته عن الحكم فأنه اظهر استجابة كبيرة لدعوة العثمانية الرامية الى احتوائه وتأكيد ارتباطه بها في الوقت الذي كان مستجيبا تماما لمشاريع بريطانيا الرامية للسيطرة على كافة المصالح في الكويت والدائبة في العمل على تأكيد نفوذها هناك فكان يوقع معها الاتفاقية تلو الأخرى لاحتكار المصالح الحيوية في الكويت والسيطرة عليها ، وتصدى مبارك محاولة الدولة العثمانية الرامية لتأكيد او تثبيت نفوذها وسيطرتها في الكويت حيث كانت الدولة العثمانية تستجيب بتلك المحاولات لنصائح وتشجيع المانيا وروسيا وفرنسا وهي من الدول ذات المصالح في الكويت وكان الشيخ مبارك يعتمد في مواجهته للعثمانيين على مساندة بريطانيا ودعمها ولهذا رفض قبول الموظفين العثمانيين فعزمت على ارغامه للرضوخ لأوامر الباب العالي فاحتج السفير البريطاني في اسطمبول وفي يونيه ١٩٠٤ عين "نوكس" كأول معتمد سياسي بريطاني في الكويت[٣٦] .

ساعد المناخ السياسي الذي ساد في المنطقة بعد عام ١٩١١ الشيخ مبارك على المضي في محاولاته للاستقلال عن الدولة العثمانية في وقت كانت المباحثات تجرى في الخفاء بين بريطانيا والدولة العثمانية لتحديد مناطق النفوذ في شرق الجزيرة العربية كما ابدت استعدادها لتتنازل لبريطانيا عن بعض الامتيازات املا في امكانية حل الاوضاع لصالحها في حالة توصل كل من بريطانيا والمانيا الى اتفاق خاص بسكة حديد برلين بغداد ومن ذلك دخولها في مفاوضات مع بريطانيا انتهت بتوقيع الاتفاقية الانجلو - عثمانية لعام ١٩١٣ الذي عين الحدود بين الكويت والعراق العثماني ونجد العثماني .

الهوامش

١ - د. حسن سيمان محمود - المرجع السابق صـ ١٧٠ .

٢ - د. احمد مصطفى ابو حاكمة - المرجع السابق صـ ٣١١ .

٣ - سيف مرزوق الشملان - المرجع السابق صـ ١٥١ .

٤ - سيف مرزوق الشملان - نفس المرجع صـ ١٥٧ .

٥ - عبدالعزيز الرشيد - المرجع السمابق صـ ٢٢٠ .

٦ - سيف مرزوق الشملان - نفس المرجع صـ ١٨١ .

٧ - د. أحمد مصطفى او بحاكمة - المرجع السابق صـ ٣٤٢ .

٨ - د. بدر الدين عباس الخصوص - المرجع السابق صـ ٤٨ .

٩ - د. عبدالعزيز محمد المنصور - الكويت وعلاقتها بعربستان والبصرة - ذات السلاسل - الكويت صـ ٣٠ .

١٠ - د. عبدالعزيز محمد المنصور - نفس المرجع صـ ٣٢ .

١١ - د. حسن قايد الصبيحي - المرجع السابق صـ ٥٧ .

١٢ - د. حسن قايد الصبيحي - نفس المرجع صـ ٦٠ .

١٣ - د. حسن قايد الصبيحي - نفس المرجع صـ ٦٤ .

١٤ - عبدالعزيز الرشيد - المرجع السابق صـ ٧٨ .

١٥ - د. عبدالعزيز محمد المنصور - المرجع السابق صـ ٤٢ .

١٦ - د. بدر الدين عباس الخصوص - المرجع السابق صـ ٢٦٠ .

١٧ - د. عبدالعزيز محمد المنصور - المرجع السابق صـ ٣٥ .

١٨ - د. عبدالعزيز محمد المنصور - المرجع السابق صـ ٤٠ .

١٩ - د. بدر الدين عباس الخصوص - المرجع السابق صـ ٢٦٢ .

ـدر الدين عباس الخصوص - نفس المرجع صـ ٢٠ .

ـدر الدين عباس الخصوص - نفس المرجع صـ ٢٠ .

العزيز الرشيد - المرجع السابق صـ ٣٧٤ .

حسن قايد الصبيحي - المرجع السابق صـ ٦٧ .

حسن قايد الصبيحي - نفس المرجع صـ ٦٩ .

ـثمان عبدالملك الصالح - المرجع السابق صـ ٥١ .

العزيز الرشيد - المرجع السابق صـ ٢٢٠ .

ـثمان عبدالملك الصالح - المرجع السا صـ ٥٦ .

ـثمان عبدالملك الصالح - نفس المرجع صـ ٦٠ .

ـثمان عبدالملك الصالح - نفس المرجع صـ ٦١ .

ـين خلف الشيخ خزعل - المرجع السابق جـ ٢ صـ ١٧٩ .

ـين خلف الشيخ خزعل - نفس المرجع جـ ٢ صـ ١٨٢ .

ـين خلف الشيخ خزعل - نفس المرجع جـ ٢ صـ ٢٢٠ .

الله بن خالد الحاتم - من هنا بدأت الكويت - دمشق صـ ١٤١ .

عبدالعزيز المنصور - المرجع السابق صـ ٨٧ .

عبدالعزيز المنصور - نفس المرجع صـ ٨٨ .

ـيمنونه الخليفة الصباح - المرجع السابق صـ ٢٤٣ .

الفصل الرابع

الكويت بين الحربين العالميتين

اولا : الحياة السياسية والاوضاع الداخلية

(٩) الشيخ سالم المبارك ١٩١٧ - ١٩٢١

(١٠) الشيخ احمد الجابر الصباح ١٩٢١ - ١٩٥٠

اتفاقية الحماية البريطانية والاوضاع الداخلية

ثانيا : الحياة الاجتماعية

- تأسيس مجلس الشورى ١٩٢١
- الحركة الاصلاحية والمجلس التشريعي ١٩٣٨
- موقف بريطانيا من المجلس وحله

ثالثا : الحياة الاقتصادية

التنافس الانجلو - امريكي على نفط الكويت

رابعا : الحياة الفكرية

خامسا : نظام الحكم والادارة

- الميثاق ومجلس الشورى الاول في الكويت
- ظهور اللامركزية الإقليمية في الادارة
- انشاء الاجهزة الادارية المعاونة
- ظهور سلطة الحاكم التشريعية وخروج السلطة القضائية للاجانب

سادسا : العلاقات الكويتية - السعودية

- الخلافات بين الكويت والسعودية
- الحدود الكويتية - السعودية

الكويت بين الحربين العالميتين

اولا : الحياة السياسية والاوضاع الداخلية

(٩) الشيخ سالم المبارك ١٩١٧ - ١٩٢١

استلم الحكم بعد وفاة اخيه الشيخ جابر في ١٩١٧/٢/٥ وكان شجاعا عفيفا نقيا بخيث لم يتحدث حتى الد اعدائه بما يوجب القدح في عرضه وكان عدوا لدودا للفسق والفجور كثير الصمت حليما لا يعتني بلباسه ولا بمجلسه له المام بالنحو وشغف بمطالعة الكتب الادبية وله ميل الى حفظ الاشعار العربية والمام في الفقه والمسائل الدينية كثيرا ما يناقش جليسه ويسأله اذ كان ذا علم وادب ، محافظا على شعائر الدين له شجاعة نادرة وكريم في بذل المال وحسن التدبير ونظرة في عواقب الامور واطلاع على مجرى السياسة وحاول الشيخ سالم ان يعيد للكويت احسن ايامه مثلما كان في عهد اجداده الاوائل ، ومن اهم اعماله تخفيضه الجمرك الى اربعة في المائة واسقاطه جمرك الخارج وتطهير الكويت من الفسق حتى رتب مختارين في الأحياء لازالة ذلك الدنس فلهجت الالسنة بالثناء عليه لما أبداه من الغيرة على الآداب العامة والاخلاق الفاضلة[١] .

(١٠) الشيخ أحمد الجابر الصباح ١٩٢١ - ١٩٥٠

تولى الحكم في ١٩٢١/٢/٢٣ وعمره خمس وثلاثون سنة في فترة عصيبة من فترات تاريخ الكويت اذ ان العلاقات الكويتية - السعودية التى بدا انها ستتحسن مع توليه الحكم عادت للتدهور من جديد بسبب ما عرف بمشكلة الحدود النجدية وهجماتها كذلك كان على الشيخ أحمد ان يعالج بحكمه علاقات الكويت بجيران آخرين وكذلك اوضاعها الداخلية وان يكون حصيفا في معاملاته مع بريطانيا الذين لم ينصفوا الكويت حيث كان الامر بيدهم في العام اللاحق لتوليه شؤون البلاد[٢] .

اتفاقية الحماية البريطانية والاوضاع الداخلية

اوصت لجنة "ماستر تون - سميث "عام ١٩٢١ بأن يعهد بضبط الادارة وشؤون الكويت الداخلية الى حكومة الهند ولو ان التدخل البريطاني في شؤون الكويت جاء منذ عهد الشيخ سالم عندما أخذت بريطانيا تراقب البضائع القادمة والخارجة من الكويت . وهذا القرار يناقض اعتراف

بريطانيا نفسها للكويت بحقها في تولى شؤونها الداخلية بدون تدخل فعلي من بريطانيا ، الا ان هذا لم يكن يمنع من وصول التعليمات البريطانية الى الحكام في امور كثيرة منها ما يتعلق بشؤون ادارتهم الداخلية غير ان هذه التعليمات لاتحمل طابعا رسميا اذ كانت تقدم عادة على شكل نصيحة من قبل الوكيل السياسي البريطاني في الكويت في اجتماعات ودية وغير رسمية بهدف تنظيم الادارة والاوضاع الداخلية بالاضافة الى ما كان للوكيل البريطاني من سلطة قضائية على الاجانب في الكويت ، ولعل ذلك قد يرجع الى الجفاء الذي طرأ على العلاقات الكويتية - البريطانية في عهد الشيخ أحمد عندما تأكد له بأن بريطانيا لم تكن راغبة في حمايته من جارتيه القويتين السعودية والعراق ولذلك اصبحت تلك العلاقات اقل وداً مما كانت عليه في عهد مبارك ، وقد يرجع ايضا الى التطورات السريعة التى شهدتها الكويت والمنطقة العربية بأسرها مما اضطرت بريطانيا الى تغير سياستها تجاه الكويت وذلك لمواجهة الوعي والتفتح الذي اجتاح المنطقة وخاصة مع ظهور تيارات القومية العربية التي اجتاحت شرق الجزيرة العربية بشكل لم تعد بريطانيا قادرة معه على ايقافه او صده وذلك نتيجة لوسائل الاعلام من الصحافة والاذعات التي اصبحت تصل وتسمع بشكل دائم وما يترتب على ذلك من احتكاكات مستمرة فكان من شأن ذلك كله ان يكسب الافكار القومية العربية والوحدة والتحرر ارضا صلبة ترتكز عليها . ولهذا جاء تنظيم المسائل والاوضاع الداخلية في الكويت ومهام الوكيل السياسي البريطاني بعد ان جرى مسؤلية الادارة الداخلية في الكويت بين الوزارات المعنية في الحكومة البريطانية وبعد موافقة وزارة المستعمرات البريطانية ترك امر اعداد واصدار القرار التنفيذي "للمجلس الخاص بشؤون الكويت" الى حكومة الهند والتى تمت الموافقة عليه في ١٩٢٥/٣/٢٧ ولم يكن الشيخ أحمد الجابر موافقا على تشكيل ذلك المجلس بأعتباره يتدخل في شؤونه الداخلية ولذلك لم يوافق الا في شهر نوفمبر ١٩٢٥ ولعل هذا التأخير ناتج عن عدم رغبة الشيخ في التنازل للوكيل السياسي البريطاني في الكويت عن اختصاصات لذلك المجلس والوكيل وقناعته بأن في سلبه هذا الحق انتقاصا من سلطته وخاصة بالنسبة للرعايا المسلمين سواء كانوا اجانب او كويتيين وان في ذلك تدخلا بريطانيا في شؤون ادارته المحلية مما يعتبر اقتطاعا من حقوقه في التمتع بالسيادة الداخلية على امارته ، ولقد كان انتقاص بريطانيا من سلطة الشيخ في شؤون ادارته مدعاة استنكار سكان الكويت وخاصة بشأن القضاء وتبعته اضافة الى تقديم الوكيل البريطاني في الكويت نصحه للشيخ في شؤون الادارة المحلية يعد نوعا من التدخل في الشؤون والاوضاع الداخلية[٢] .

ثانيا : الحياة الاجتماعية

اتخذت طبيعة العلاقات التي كانت تحكم المجتمع الكويتي وتحكم العلاقة بين فئاته الاجتماعية المختلفة مسار الاقتصادي الاجتماعي الذي يرتبط بظاهرة التحولات الجذرية السريعة كازدهار الاقتصاد وبناء المدن وتنظيم العلاقات بين فئات وطبقات المجتمع المختلفة والظاهرة الثانية ديموغرافية وترتبط بالعوامل الديناميكية التي تتحكم في حركة التفاعل الاجتماعي التي تدور بين القوى الاجتماعية المختلفة وان تكوين الكويت الحديثة في بداية القرن العشرين شهد ظاهرة نشو فئتين رئيستيين فئة الادارة البيروقراطية وفئة التجار ومع مرور الوقت وزيادة الثروة المادية ظهرت في المجتمع العربي في الكويت فئات جديدة بصيغ مختلفة وافرزت عدة مسارات للعلاقات الاجتماعية السائدة بين تلك الجماعات فضلا عن تبلور صيغ جديدة من العمل السياسي الذي كان دعاؤه الاساسي المشاركة الشعبية للمجتمع في الكويت بتشكيلاته المختلفة بالاضافة الى المنتديات الفكرية ولعبت وسائل الاعلام دورا في شرح مواقف تلك الفئات وفق توجهها الفكري وطبيعة الملكية الخاصة لها ويمكن ان نقدم حصرا للفئات الاجتماعية او القوى السياسية في الكويت من حيث الخلفية التاريخية لكل فئة حيث يكون مطلوبا الاشارة الى عوامل ظهور تلك الفئات والعوامل المؤثرة في نشأة كل واحدة منها كما يشتمل على عرض لدور تلك الفئات في اطار الحركة السياسية والاجتماعية في الكويت في المراحل التاريخية المختلفة ثم تتبع طبيعة العلاقة التي تحكم الصلة الجانبية بين الفئة والفئة الأخرى وفي اطار الفئة نفسها ، ومنذ البدايات الاولى لتأسيس الكويت تحدد للحاكم مهام اساسية يعمل في اطار الميثاق الملزم الذي يضعه الناس على عاتق الحاكم يلتزم بعدم الاخلال بمواده واهم تلك المواد ان يقوم الحاكم بتنظيم شوون الامن وان يعيدا في مد الجسور مع افراد القبائل الأخرى وتأسيس بعض خيوط الاتصال بين تلك القبائل وبين فئة الصيادين للولو والاسماك والتجار ثم انه كان مطالبا بتأسيس نموذج عن العلاقات الودية مع القوى الاقليمية والدولية المجاورة ، ومنذ لك الحين وعلى مدى قرنين ونصف تعاقب على الكويت افراد اسرة الصباح الذين كانوا في وضع القادر على المحافظة على شرعيتهم ومقدرتهم على عدم ادارة شوون الحكم بشكل مطلق وحتى في بعض فترات تاريخها حين كان بعض الحكام لسبب او آخر يتفردون في اتخاذ القرارات التي لاتلقى تجاوبا من الناس كان الامر لايلبث ان يعود الى مساره الطبيعي وتعود الادارة تستأنس برأي المواطنين وان المتتبع لتطور فلسفة حكام الكويت نجد انهم ظلوا حريصين على تجنب أي وضع يعطي الانطباع على انهم يضعون انفسهم في موقع متميز او

فهم فوق القانون وحتى في الظروف او المراحل الصعبة كان الحاكم لايربط نفسه بشكل قطعي بالاعضاء الآخرين من افراد الاسرة الحاكمة فعوضا عن ذلك كان يبني قوته ويمتلك شرعية وجوده اعتمادا على توثيق الروابط مع مؤسستين كويتيين هما القضاء والتجار ويقول "لوريمر" بأن الشيخ مبارك كان "شخصا ذاتي النزعة ومطلق التفكير وكان لايعتمد على رؤساء الدوائر الذين يعملون بجانبه بما فيهم ابنه الذي لم يكن يعطيه أي سلطة" . ولم يكن مبارك الوحيد الذي عمل بمنأى عن تأثيرات افراد الاسرة الحاكمة فقد قيل بأن وصول مبارك الى السلطة الذي جاء نتيجة لصراع داخل الاسرة هو الذي جعله يفقد الثقة في التعامل مع افرادها لكن هذا الحال ينطبق على الحكام الذين توارثوا الحكم من بعده ، فقد ترك الشيخ مبارك سياسة فصل الحكم عن المؤسسة الاسرية لآل الصباح وقاد هذا الوضع الى حد من انفصال او انفصام حاد بين الحكم من جهة والتركيبة الاسرية لآل الصباح من ناحية ثانية وان الاسرة كانت لاتخضع لاية ضغوط مركزية فضلا عن انها كانت تعاني من التباعد بين الحاكم وبقية الاعضاء فمن جانب كان الشيخ يدير سلطاته دون ان يعطي أي اهتمام لاقربائه او يطلب مشورتهم في شؤون الحكم وبالنتيجة وبعد ان فقد افراد الاسرة الاول في المشاركة في اتخاذ القرار السياسي عمدوا بدورهم الى حاجز بينهم وبين الحاكم ومن ثم فأنهم كانوا يحرصون على ترك شؤون الحكم بشكل كامل للشيخ دون محاولة للتقرب اليه او اشعاره بأهمية المشاركة او اعانته على ادارة شؤون الكويت[٤] .

عمد الشيخ أحمد الجابر الى تشجيع افراد اسرته الى الدخول في معترك العمل والتنافس الشريف مع افراد المجتمع الكويتي وطلب اليهم ضرورة التزود بالعلوم والمعرفة وارتياد الجامعات والمعاهد العلمية والحصول على التجارب والخبرات المتاحة لافراد المجتمع من ابناء الكويت كما انه الح عليهم الارتياد على الاعمال الحرة والخدمات والانتاج فقد كانت خبرة الرجل وحكمته كافية لاقناعه بأن تزايد ثقافة الناس وتطور مداركهم وتصاعد الدور الذي تلعبه القوى الاجتماعية المختلفة في الكويت هو نتاج طبيعي لتراكم الثروة ومعارف وخبرات وتجارب الناس لابد ان تكون مثار اهتمام افراد الاسرة الحاكمة كما انها كانت كافية لكي يدرك بأن زيادة تأثير الفئات المثقفة سوف تصل حتما الى مستوى التأثير على طبيعة النظام السياسي ذاته ولهذا فقد كانت مهمته الاولى العمل على تهيئة افراد الاسرة الحاكمة لمقارعة الفئات الاجتماعية والسياسية الاخرى بالحجة والمعرفة والخبرة بمثيلتها والقدرة على معرفة احتياجات العصر واستيعاب افرازاته السياسية والاجتماعية سواء بسواء مع بقية افراد المجتمع من ابناء الكويت[٥] .

تأسيس مجلس الشورى ١٩٢١

استمر الحكم في الكويت منذ التأسيس وفق اسلوب التشاور بين الحاكم والاهالي دون وجود مجالس شورى او تشريعية في وقت كانت فيه الحياة الاجتماعية بسيطة وعلاقاتها الخارجية محددة وظل التشاور وكثرة الحكم وانه لم يحدث ما يدفع الحكام الى الانفراد بالسلطة فظلوا يستشيرون وجهاء واعيان الكويت في مختلف الامور الى عهد مبارك الذي غيرا اسلوب الحكم وانفرد بـه ، ولم يكن مجالس نيابية او شورى في الكويت .

ادرك ابناء الكويت في مطلع القرن العشرين خطورة الاستمرار في اسلوب الحكم الفردي وعدم مشاركتهم في ادارة شؤون بلدهم ولذلك سعوا من اجل اعادة نظام الحكم على اساس الشورى واهمية اتخاذ هذه الخطوة للمحافظة على امن الكويت وتجنبها المشاكل ولذلك فقد انتظروا الفرصة المناسبة في اعقاب وفاة الشيخ سالم عام ١٩٢١ وبينما كان الشيخ أحمد الجابر في الرياض يتباحث مشاكل الحدود بدأت المشاورات بين الكويتيين حول اهمية اقامة مجلس شورى وعقد جماعة من الوجهاء في ديوان ناصر البدر لمناقشة هذا الامر وبعد مشاورات اجمع الحضور على ضرورة انشاء مجلس شورى ولكن كان لابد اولا من السعي عند الحاكم لاقناعه وكذلك تشجيع الأهالي على مساندة هذه الخطوة التي تهدف ضمان امن واستقرار الكويت وقد قام الشيخ يوسف القناعي بشرح لجماعة من التجار والاعيان بأهمية الشورى واكد على انه يجب ان لايبت الحاكم بعد ذلك في شيء الا بعد استشارة الجماعة فوافق اهل حي "القبلة" اما "الشرق" فقد كان رأيهم الانتظار الى حين عودة الشيخ أحمد الجابر من الرياض فتم الاتفاق على اعداد عريضة تطالب باقامة مجلس شورى وتقدم الى الشيخ أحمد الجابر ولقد حرص الشيخ يوسف على توضيح الامر للشيخ عبدالله السالم الذي كان يدير شؤون الكويت لحين عودة الشيخ أحمد الجابر واكد له ان المصلحة العامة تقتضي الموافقة على هذا الطلب وعندما عاد الشيخ أحمد الجابر قدموا له عريضة تتضمن[٦] :

١ - اصلاح بيت الصباح كي لايجرى بينهم خلاف في تعيين الحاكم .

٢ ان المرشحين لهذا الامر أحمد الجابر - حمد المبارك - عبدالله السالم .

٣ - اذا اتفقت عائلة الصباح على تعيين واحد يقبلونه واذا فوضوا الامر للجماعة اختاروا الاصلح .

٤ الحاكم المعين يكون رئيسا لمجلس الشورى .

٥ - ينتخب من ال الصباح والاهالي عدد معلوم لادارة البلد على اساس العدل والانصاف .

وقع على تلك العريضة مجموعة من تجار واعيان الكويت وقدموا للشيخ أحمد الجابر الذي وافق على ذلك وبهذا ظهر اول مجلس شورى في الكويت في ابريل ١٩٢١ وتشكل هذا المجلس الاستشاري من اثني عشر عضوا من التجار والاعيان وكان سته منهم يمثلون المنطقة الشرقية والسته الآخرون المنطقة الغربية وذلك عن طريق الاختيار دون الانتخاب وهم الحاج حمد العبدالله الصقر ، ويوسف القناعي والسيد عبدالرحمن النقيب وهلال المطيري وشملان بن علي وعبدالعزيز الرشيد وخليفة شاهين الغانم وأحمد الفهد الخالد وأحمد صالح الحميضي ، ومرزوق الدواد البدر ، ابراهيم المضف ، ومشعان الخضير الخالد وقد اختير الصقر لرئاسة المجلس(٧) .

عقد المجلس اول جلساته فقرر اعضاؤه قبل البدء بأي عمل النظر في تنافس ال صباح على كرسي الامارة وكان المرشحون منهم للحكم ثلاثة وهم أحمد الجابر وحمد المبارك وعبدالله السالم فأن اتفق هؤلاء الثلاثة على واحد منهم اقروه وان اختلفوا في ما بينهم فيؤخذ رأي المعتمد البريطاني في الكويت فمن اثره منهم قبله المجلس بدون معارض والا فأن المجلس سينتخب من اولئك الثلاثة من هو اكثرهم لياقة وجدارة لهذا المنصب وفي الجلسة الثانية تحقق لذلك المجلس ان اتجاه المرشحين كان للشيخ أحمد الجابر الذي اقسم لهم اليمين على الاخلاص بالعمل ودون لهم ميثاقا خطيا نصه(٨) :

١ - ان تكون جميع الاحكام بين الرعية في المعاملات والجنايات على حكم الشرع الشريف .

٢ - اذا ادعى المحكوم عليه ان الحكم مخالف للشرع تكتب قضية المدعي والمدعى عليه وحكم القاضي فيها وترفع لعلماء الإسلام فما اتفقوا عليه فهو الحكم المتبع .

٣ - اذا رضى الخصمان على أي شخص ان يصلح بينهما فالصلح خير لأنه من المسائل المقررة شرعا .

٤ - المشاروة في الامور الداخلية والخارجية التى لها علاقة بالبلد من جلب مصلحة او دفع مفسدة او حسن نظام .

٥ - كل من عنده رأي فيه صلاح ديني او دنيوي للوطن واهله يعرضه على الحاكم ويشاور فيه جماعته فأن رأوه حسنا ينفذ .

قطع الحاكم على نفسه وعدا بأن يعمل بالتعاون مع المجلس على قاعدة الشورى والمشاركة العامة وهو ما حدث فعلا لكن لفترة قصيرة فالنتائج لم تكن بنفس الدرجة من الآمال ، في حين يعتبر تشكيل مجلس الشورى نفسه اول خطوة في طريق تنظيم اسلوب التشاور بين الحاكم والسكان ولقد جاءت استجابة للتطورات التى مرت بها الكويت ورغبة الكويتيين في المشاركة في ادارة شوون بلدهم وبالنظر الى نصوص الميثاق يتضح القصد من مطالب التجار والهدف من وضع شروط الاتفاق من قبل الحاكم ، فالتجار كان يهمهم الا تترك شوون الحكم للحكومة على اطلاقها خوفا من زيادة الضرائب وسن القوانين الجديدة التي تفرضها الحاجة لدى زيادة النشاط التجاري في الكويت كما انهم كانوا يرون بضرورة مشاركتهم في ابداء الرأي في الكثير من المسائل التي تهم قطاع التجارة وشوون التجارة والحاكم من جانبه كان يبدى اهتماما كبيرا بمنح التجار فرصة المساهمة في تحمل المسولية ولابد ان تتاح الفرصة لتأسيس نموذج مبسط يقوم على الشورى والمشاركة في الرأي كما يتضح من ذلك ايضا بأن العملية بأكملها لم تكن واضحة وضوحاً كاملا في اذهان الطرفين و لم تصل الى النضج الكامل حيث حدث الخلط بين احكام الشريعة والاحكام العامة ناهيك عن موشرات السذاجة والسطحية في التكييفات القانونية للنصوص المتعلقة بالجرائم والاحكام وبصرف النظر عن القصورفى وضع نقاطا محددة وواضحة للاتفاق الا انه بمعيار الفائدة التاريخية فأن الحركة تعتبر مشاركة شعبية وكانت بمثابة المنبه المبكر الذي هيأ لأحتمالات دستورية فيما بعد[٩] .

لم تستمر هذه التجربة طويلا برغم اهميتها بسبب الخلافات الشخصية و لم يكن يوخذ برأى الاغلبية عند التصويت وقد ادت هذه الملابسات الى تباعد جلسات المجلس كما ان اعضاء المجلس لم يصلوا الى عضوية بمجلس الشورى بواسطة الانتخاب الحر بحيث يصل من يصلح لتمثيل الشعب ولكنه جاء بالاختيار على اساس الوجاهة والثروة اضافة الى عدم ادراك الاعضاء لمسولياتهم ولذلك راح الخلاف يدب بينهم لاسباب شخصية وتباعدت جلساته وأخذ بعض الاعضاء يرسلون ابناءهم نيابة عنهم الى ان توقفت جلساته تدريجيا بعد مضي اقل من شهرين على تشكيلة ومع انها تجربة قصيرة انتهت بالفشل الا انها تعتبر خطوة متقدمة بمقياس المجتمع العربي في الخليج والجزيرة العربية وخطوة اساسية في طريق ارساء نظام الحكم النيابي في الكويت فيما بعد كما كانت ذات اثر سلبي على عدد من الكويتيين الذين انتابهم الشك في امكانية نجاح مثل هذه المحاولات في المستقبل[١٠] ولكن لم ييأسوا .

الحركة الاصلاحية والمجلس التشريعي ١٩٣٨

لعبت التأثيرات الخارجية دورا في إثارة المعارضة بالكويت وتشجيع المطالبين بالاصلاح وحثهم على الدعوة الى قيام نظام نيابي في الكويت فقد كان للتيارت القومية والأحداث الوطنية التى قامت في المنطقة العربية اثرها على الكويت مثل حركة الشبيبة التي انبعثت في سوريا ثم انتقلت الى العراق واسست لها فروعا في الاقطار المجاورة كالبحرين حيث لقيت تجاوبا كبيرا في الكويت وذلك الى جانب تأثر الرأي العام الكويتي بالنشاط الفكري والقومي كما تأثرت الحركة الاصلاحية في الكويت بالحركات الوطنية والمطلب الاصلاحية التي قامت في المناطق المجاورة مثل تلك التي قامت في "دبي" حيث اشارت السلطات البريطانية على حاكم دبي بالاستجابة لمطالب المعارضين بأنشاء مجلس استشاري لأرضائهم ووقف توسع حركتهم باحتوائها في حينها كذلك ظهرت حركة في البحرين تزعمتها جماعة من المتعلمين تطالب بالاصلاح فما كان من السلطات هناك الا ان استجابت لمطالبهم ونفذت مايريدون[١١] .

نتيجة للتأثيرات الفكرية القومية والتجربة السابقة للمجلس الشورى فأنها ادت الى القيام بمحاولات جماعية للحركة الاصلاحية الهادفة الى التطوير والتجديد في شتى المجالات في حدود ما تسمح به الامكانات المادية فتم تأسيس بلدية الكويت في عام ١٩٣٠ وتم تشكيل المجلس البلدي بالانتخاب كما تم انشاء مجلس المعارف في ١٩٣٦ بالانتخاب ايضا ومما لاشك فيه ان انشاء البلدية قد اتاح الفرصة للمشاركة الشعبية في ادارة الشوون المحلية كما ان البلدية قدمت الخدمات المتعددة للمجتمع العربي في الكويت بما يتناسب وامكانياتها المادية والبشرية وتعتبر نشأتها احد امثلة التفاعل والتجاوب بين الحاكم والاهالي في مرحلة شهدت خلالها الكويت وعيا وتفتحا فكريا وقوميا وظهر التجارب مع الاحداث القومية العربية وبالذات احداث فلسطين والحركات الوطنية ضد الاستعمار ولم يكن الحماس الوطني القومي يقتصر على القضايا القومية فانتشار الحماس والوعي بين افراد المجتمع دفعهم الى السعي من احل تحقيق الاصلاحات العامة وفي مختلف المرافق التى كانت بحاجة الى الاصلاحات الجذرية وتزعم الحركة الاصلاحية مجموعة من التجار والاعيان والشباب القومي وازداد نشاطهم عام ١٩٣٧ وسعوا الى نشر مطالبهم وشكلوا جمعية سرية اطلقوا عليها اسم "الكتلة الوطنية" كانت تسعى الى جانب الاصلاحات العامة الى اقامة مجلس تشريعي بالانتخاب وبدأت تنشط في اعمالها على نحو سريع وان هذه الحركة الاصلاحية سرعان ما جذبت العديد من الشباب الكويتي التقدمي المطالب بالاصلاح ونشروا مطالبهم في الصحف خارج

الكويت وكذلك طبعوا المناشير وقاموا بتوزيعها وتتناول مطالبهم واهداف حركتهم ونتيجة لهذه التطورات خشيت بريطانيا على مصالحها ونصحت الشيخ أحمد اشراك الشعب في ادارة شوون الكويت وادخال الاصلاحات فيها كما حرصت ايضا على توصيل رأيها الى اعضاء "الكتلة الوطنية" الذين ادركوا اهمية التقدم بمطالبهم الى حاكم الكويت وضرورة عدم التأخر في اتخاذ هذه الخطوة قدم الوفد المكون من عبدالله حمد الصقر ومحمد ثنيان الغانم وسليمان العدساني على حاكم الكويت طلب تشكيل مجلس تشريعي فوافق في اليوم التالي بعد ان ادرك انه لاجدوى من رفض هذا الطلب وكان يرى الشيخ عبدالله السالم ولي العهد بضرورة التعجيل باجراء الانتخابات قبل ان تظهر بوادر تحزبية وبالفعل بدأت اول الخطوات وتم تشكيل لجنة الاشراف على الانتخابات وكانت نزيهة وبدأت الترشيحات لعضوية المجلس واجريت الانتخابات وتم اختيار الشيخ عبدالله السالم رئيسا ويوسف القناعي نائبا وبدا المجلس جلساته وأعماله فأعد مسودة القانون الاساسي وتم عرضه على الشيخ أحمد الذي كان رأيه في بادىء الأمر الأخذ به بالتدريج ولكنه وافق عليه بسبب اجراء اعضاء المجلس(١٢) .

موقف بريطانيا من المجلس وحله

ايدت بريطانيا قيام المجلس وتلبية المطالب الاصلاحية بهدف احتواء هذه المطالب وعدم افساح المجال لتوسع حركة المعارضة واستغلالها من الخارج بما يتنافى مع مصالح بريطانيا ونفوذها ليس في الكويت وانما في المنطقة ولكن هذا التأييد للحركة الاصلاحية لم تدم طويلا فقد اصطدمت محاولة المجلس تركيز السلطة في يده بالمخاوف البريطانية التى تحصلت عليه منذ عقد اتفاقية الحماية من نفوذ وامتيازات ومصالح في الكويت فأخذت بريطانيا تنظر الى المجلس نظرة ملؤها الحذر واصرت على مناقشة القانون الاساسي للمجلس لاسيما وان هذا القانون خول المجلس حق النظر في الشوون الخارجية للكويت مما يتناقض اتفاقية الحماية كما تخوفت بريطانيا من طرح المجلس لاتفاقيات البترول المجحفة وغيرها للمناقشة وخاصة عندما طلب المجلس بحث بعض امتيازات شركات البترول البريطانية كما لم يوافق على بعض الشركات البريطانية للتنقيب في جزيرة "فيلكا" ، كما حدثت بعض المشاكل بين المجلس والحاكم حول بعض الامور الادارية .

واجهت المجلس مصاعب كبيرة تمثلت في معارضة الايرانيين الشيعة الشديدة عندما اظهروا استياءهم البالغ لعدم تمثيلهم في المجلس ولا نستبعد قيام بريطانيا وراء مطالب الايرانيين الشيعة ضد القوى العربية الوطنية ودورها الرئيسي في اسقاط المجلس التشريعي . وقد اكد الوكيل السياسـ

البريطاني في الكويت بأن ما يزيد عن اربعة آلاف وخمسمائة من الشيعة الايرانيين المقيمين في الكويت تقدموا الى دار الوكالة مطالبين بحمايتهم وتحقيق مطالبهم التي تتلخص فيما يلي :

١ - تمثيلهم في المجلس التشريعي والمجالس المحلية الاخرى .

٢ - فتح مدارس شيعية وايرانية خاصة بهم الا ان اعضاء المجلس رفضوا تحقيق هذه المطالب عندما ناقشهم الوكيل السياسي البريطاني بشأنها على اساس ان الكويت بلد عربي وانهم مضممون على صيانة قوميتها العربية والحفاظ على مقوماتها والوقوف بصلابة ضد المؤمرات الايرانية فيها ولذلك رفضوا طلبات الشيعة والايرانيين في الكويت واعتبروا ايران هي المحرضة لهم مما يشكل خطورة على كيان الكويت وقوميتها العربية وقد نتج عن ذلك الرفض رد فعل لدى الشيعة الايرانيين في الكويت الى القيام بمظاهرة طافت شوارع الكويت لأول مرة في تاريخها هاتفين بسقوط المجلس ، وهكذا اجتمعت كل هذه الاطراف الثلاثة المتمثلة في معارضة بريطانيا والشيخ والشيعة الايرانيين على مناوأة المجلس ومعاداته فكانت تلك هي الظروف التي احاطت بالمجلس وادت الى حله[١٣] .

يتضح من ذلك بأن البريطانيين كانوا من اشد المعارضين للمجلس فقد لاحظوا بأن القانون الجديد جاء في مقدمته "ان الشعب ممثلا في اعضاء المجلس المنتخبين هو مصدر السلطة" وهو امر جديد وغير مألوف بالنسبة للمنطقة العربية بأسرها ولابد ان البريطانيين كانوا يرون في هذا الامر اثارة للخواطر قد يتشكل على قاعدة رأى عام عربي ضاغط يطالب بالديمقراطية وهو ما يرى البريطانيون بأنه قد يتشكل على قاعدة رأى عام عربي ضاغط يطالب بالديمقراطية وهو مايرى البريطانيون بأنه شر قد يقود في نهاية المطاف الى حالة من الانبعاث تهدد الوجود البريطاني برمته وان الحركة الدستورية التى اعلنت عن نفسها عام ١٩٢١ بالكويت هي بداية منطقية لنشوء المؤسسات السياسية والاجتماعية والتي تبلورت وزادت وضوحا مع مرور الوقت وبلغت ذروتها بأنشاء مجلس الامة الكويتي عام ١٩٦٢ فقد كان طبيعيا ان يبدأ الناس بالعمل على طرح المطالب الاصلاحية اما لان الوعي بأهمية المشاركة الشعبية جاء كانعكاس لازدهار الحياة الاقتصادية وتشكل المجتمع المستقر واما لان حركات دستورية مماثلة نشأت في اقطار عربية اخرى متأثرة بالنظم الغربية السائدة وهو ما حدث وبدأت في الكويت منذ عام ١٩٢١ ، حيث نجد المجتمع الكويتي في هذه الفترة كان ينقسم الى عدة فئات أو طبقات فالاسرة الحاكمة تأتي على قمة الهرم الاجتماعي محاطة بالحاشية واعضاء السلطة من مدراء وكبار ضباط الشرطة ورجال الامن ثم يأتي

في الدرجة الثانية من الهرم طبقة التجار اللذين ازدادت مصالحهم وتشعبت بفعل تنامي الدور التجاري الذي كانت تلعبه الكويت ثم رحال البادية الذين كانوا يعيشون خارج اطار التفاعل الاجتماعي الجديد حيث كانوا يحرصون على ان يظلوا في حمى الصحراء مع بعض التمددات المتقطعة الى المدينة ثم فئة العمال الذين كانوا يعملون في استخراج اللولو او في تسير قوافل التجارة برا وبحرا وفي حالة وجود مجتمع نشط وشديد الديناميكية كالمجتمع الكويتي فقد كان امرا بديهيا ان تحدث درجة من التفاعل والصراع الذي ينشأ بفعل تضارب المصالح وزيادة التركيز في الملكية العامة وفي النفوذ وهو ما عبر عن نفسه في حركة المطلبة بتشكيل المجلس التشريعي عام ١٩٢١ ويعتبر هذا المجلس احد العلاقات البارزة في التاريخ السياسي - الاجتماعي للكويت حين ساهم ازدهار التجارة اثناء الحرب العالمية الاولى ادى الى استخدام وسائل الضغط على الحكومة بغرض الحصول على نصيب ودور في ادارة الكويت وعلى نصيب في الشورى وابداء الرأى في السياسة العامة للبلاد ، وكانت حجة التجار التى يرفعونها لتبرير تلك المطالب هو ان كل الكويتيين ابناء لاسرة واحدة وهو الشعار الذي لايزال يتردد بين سكان الكويت حتى الآن وقد لعبت تلك المشاعر في تجنب الكويت مغبة الوقوع في دائرة الصراعات والخلافات والحروب الاهلية التي عانت فيها بعض الشعوب العربية ولعبت تلك المشاعر دورا لتغلب المصلحة العامة وتأسيس علاقة من التسامح بين الحاكم والمحكومين ومن الولاء المتبادل بأستثناء بعض المحطات التى اشتد فيها الصراع بين التجار من جهة والحاكم من جهة أخرى حين كان التجار يرون ايضا بأن العلاقة بين افراد الاسرة الحاكمة وبينهم هي علاقة قديمة قدم الكويت نفسها وبأن العلاقة التعاقدية بين الحاكم والمحكوم هي من صنع عهد التأسيس اما الحكومة من جانبها فقد ظلت تؤكد على هذه الحقيقة والتي ترى بأن العائلة الحاكمة وبقية شعب الكويت يمثلون اكثر الجماعات العربية تجانسا يرتبط كل منها بالآخر على قاعدة الثقة والولاء والمشاعر النبيلة(١٤) .

اكد التجار ضمن المطالب التى وجهوها للحاكم على ضرورة مسارعته بتشكيل هيئة دستورية تكون مهمتها مساعدة الحاكم في ادارة البلاد وكل هذه التحولات والتبدلات الاجتماعية كان لابد لها ان تقود الى تشكيل فئات جديدة بصيغ من علاقات جديدة .

ثالثا : الحياة الاقتصادية

شهدت الكويت عقب ابرامها معاهدة الحماية عام ١٨٩٩ مع بريطانيا نوع من التدخل البريطاني السافر في كافة شؤونها ولعل هذا هو ما يفسر حصولها على تلك السلسلة المتعددة من

التعهدات او الامتيازات ومنها تعهد شيخ الكويت بمنح امتيازات النفط لبريطانيا في ١٧/١٠/١٩١٣ ، ابدت شركة بترول الانجليزية - الفارسية اهتمامها بالبترول في الكويت وقامت بعمليات فحص اولية عام ١٩١٧ ولم تكن مشجعة ثم كررت محاولتها عام ١٩٢١ غير انها كانت كسابقتها ، ثم جاء المغامر "هولمز" الذي تقدم عام ١٩٢١ ممثلا عن "الشركة الشرقية والعامة السنديكيت المحدودة" غير ان جهوده باءت بالفشل ثم حاولت الشركة تكرار محاولتها عام ١٩٢٦ .

التنافس الانجلو - امريكي على نفط الكويت

بدأت في الكويت التنافس الانجلو - امريكي بغية الحصول على نفط الكويت عندما عادت "شركة البترول الانجليزية - الفارسية" الى الظهور وتقدمت بطلب الامتياز بدعم من السلطات البريطانية كما عادت "الشركة الشرقية والعامة والسنديكيت" وتقدمت بطلب الامتياز بدعم من امريكا واشار الوكيل السياسي البريطاني في الكويت الى المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي انه المح الى شيخ الكويت بأنه سيكون في غير الامكان منح امتيازين منفصلين لشركة بريطانية واخرى امريكية في امارته الصغيرة وانه ينبغي على هاتين الشركتين ان تتوصلا الى نوع من الاتفاق بينهما ، على ان فكرة الجمع بين كل من المصالح البريطانية - الامريكية لم يهتد اليها الا بعد ان وضح لهما انها السبيل الوحيد لإنهاء الصراع المحتدم بين الطرفين المتنازعين ولقد دار الصراع حول :

١ - اشتراط احتواء أي امتياز يمنحه شيخ الكويت داخل اراضيه على عبارة الجنسية البريطانية .

٢ - مبدأ التكافؤ بين كل من المصالح البريطانية والامريكية القائم على سياسة الباب المفتوح .

٣ - التحفظات المطلوبة لصيانة المصالح البريطانية في المنطقة .

والواقع ان البريطانيين كانوا ينظرون الى مسألة حق مصالح الولايات في المشاركة في امتيازات الكويت وفق قاعدة مساوية للمصالح البريطانية على انها تشكل تحديا مباشرا للمركز البريطاني الذي حصلت عليه السلطات البريطانية منذ اكثر من قرن تجاه حكام العرب في شرق الجزيرة العربية فمركز بريطانيا في الكويت مشابه لمركزها في البحرين وساحل عمان وعمان وانه نتيجة لذلك ما لم يقابل هذا التحدي من جانب الولايات المتحدة الامريكية في حالة الكويت فأن مركز بريطانيا في الخليج العربي سيكون معرضا للخطر بدرجة كبيرة للغاية هذا الوضع قد اقيم وحوفظ

عليه لمدة تزيد عن مائة عام بدرجة كبيرة بواسطة البحرية البريطانية عن طريق قيامها بالخدمة الشاقة في احد اكثر المناطق المناخية ارهاقا في العالم اضافة الى مقاومتها للقوى المحلية والدولية مثل المصريين والعثمانيين والعمانيين وساحل عمان بعد مقاومة عنيفة وصراع دام أكثر من نصف قرن مع بعض هذه القوى وبعدها ضد روسيا وفرنسا والمانيا والبرتغال والهولنديين من قبل وبعد هذا الجهد والتضحيات البريطانية تأتي امريكا وتأخذ هذه المصالح البريطانية في الخليج العربي بسهولة ؟ لذلك فأن الوضع يصبح غير متحمل اذ سمح البريطانيون لهذا المركز بأن يتعرض للخطر بسبب تدخل الحكومة الامريكية عن طريق دعمها وتأييد لشركاتها البترولية ولقد سبق ان اكدت بريطانيا مصالح الخاصة في هذه المنطقة في مناسبات عديدة بصراحة وان ذلك ينبغي تعريفة للحكومة الامريكية . وتمشيا مع تلك الرغبة في المحافظة على مركز بريطانيا في المنطقة منذ القدم ورغبة في عدم الاصطدام المباشر مع الحكومة الامريكية ارتأت السياسة البريطانية انه من الافضل لها الاستجابة للضغط الذي تزاوله السفارة الامريكية في لندن منذ بعض الوقت على الحكومة البريطانية لسحب اصرارها على عبارة "الاشراف البريطاني" في أي امتياز ربما قد يمنحه شيخ الكويت الى "الشركة الشرقية والعامة السنديكيت" لذا كان من رأى حكومة الهند لهذه الأسباب عامة انه من المستحب الموافقة على التخلي عن عبارة السيطرة البريطانية الكاملة على نحو ما تطلبه سفارة امريكا في لندن ولقد وجدت وجهة النظر هذه تأييد من وزارات الخارجية والمستعمرات والادارة البترولية في التخلي عن عبارة "السيطرة البريطانية" بالاضافة الى التنافس والصراع البريطاني - الامريكي على مصالح البترول في الكويت فأن شيخها كان واقعا تحت تأثير بعد ثالث يتمثل في تلك المطالب الملحة التي كانت تحرك مشاعر المواطنين في الكويت والتي حركتها الظروف الصعبة التى مرت بها الكويت في الاعوام القليلة السابقة نتيجة لاضمحلال شأن اللؤلؤ على اثر اكتشاف اليابان اللؤلؤ الصناعي ونتيجة للازمة الاقتصادية العالمية التى كان لها رد فعل سيء على احوال المواطنين الكويتيين مما ادى الى المطالبة بوجوب الاسراع بالارتباط مع احدى الشركات المتنافسة من اجل استكشاف البترول في اراضيها ولقد كان الشعور العام لدى المواطنين يميل الى جانب الشركة البريطانية ولذا اصبح شيخ الكويت في موقف حائر ازاء تلك التيارات المختلفة ولقد كان غاية ما يأمل فيه هو اتفاق المصالح البريطانية - الامريكية على شكل شركة يعطى لها امتياز البحث والتنقيب عن البترول في امارته(١٥) .

اقترح سير "جون سيمون" في ١٩٣٢/٤/٩ ان تتقدم "السنديكيت" بطلب للحصول على الامتياز دون شرط الجنسية على ان يتحول هذا الطلب بالتالي الى شركة نفط الخليج لكي ينظر فيه الشيخ مع الطلبات الأخرى مما يشير الى ان الباب قد فتح امام شركة "نفط الخليج" ومع ذلك فأن الحكومة البريطانية اصبحت تعرقل وتماطل المصالح الامريكية مما دفع بالسفير الامريكي في لندن الى ابلاغ وزارة الخارجية البريطانية في ١٩٣٢/١١/٣ بأن مسألة التأخير في الوصول الى قرار في موضوع امتياز نفط الكويت قد استنفد صبر السلطات الامريكية بالدرجة التي يصبح معها هذا التأخير مثيرا للسخط ، وقد اجابت عليه الخارجية البريطانية في نفس الوقت بأن مسودتي امتيازي الشركتين البريطانية والامريكية ارسلت الى شيخ الكويت وبالرغم من ذلك فقد استمرت عملية المماطلة والتسويف حتى ١٩٣٣/١٢/١٤ عندما دخلت شركة "حلف" أي الخليج والشركة الانجليزية - الفارسية في اتفاق ينص على انهما سوف تزاولان حق "اتحاد بترول الخليج" في أي اتفاق قد تحصل عليه شركة "حلف" في الكويت ، وتم الاتفاق على تأسيس شركة يطلق عليها "شركة نفط الكويت" تمولها وتمتلكها الشركتان المتعاقدتان على ان يتقاسم الطرفان البترول المنتج بالتساوي حسب تكاليف انتاجه على ان تتقيد تلك الشركة التى آل اليها الامتياز باتفاقية ١٩٣٣ تقيدا كاملا كما اشترطت الاتفاقية على ان يكون انتاج نفط الكويت بقدر ما تتطلبه كل من الشركتين بمعنى ان يصبح انتاج النفط في الكويت محدودا حسب مصلحة الاطراف المتعاقدة لا حسب مصالح الكويت اما الكمية التي تطلبها كل شركة وتكون غير داخلة في الكمية الكلية المتفق عليها فأنها تنتج للشركة التى تطلبها وتعطي لها بتكاليفها فقط ولقد نص الاتفاق على ان تقوم "الشركة الانجليزية - الفارسية" بمواجهة طلبات اتحاد بترول الخليج "حالف" بالبترول الخام المنتج من العراق او ايران بدلا من الكويت ولقد اعطى هذا الحق شركة البترول الانجليزية - الفارسية نوعا من التحكم على اجمالي الانتاج ومن ثم على السعر في الشرق الاوسط اذ عن طريق هذا الشرط تستطيع "الشركة الانجليزية - الفارسية" منع الانتاج الكويتي من التزايد الى الحد الذي يزيد معه العرض العالمي للبترول وبهذه الرقابة التى حصلت عليها الشركة البريطانية اصبح الانتاج الكويتي متوافقا بصفة اساسية على كمية انتاج العراق وايران هو الاساس الذي يتحدد على ضوئه انتاج الكويت ، ولقد وافق الطرفان على الا يستخدم بترول الكويت المنتج في جلب او الحاق الضرر بمركز تسويق الطرف الآخر بصورة مباشرة او غير مباشرة في أي زمان ومكان وبناء على هذا الاساس تكونت "شركة نفط الكويت المحددة" في لندن في فبراير ١٩٣٤ بعد ان اشترطت الحكومة البريطانية عليها ان تظل او يتحول اليها الامتياز والا يقل عن ٥٠٪ من رأس المال وفي

التصويت وان تكون اتصالات ممثل الشركة في الكويت مع السلطات الكويتية عن طريق الوكيل السياسي البريطاني في الكويت كما اشترطت بريطانيا ان من حقها ان تأخذ حاجتها من بترول الشركة الخام والمكرر في حالات الطوارىء والداخلية او الخارجية او الحروب وبعد ان تم الاتفاق بين الشركتين البريطانية والامريكية حصلت على امتياز البحث والتنقيب واستغلال النفط في الكويت في ١٩٣٤/١٢/٢٣ بأسم "شركة نفط الكويت المحددة" . وقد تضمين الامتياز حق الشركة وحدها في اكتشف والبحث والحفر لغرض انتاج البترول الخام ومنتجاته ضمن امارة الكويت بما في ذلك الجزر والمياه الاقليمية التابعة لها ، كما منحت الشركة حق امتلاك كل البترول الذي تنتجه وتحصل عليه في امارة الكويت وكذلك حق تكرير ونقل وبيع كل هذا البترول او جزء منه للاستعمال في داخل الكويت او للتصدير فضلا عن التصرف فيه ، اما مدة العقد فقد حددها الاتفاق بخمس وسبعين عاما وقد خول الاتفاق حقوق الشركة في الاستعمال غير المقيد في شغل جميع الاراضي غير المزروعة مما تحتاجه الشركة لتنفيذ عملياتها ، كما اوضحت الاتفاقية الاحكام المالية والتزامات الشركة المادية او ما يعرف برسوم الامتياز وذلك مقابل الحقوق التي منحها الشيخ للشركة وفي مقابل المساعدة والحماية اللتين تعهد بتقديمهما لها وتضع الشركة كل المبالغ التى تستحق للشيخ في حساب الشيخ في البنك العثماني[١٦] .

يتضح من بنود اتفاقية النفط عام ١٩٣٤ بعض النواحى التالية[١٧] :

١ - خولت الاتفاقية للشركة صاحبة الامتياز حق البحث والتنقيب عن البترول في جميع أراضي الامارة بما في ذلك الجزر والمياه الاقليمية التابعة لها .

٢ - نالت الشركة بمقتضى هذا الامتياز الحق غير المقيد في أن تشيد وتشغل محطات للقوة ومعامل تكرير وخطوط أنابيب ومستودعات وخطوط البرق والهاتف واللاسلكي والطرق والسكك الحديدية وخطوط الترام والمباني والموانىء والمرافىء وأرصفة الشحن ومحطات تموين البترول والفحم وحق استخدام كل وسائل النقل البرية والجوية والبحرية بدون قيد بحيث نالت الشركة حقوق الحكومة داخل الامارة فأصبحت بذلك بمثابة دولة داخل الدولة .

٣ - قيدت الاتفاقية حق الشيخ في نقل رسائله على أجهزة الشركة اللاسلكية والتلغرافية مشترطة عليه بأن لا يسبب ذلك أي عرقلة لأعمال الشركة كما فعلت نفس الشيء بالنسبة لحق الشيخ في استخدام الموانىء التي تستعملها الشركة أو تنشئها .

٤ - أعطت الاتفاقية الشركة مزيدا من الضمانات التي تحول دون الاضرار بعملياتها فقيدت حق الشيخ في منح تراخيص امتياز للمواد غير البترولية بأن لا يترتب على ذلك أي تأثير ضار بعمليات وحقوق الشركة . كما أوجبت على الشيخ ضرورة أن تتضمن هذه الامتيازات نصوصا تلزم المستفيدين من الامتياز بالامتناع عن الاضرار أو التدخل في ممتلكات وعمليات ومصالح الشركة .

٥ - سرية أعمال الشركة وتقاريرها وبياناتها ، اذ حرصت الاتفاقية على النص عدة مرات على وجوب بقاء جميع البيانات التي يحصل عليها الشيخ عن الشركة سرية باستثناء ما تحويه من أرقام يكون من المتعين نشرها . ولعل هذه السرية التي أصرت الشركة على النص عليها وتأكيدها خير دليل على الخوف من نشر ما قد يفضح الشركة أو يسلط الضوء على مدى الاستغلال المريع الذي تحدثه في كل عملية من عملياتها .

٦ - قررت الاتفاقية أن يكون العائد بمقدار ٣ روبيات عن كل طن انجليزي من البترول وفي هذا اجحاف كبير بحق الكويت في أهم ثرواتها الاقتصادية .

٧ خولت الاتفاقية للشركة حق القيام بجميع ما يلزم لعملياتها من استيراد وتصدير بدون رسوم جمركية أو رسوم تصدير أو ضرائب أو أية أعباء أخرى ، كما أقرت بأن عمليات الشركة ودخلها وأرباحها وممتلكاتها تصبح معفاة وغير خاضعة خلال مدة الاتفاقية من كل ما يكون قائما وما يستحدث في المستقبل من رسوم الموانيء ورسوم الاستيراد والتصدير والضرائب . ومما لاشك فيه أن ذلك يحمل من الأجحاف بحق الكويت الشيء الكثير .

٨ - قيدت الاتفاقية حق مندوب الشيخ في حضور جلسات مجلس ادارة الشركة بأن يكون هذا الحضور عندما تناقش فيها مصالح الشيخ فقط ، ولعل السبب في ذلك هو المحافظة على سرية ما يجري من مناقشات خلال هذه الجلسات ، وحتى لاتتكشف عمليات الاستغلال الفاحش من جانب الشركة .

٩ - اشترطت الاتفاقية أن يكون تدقيق حسابات الشركة من قبل مؤسسة مراجعين مسجلة في لندن ، وتختار بالتشاور مع الحكومة البريطانية ، وفي هذا تقييد لحق الشيخ في اختيار أي هيئة تدقيق أخرى من أي بلد آخر حيث لا يخفى أن هيئة محاسبين بريطانية تدقق في حسابات تعود بالفائدة على المصالح البريطانية .

١٠ - حرمت الاتفاقية الشيخ من جواز الغائها بتشريع عام أو خـاص أو بأية اجراءات ادارية أو بأي عمل اخر .

١١ - جعلت الاتفاقية من المقيم السياسي البريطاني في الخليج قيما على الخلافات التي قد تنشأ حول تفسير الاتفاق أو تنفيذه فأجازت له حق اختيار المحكمين ، كما جعل الاتفاق من لندن مكانا للتحكيم في حالة عدم اتفاق الطرفين المتعاقدين على اختيار هذا المكان .

١٢ - حرمت الاتفاقية الشيخ من الاستفادة المشروعة من ثروات بلاده الاقتصادية ، ففي مقابل حق الشركة في التنقيب والبحث واستغلال البترول داخل امارته تدفع الشركة :

أ - عند التوقيع على الاتفاق مبلغ ٤٧٥ الف روبية (حوالي ٣٥ الف جنيه استرليني) .

ب - مبلغ سنوي مقداره ٩٥ ألف روبية (حوالي ٧ الاف جنيه استرليني) الى حين اكتشاف البترول بكميات تجارية .

جـ - رسم على الطن الواحد مقداره ٤,٥ شلن ، وذلك عند اكتشاف الزيت بكميات تجارية .

د - رسم اعفاء من الضريبة والرسوم على اختلاف أنواعها على جميع ما تورده الشركة بمقدار ٠,٢٥ روبية على الطن الواحد .

١٣ - حرمان الكويت من الاستفادة من جميع العمليات التي تقوم على النفط الخام فاقتصرت عمليات الشركة على انتاج البترول الخام فقط وهي تقوم بتسليمه الى الشركتين المالكتين لها ولا تقوم بتكرير شيء منه في الكويت سوى كمية يسيرة للاستهلاك المحلي . وتقوم الشركتان المالكتان لشركة نفط الكويت بتكرير البترول الكويتي في معاملها بأوروبا وآسيا وأمريكا وتجنيان من وراء ذلك أرباح التكرير الضخمة لحسابهما الخاص دون أن تنال الكويت من وراء ذلك شيئا ، فهي لا تستفيد من التكرير بصفة عامة ، كما أنها لا تستفيد من عمليات التكرير الضئيلة التي تتم بالكويت والتي كان بالامكان توسيع طاقاتها بحيث يصبح في الامكان تصدير كميات كبيرة من البترول الكويتي مكررا بدلا من أن يصدر خاما .

وبالرغم من هذا الاجحاف البارز ضمن معظم بنود اتفاقي الزيت لعام ١٩٣٤ فان المسؤولين الكويتيين وافقوا على ابرامُها لعدة أسباب منها :

١ - أن المسؤولين الكويتيين كانوا خاضعين حتى ذلك الوقت للحماية والسيطرة البريطانية ، .. ومن ثم لم تكن لهم من وسيلة تمكنهم من الحصول على شروط أفضل خصوصا وأن البلدان المجاورة قد وقعت من قبل على الاتفاقيات مشابهة ونظرا لأنها كانت تعيش في ظروف مماثلة .

٢ اتحاد الشركتين المتنافستين ووقوفهما جبهة واحدة في المفاوضات الخاصة بالحصول على الامتياز .

٣ - الاوضاع الاقتصادية السيئة التى كانت تعاني منها الكويت في تلك الفترة بالذات بسبب كساد تجارة اللؤلؤ اثر منافسة اللؤلؤ الصناعي الياباني الذي اكتسح الاسواق العالمية ، وبسبب ضعف الوعي الاقتصادي وعدم وجود مختصين ومستشارين يمكن الاعتماد عليهم في هذا السبيل

رابعا : الحياة الفكرية

بقيت امارات شرق الجزيرة العربية متأخر عن الوعي الفكري والقومي عن الوضع العربي بشكل عام وعن الفكرة والثقافة بشكل خاص حتى بداية القرن العشرين وبعد وصول تركيا الفتاة و "جماعة الاتحاد والترقي" من المتطرفين القوميين العلمانيين الاتراك الى السلطة واعتقال وسجن السلطان عبدالحميد الثاني توترت العلاقات العربية التركية وطرأت عليها تغيرات جذرية ذلك ان العرب استمروا في مطالبتهم بالاصلاح غير ان هدفهم الاساسي اصبح الاستقلال التام والسياده العربية القومية هي الافكار التي سيطرت على التفكير العربي في آخر الامر ، وبعد الحركة الانقلابية في تركيا في ١٩٠٨/٧/١٠ اعلن الدستور العثماني بعد تعطيل دام ثلاثين عاما عمت الفرحة ورحب عرب شمال الخليج العربي بزعامة رؤسائهم الثلاثة السيد طالب النقيب زعيم البصرة والشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت والشيخ خزعل حاكم امارة عربستان بهذا الانتصار واعربوا عن فرحتهم بانتسابهم الى جمعية الاتحاد والترقي وذلك قبل ان يعرفوا ويتبين حقيقة نواياهم القومية التركية والمعادية للقومية العربية والاسلام .

واكب الكويتيون ما يحدث في المشرق العربي من انتفاضات ومناصرة لظهور تباشير القومية العربية فتعاطفوا مع اخوانهم العرب في مصر والحجاز والشام وما نتج عنها من افكار قومية عربية وقد وصلت الكويت منشورات طبعت في باريس واسطمبول تندد بالحكم التركي في المشرق العربي وكانت هذه المنشورات من اعداد الجمعيات المناهضة للاتراك في بيروت وباريس وغيرها من المدن العربية والاوربية ، ثم تابع الكويتيون بتعاطف كبير ما حدث في شمال المشرق العربي بعد فترة الحرب العالمية الاولى من الاستعمار البريطاني والفرنسي وتقسم شمال المشرق العربي الى كيانات سياسية بإيجاد اسماء قديمة ما قبل الجاهلية او الإسلام بدلا من اسماء كشام والرافدين الى سوريا ولبنان والاردن وفلسطين والعراق بعدما كان اقليم عربي تحت الحكم العثماني .

تبع وقوع هذه المنطقة من شمال المشرق العربي تحت الانتداب البريطاني والفرنسي قيام ثورات وانتفاضات عربية ضد الاستعمار الاوربي الجديد مرورا بالانتفاضة المصرية عام ١٩١٩ الى ثورة العشرين في العراق ثم حوادث دمشق والحركة الاصلاحية في دبي الذين يطالبون بإجراء اصلاحات فيها ثم الحركة الاصلاحية في البحرين ، وكانت هذه الحركات الوطنية التي تمت في المشرق العربي تجد صدى لدى الكويتيين ولاسيما الطبقة الواعية وبذلك تأثرت الكويت بالروافد الفكرية والقومية والسياسية قبل فترة الثلاثينات ويذكر الاستاذ جاسم الصقر انه عايش شخصيا الاجواء الوطنية والقومية في الكويت في تلك الفترة الذي كان يدور الحوار فيه في بعض الدواوين فيجد هناك من يتحزب لحزب الوفد المصرى واخر يتحزب للأحرار الدستوريين وكان يوجد في الكويت من يتابع ما تنشره الصحف المصرية والسورية والعراقية التى كانت ترد متأخرة احيانا ومع ذلك يتلقفها الناس بلهفة واهتمام بالغين وكان لهذه الصحف الأثر الكبير في اذكاء الروح القومية عند الكويتيين ولاننسى في مجال احصاء وتعديد التيارات والروافد القومية التى اثرت في بروز الحركة الاصلاحية ونمو الوعي القومي واليقظة الفكرية في الكويت رافدا هاماً من هذه الروافد تمثل في الزيارات التي يقوم بها بعض الاحرار والمفكرين والمصلحين العرب للكويت من وقت لآخر في ذلك الحين ومن ذلك قدوم بعض العلماء المصلحين الى الكويت مثل الشيخ عبدالعزيز الثعالبي والشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمد امين الشنقيطي وكان لهؤلاء المصلحين دور كبير في ايقاظ الفكر والوعي القومي العربي لاسيما وان الكويتيين يحبون الافضل في قيمهم وافكارهم وكانت خطب هؤلاء في المساجد واحاديثهم في الدواوين توقظ الفكر وتعمق الوعي القومي العربي وتفتح العيون على حقائق العصر كما كانت للزيارات التي يقوم بها الاحرار العرب للكويت في تلك الفترة مثل كاظم الصباح

وفخر البارودي وغيرهما في الثلاثينات الأثر الكبير في ازدياد التفتح القومي العربي لـدى الكويتيين اضافة الى حركات التحرر في الهند تجد تعاطفا لدى الاهـالي في الكويـت الـتي لم تكـن بمعـزل عمـا يجرى من احداث في الوطن العربي والخارج برغم من ان وسائل الاتصال الحديثة لم تكن في متناول اليد وكان الاعتماد على الحصول على تلك المعلومـات ومتابعـة مـا يـدور في الخـارج قـاصرا على العائدين من الاسفار وعلى الصحـف والكويتيون بحكـم احـترافهم الملاحـة والتجـارة وتجوالهـم في موانى الهند وحضرموت وعدن وافريقيا توفرت لهم فـرص توسيـع المـدارك والاحـاطـة بمـا يجـري في كثير من انحاء العالم اضافة الى الدور الكبير الذي لعبته القضية الفلسطينية في اذكـاء الـروح الوطنيـة واثارة المشاعر القومية وتأثر الرأى العام الكويتي بأوضاع فلسطين مما خلق شـعورا معاديـا لبريطانيـا فأظهر الكويتيون استنكارهم لها ضمن رسائل وجهوها الى الوكيل السياسي البريطـاني في الكويـت الذي جاء اليها وفد يمثل الهيئة العربية العليا برئاسة الحاج امين الحسيني ومحمد علي علوية وكان هذا الوفد في جولة زار خلالها الاقطـار العربيـة والإسـلامية لإيضـاح قضيـة القـدس الشـريف والمطـامع الصهيونية في فلسطين وقد استقبل الوفد بحماس كبير في الكويـت وقدمـت تبرعـات كـثيرة ، كمـا وقف ابناء الكويـت مـع ثـورة ١٩٣٦ الفلسـطينية وتطـوع بعضهـم وقدمـوا في حـدود امكانـاتهم السلاح والاموال وتنقلها السيارات عبر الصحراء الى فلسطين والواقع ان الوعي القومـي والفكـري في الكويت بلغ درجة عالية بين ابنائها نتيجة للمؤثرات والروافد والتيـارات القوميـة والفكريـة الـتي وفدت الى الكويت والتي كان لها ابلغ الاثر في اذكـاء وانماء الوعـي الفكـري والقومـي الـذي دفـع الكويتيين الى المطالبة باصلاح بلادهم وتنظيمها والأخذ بأساليب التطـور والتحضـر والقضـاء علـى الفساد والتأخر والتخلف[١٨] .

تميزت الكويت من خلال تلك الروافد والتيـارات بحركـة فكريـة وثقافيـة وادبيـة قوميـة نشـطة دفعت الكويتيين الى المطالبة بإيجاد مجلس للمعارف وآخر للبلدية واجراء تنظيمات اداريـة اسـوة بمـا حدث في البحرين فلم تجد هذه المطـالب معارضـة عنـد الشـيخ احمـد الجـابر فتـم انتخـاب اعضـاء المجلسين وانشئت بلدية الكويت عام ١٩٣٤ ثم مجلس المعارف عام ١٩٣٦ فقـد كـان ذلـك بدايـة اعلان توسع في قاعدة ادارة الشؤون المحلية ثم سار العمل في ايجـاد دائـرة للصحـة العامـة وتصـرف شؤون هذه المرافق عن طريق مجالس تطوعية كما كان من اول ثمرات نمـو الوعـي واليقظـة الفكريـة انشاء النادي الأدبي في الثلاثينات وبالرغم من ان الاهداف المعلنة لتأسيس هذا النادي هي الاهتمام بالنواحي الادبية الا ان ذلك لم يمنع من كونه حلقة من حلقات البحث السياسـي واعقـب تأسـيس

هذا النادي الادبي انشاء المكتبة الاهلية عام ١٩٣٦ ولاشك ان هذه الانجازات كانت تعبيرا صادقا عما وصلت اليه الكويت من نهضة ادبية ونضج فكري وقومي قياسا بما هو موجود في الاقطار المجاورة ماعدا العراق والبحرين وكان لهذه المجالس دور كبير وفعال في الحركة الفكرية والاصلاحات التى تمت في الكويت في هذه الفترة التى قادت البلاد الى التقدم والتطور في كافة المجالات . فبالنسبة للمجلس البلدي نجد انه على الرغم من ان المجالس البلدية العربية في تلك الفترة لاتمثل المفهوم الصحيح لتطور الحركة الديمقراطية ولكنها في الكويت اخذت على عاتقها ممارسة لا نظاما تبعات تفوق بكثير المهمات التقليدية التي تقوم بها المجالس البلدية وربما كان ذلك محاولة من المجلس لسد الفراغ الذي سببه غياب المؤسسات الديمقراطية وعلى سبيل المثال تصدت البلدية بحزم شديد لأخطر قضية واجهتها الكويت وهي قضية الهجرة الايرانية غير المشروعة كما كان لمدير المجلس سليمان العدساني والعضوين على سليمان ومشاعان الخضير دور فعال في التنظيمات والاصلاحات التى حدثت في الكويت من خلال نشاطهم في المجلس ، اما مجلس المعارف فقد ظهر من خلاله الميل الى انشاء المدارس والتوسع في نشر الثقافة والعلم والقضاء على الامية والجهل والتأخر المتفشي في المجتمع الكويتي في هذه الفترة ونظرا لضآلة الواردات وعجز الحكومة حاليا عن تحقيق ذلك رفع وجهاء الكويت كتابا الى الحاكم طالبوا فيه بفرض ضريبة جمركية اضافية على الواردات نسبتها ٢٪ علىٰ ان يخصص ١٪ من الضريبة الجديدة لإنشاء المدارس و ١٪ للمرافق الصحية ومع ان هذه الضريبة من الضرائب غير المباشرة وبالتالي يتحمل عبئها المستهلك الا انه كان في قناعة التجار القوميين انهم هم الذين يتحملون هذه الضريبة كمستوردين[١٩] .

نتج عن هذه الجهود الوطنية ان تم تكليف الحاج امين الحسيني بإرسال بعثة تعليمية من المدرسين الاكفاء فقام بالمهمة خير قيام وارسل عام ١٩٣٧ اربعة من المدرسين كانوا الطليعة الاولى للمدرسين من الأخوة الفلسطينين الذين قدموا الى الكويت وقام هؤلاء الاساتذة بدورهم التعليمي والتربوي خير قيام وتبعتهم دفعة ثانية عام ١٩٣٨ وبذلك ظهرت المدارس النظامية والمنهجية في الكويت وبالرغم من هذا الدور الكبير الذي قام به مجلس المعارف والبلدية في خدمة الكويت وتقدمها وتطورها الا أنه لم يلبث ان استحكم الخلاف بين اعضاء مجلس المعارف وبعض المعارضين لهم من خارج المجلس من جهة وبينهم وبين السلطة الحاكمة من جهة اخرى حل على اثره مجلس المعارف واستقال مجلس البلدية احتجاجا مما زاد في كتلة المعارضة الوطنية ومما زاد المعارضة صدور ارادة عليا عام ١٩٣٨ بمنع الناخبين من انتخاب بعض الاشخاص كانوا في المجلس البلدي وواضح

ان التذمر الشعبي يرجع الى عدم اهتمام الحكومة بإصلاح الادارة والقضاء بالأضافة الى عدم كفاءة النظام التعليمي وسوء الأحوال الصحية وعدم بذل المحاولات الايجابية للبحث عن مياه الشرب لذلك تنادى القوميون في منتصف ١٩٣٧ الى انقاذ البلاد من الأخطار التي تحيق بها وشكلوا جمعية سرية سميت "الكتلة الوطنية" كما ذكرنا سابقا ولاشك ان هذه الجمعية كانت من نتاج الوعي الفكري والنضج القومي الذي كان قد برز في الكويت وأخذ في التأجج والانتشار بين كافة طبقات الشعب وقامت "الكتلة الوطنية" بدور وطني وقومي كبير ورائع لبث الوعي القومي والفكري واذكاء الروح الوطنية وتعبئة الرأي العام للمطالبة بحياة ديمقراطية ثم مساندة العمل الديمقراطي لدعم انجازات المجلس التشريعي فيما بعد عند تأسيسه ، وكان واضحا ان هدف الكتلة من المطالبة بقيام حكم نيابي في الكويت في تلك الفترة المبكرة نسبيا كان لتحقيق العدالة وارساء قواعد الحرية والرخاء والمساعدة في دفع عجلة التقدم والتطور ، ومن ناحية أخرى فقد كان من اهم نتائج الوعي القومي والحس الوطني الذي ظهر بين ابناء الكويت ان تقدم بعض الشباب الكويتي الوطني بعريضة الى الشيخ أحمد الجابر في ١٩٣٨/٤/١ تنطوي على مطالب ستة تختص بالتدريب المهني والاصلاحات في النواحي الاقتصادية والمالية وانشاء مستشفى للعلاج بالمجان وان يأخذ الحاكم اهتماما اكبر لصالح الرعية والنظر في شوونهم وطرد بعض المستشارين الذين يعتمد عليهم الشيخ ومعظمهم من غير العرب من الدول المجاورة كايران وان يسمح للعرب بزيارة الكويت والاقامة فيها دون أية معوقات ، كما تركزت المطالب الوطنية على النواحي المدنية والقضائية ومن ذلك تنظيم القضاء بإنشاء محكمة شرعية وأخرى للاستئناف وتنظيم قوات للإشراف على الامن[٢٠] .

يتضح مما سبق ذكره بأن تلك الفترة ما بين الحربين العالميتين شهدت تفتح اذهان الكويتيين وافكارهم ليجدوا من العوامل والاسباب ما حضر مجتمعهم للخروج من جموده وعزلته وذلك لعدة اسباب منها توافد بعض رجال الفكر والادب والعلم من العرب الى الكويت وانتقال الوعي الفكري والقومي ، وقيام نوع من المجالس الادبية او "الديوانيات" التي كانت بمثابة مراكز اشعاع فكري قدر لها القيام بدور مؤثر وفعال في ارجاء الكويت وقيام نوع من التعليم الاهلي المنظم بفعل وتأثير بعض رجال الفكر ويعتبر هذا النوع من التعليم بمثابة الاساس الذي قام عليه التعليم الحديث في الكويت وبروز بعض الشباب الكويتي الذين تصدروا تلك الحركة الفكرية وأزروها واسهموا فيها بأفكارهم وانتاجهم وكذلك قيام نوع من الصحافة المحلية الكويتية بفعل وتأثير تلك الحركة

وان جاءت نشأة تلك الصحافة متعثرة ويمكن اعتبار هذه المرحلة مرحلة "النضج الفكري" مرحلة وسطى وانتقال من مرحلة الجمود ما قبل الحرب العالمية الاولى الى مرحلة اخرى هي مرحلة النضوج الفكري وازدهار الفكر ويرجع الفضل الى رجال الفكر والاداب العرب الذين زاروا الكويت كما ذكرنا سابقا امثال رشيد رضا والثعالبي والشنقيطي فأثروا بأفكارهم واستطاعوا ان يمهدوا الطريق لتلك اليقظة الفكرية التى شهدتها الكويت والذين تدين لهم الكويت بتفتحها الفكري فقد كان يلتف حول هذه النخبة العربية بعض رجال وشباب الكويت الذين استطاعوا عن طريق الاحتكاك والمناقشات والخطب التي كانت تدور رحاها في ساحات المساجد ان يصلوا الى كل جديد لم يألفوه او باب من ابواب المعرفة لم يطرقوه ، فقد احدث السيد رشيد رضا في السنة التي زار فيها الكويت انقلابا بين اهلها وتأثيرا عظيما بخطبه الرنانة التى قام بها في أكبر جامع وهو يتدفق كالسيل المنحدر قام بتلك الخطب الساحرة هناك فتاب الى الله كثير ممن كانوا يعتقدون في فضيلته السوء واصبح الراغبون في العلوم الراقية التي كانوا يحرمونها اولا جما غفيرا بعد ان كانوا يعدون على الاصابع وكذا ازدادت الرغبة في مجلته "المنار" اما الزعيم التونسي المعروف عبدالعزيز الثعالبي فقد اجرى في الكويت خلال زيارته لها عام ١٩٢٣ روح الحركة والنشاط وتركها متحفزة لنهوض مدهش وتقدم غريب بما كان يجود به ان في مجالسه العامة او في خطبه البليغة التي تفضل بها في احتفالات الكويتيين به فقد اقام هذا الاستاذ الكويت واقعدها وشهدت منه ما لم تشهده في حياتها من شخص غيره حيث اقيمت له الاحتفالات الشيقة في المعاهد العلمية والادبية اكبارا لقدره وتقديرا لفضله[٢١] .

لعبت المجالس أو "الديوانيات" دورا كبيرا في الحياة الفكرية فقد كانت مرتعا خصبا حيث كانت تدور فيها احاديث الفقه والادب وتناقل الاراء حيث كان يجتمع فيها الادباء ومريدوهم فيتدارسون كتب الادب ويتناشدون الشعر ويتبارى كل منهم في ابراز ما انتجه فكره أو ما جادت به قريحته ومن ثم حفلت جلسات هذه "الديوانيات" بالنوادر والطرائف والمساجلات وبالرغم من الشمول في الموضوعات التى كانت محور الحديث في هذه الجلسات فأن الأمر لم يكن يخلو من وجود بعض "الديوانيات" التي اختصت بالتدارس في فرع من فروع العلم والادب فقد اختصت "ديوانية" الشيخ يوسف القناعي بتدارس علوم اللغة والدين في حين أختصت ديوانية عبدالله ملا صالح بتدارس الادب القديم بعكس ما كان يدور في ديوانية خالد المسلم التي كان يتدارس روادها معالم الادب العربي الحديث وبالرغم من ذلك فقد كانت صلة الكويتيين بالادب الحديث أو العلوم

الحديثة صلة بسيطة على ان الامر لم يكن يخلو من وجود نفر من الشباب الكويتيين الذين كانوا يتطلعون بشوق ولهفة الى الكتب الادبية الحديثة التي كانت تظهر بالعراق والشام ، وكان رواد هذه "الدواوين" يتزاورون باستمرار نظرا لتوافر صلات القرابة والاخوة والتعارف بينهم واذا ما حل ضيف بالكويت سارعوا جميعا للقائه والسلام عليه والتنقل معه من محله الى اخرى ومن ديوانية الى اخرى وهكذا ، اما الادباء الذين تولوا الصدارة في مؤازرة تلك الحركة الفكرية في الكويت فقد كان في مقدمتهم الشيخ يوسف القناعي الذي لم يدخر ما في وسعه لدفع هذه الحركة بفضل ما كان يبذله من جهد ومال ويرجع اليه الفضل في اقامة المدرستين واول مكتبة اهلية وكذلك المجلس الاستشارى او الشورى ، اما عبدالعزيز الرشيد فقد كان هو الآخر في طليعة المفكرين الكويتيين وعملا في التدريس بالمدرسة المباركية وله الفضل في اصدار اول مجلة كويتية عام ١٩٢٧ وكانت مجالا خصبا لنشر ما تفيض به قرائح رجال الفكر والادب في الكويت على ان ابرز ما يميز هذا الرجل هو كتابته لتاريخ "الكويت" اذ يعتبر هذا الكتاب الذي اصدره عام ١٩٢٦ في مجلدين المصدر الاول ان لم يكن الوحيد لا لأحداث تلك الفترة فحسب بل لتسجيل مراحل تطور الكويت التاريخية وسجلا حافلا لسماتها الفكرية والثقافية ، ومن رجال الفكر والادب في هذه المرحلة سليمان بن خالد العدساني وعبدالحميد الصانع كما برز خلالها بعض الشباب الكويتيين في ميدان الادب والشعر من امثال السيد هاشم الرفاعي وصقر سالم الشبيب ويلقب بشاعر الكويت وقد اصطبغ شعره بنزعة تشاؤمية فاعتزل الناس وضاق بهم ذرعا ، وخالد محمد الفرج الذي يتميز بأسلوبه الخاص في عرض المشاكل الاجتماعية كما يلمس المرء في شعره لمسات إنسانية صادقة وحركات اجتماعية موفقة وعاطفة تفيض بالحنان احيانا وتزمجر كالبركان احيانا وقد ولع بتصيد الحوادث وتسجيلها وقد عبر في شعره عن مجتمع ما قبل النفط تعبيرا شفافا وصوره تصويرا دقيقا ، وفهد العسكر الذي يعتبر ممثلا لمرحلة انتقال من الشعر القديم الى الشعر الحديث في الكويت فقد كان شعره ثورة عنيفة عارمة في وجه التقاليد والعرف والعادات لقد تغنى فهد بالحب والجمال وتغزل وشبب لذلك حمل عليه الناس وهاجموه وقد توزع شعره بين الغزل والوصف والقوميات ، وعبدالله العلي الصانع وحجي قاسم الحجي وعبداللطيف ابراهيم النصف وخالد العدساني وغيرهما ممن تركوا ثروة ادبية وشعرية يعتد بها مناسبات اجتماعية وسياسية مختلفة[٢٢] .

خامسا : نظام الحكم والادارة

تميزت هذه الفترة بالوعي السياسي في الكويت بحيث سمح باجراء نوع من التعديل في نظام الحكم اذ جرى تدوين ميثاق بين ال الصباح واعيان الكويت يستهدف تنظيم ولاية العهد وانشاء اول مجلس شورى في الكويت وظهور اللامركزية الاقليمية وذلك بانشاء بلدية الكويت وممارسة الكويتيين حق الانتخاب لأول مرة لأختيار اعضاء المجلس البلدي ، ثم تطور الادارة العامة بحيث انشئت ادارات لتقوم بتسيير بعض المرافق وكان لكل ادارة مجلس يتولى شوونها ، اضافة الى ظهور سلطة الحاكم التشريعية لأول مرة وخروج السلطة القضائية من يده بالنسبة للأجانب وكانت بريطانيا قد عهدت لمبارك بأن تقتصر ولاية مسند الامارة على ذريته دون غيرهم ولذلك نجد ان الحاكم اثناء هذه الفترة قد اختير بصفته الارشد من عائلة مبارك وهو الشيخ أحمد الجابر وليس من عائلة الصباح اجمع مثلما كان عليه الحال اثناء الفترة التي سبقتها .

الميثاق ومجلس الشورى الاول في الكويت

تأثر الكويتيون بما يدور حولهم عندما كان المشرق العربي مسرحا للثورات الاصلاحية فرأوا ان الوقت قد حان لاجراء نوع من التعديل في نظام الحكم فعلى اثر وفاة الشيخ سالم في ١٩٢١/٢/٢٢ اجتمع بعض اعيان الكويت بآل الصباح وابلغوهم بقرارهم ان تكون لهم في المستقبل كلمة في شوون الدولة والحكم وانهم لايقبلون الا بالحاكم الذي يقبل انشاء مجلس استشاري لهم ولقد اثمر هذا الاجتماع عن تدوين ميثاق هذا نصه :

"بسم الله الرحمن الرحيم" ، نحن الواضعون اسماءنا بهذه الوثيقة قد اتفقنا واتخذنا على عهد الله وميثاقه باجراء هذه البنود الآتية :

اولا : اصلاح بيت الصباح كي لايجرى بينهم خلاف في تعيين الحاكم .

ثانيا : ان المرشحين لهذا الامر هم الشيخ أحمد الجابر والشيخ حمد المبارك والشيخ عبدالله السالم .

ثالثا : اذا اتفق رأى الجماعة على تعيين شخص من الثلاثة يرفع الامر الى الحكومة للتصديق عليه .

رابعا : المعين المذكور يكون بصفته رئيس مجلس الشورى .

خامسا : ينتخب من آل الصباح والاهالي عدد معلوم لادارة شؤون البلاد على اساس العدل والانصاف"

يتضح من نصوص تلك الوثيقة التي تعتبر الاولى من نوعها في تاريخ الكويت السياسي وانها ترمي الى تحقيق هدفين وهما :

أ - انه منعا لاثارة أي خلاف بين آل الصباح حول تقلد مسند الادارة تعرضت الوثيقة الى تنظيمه فحصرته في ثلاثة منهم يختار الحاكم من بينهم وقد وقع الخيار على أحمد الجابر .

ب - والغرض الثاني الذي استهدفت هذه الوثيقة تحقيقه هو تشكيل مجلس استشاري يضم عددا من المواطنين وآخر من آل الصباح يساعد الحاكم في ادارة شؤون الكويت وتكون رئاسته لحاكمها وتطبيقا للفقرة الخامسة من الميثاق تم تكوين اول مجلس استشاري في الكويت عام ١٩٢١ والتي نلاحظ فيه ان اعضائها قد اتوا عن طريق التعيين لا الانتخاب خلافا لما نص عليه الفقرة الخامسة من الميثاق كما ان جميع اعضاء هذا المجلس هم من وجهاء واعيان الكويت وتجارها وليس من بينهم من عامة الشعب وكذلك من أي فرد من عائلة الصباح وهو ما يخالف ايضا نص الفقرة الخامسة ايضا ، اما عن طبيعة الاختصاصات المخولة لهذا المجلس فتستشف من اسمه فهو هيئة استشارية بحتة يبدى الرأي ويعطى النصح للحاكم في المسائل التي تعرض عليه وليس الحاكم بملزم بأن يأخذ برأيه بل هو صاحب الرأي الاخير في الموضوع ، وقد أخذ حاكم الكويت يواصل جلساته مع المجلس ويستشيره في الامور المهمة غير ان ثمرة هذه المشاورات كانت ضئيلة جدا لتفاهة جلساته وكثرة الخلافات الشخصية بين اعضائه وعدم احترامهم لقاعدة الاغلبية وعدم مواظبتهم على حضور جلساته التي قلت شيئا فشيئا ثم تباعدت ثم انتهى الامر الى ان تعذر انعقاده مما ادى الى الحل التلقائي له وهكذا نجد ان هذه التجربة الاولى لم تحقق الثمرة المتوقعة منها فما كاد المجلس ان يبدأ اعماله حتى حل حلا واقعيا وانتهى اجله ولعل السبب الرئيسي في ذلك ان اعضاء المجلس اتوا عن طريق التعيين لا الانتخاب العام حتى يصل الى عضوية المجلس من هم اكثر جدية واصلح لتمثيل الشعب والقيام بالمهمة الملقاة على عاتقهم[٢٣] . ويقول المؤرخ عبدالعزيز الرشيد : "ان هذا المخلوق الصغير كان قصير العمر جدا فما كاد يتحكم حتى زهقت روحه والحد في قبره"[٢٤] .

ظهور اللامركزية الاقليمية في الادارة

ظهرت اللامركزية الاقليمية في الكويت ولأول مرة في هذه الفترة وذلك بأنشاء بلدية الكويت بعد ان اصبحت الحاجة ماسة الى انشائها ففي عام ١٩٢٨ زار الشيخ يوسف القناعي البحرين فأدرك ما تقدمه بلدية المنامة التي انشئت في عام ١٩١٩ من خدمات ملموسة وما تقوم به من دور ايجابي في النهوض بالبحرين وتطلع الشيخ القناعي الى قيام بلدية في الكويت على غرار بلدية المنامة في البحرين واقنع بفكرته مجموعة من وجهاء الكويت فطرحوا الفكرة على الشيخ أحمد الجابر فاقتنع بها ووافق على انشائها وصدق على قانونها في ١٩٣٢/٢/١٦ ويظهر من نصوصها ان بلدية الكويت شخص لا مركزي اقليمي يتمتع بالشخصية المعنوية ويعبر عن ارادته بواسطة مجلس منتخب ويتمتع باختصاصات واسعة ويمارس انشطة متعددة فيها ما هو ذو طابع بلدي ومنها ما يدخل في نطاق الاختصاصات الحالية للوزارات ، وبالتالي تتميز عن المألوف من البلديات الأخرى داخل الدول التي تعرف نظام البلديات بأن المهام المسنده اليها لاتنحصر داخل حدود قسم اقليمي معين دون غيره بل انها تمارس نشاطها على كل اقليم الامارة ولم يكن في الكويت يعرف نظام تعدد الاشخاص اللامركزية الاقليمية ولكنه اكتفى بشخص لا مركزي وحيد متمثل في بلدية الكويت التي يستفاد من نصوص قانون تأسيسها ان حدودها المكانية تكاد تستغرق حدود الدولة ذاتها ولكنها تتولى اعمالا ذات طابع بلدي وهو ما يجعل بلدية الكويت شيئا وامارة الكويت شيئا آخر ، وجدير بالذكر ان المشروع الكويتي قد سار على نظام البلدية الواحدة منذ انشاء البلدية بالقانون الصادر في ١٩٣٢/٢/١٦ واضطرد على هذه القاعدة في تشريعات البلدية الصادرة في ١٩٦٠ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٤ ، ومما لاشك فيه ان نظام لبلدية الواحدة ملائم للكويت لأن فيه "توحيد للجهود في دولة لاتتباعد فيها المدن تباعدا يقتضي التعدد وقد اثبتت التجارب فعلا قدرة المجلس البلدي الواحد على اداء مهامه على نحو طيب بالنسبة للكويت جميعها ، ويتمثل تنظيم بلدية الكويت في مجلسها البلدي وجهازها التنفيذي ، ووفقا لنص المواد ١ ، ٢ ، ٣ ، من قانون تأسيس البلدية يتألف المجلس البلدي من اثني عشر عضوا يأتون عن طريق الانتخاب ورئيس يعينه الحاكم بين اعضاء اسرة الصباح ويعتبر نظام انتخاب الاعضاء اول انتظام انتخابي يطبق في الكويت ولان الكويتيين قد مارسوا ولأول مرة في تاريخ الكويت حق الانتخاب لاختيار اعضاء ذلك المجلس وفضلا عن ذلك فأن هذا النظام هو الذي طبق فيما بعد لانتخاب اعضاء المجالس الادارية الأخرى كمجلس ادارة المعارف ومجلس ادارة الصحة وغيرها ، ولم يكن حق الانتخاب عامل بل كان

مقيدا لايتمتع به الا فئة معينة من الكويتيين حددتها المادة الثالثة من قانون البلدية بقولها : "الاعضاء ينتخبون من قبل وجهاء البلد من طلبة علم وتجار وكل من له علم باختيار الرجال" وبذلك نجد ان القانون قد تطلب في الناخب شروطا معينة تتعلق بالقدرة المالية أو بالكفاءة العلمية وهو ما يتعارض مع مبدأ الانتخاب العام فالمشروع قد اعتبر الانتخاب وظيفة اجتماعية لايمارسها الا اكفاء من طلبة العلم والتجار ومن لهم علم باختيار الرجال ، ونص المادة "١٨" على ان مدة انتخاب الاعضاء والمدير سنتان "كما نص في المادة "١٧" على انه "يجوز اعادة انتخابات الاعضاء الذين قد اتموا مدة عضويتهم وكذلك المدير" . واشترطت المادة الرابعة من القانون فيمن يرشح نفسه لعضوية المجلس البلدي "ان يكون وطنيا صادقا امينا متصفا بالعدالة الظاهرة ومالكا لحواسه بتمامها وان يكون حول الثلاثين من العمر وان لايكون من الذين افلسوا و لم يسترجع اعتباره أو مستخدما عند حكومة اجنبية (بريطانيا) ولو بصورة مؤقتة ، أو قد سبق عليه الحكم بالتشرد ، أو مدعيا تابعية حكومة اجنبية ، أو من الموظفين في الحكومة أو من موظفي البلدية ، أو من متعهدي مقنطري البلدية أو كفيلا لهؤلاء المتعهدين أو متعهدا لجباية أو رسم من رسوم البلدية" . وبعض هذه الشروط غير مألوف في القوانين الحديثة ، هذا وقد كانت البلدية تغطي مصروفاتها من مواردها التي تتمثل اساسا في اثمان ما يباع من الاراضي الزائدة بعد اصلاح الطرق والغرامات التي يقررها المجلس البلدي على المخالفات والهبات وتأجير الاراضي والضريبة المقررة على دخل الافراد منح رخص السيارات وفتح المقاهي والدكاكين واستطاعت البلدية رغم بساطتها الشديدة وقلة مواردها آنذاك ان تلبى الكثير من الحاجات وان تسهم بصورة ملموسة في التقدم العمراني والصحي والاجتماعي للكويت[٢٥] .

انشاء الاجهزة الادارية المعاونة

يتميز نظام الحكم اثناء هذه الفترة بوجود اجهزة ادارية معاونة انشئت لأول مرة في الكويت استجابة للتطور الاقتصادي والثقافي والاجتماعي الذي شهده الكويت اثناء هذه الفترة اذ تشابكت شوون الادارة وتعقدت حتى صار من المحتم انشاء اجهزة تعاون الحاكم في ادائها ، وذلك بعدما كبرت المدينة وزاد عدد سكانها وواكب هذا التطور اتساع نطاق شوون البلدية والمعارف أي التعليم ، والصحة والاوقاف وانشئت ادارات لتقوم بتسيير كل مرفق من هذه المرافق وتسمى باسمه فكانت اول هذه الادارات هي ادارة البلدية والمعارف والصحة والاوقاف ، والادارة هي جهاز حكومي يعاون الحاكم في ممارسة سلطته التنفيذية وذلك عن طريق اشرافها على وجه معين من

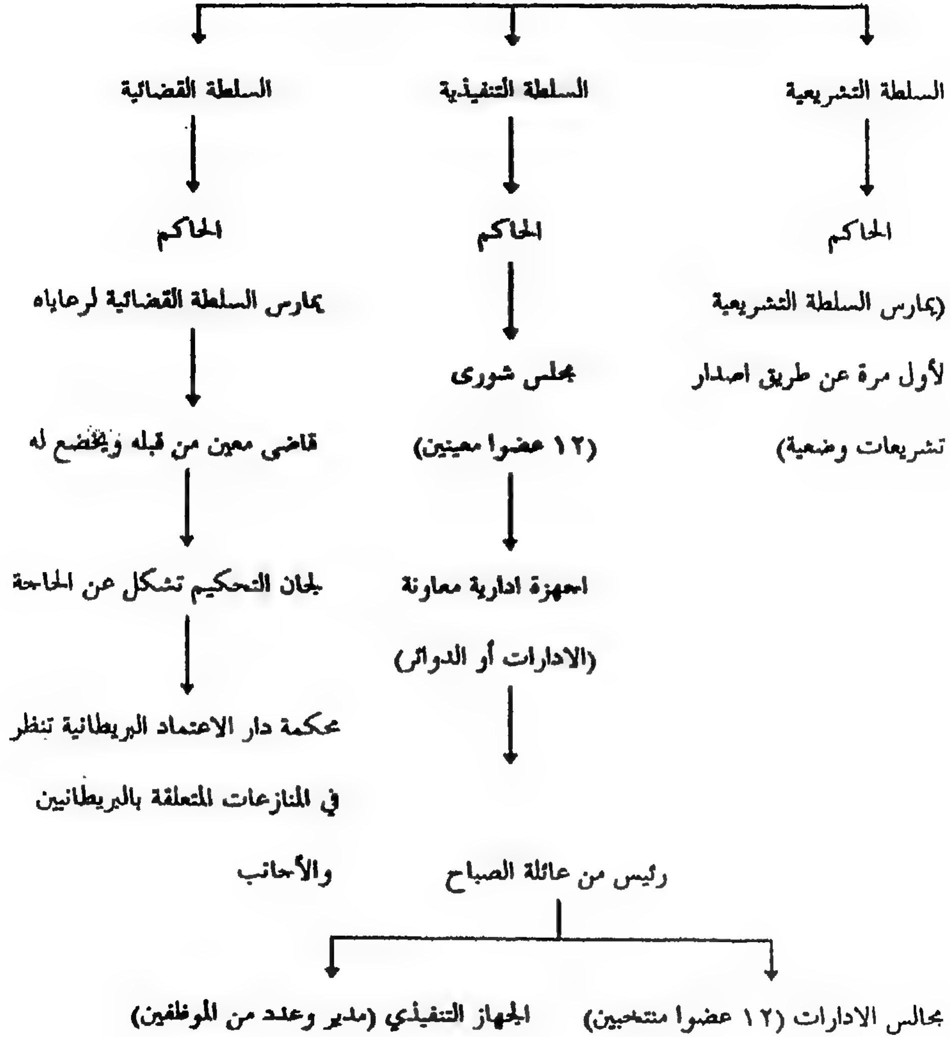
اوجه النشاط الذي تسمى باسمه واذا نظرنا للادارة من زاوية طبيعة عملها لوحدناها تقابل وزارة حديثا والفارق هو قلة نشاط الدائرة مقابل الوزارة ويرأس كل ادارة شيخ من ال صباح ولها مدير وعدد من الموظفين ، وقد يكون رئيس الادارة مسؤلا عن اكثر من ادارة وفي هذه الحالة غالبا ما يتخذ رئيس الادارة احد ابنائه بصفته مديرا مساعد له و لم يكن لرؤساء الدوائر أي مؤهل فني سوى الخبرة التي كانوا يحصلون عليها عن طريق الممارسة وحيث ان النظام البرلماني لم يكن مطبقا في الكويت فأن رؤساء الدوائر لم يكونوا موضوع طرح ثقة يطيح بالوزير أو بالوزارة كما هو الحال في النظام البرلماني ومن هنا نجد ان رئيس الادارة يمكنه الاحتفاظ بوظيفته الى مدة أكبر بكثير من مدة أي وزير في النظام البرلماني وقد ظل بعض رؤساء تلك الدوائر في وظيفتهم أكثر من اثني عشرة سنة ، وكانت هذه الادارات مستقلة بعضها عن بعض وتعتمد فيما بينها على قدر الروابط الموجودة ما ين رؤسائها الذين كان يدير كل منهم شؤون ادارته بحرية كبيرة لعدم وجود رقابة مالية أو رقابة ادارية مركزية حقيقية عدا مناقشة تخطى السلطة مباشرة امام الحاكم في مجلس العائلة ، اما مالية هذه الادارات فقد تأمنت انذاك بضريبة على الواردات والصادرات مقدارها ٥,٠٪ بالاضافة الى ضريبة على المساكن مقدارها روبيتين شهريا على البيوت من الفئة الاولى وروبية شهريا على البيوت من الفئة الثانية ونصف روبية شهريا على الفئة الثالثة واربع آنات شهريا على بيوت الفئة الرابعة وهم فئة البحارة هذا بالاضافة الى الرسوم التى كانت تفرض على السيارات عموما بمقدار روبيتين للسيارة واربع روبيات على رخص سياقة السيارات وكذلك على مطاحن الدقيق والعماير (مخازن الخشب) والدكاكين والمقاهي والحدادين والحلاقين والنجارين وغيرهم وكانت هذه الرسوم هي التي تضمن للجهاز الحاكم دخلا منتظما بالاضافة الى الايرادات المتأتية عن بيع الاراضي الاميرية الزائدة بعد اصلاح الطرق والغرامات التي كانت تقرر للمخالفات وايرادات تأجير الاراضي الاميرية ، وكان لكل ادارة مجلس يدير شؤونها ويسمى باسمها فكان هناك مجلس البلدية ومجلس المعارف ومجلس للصحة ومجلس للأوقاف ، ويضم لكل مجلس اثني عشر عضوا ينتخبهم الشعب على نظام القوائم الانتخابية ، وكانت رئاسة هذه الاجتماعات للشيوخ من عائلة الصباح وهم نواب عن الحاكم الذي يعينهم ويكونون مسؤولين امامه عن اعمال ادارتها و لم تكن هذه المجالس تشريعية أو سياسية بل كان اختصاصها قاصرا على اعطاء الرأي وتقديم المشورة فيما يتعلق باختصاص كل منها كما انها تملك رسم السياسة العامة للمرافق - الادارة - والسهر على تنفيذها وتوجيه العمل في الادارة ومراقبته[٢٦] .

ظهور سلطة الحاكم التشريعية وخروج السلطة القضائية للاجانب

لم يكن هناك أي اثر للقانون الوضعي قبل هذه الفترة من تطور نظام الحكم في الكويت لان الشريعة الإسلامية والعرف كانا المصدرين الوحيدين للقاعدة القانونية ومفهوم ذلك انه لم تكن ثمة من سلطة تشريعية بالمعنى المفهوم تسن قوانين تعدل أو تلغي قواعد الشريعة أو العرف كل في مجاله الذي سبق وان حددناه وهكذا فأن الحاكم ما كان يملك سلطة تشريعية اثناء تلك الفترة وبافلات السلطة التشريعة من يده كان يبدو وكأنه محددا ومقيدا فعلا باحترامه لقواعد العرف الملزم من ناحية ولقواعد الشريعة الإسلامية من ناحية اخرى تلك القواعد التي لايملك تعديلها او الغاءها عن طريق اصدار قوانين وضعية ولايملك اصدارها لأن الناس قد تعارفوا على قوتها الالزامية ولا يملك ايضا ان يمتنع عن تطبيقها لان في ذلك انكارا للعدالة يكون مسؤلا عنه امام جماعته ولذلك كان القانون الواجب تطبيقه قيدا من تلك القيود التى ترد على سلطات الحاكم قبل هذه الفترة من تطور نظام الحكم اما هذه الفترة ما بين الحربين فأن اهم ما تميزت به هو ظهور السلطةالتشريعية للحاكم لأول مرة في تاريخ تطور نظام الحكم فالحاكم اصبح في هذه الفترة يمارس سلطة تشريعية حقيقية عن طريق اصدار تشريعات وضعية لها صفة التجريد والعموم والالزام وكان أول هذه التشريعات هو قانون انشاء البلدية ثم تبعت بقية القوانين ، اما السلطة القضائية في هذه الفترة في يد الحاكم يقضي بنفسه اذا عرضت عليه منازعة ما او يحيل ذلك النزاع الى قاضي شرعي اذ كانت القضية متعلقة بمسألة جنائية او من مسائل الاحوال الشخصية وكان يحكم فيها طبقا لقواعد العرف او احكام الشريعة الإسلامية وان كانت من المسائل المتعلقة بشوون التجارة واستعصى عليه وجود حل لها احالها الى لجنة تتكون من ذوي الخبرة من التجار تنظر فيها مطبقة الاعراف التجارية والعادات الاتفاقية كما هي الحال في الفترات السابقة ، الا ان الامر المستجد في هذه الفترة هو ان الحاكم لايملك مثل تلك السلطة الا بالنسبة لرعايه اما بالنسبة لغيرهم من الاجانب وخاصة الرعايا البريطانيين فقد خرجت هذه السلطة من يده ولم تصبح من اختصاصه بل من اختصاص بريطانيا التى اصدرت اول مرسوم ملكي خاص بالكويت والذي بدأ العمل به في يوليو ١٩٢٥ ثم تبعه اصدار عدة مراسيم من هذا النوع ١٩٣٥ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٩ والمعدلة في ١٩٥٤ و ١٩٥٦ و ١٩٥٧ و ١٩٦٠ وطبقا لهذه الاوامر والمراسيم احتجزت بريطانيا لنفسها بصورة فردية اختصاص ولاية القضاء بالنسبة لرعاياها وللأجانب وكذلك سلطة التشريع في بعض المواد . وانشأت محكمة لهذا الغرض في دار المعتمد البريطاني في الكويت[٢٧] .

نظام الحكم في الفترة ما بين الحربين العالميتين

الحاكم مصدر السلطات



سادسا : العلاقات الكويتية – السعودية

عمد الملك عبدالعزيز ال سعود الى تشكيل "القوات الخاصة" أو "الميلشيات" تحت اسم "الاخوان" لكي يحقق الهدف الذي ظل يعمل من اجله وهو استرداد ملك اسلافه "السلفين" ال السعود ومن هنا اتجه "ابن سعود" بانظاره الى رجال البدو لكي يجعل منهم مقاتلين قادرين على انجاز ما يطلبه منهم ولم يكن ذلك امرا سهلا فقد كان عليه ان يواجه بالصعوبات اذا ما رغب في الاعتماد على البدو بوضعهم التقليدي فهم يقاتلون حبا في الفروسية ورغبة في الحصول على الغنائم وهم لا يتورعون عن الفرار خلال المعارك فينسحبون من ارض المعركة فرادى أو جماعات اذ كانوا قد حصلوا على قدر كاف من الغنائم أو اذا كانت المعركة لاتسير في صالحهم فهم يجتمعون ويفترقون لايوالون طويلا ولايعادون طويلا ولكي يكسب "ابن سعود" ولاء البدو فكر في الكيفية التى يمكن بها اقناع هؤلاء البدو بترك حياتهم التقليدية والقبول بفكرته والانضمام الى "قواته الخاصة" أو "الميلشيات" بطريقة جديدة وهي اقامة مناطق تسمى "هجر" حيث يتم تجميعهم فيها وتلقينهم بتعاليم "دينية خاصة" وهي تعاليم "السلفية الوهابية" فتتهذب العقول والنفوس وتتبدل طبائع الأخوان ويصبحون على اهبة الاستعداد للجهاد في سبيل هذه العقيدة وتنفيذ أوامر الحاكم وبهذا يشعرون الاخوان السلفيون بأن لهم وطن يذودون عنه وحاكم يلتفون حوله فيتخلصون من عصبيتهم القبيلة ويتحولون في ولائهم من شيوخ قبائلهم الى الحاكم الذي يرعى دعوتهم السلفية الوهابية ويحمي حركتهم تم عرض "ابن سعود" فكرته هذه على والده الامير عبدالرحمن وكبار الامراء من اسرة ال السعود الحاكمة واتباعه من رجال الدين في نجد عام ١٩١٠ ولقيت تلك الفكرة معارضة شديدة من رجال الدين في بداية الامر غير انه استطاع في النهاية اقناعهم بخطته الذكية وبالفوائد الكثيرة التي ستعود عليهم من تنفيذها ولم يكد ينفض الاجتماع حتى كتب رجال الدين الى المطاوعة ليجوبوا مع طلابهم مختلف الانحاء ترويجا لفكرة "الاخوان السلفيين الوهابيين" وقد لقيت استجابة من البدو "الحرب" و "المطير" ، وعليه فالاخوان "السلفيون" هم اولئك البدو الذين جمعته بينهم عقيدة التوحيد السلفية الوهابية وعاشوا اخوانا متحابين من اجل القتال والجهاد تحت راية الحاكم ، ثم دعا "ابن سعود" رجال القبائل عام ١٩١٦ الى الانضمام لحركة "الاخوان" السلفية الوهابية" وتأدية ما عليهم من زكاة باعتباره امامهم الشرعي ، واتجه الى المطاوعة والعلماء من رجال الدين لحثهم على نشر افكاره فاستجاب هؤلاء النداء كما عهد ابن سعود الى علامة نجد الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف بتأليف الكتب اللازمة والمناسبة لنشر تلك الافكار السلفية

الوهابية واخذ خطباء المساجد والمرشدون وغيرهم من رجال الدين يشرحون وينشرون هذه الافكار وهكذا نجح "ابن سعود" في اقناع البدو ورجال الدين بفكرته السلفية الوهابية في حركة "الاخوان" الذين اخذوا يتزايدون عاما بعد عاما خصوصا عندما وفدت اليها قبيلة المطير وجعل "فيصل الدويش" حاكما عليها بعد ان تناسى خلافاته السابقة مع "المطير"(٢٨) .

نجح ابن سعود عن طريق "قوات الاخوان العسكرية" في معاركه التي خاضها ضد خصومه في استرداد ملك اسلافه فقدا اعلن "الاخوان السلفيون" الجهاد ضد العثمانيين واستولوا على الاحساء عام ١٩١٣ ثم الجهاد ضد قبائل الشمر واسقطوا حكم ال الرشيد في حائل عام ١٩٢١ بعد ان دام قرابة قرن من الزمان ثم اعلنوا الجهاد ضد الهاشميين في الحجاز ودخل "الاخوان" الطائف في ١٩٢٤/٩/٧ ثم دخل الاخوان مكة وجدة حيث نودي بابن سعود ملكا على الحجاز لم يكتف الاخوان السلفيون الوهابيون بالانتصارات التي حققوها في الاحساء وجبل شمر والحجاز فسعوا الى مهاجمة العشائر والقبائل المنتشرة في الاردن وجنوب العراق غير ان البريطانيين تصدو لهم .

الخلافات بين الكويت والسعودية

لم يكتفوا "قوات الاخوان السلفيون" السعودية بتلك الانتصارات التى احرزوها فسعوا الى تحقيق المزيد من تلك الانتصارات في المناطق الاخرى فأغاروا على الكويت وجنوب العراق والاردن واعتبروهم غير مسلمين ويجب الجهاد ضدهم بغية ادخالهم فيما سموه "بالدين الصحيح" !! وبذلك زاد اسباب العداء بين السعودية والكويت اضافة الى اسباب اخرى ، يقول عبدالعزيز الرشيد هناك وجهتى النظر لاسباب الخلاف فالرأي السعودي يقول هناك عدة اسباب للخلاف وهي فيما يلي :

اولا : ان "ابن سعود" لقي من الشيخ سالم صدودا وإعراضا في زيارته الكويت في عهد جابر وهذا اول شيء اثار حفيظة ابن سعود على الشيخ سالم .

ثانيا : وقوف الشيخ سالم في وجه ابن سعود عندما اراد الاجهاز على العجمان بعد حادثة الاحساء وبعد ان اصلح معهم سالم بأمر ابيه .

ثالثا : ايواء الشيخ سالم للعجمان وقبضه عليهم وهو يعلم انهم من الد اعداء ابن سعود .

رابعـا : نفرة الشيخ سالم حاكم الكويت مـن مذهـب السلفيين الوهـابيين وكراهيتـه لهـم وعقـدة لبعض معتقديه بمجالس الوعظ التي يرميهم فيهـا بفسـاد العقيـدة وبـالجهل والتعصـب وهـو شاهد .

خامسا : تمييزه لوفود ابن الرشيد بالحفاوة والاكرام على وفوده وهو يعلم ما بين الاثنين مـن العـداء المتفاقم .

اما اصحاب الرأي الكويتي فيقولون :

اولا : الجفاء الذي أظهره "ابن سعود" للكويـت واهلهـا والسـعي الحثيـث ضـد مصلحتهـا وهـو الغريق بإحسانها المشمول بنعمة حكامها ووجهائها يوم ان كان صفر الكفين مـن الحكـم ويوم ان قبض على صولجانه بيده وجفاء مثل هذا يبدر منه وهو والكويت كمـا علمـت لابد وان يحدث اثرا سيئا في النفوس ويبعد ما بين القلوب من محبة واتحاد ويلقى على ابـن سعود المسؤولية الكبرى فيما عمل لان الواجب يقضي عليه والحالة هذه ان يقابل سـيئات الكويت لو كانت بالاغضاء والتجاوز .

ثانيـا : طلب ابن سعود الزكاة من "العوازم" وهو يعلم انهم من قبائل الكويت .

ثالثـا : تكفير "الاخوان السلفيين الوهابيين" لأهل الكويت والشيخ سالم في معيتهم وشدتهم اذا ما جاءو اسواقها واختلطوا بأهلها .

رابعـا : المراوغات التي اجراها ابن سعود مع مبارك والاعتداءات التي وجهها اليـه ايـام حياتـه ومـا يؤذي الاصل يؤذي الفرع طبعا[٣٠] .

يتابع المؤرج الكويتي عبدالعزيز الرشيد قوله : ان الاستيلاء علىالكويت كان هو هم ابن سـعود الوحيد وشغله الذي اقلق راحته وازعج باله لعلمه ان نجد بدون الكويت لاتساوى قلامة ظفر ولم يزل لهذا يترقب طلوع فجر الفرص التى تسهل عليه اقتناصها والقبض على تاجها فجاءت ايام سالم التي رآها من احسن الايام لتنفيذ خطته وقضائه من الكويت ما يريد علما منـه ان صاحبنـا (الشـيخ سالم) ليس اهلا للثبات امام دهائه ومعرفته ، وامـام حنكتـه وتجاربـه ، ولكنـه مـع هـذا لم يشـأ ان يتظاهر بالابتداء بالعداء وكان قادرا على ستر ذلك ، لئلا تكون الحجـة القويـة الـتي لايمكنـه ردهـا عليه فشرع بنوع الاساليب التي تثير الشيخ سالم ويكثر التحرش به من طرف خفي بعـد ان نصـب الفخ في الطريق وكان اول شيءقام به ان امر ابن "شقير" في رجب عام ١٣٣٨ بالبناء في ارض هي

من حدود الكويت الجنوبية وقد ارسل سالم الى ابن "شقير" عندما بلغه الخبر من يمنعه ولكن ابن شقير رد الرسول بكل برودة ورفض امره رفضا باتا الا ان يأتيه بأمر ممن كانت لـه الكلمة النافذة عليه ثم تلا هذا ان اوعز ابن سعود ايضا الى طائفة من الاخوان من مطير بالغارة على اطراف الكويت وقطع سبلها ومنع الغادي والرائح منها فشرعت المطير تشن الغارة تلو الأخرى كما امرت اثارة لسالم وتحرشا به ، وقد أحس سالم اذ ذاك ان ابن سعود له اصبع عاملة في الاولى والثانية فرأى ان يأخذ بشيء من الاحتياط والتحفظ لئلا يندم فارسل الشيخ دعيج بن سلمان القائد السبري على رأس سرية الى فيافي "قرية" وامره ان يضرب خيامه بين قبائل الكويت لادخال الرعب اولا في قلب ابن "شقير" الذي شرع في بناء "قرية" عله يتحول عن عزمه وثانيا ليحمي قبائل وسكان الكويت من اعتداء الاخوان[٣١] .

تقدم الشيخ دعيج مع قواته وقبائل "العوازم" و "الرشايدة" الى منطقة "حمض" واشتبكوا مع قوات الاخوان بقيادة ابن "شقير" عند "حرية" وهزموهم في ١٩٢٠/٥/٩ مما دفع ابن "سعود" أن يطلب من قائد قواته في تلك المنطقة فيصل الدويش ان يتحرك لنجدة "ابن شقير" فسار ابن الدويش على رأس قوات كبيرة من "الاخوان" حاملين اعلام ابن سعود وهاجموا القوة الكويتية عند "حمض" في ١٩٢٠/٥/١٨ وهزموا الجيش الكويتي وقتلوا الكثير من رجاله مما اضطر قائدها الى الاسراع في العودة الى الكويت لابلاغ شيخها في الوقت الذي هاجم فيه الدويش مخيم "الرشايدة" في ١٩٢٠/٥/٢١ وفتك بالعديد منهم وعاد الى نجد بعدما ترك ابن شقير وجماعة من الاخوان مستحوذين على "حرية" ، واسفرت معركة "حمض" عن وقوع خسائر كبيرة في الجيش الكويتي بعدما فتك بهم قوات الاخوان السعودية وان معركة حمض اثارت قلق الشعب الكويتي وجعلت الشيخ سالم يأمر بغلق الاسواق لايام قليلة وبناء سور على عجل للدفاع عن المدينة كما وجه الشيخ سالم رسالة الى ابن سعود يبلغه فيه بالعمل الشرير الذي قامت به قواته من الاخوان وطلب باعادة الممتلكات ودفع التعويضات واذا لم يستجب طلبه فأنه لن يلتمس العفو لابن سعود ولا للدماء التي ستسفك من كلا الجانبين وسيعتبر المذنب هو الجانب الذي تسبب في ذلك فوافق ابن سعود على اعادة الممتلكات على ان يتنازل الشيخ سالم عن القبائل والعشائر التي تحت يده وان لايخرج من مدينة الكويت جيشا مقاتلا ورفض سالم تلك الشروط[٣٢] .

تيقن الشيخ سالم نوايا ابن سعود ورأى ان خط الدفاع الاول عن الكويت لابد ان يكون في الجهرة فتوجه اليها مع العديد من سكان مدينة الكويت وفي ١٩٢٠/١٠/١٠ وقع الهجوم المرتقب

وكانت المعركة في بدايتها في غير صالح الكويت واضطر الشيخ سالم وصحبه الى اللجوء الى القصر الاحمر والتحصن فيه لوقفة اخيرة امام الجيش السعودي بقيادة الدويش التي كانت تفوقهم عددا ولا ريب ان وقوف الشيخ سالم بالجهرة على الخط الاول للدفاع عن التراب الكويتي من "القصر الاحمر" كان امرا له اهميته العسكرية لان انهاك قوات الاخوان السعودية حول "الجهرة" قد كفى مدينة الكويت شرهم وان صمود القوات الكويتية بقيادة شيخهم سالم المحاصرة في قصر الاحمر امام القوات الاخوان السعودية كان لها ابعاد كثيرة ومهمة ومصيرية ، اما اثر هذه المعركة على مدينة الكويت وشعبها وعلى اراضيها واستقلالها فكان بعيد المدى فلقد جعلت الكويت تقف بشعبها صفا واحدا يتحدون غزوا شرسا لو قدر لها النجاح لا ضاعت الكويت واستقلالها نهائيا ولصيرتهم تابعين للبلد الغازي وانتهى تاريخهم اما على الصعيد الدولي فأن صمود الكويتيين امام القوات السعودية اجبر بريطانيا على ان تقوم بتنفيذ وعودها حسب اتفاقية الحماية ١٨٩٩ مع الكويت اذان الطائرات البريطانية المرابطة في العراق قامت بالقاء المنشورات المحذرة على الغزاة ان اهم استمروا في هجماتهم ثم قامت السفن الحربية البريطانية بالمرابطة في ميناء الكويت مرأى من قوات الغزاة بما لزم من واجب انذارهم ايضا ولمنع الغزو على اراضى الكويت ، ونجح صديق الكويت الوفي الشيخ خزعل حاكم امارة عربستان بوقف القتال والقيام بالوساطة بين الكويت والسعودية وارسل ابنه الشيخ كاسب والشيخ أحمد الجابر الى الرياض وفي تلك الفترة توفي الشيخ سالم فسارع الشيخ أحمد الجابر بالعودة من الرياض الى الكويت حيث تسلم الحكم[٣٣] .

الحدود الكويتية – السعودية

رسمت خريطة الكويت الحالية بأيدي الساسة البريطانيين كوكس في مؤتمر العقير ١٩٢٢ ، وفقا لعلاقاتها ومواقفها تجاه كل من الكويت والعراق والسعودية وبهذا التحديد تبلور التشكيل السياسي والحدود الجغرافية لتلك الدول الثلاثة وكان دور بريطانيا حاسما في هذا التشكيل ولم يثر تخطيط الحدود مع العراق مشكلات معقدة كتلك التي اثارها التخطيط مع السعودية فقد طبقت الاتفاقية البريطانية – العثمانية لعام ١٩١٣ ، اما تخطيط بريطانيا للحدود الكويتية – السعودية فقد كان من نتيجته ان قلصت بريطانيا حدود الكويت بمقدار الثلثين ولما كانت هذه التسوية البريطانية الظالمة قد فرضت على الكويت هذا الكيان الصغير جدا بشكله الحالي عدا ما تم من مناصفة المنطقة المحايدة فيما بعد لذا نتتبع دور بريطانيا في ترسيم حدود الكويت مع السعودية ليس بدافع تمسكها بالتزاماتها تجاه الكويت والتي نصت عليها اتفاقية الحماية وانما كان بدافع تحقيق مصالح بريطانيا

وحدها دون النظر الى وجوب التقيد بالتزاماتها ، وليس ادل على جرى بريطانيا وراء مصالحها في الغائها للاتفاقية البريطانية – العثمانية لعام ١٩١٣ دون النظر الى مصلحة من التزمت بحمايتهم من انها تلغي الاتفاقية البريطانية – العثمانية بالنسبة للحدود الكويتية النجدية بينما تثبتها بالنسبة للحدود الكويتية – العراقية هذا في حين انها كانت قد اعترفت وقت سابق بأحقية شيخ الكويت بتلك الحدود التي جاءت في اتفاقية البريطانية العثمانية لعام ١٩١٣ ، تساهل الحكومة البريطانية تجاه هجمات قوات الاخوان السعودية على الكويت لتحقيق الاهداف التوسعية ، وكان هؤلاء "الاخوان" هم سلاح ابن سعود الوحيد والفعال في سعيه لفرض اعادة النظر في تخطيط حدود مملكته مع كل من الكويت والعراق ولاسيما ان بريطانيا كانت على علم سابق بمشروع ابن سعود لإقامة مايسمى بالجزيرة العربية المستقلة تحت امرة نجد على ان يرأس هو هذا الكيان الكبير ، ومن ثم اقتطاع ثلثي اراضي الكويت في مؤتمر العقير عام ١٩٢٢ حيث سلب البريطانيون من الكويت ذلك القسم الكبير من اراضيه التي ضمت الى السعودية وارغمت الشيخ أحمد الجابر على قبول تلك التسوية الجائرة رغم احتجاجاته وعدم رضاه عن هذا التخطيط ، كما ظهر الضغط البريطاني واضحا على الكويت لصالح ابن سعود حينما منعت الشيخ أحمد الجابر عام ١٩٢٩ وبعدها من استغلال ثورة الاخوان الذين طلبوا مساعدة الكويت ضد ابن سعود واسترداد اراضي الكويت المسلوبة في مؤتمر العقير ١٩٢٢ فكان ذلك مبعث استياء الشيخ أحمد الجابر وتشككه في نوايا بريطانيا تجاه الكويت(٣٤) .

اتضح ميل بريطانيا الى جانب ابن سعود بشكل واضح في حملاتهم له الى ابعد الحدود فقد ساندت بريطانيا ابن سعود في التخلص من مشاكله القبلية منذ اتفاقية الحماية التى وقعت مع ابن سعود في "دارين" عام ١٩١٥ عندما طلبت من الشيخ مبارك فك الحصار الذي فرضه العجمان على ابن سعود بعد توقيعه تلك الاتفاقية لمدة ثلاثة اشهر حتى جاء الشيخ سالم وتمكن من فك حصار العجمان و لم تكتفي بريطانيا بذلك وانما ضغطت على الشيخ سالم لإخراج العجمان من الكويت الى "الزبير" واشترطت عليهم بالا يدخلوا الكويت الا بإذن مسبق من السلطات البريطانية التي وقفت مع ابن سعود وادركت الفوائد الكبيرة والكثيرة التي ستحصل منه ، ولهذا فأن بريطانيا عقدت اتفاقية العقير في ١٩٢٢/١١/٢٧ ورأسها "السير برس كوكس" ومثل العراق "نشأت" وزير الاشغال ومثل نجد ابن "سعود" بينما مثل الكويت الوكيل السياسي البريطاني فيها ومما يثير الدهشة ان يمثل الكويت في مؤتمر يحدد فيها كيانها برسم حدودها التي يفرض عليها الالتزام بها واحترامها

منهما كانت ظالمة ممثل بريطاني ، وهذا ما يعزز الافتراض بأن الاقتطاع والظلم كان مبيتا من قبل بريطانيا على حدود الكويت مما جعلتها تختار ممثل بريطاني منها بدلا من صاحب الشأن والمصلحة أي ممثل كويتي تهمه مصلحة بلاده فيثير المشاكل بمعارضته واحتجاجه على اية تسوية فيها اقتطاع من حدود الكويت وانتقاص من حقوقها الذي وقع عليها بالفعل بهدف ترضية ابن سعود على حساب الكويت ، ولكن الشيخ أحمد الجابر بقي متأكدا من انه وشعبه قد ظلموا في تلك الاتفاقية مما زعزع ثقتهم ببريطانيا وكان يردد دائما بأنه لم يحضر محادثات "العقير" على بعد ثلاثمائة ميل من بلاده كما انه لم يطلع على ما جرى هناك وانه لم يكن ليعترض لو ان بضعة اميال اقتطعت من اراضيه ولكن ان يسلب ثلثي اراضيه دون ان يكون له رأي في الامر ويرى تلك الاراضي تعطى لغيره فذلك امر يصعب عليه احتماله وبذلك تلقى الشيخ أحمد الجابر ضربة لم يشفى منها على يد بريطانيا فأثرت في مشاعره تجاهها وتشكك في نواياه نحو في الوقت الذي لم يكن قد مضى على توليةالحكم اكثر من سنة واحدة ، وقد يكون مما خفف على الشيخ وجعله يتقبل هذه التسوية المجحفة هو امله ان يستطيع في وقت من الاوقات استرداد الاراضي التي سلبت منه وقد اعرب عن هذا الامل "للسير برس كوكس" عند مروره بالكويت لزيارة الشيخ بعد انتهاء مؤتمر العقير كما انه افصح عن هذا الامل للكولونيل "ديكسون" في عدة مناسبات ومن ذلك قوله انه يعتبر المنطقة المحايدة ملكا له ولن يوافق على اقتسام امتياز النفط مع ابن سعود كما اشار بأنه عندما يموت ابن سعود فأنه سيتقدم بمطالبه على جميع الجزء الشمالي الشرقي من الاحساء حتى "بلبول و " وبره" و "الصفا" و "حفر الباطن" وهي الاراضي التى تسكنها مطير والعجمان والعوازم وكان يحكمها جده الشيخ مبارك من قبل وان ابن سعود لو مكن الامريكيين في هذه الجهات فإنه سوف يطردهم منها(٣٥) . ومهما يكن الامر فقد اصبحت حدود الكويت مع السعودية في بروتوكول "العقير" هي الحدود الحالية بعدما كانت تمتد متجهة لجنوب جزيرة "العماير" يعني جزيرة "مسلمية" و "جنة" في ساحل البحر قرى جزيرة جنة و "جبل منيفة" و "دوحة بلبول" يرتفع الى جهة القبلة الى "قرايا" "انطاع" ومنها الى ابار "وبره" و "الحابة" ثم "القرعة" ثم "الصافة" الى شمال وشرقي "حفر الباطن" ثم جهة الشرق الى ابار صفوان وجبل سنام وام قصر الى ساحل جزيرة بوبيان ووربة الى ساحل البحر(٣٦) .

الهوامش :

١ - عبدالعزيز الرشيد - المرجع السابق صـ ٢٣٣ .

٢ - د. أحمد مصطفى ابو حاكمة - المرجع السابق صـ ٣٥١ .

٣ - د. ميمونة الخليفة الصباح - الكويت في ظـل الحمايـة البريطانيـة - الكويت ١٩٨٨ صـ ١١٢ .

٤ - د. حسن قايد الصبيحي - المرجع السابق صـ ٨٧ .

٥ - د. حسن قايد الصبيحي - نفس المرجع صـ ٩٥ .

٦ - د. نجاة عبدالقـادر الجاسـم - الشيخ يوسف عيسى القناعي - دوره في الحياة الاجتماعية والسياسية شركة كاظمة الكويت ١٩٨٩ صـ ٥٤ .

٧ - حسين خلف الشيخ خزعل - المرجع السابق جـ ٥ ص ١٥ .

٨ - حسين خلف الشيخ خزعل - نفس المرجع جـ ٥ صـ ١٦ .

٩ - د. حسن قايد الصبيحي - المرجع السابق صـ ٧٩ .

١٠ - د. نجاة عبدالقادر الجاسم - المرجع السابق صـ ٥٦ .

١١ - د. ميمونة الخليفة الصباح - المرجع السابق صـ ١٣٩ .

١٢ - د. نجاة عبدالقادر الجاسم - المرجع السابق صـ ٦٠ .

١٣ - د. ميمونة الخليفة الصباح - المرجع السابق صـ ١٧٤ .

١٤ - د. حسن قايد الصبيحي - المرجع السابق صـ ٨٣ .

١٥ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - المرجع السابق صـ ٣٢ .

١٦ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - نفس المرجع صـ ٣٣٢ .

١٧ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - نفس المرجع صـ ٣٣٨ .

١٨ - د. ميمونة الخليفة الصباح - المرجع السابق صـ ١٢٤ .

١٩ – د. ميمونة الخليفة الصباح – نفس المرجع صـ ١٢٦ .

٢٠ – د. ميمونة الخليفة الصباح – نفس المرجع صـ ١٢٨ .

٢١ – د. بدر الدين عباس الخصوصي – المرجع السابق صـ ٦٩ .

٢٢ – د. بدر الدين عباس الخصوصي – نفس المرجع صـ ٨١ .

٢٣ – د. عثمان عبدالملك الصالح – المرجع السابق صـ ٦٩ .

٢٤ – عبدالعزيز الرشيد – المرجع السابق صـ ٢٣٥ .

٢٥ – د. عثمان عبدالملك الصالح – المرجع السابق صـ ٧٩ .

٢٦ – د. عثمان عبدالملك الصالح – نفس المرجع صـ ٨٣ .

٢٧ – د. عثمان عبدالملك الصالح – نفس المرجع صـ ٨٧ .

٢٨ – د. بدر الدين عباس الخصوصي – معركة الجهراء ذات السلاسل – الكويت ١٩٨٣ صـ ٣٠ .

٢٩ – د. بدر الدين عباس الخصوصي – نفس المرجع صـ ٥١ .

٣٠ – عبدالعزيز الرشيد – المرجع السابق صـ ٢٤٦ .

٣١ – عبدالعزيز الرشيد – نفس المرجع صـ ٢٤٧ .

٣٢ – د. بدر الدين عباس الخصوصي – المرجع السابق صـ ٧٨ .

٣٣ – د. احمد مصطفى ابو حاكمة – المرجع السابق صـ ٣٤٩ .

٣٤ – د. ميمونة الخليفة الصباح – المرجع السابق صـ ٤٤ .

٣٥ – د. ميمونة الخليفة الصباح – المرجع السابق صـ ٦١ .

٣٦ – د. بدر الدين عباس الخصوصي – المرجع السابق صـ ٧٠ .

الفصل الخامس

الكويت بعد الحرب العالمية الثانية

اولا : الحياة السياسية والاوضاع الداخلية

(١١) الشيخ عبدالسالم ١٩٥٠ - ١٩٦٥

- الاوضاع الداخلية وتطور الكويت في ظل الحماية البريطانية
- الحياة السياسية والاوضاع الداخلية ما بعد الاستقلال

ثانيا : الحياة الاجتماعية

- القوى الوطنية ودورها في الحياة الاجتماعية
- القوى القبلية والحياة البرلمانية الدستورية

ثالثا : الحياة الاقتصادية

- البترول والتأثيرات الاقتصادية

رابعا : الحياة الفكرية

خامسا : السياسة الخارجية ومستقبل النظام السياسي

الكويت بعد الحرب العالمية الثانية

اولا : الحياة السياسية والاوضاع الداخلية

(١١) الشيخ عبدالسالم ١٩٥٠ - ١٩٦٥

عمل الشيخ عبدالله السالم وأحمدالجابر معا على رعاية شؤون الكويت الادارية والمالية وكان الشيخ أحمد الجابر يعتمد على حصافة رأي الشيخ عبدالله السالم اعتمادا كبيرا في كثير من المناسبات وهكذا كان الشيخ عبدالله قد اعد لدور الحاكم قبل ان يتولى الحكم وكان حريصا على اقامة علاقات حسن الجوار مع الدول القريبة من الكويت بقدر ما سمحت به الظروف وتم الغاء معاهدة الحماية واستبدالها بمعاهدة تعاون وصداقة في يونيو ١٩٦١ شهد ذلك العام تحرك الكويت كدولة مستقلة ذات سيادة على الصعيد العالمي وبدأت تحتل مكانه مرموقة وتلعب دورا مهما في المحافل الدولية وكانت سياسة الشيخ عبدالله الداخلية تعتمد على شبابها المثقف فبالاضافة الى عنايته الزائدة بتقدم الكويت العمراني اهتم بالفرد الكويتي وتنشئته وتثقيفه وتوعيته سياسيا وقوميا ومن هنا كانت النهضة التعليمية والصحية وفي كافة مجال الخدمات والمرافق العامة والبنية الاساسية وكانت الكويت رائدة في هذا المجال بين جميع الدول المنتجة للبترول في هذه الفترة وبعض الدول سارت على نهج الكويت وان سياسة الشيخ عبدالله كانت شبيه بمؤسس الكويت عبدالله الاول بن صباح اذ كان رائده حسن الجوار وكم لجأ الى رحابة من الذين كانوا ذات يوم اعداء الكويت في تاريخها المبكر ، ولايمكن ان نستطيع الحديث عن حكم الشيخ عبدالله السالم او ان نعطي حقه في هذه الصفحات بل يحتاج الى كتب وان كل ميدان من الميادين التي نالها بعناية بحاجة لبحث مستفيض[١] .

الاوضاع الداخلية وتطور الكويت في ظل الحماية البريطانية

تعتبر هذه الفترة اساس النهضة الحديثة والاصلاح الاداري والسياسي والاجتماعي في كافة المجالات كان من اهم الثمرات المتولدة عن النضج الفكري والوعي القومي هو تأسيس المجلس التشرعي بواسطة الاقتراع العام سنة ١٩٣٨ والذي كان له دوره الكبير في الاصلاح والتنظيم وايجاد الدوائر المختلفة التي استمرت تؤدي دورها حتى بعد حل المجلس التشريعي الثاني في مارس

١٩٣٩ وكانت الاساس للدوائر ومؤسسات الخدمة العامة التي انشئت فيما بعد كما كـان لحركـة المجلس التشريعي اثار كبيرة في اثارة واذكاء الحس الوطني واتجاه شعبي للحكـم الديمقراطـي ورفـض الحكم الفردي ، واجه بريطانيا خطر نمو القومية العربية والحس الوطـني وزحـف تيارهمـا بقـوة الى الكويت والجزيرة العربية ولعل التيار القومي العربي تشكل ظاهرة هامة للتطـور السياسـي للكويـت والجزيرة العربية اذا انها تعتبر تهديدا للنفوذ البريطاني هناك فقد ظهـر واضحـا انـه لم يعـد في وسـع بريطانيا ان تستمر في عزل شرق الجزيرة العربية عـن بقيـة انحـاء الوطـن العربـي الكبـير مـن حيـث مشاعر الانتماء والولاء والميول القومية والوطنية فاذا كانت بريطانيـا نجحـت في فـرض هـذه العزلـة التامة والمحكمة حول امـارات شـرق الجزيـرة العربيـة طيلـة القـرن التاسـع واوائـل القـرن العشـرين ,وتشجيع الهجرة من الدول المجاورة الغير عربية لتذويب القومية العربية مع القوميات المجاورة الاخرى لخلق مشاكل عرقية داخلية فيما بعد وحتى تستطيع الحكـم عـن طريـق تلـك القوميـات الوافـدة في عزل عرب الخليج عن بقية العرب الا ان تلك الاجراءات الصارمة الـتي فرضتهـا بريطانيـا لتثبيـت سياج العزلة لم تستطيع ان تحتفظ بفاعليتها على الرغم من القيـود التـى وضعتهـا ويرجـع ذلـك الى تلك التيارات والروافد التي وفدت الى الكويت بـل وشملـت منطقـة شـرق الجزيـرة العربيـة بأسـرها واثرت في نمو الوعي القومي والنضج الفكري وكذلـك قيـام الجامعـة العربيـة ومطالبتهـا باسـتقلالها الاقطار العربية اضافة الى الاحتلال الصهيوني لفلسطين والدور البريطاني لخلق هذا الكيان العنصري عام ١٩٤٨ وما ترتب عليها من تدفق الاف اللاجئين الفلسـطينيين للعمـل في الكويـت ، وكذلـك اكتشاف النفط واستغلاله عام ١٩٤٦ في الكويت على نطاق واسع وتدفق الايدى العاملـة العربيـة ثم نتيجة الاحداث السياسية التي مر بها الوطن العربي ومـن اهمهـا وابرزهـا قيـام ثـورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢ بقيادة الرئيس الراحل جمال عبدالناصر وخوض الجزائر ثورة المليون شهيد في نوفمبر ١٩٥٤ ومعارضة حلف بغداد الاستعماري عام ١٩٥٥ ثم العدوان الثلاثي على مصر والوحـدة المصريـة - السورية بين عامي ١٩٥٨ - ١٩٦١ وغيرها من الاحـداث القوميـة الـتي ادت الى ظهـور المقاومـة المناهضة للاستعمار فكان لتلك الاحداث اثرهـا الكبـير في تـأجج الـروح الوطنيـة وقيـام الحركـات المعادية للاستعمار البريطاني والداعية الى تقويض نفوذه في المنطقة والتخلص منـه بالاسـتقلال حتـى اصبح من الظواهر المألوفـة قيـام حركـات وانتفاضـات وطنيـة كمـا حـدث في الكويـت والبحريـن بالاضافة الى ما شهدته بعض امارات شرق الجزيرة العربية من تكوين منظمات عربية تحمل اتجاهات ايدلوجية يسارية ويقول "ديكسون" الوكيل السياسي البريطاني "بصراحة ان الحركات الاجتماعيـة والسياسية التي تحققت في مصر وغيرها من المشرق العربي اتـت ثمارهـا في الكويـت ومنطقـة الخليـج

العربي بأسرها وانها لابد أخذه مجراها الطبيعي وبالغة غايتها ولايمكن ان تبوء بالخذلان" . ويذكر "ديكسون" ان الوطنيين ينصحون الشباب من اسرة ال الصباح بأن يتجهوا نحو نظام يكفل للكويت الحرية والتخلص من النفوذ البريطاني ويقرر "ديكسون" بصراحة بأن كفاح مصر للتحرر من الاستعمار والتبعية وقضيتي فلسطين والجزائر وموقف بريطانيا وفرنسا وامريكا منها والكفاح للحرية في سائر اجزاء الوطن العربي هي من العوامل التي تضيء نور القومية العربية في الكويت وتذكي نارها ولاشك ان "ديكسون" من خلال هذه التقارير يحذر حكومته وينبهها الى خطورة الموقف في الكويت وظهور الشعور المعادي لبريطانيا بشكل كبير والداعي الى وجوب التخلص من الحماية البريطانية واستقلالها ولذا فأن "ديكسون"يلفت نظر حكومته الى وجوب اتباع اساليب جديدة في الكويت اذا ارادت الحفاظ على نفوذها ومصالحها هناك[٢] .

اكد وجهة نظر "ديكسون" وتخوفه السير "روبرت هاي" المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي بالبحرين واشار الى انه غادر المقيمة عام ١٩٥٣ ولايزال البريطانيون يمارسون سطوتهم والحكام يحكمون وفقا لانظمتهم ولكن التطورات السريعة لم تلبث ان اجتاحت المنطقة والتعليم اصبح يسير بخطا حثيثة والكثيرون من ابناء شرق الجزيرة العربية يسافرون الى مصر والشام والعراق ويعودون بانطباعات جديدة وتيار القومية العربية يصل الى شرق الجزيرة العربية بشكل لم يعد لبريطانيا القدرة على ايقافه نتيجة الصحافة والاذاعات العربية والاحتكاك المستمر ومن شأن هذا ان يكسب الافكار السياسية والقومية العربية ارضا صلبة ترتكز عليها ويؤكد "روبرت" بأنه يتوقع زيادة في الاضطرابات وان الخطورة على امارات شرق الجزيرة العربية لن تأتي من الدول المجاورة وانما ستأتي فيما فكر البريطانيون الانسحاب من امارات شرق الجزيرة العربية انسحابا غير ناضج مما يودى الى التأثير على شركات النفط التي تقدم لبريطانيا فوائد مادية كثيرة وكبيرة ،وطبقا لهذا المنطق الاستعماري في بداية الخمسينات اخذت بريطانا تعمل على تعزيز مركزها الذي بدا يتزعزع في شرق الجزيرة العربية نتيجة للوعي القومي الذي تزايد مع ثورة عبدالناصر الذي كان يدعمه وافكار الوحدوية ومحاربته الاستعمار ، ولهذا بدأت في تشديد قبضتها بالابقاء على قواعد عسكرية برية وجوية وبحرية والتى توسعت في انشائها مستهدفة بذلك مواجهة الحركات الوطنية والتحررية وقمع الافكار القومية ، ونتيجة لزيادة اهمية الكويت بالنسبة لبريطانيا فقد حرصت على تأمين مركزها هناك لاسيما عندما بدأت الكويت في تصدير نفطها بكميات كبيرة ازداد اهتمام بريطانيا وحرصها على حماية الكويت من المؤثرات الخارجية وتركز اهتمامها على حماية الكويت من

جيرانها فأصبحت بريطانيا اشد تمسكا عما كانت عليه من قبل في عدم التضحيـة بمصالح الكويت للسعودية او العراق لان الكويت كما يقول "مارثون" ان لم تكن قد غدت اللؤلؤ اللامعـة في التـاج البريطاني الا انها اصبحت قلعة رئيسية لمنطقة الاستراتيجي في الشرق الاوسط نتيجة تدفق النقـد الاجنبي المكتسب من شركات النفط التى تستفيد بريطانيا بجزء كبير منهـا ، وتوالت الاجتماعـات في لندن لبحث الوسائل الكفيلة بالمحافظة على كيان الكويت وحمايته من جارتيه الكبيرتين السعودية والعراق ، ومن ناحية اخرى فقد رأت بريطانيا وجوب مساندة المطالب الاصلاحية واحتـواء بـوادر المعارضة الهادفة للقضاء على التخلف الاداري وما احسوه من سوء تنظيم واستشعروه من فسـاد في بعض الجوانب الحيوية العامة والهامة وذلك نتيجة للتفتح والنضوج الفكري ونمـو الوعـي القومـي في الكويت ، وحاولت بريطانيا استغلال الحركة الاصلاحيـة لزيـادة نفوذهـا في الكويـت والتدخـل في شؤونها الداخلية كما ان ذلك الموقف المؤيد للإصلاح والمطالب القومية والوطنية لم يدم طويلا مـن الحكومة البريطانية فقد تصدت للوقوف في وجه الحركات الوطنيـة والقوميـة والمطـالبين بـالاصلاح عندما وجدت في تلك الحركات خطر على نفوذها ووجودها في الكويت والمنطقـة وكيـف كـانت قد وقفت مع المطالبين بمشاركة الشعب في الحكم عن طريق قيام مجلس تشـريعي منتخـب وحثـت الحاكم على تلبية هذا المطلب ثم تغير موقفها من ذلـك المجلس عندمـا لمست محاولاتـه للتدخـل في شؤون السياسة الخارجية الكويـت والتي اصـرت علـى ان تديرهـا بنفسـها ثـم ازدادت معارضتهـا للمجلس والحركة الاصلاحية عندما يتدخل في اتفاقيات امتياز البترول الموقعة مع الحاكم ، ولهـذا لم تتحرك بريطانيا في مواجهة أي حدث سلبا او ايجابـا الا بهـدف تحقيـق مصالحهـا وحدهـا وتثبيـت نفوذها دون النظر الى مصلحة الطرف الآخر الذي ترتبط معه بمعاهدات وانما كان حرصها المحافظـة على ما تحصلت عليه من مكاسب من تلك الاتفاقيات ونتيجة لما وصلت اليه العنـاصر الوطنيـة مـن وعي فكري ونضج قومي خلال الاربعينـات والخمسـينات فقـد نمـا لـدى هـذه العنـاصر نـوع مـن الكراهية والبغض ضد بريطانيا تبعا لما بدأت تتخذه مـن مواقـف معارضـة لهـم ولحركـاتهم الوطنيـة ونتيجة لما لمسوه من دور بريطانيا المعادي للعرب والوطنية في الاقطار العربية وتعززت لديهـم تلـك المشاعر بعد دورها المساند لقيام الكيان الصهيوني كما كان لمحاولاتها فرض استمرارها ووجودهـا الاستعماري رغم ارادة الشعوب اثر كبير في زيادة الكراهية لها في الكويت والمنطقة[٣] .

استمر الوعي القومي النيابي ولم ينقطع بانهيار التجربة البرلمانية الاولى لعـام ١٩٣٨ وقـد توجـه العمل الوطني الى انشاء الاندية الثقافية العامة والرياضية والعمل من خلالها وكان من اوائـل الانديـة

التي انشئت في الكويت ، النادي الادبي ١٩٢٣ ، نادي المعلمين عام ١٩٤٢ نادي التعاون ١٩٤٩ ، واتسعت حركة انشاء الاندية عام ١٩٥١ بانشاء "النادي الثقافي القومي" الذي لعب دوراً هاما في التاريخ السياسي والاجتماعي في الكويت ثم تغير اسمه الى نادى الاستقلال عام ١٩٦٣ ونادى الشباب ونادى الجزيرة ونادى التضامن ، وفي الخمسينات وصلت عملية التسييس التجذير في الكويت وعموم المشرق العربي الى درجة عالية جداً وشملت فئات واسعة من السكان بحيث كان لابد من ان يصطدم المد القومي الشعبي بالتركيبة التقليدية المحافظة المتمثلة في المجلس الاستشاري والمجلس الاعلى وسيطرة الاسرة الحاكمة على الادارات الحكومية ، وجاء الاصطدام الاول في عام ١٩٥٤ فقد حاول الشيخ عبدالله السالم كسر الجمود الذي اصاب العملية السياسية بأن دعا في عام ١٩٥٢ الف وخمسمائة ناخب من ابناء العائلات الكويتية لانتخاب اربعة مجالس هي البلدية والصحة والمعارف والاوقاف وكل مجلس به ١٢ عضوا وعلى رأس المجلس أحد الشيوخ على ان تكون مدة المجلس سنتين وما ان انقضت الولاية الاولى لهذه المجالس حتى تفجر الصراع بين رئيس المجلس البلدي الشيخ فهد السالم وبين اعضاء المجلس ثم انتقل الى مجلس الصحة واستقالت المجالس الاربعة بعد ذلك بسبب عدم التعاون بينها وبين رؤسائها ، وتبنت ما سمي "بلجنة الاندية" في تلك السنة ١٩٥٤ وكانت مكونة من "نادي المعلمين والنادي الثقافي وجمعية الخريجين "الدعوة الى انتخاب مجلس موحد لهذه الادارات ولكن دون جدوى وفي عام ١٩٥٧ اعاد المجلس الاعلى طرح مشروع المجلس الموحد وشكلت بالفعل لجنة للانتخابات دعت ثلاثة الاف ناخب لاختيار ٥٦ مرشحا لعضوية المجلس لكل الدوائر ولكن المجلس هل قبل ان يجتمع اجتماعه الاول ، وجاء الاصطدام الثاني عام ١٩٥٦ المتمثل في القمع لمظاهرات التأييد لعبدالناصر في حرب القناة ضد العدوان الثلاثي ،واتصلت موجتا التوتر والتحفز الكبيرتان بمصر خاصة تحت تأثير اذاعة صوت العرب وانتقال مركز الثقل السياسي في الشرق العربي الى القاهرة ، وقد وصلت المجابهة ذروتها بقرار ١٩٥٩/٢/٣ باغلاق جميع الاندية والصحف والمجلات في اعقاب الحوادث التي وقعت اثناء الاحتفالات بذكرى الوحدة بين مصر وسوريا وقد جاء في بيان الشيخ عبدالله السالم الذي اذيع لتوضيح سبب ذلك بأن الحرية والديمقراطية قد استغلتا اسوأ استغلال لدرجة التطاول على ذات الامير وبذلك بدأت السياسية الثالثة واستمرت حتى اعلان الاستقلال ، وفي ابان هذه الازمة انشئت الهيئة التنظيمية للمجلس الاعلى باضافة ستة من كبار التجار الى افراد الاسرة الحاكمة المكونين للمجلس الاعلى ثم اعيد توسيعها في اوائل عام ١٩٦١ باضافة ثلاثة تجارة أخرين ليصبح مجموع اعضائها ١٦ عضوا وبقيت في العمل الى حين اعلان الاستقلال ولكن ما ان اعلن

الاستقلال حتى طالب العراق بضم الكويت اليه في ١٩٦١/٦/٢٥ وان تهديد العراق بابتلاع الكويت كان العامل الذي دفع الأمير الى انشاء المجلس التأسيسي لوضع دستور جديد للكويت وبذلك اوجد حلا معقولا مرضيا لجميع الاطراف للخروج من الازمة السياسية التى كانت تعصف بالكويت منذ عام ١٩٥٩[٤] .

الحياة السياسية والاوضاع الداخلية ما بعد الاستقلال

انجز المجلس التأسيس وضع الدستور الدائم للكويت الذي اعلن في ١٩٦٢/١١/١١ حتى بدأت الحياة الدستورية وبذلك بدأ فصل جديد من الكفاح الدستوري ضد الحكم المطلق ستظهر فيه ابعاد واشكال جديدة ومتنوعة من العمل السياسي وان المجلس التأسيسي الذي تكون من عشرين عضوا منتخبا انتخابا مباشرا في ١٩٦١/١٢/٣٠ ,احد عشر عضوا معينا من اعضاء الاسرة الحاكمة ورؤساء الدوائر السابقين التي تحولت بدورها الى وزارات لم تكن اهمية هذا المجلس في انجاز الدستور فقط ولو ان هذا بحد ذاته كان انجازا كبيرا وانما ايضا في رسم مسيرة الكويت السياسية والاجتماعية المقبلة فقد وضع المجلس اثناء فترة انعقاده مشاريع القوانين التالية : قانون انتخابات اعضاء مجلس الامة ، قانون بتنظيم بلدية الكويت ، قانون المساعدات العامة ، قانون الجمعيات التعاونية ، قانون الاندية وجمعيات النفع العام ، وهكذا عادت الكويت الى الحياة الدستورية بعد غيبة استمرت نحو ربع قرن ولكن الحياة الدستورية لم تخل من الكفاح المتصل ضد الحكم المطلق والمحاولات المستمرة التى تسعى الى عودته وقد اتخذ هذا الكفاح اشكالا جديدة اكثر تنوعا وتعقيدا وان احد اهم الاسباب التي جعلت العودة الى الحياة الدستورية في الكويت عودة غير حاسمة هي السلطات الواسعة التي بقيت بيد السلطة التنفيذية والثغرات الكبيرة في الصياغة الدستورية التى تركت مائعة الى حين اعادة النظر في الدستور بعد خمس سنوات من بدء العمل به[٤] ، ولذلك ما ان استقالت الوزارة الاولى الانتقالية في يناير ١٩٦٣ حتى تشكلت الوزارة الدستورية الاولى في فبراير ١٩٦٣ و لم تلبث الا عام وثمانية اشهر بسبب تقديم عدد من الوزراء استقالتهم واعيد تشكيل الوزارة الثالثة في ١٩٦٤/١٢/٦ ولكنها لم تلبث ان استقالت بعد عدة أسابيع لانها لم تستطيع اداء القسم الدستوري وبذلك بدأت اول ازمة سياسية في عهد الدستور وسبب الاستقالة هو اعتراض التكتل القومي في مجلس الأمة على تشكيلها كون غالبيتها من التجار وهذا ما يتعارض مع الدستور نصا وروحا اذ لايجوز الجمع بين التجارة والعمل الحكومي واستقال رئيس مجلس الامة بسبب عدم تجاوب النواب مع طلبه اكمال النصاب القانوني في المجلس وقد تبعه في الاستقالة تسعة نواب من

المجلس بسبب اعتراضهم على التشكيل الوزاري وبسبب عدم قدرتهم على مواجهة اقرار القوانين المقيدة للحريات ومنعها مثل فصل الموظفين ومنع الحديث في السياسة في النوادي واغلاق الصحف اداريا والتي استطاعت الحكومة تمريرها من مجلس الامة لأمتلاكها الأغلبية التى تصوت لمصلحتها فيه ، وجاء تشكيل الوزارة الرابعة في ١٩٦٥/١/٣ ليراعي فيه لأول مرة التمثيل شبه المتساوي للقوى الاجتماعية الرئيسية الثلاث في المجتمع الكويتي الاسرة الحاكمة ، كبار التجار ، الطبقة الوسطة اوعامة الشعب من غير الفئتين الأوليين وسيبقى هذا التشكيل الصفة الغالبة على الوزارات التي جاءت من بعدها الى ان اختل هذا التناسب في التمثيل في الوزارة الثانية عشرة عام ١٩٨٥ ومن ملامح هذا التمثيل العرفي ان بقيت وزارات الخارجية والداخلية والدفاع والاعلام في ايدى افراد الاسرة الحاكمة ولم تخرج الى غيرهم ابدا وحتى الآن ، وتشكلت الوزارة الخامسة في ١٩٦٥/١٢/٤ وابتليت بمشروع اتفاقية اعادة النظر عائدات الدولة من النفط أي تنفق العائدات التي لقيت معارضة شديدة من مجلس الامة ويبدو انها عقدت العزم على تمرير هذه الاتفاقية ولذلك ما ان اكمل المجلس الاول مدته القانونية في ١٩٦٧/١/٣ حتى تدخلت الحكومة في انتخابات مجلس الامة الثاني التى اجريت في ١٩٦٧/١/٢٥ بشكل علني فضمنت نتيجة الانتخابات لمصلحتها وفي ١٩٦٧/١/٢٧ وقع ٣٨ مرشحا ومن ضمنهم ستة مرشحين نجحوا في الانتخابات بيانا يشجبون فيه تلاعب الحكومة بنتيجة الانتخابات وقد تضامن مع هؤلاء احد الوزراء ومعظم الجمعيات المهنية والنوادي والنقابات وبذلك دخلت الكويت في ازمة دستورية سياسية جديدة في ١٩٦٧/٥/٢ اقر مجلس الامة اتفاقية تنفق العائدات من دون معارضة تذكر ، وقد عادت الوزارة السادسة الجديدة الى الحكم دون تغيير كبير وبدأت مرحلة جديدة من الاستقرار السياسي في التشكيلات الوزارية استمرت حتى الآن انعكست على متوسط بقاء الوزارة في الحكم في الكويت مقارنة بالحكومات العربية فقد كان متوسط بقاء الوزارة في الحكم يتراوح بين عشرة اشهر في مصر ١٩٥٢ - ١٩٧٢ وثمانية اشهر في لبنان بينما بلغ متوسط عمر الوزارة في الكويت سنتين(٥) .

ثانيا : الحياة الاجتماعية

ظهرت قوى اجتماعية جديدة كافرازا طبيعيا لعصر البترول وانتشار التعليم وزيادة حجم الثروة والتطور في مجال المواصلات والاتصال والانفتاح على العالم وبصورة جعلت الكويت تعيش هموم امته العربية وتتصدى للدفاع عن قضاياها وهي "القوى الوطنية" التي تريد الحفاظ على كيان الكويت ومجتمعه في خضم تقلبات الاجواء الدولية و "القوى الوطنية" تعني الشعور بالانتماء الوطني

للكويت وهو القاسم المشترك بين ابنائه ثم الشعور القومي بالانتماء المصيري للوطن العربي الكبير حيث الكويت جزء لايتجزأ من الامة العربية ، "فالانتماء الوطني جزء من الانتماء القومي الكل" ، ويحرص افراد القوى الوطنية في الكويت على الشرعية الحالية لأسرة الصباح بما تضعه من مطالب سياسية لاحداث المواءمة بين التراث السياسي القائم بين متطلبات العصر المتمثلة في اقرار مبادىء الديمقراطية والالتزام بنصوص الدستور وافساح المجال لمزيد من المشاركة الشعبية في الادارة وفي الحصول على نصيب من عوائد النفط وبالتي هي القوى الاجتماعية الثالثة في الكويت .

القوى الوطنية ودورها في الحياة الاجتماعية

تميز افراد القوى الوطنية بأنهم لم يكونوا فقط نتاجا لعصر الوفرة البترولية وتصاعد معدلات الثروة وانما قبل كل هذا فأنهم جاءوا افرازا موضوعيا لمستوى اعلى من التعليم وتطور اقتصادي متصاعد ومستمر وظهور الصحافة الكويتية القوية وتصاعد المشاعر القومية العربية وانها جاءت افرازا مختلفا عن القوى الاخرى سواء من حيث التركيب الفئوية أو من حيث التفكير أو المنهج الايدلوجي عن الاسرة الحاكمة والتجار والبدو ، وان القوى الوطنية في الكويت تتميز بأنها تتكون من افراد يختلفون في مواقعهم الاجتماعية وانتماتهم الاسرية فضلا عن انهم ينحدرون من طبقات وافراد من مستويات اقتصادية مختلفة فقد يكون عضو هذه الجماعة من أبناء الاسرة الحاكمة أو الثرية المنتمية لطبقة التجار أو من ابناء القبائل البدوية وقد يكون من بين الفئات الداعية للتغير الجذري الشامل وقد يكون من بين الخبراء والمتخصصين والمثقفين كأساتذة الجامعة أو اساتذة المدارس أو من بين الصحفيين أو المحامين والاطباء وموظفي الدولة الذين تجمع بينهم المواقف السياسية والالتزام الاجتماعي المتجانس الذي يشكل الفئة الجديدة "الطبقة المتوسطة" . وفي ظل المفاهيم الطبقية فأن افراد الاسرة الحاكمة تحملوا ولازالوا يتحملون مسؤولية الحفاظ على القيم المتصلة بمبدأ السيادة ونظام الحكم عبر الاجيال المتعاقبة كما تحملت الطبقة التجارية طوال تاريخها الذي يوازي تاريخ الاسرة الحاكمة مسؤولية المحافظة على تقاليد التجارة وروح المغامرة في اجوائها المضطربة وكان التجار ولايزالون يشكلون احد روافد القوة التي تطالب بالديمقراطية والحفاظ على استمراريتها كما يلعبون دور الوسيط الذي يفرض بعض التوازن لتخفيف حدة التصلب في مواقف القوتين وهما الاسرة الحاكمة ومعها الحكومة من جهة والقوى الوطنية ومعها في اغلب الاوقات مجلس الامة من جهة ثانية في حين ان طبقة البدو من ابناء القبائل ظلت بدورها تتحمل مسؤولية الدفاع عن تقاليد البادية والصحراء وعن سيادة الكويت حيث شكل ابناء القبائل القوة الاساسية

في الجيش الكويتي سابقا وحاليا وبذلك يشكلون درع الكويت العسكري والاجتماعي بالحفاظ على التقاليد الموروثة منذ القدم ، وهذه الفئة بمعيار الدور والزمن قديمة وحديثة في ان واحد فهي قديمة لأنها تنتمي الى أصول اجتماعية عريقة من حيث ان مجتمع البادية يشكل الرافد البشري الاول ليس للكويت وانما لسكان الجزيرة العربية بأسرها سواء عرب الشمال في الحجاز او عرب الجنوب في اليمن أي عدنانيين وقحطانيين وان افراد الاسرة الحاكمة والطبقة التجارية وكذلك معظم القوى الوطنية تنتمي وترجع في اصولها اليها ، فقد كان دور فئة البدو حيويا لأنهم كانوا يتحملون مسؤولية حراسة القوافل والدليل لها في الصحراء قديما ، اما كونها فئة جديدة لأنها تمثل احد عناصر القوة الجديدة الوافدة الى داخل مدينة الكويت الحديثة فقد جاءت في حسابات السبعينات السياسية حين اهتدى شيخ الكويت الى فكرة احداث نوع او درجة من التوازن المحسوب بين القوى المؤيدة للسلطة والقوى المعارضة لها فكانت الفرصة التي تهيأت للبدو للدخول الى المدينة والحصول على المسكن المناسب والدخل المجزي وصعد ممثلوهم الى عضوية المجلس كقوة مؤيدة للحكومة ولكن الى حين ، اما القوى الصاعدة الجديدة والمتمثلة في "الجماعات الوطنية" فقد التقى اصحابها حول العديد من المبادىء والمرتكزات المتعلقة بالعمل الوطني والمطالبة بالتغيير الاجتماعي والاصلاح السياسي وقد بدأت ملامح هذا الاتجاه تتضح داخل مجلس الامة وعبر الصحافة الكويتية المتطورة حيث كانوا يرفعون شعار تطوير الكويت على قاعدة جديدة تتفق ومتطلبات العصر الحديث ويلحون على تأكيد مبادىء الديمقراطية في ممارسة الحكم ويطالبون بضرورة التقيد باجراء الانتخابات الحرة المباشرة عند اختيار مجلس الامة بالاضافة الى مطلب جديد لم تألفه العلاقة بين الحاكمين والمحكومين في التراث السياسي للمنطقة وهو ضرورة اعطاء الفرصة لكل فئات الشعب الكويتي للاستفادة من عوائد الثروة النفطية وارساء دعائم العدالة الاجتماعية في البلاد ، ولهذا فأن القوى الوطنية وان كانت قد وفدت الى المسرح السياسي والاجتماعي في وقت متأخر الا ان القدرات الخارقة لقادتها على استقطاب التأييد الشعبي ومعظم اعضائها من المتعلمين ذات ثقافة عالية ادى الى بروز دور جديد لفئة جديدة يهدف الى وضع مرتكزات فكرية وايدلوجية جديدة وغرس قيم الحرية والديمقراطية في المجتمع الكويتي وكما ان الاسرة الحاكمة والتجار والبدو اخذوا على عاتقهم حراسة القيم المتوارثة لكل فئة على حدة فإن القوى الوطنية ايضا اخذت على عاتقها مهمة حراسة قافلة القيم الجديدة القائمة على تأكيد مبادىء الدفاع عن الحريات العامة[٦] .

اتضحت ملامح القوى الوطنية بشكل واضح في الخمسينات ثم اكثر وضوحا في الستينات فقد تميزت هذه الفترة بظهور انماط جديدة من الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية وابرز تلك المظاهر وجود جماعات سياسية القوى الوطنية التي اخذت على عاتقها مهمة الدعوة لتحقيق المزيد من التغيرات الجذرية في حياة المجتمع وفي نموذج الحكم وكانت في دعوتها تلك تنطلق من مفاهيم وضاحة تجاهر بها علنا سواء اجهزة الاعلام او من خلال وجود افراد من اعضائها داخل مجلس الامة حيث كان صوت الديمقراطية يتعالى بداخل قاعته يوما بعد يوم وقد كانت تلك الدعوة تتخذ لها مرتكزات عدة ابرزها ثلاثة وهي : .

١ - الدستور الكويتي الذي يمثل النص التعاقدي بين الحاكمين والمحكومين .

٢ - حرية الانتخابات التي تمثل الارادة الشعبية الكويتية التي تعد مؤشرا على اتجاه الاغلبية في اوساط الناخبين .

٣ - حرية دون قيد او كبت او خوف من بطش السلطة واجهزتها المختلفة ، وقد استمرت القوى الوطنية تحشد نفسها وتجند طاقاتها للدفاع عن هذه الثوابت طوال تاريخها وحتى الآن ، وفي بادىء الامر عندما كانت الكويت تعيش مرحلة الانتقال من الحماية البريطانية الى الاستقلال كانت القوى الوطنية بحكم انتمائها الفكري والقومي وتجاربها السياسية التي اكتسبتها عبر احتكاكها المستمر بقوى سياسية عربية وعالمية اخرى كانت ترى ضرورة افساح المجال لتشكيل تجمعات سياسية جديدة ووضع قانون يسمح بتشكيل الاتحادات والنقابات والاحزاب من موقف الايمان بأن المجتمع الديمقراطي لايمكن ان تكتمل اركانه او يتوطد بيانه دون ان يفسح الباب لتكوين جماعات منظمة ذات برنامج سياسي واضح ورؤيا فكرية محددة وتلك شروط اولية لتكوين الاحزاب السياسية وتنوعت مطالب القوى الوطنية لتشمل العديد من اوجه العمل السياسي والاجتماعي ونذكر على سبيل المثال الدعوة لافساح المجال لتطبيق مبدأ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب دون النظر الى الخلفيات الاسرية والاجتماعية وهو مطلب يبدو في ظاهرة طبيعيا سهل التحقيق اذا توفرت الشروط الضرورية لذلك لكن اذ وضع في الاعتبار التركيبة الاجتماعية للمجتمع الكويتي في ذلك الحين والذي كان ولايزال يعيش مرحلة التكوين والتحول من شكله التقليدي القائم على العلاقات الاسرية والقبلية الى شكله المتطور الحديث فأن هذه الدعوة تكتسب مضامين سياسية عميقة الجذور بعيدة الأثر انها حالة الصراع بين القديم المحافظ والجديد النازع للتغير ، وتنوعت مطالب القوى الوطنية

لتشمل الدعوة لارساء قواعد اقتصادية حديثة تضع ضمن اولوياتها ضرورة التخطيط الشامل لاستغلال العائدات النفطية لصالح المواطنين الكويتيين بصرف النظر عن المستوى الاجتماعي والانتماء الطبقي فقرا وغنى وشملت ايضا الدعوة للعدالة الاجتماعية والمساواة وصيانة الحريات العامة لكل الكويتيين ، وتعمل الجماعات الوطنية اقناع القوى الاجتماعية الأخرى بعدالة هذه المطالب وحثها على ضرورة العمل من اجلها ثم الحرص على طرح مثل هذه المطالب وممارسة الضغط السياسي والاجتماعي لاقناع اصحاب القرار بأهميتها لها وللحفاظ على الاستقرار السياسي والاجتماعي بين فئات المجتمع المختلفة ، وبمثل ما حدث للفئات البدوية حين اكتسبت قوتها عبر تجمع افرادها في القرى النموذجية والمدينة فقد زاد شأن وعدد اعضاء القوى الوطنية على اثر اكتشاف النفط وزيادة الدخول النفطية وزيادة المتعلمين والمثقفين منذ الخمسينات أي تحت القوى الوطنية وترعرت في اوساط الكويتيين الخريجيين من الجامعات والدراسات العليا ومع مرور الوقت ومع زيادة التعليم ونسبة المتعلمين بدأت القوى الوطنية تزداد قوة مع زيادة هولاء المتعلمين تودى الى زيادة اعضائها وزيادة رموز القيادات الشابة في اوساط هولاء الاعضاء اضافة الى التفاعل النشط الذي اكتسبته الحركة الوطنية الكويتية عبر علاقاتها العربية والدولية ، وعندما بدأت الحكومة خطط التنمية في الخمسينات احتاجت الى العمالة العربية والاجنبية وكان معظم الموظفين والفنيين من العرب وكان المخطط الكويتي وصاحب اتخاذ القرار يضع في حسبانه مسألة ذات اعتبارين[٧] :

الأول : ان العنصر العربي اقرب الى العنصر الكويتي حيث يجمعهما اللغة والدين والعادات والتقاليد ومن ثم يأتي المنطق والمصلحة المشتركة منح الاولوية في المراكز الادارية العليا والتوظيف للمواطن الكويتي ثم العربي اما الاعتبار الثاني : هو ان التاريخ السياسي والاجتماعي للكويت يعطي العديد من المؤشرات القوية على عمق الشعور القومي العربي بين الكويتيين ومع وجود العربي المكثف بدأ بروز الاتصال بين المثقفين الكويتيين بأخوانهم المثقفين العرب الذين يعملون في المجالات الفكرية والادبية كالصحافة والاعلام والتعليم وغيرها .

تتميز القوى الوطنية عن الفئات السياسية والاجتماعية الأخرى كالأسرة الحاكمة والتجار ، بكونها غير معنية بالدفاع عن مصالح فئوية أو طبقية ضيقة ويتمثل هدفها بضرورة توفير كافة الوسائل والسبل لتحقيق التغير في المجتمع الكويتي وتوفير افضل الشروط لادارة مثل هذا التغيير ، ومن اهم هذه التغيرات الاجتماعية الجذرية للقوى الوطنية هي الانجازات السياسية والديمقراطية

وانشاء المؤسسات السياسية الكبرى وعلى رأسها مجلس الامة وان هذا التحول السياسي الجذري ذات الاتجاه الديمقراطي بدأ لأول مرة على اثر اللقاء الاول الذي تم بين حاكم الكويت الشيخ عبدالله السالم وبين الدكتور أحمد الخطيب عام ١٩٥٥ عندما رأس هذا الأخير وفدا شعبيا كويتيا وحمل الى الامير التماسا على شكل مذكرة للمطالبة بالاصلاح السياسي الشامل ومع ان الطلب كان قد تم تقديمه في عهد الحماية البريطانية الا ان المراقبين والباحثين السياسيين يرون بأن تلك المبادرة وتعاطف الشيخ عبدالله السالم حاكم الكويت مع المطالب المقدمة من قبل اعضاء الوفد كانت بمثابة اللبنة الاولى التي ساعدت على تحديد شكل الدولة الجديدة التي قامت اركانها على قاعدة دستورية بمؤسسات ديمقراطية وحياة برلمانية واعضاء منتخبين انتخابا حرا وديمقراطيا .

، نلاحظ منذ تأسيس مجلس الامة الأول عام ١٩٦٢ وحتى آخر انتخابات ١٩٩٦ نجد ان "القوى الوطنية" تكون اقلية برلمانية في الوقت الذي تكون الاغلبية دائما من نصيب التجار وابناء القبائل الموالية للحكومة التى تعتمد عليهم لتمرير برنامجها في مجلس الامة ، الا ان تلك الاغلبية الحكومية ظلت تعاني من الضعف في التخطيط وفي المناورات ومهارة ممارسة التأثير وهي صفات مطلوبة وحيوية في العمل السياسي الذي تتطلبه البرلمانات كانت الجماعات المؤيدة للحكومة تجارا ورجال القبائل تفتقر الى الحنكة السياسية التي تمكنها من الاشتراك في المداولات البرلمانية واسماع صوتها للرأي العام الكويتي وكانت ايضا تفتقر الى الوعي السياسي والثقافي واليقظة لمعرفة ما يجرى داخل قاعة المجلس وكانت عاجزة عن استيعاب مطالب المواطنين ومن ثم ادراك اتجاه الرأي العام ، لهذا فقد وجد اعضاء الكتلة الوطنية المجال فسيحا لممارسة التأثير ربما بأقل مجهود ويمكن القول بأن قلة الخبرة السياسية في جانب التجار وابناء القبائل وعدم الالمام بفنون المناورة وتفجير القضايا وادارة الحوار داخل مجلس الامة ساعد في المقابل على انفراد اعضاء "القوى الوطنية" برغم اقليتهم وهم في الغالب من بين المثقفين باهتمام المواطنين وبامتلاك زمام المبادرة وتفجير القضايا الوطنية الساخنة والبدء في ادارة النقاش والحوار داخل قاعة المجلس ، وخلافا لواقع الحال كانت القوى الوطنية تعمل ضمن اقلية داخل المجلس فقد كان اعضاؤها هم اصحاب الاصوات المسموعة في مضمار العمل السياسي في الكويت وكان يتميزون بوضوح الرؤيا وتبلور الافكار التي تصدر عن اعضائهم في المجلس ومع ان الحكومة كانت تبدي حرصا كبيرا على ان تسود الحياة الديمقراطية الكويت والتمسك بالدستور الا انهم كانوا يشعرون بالضيق ازاء ارتفاع اصوات المعارضة داخل المجلس وكما تؤكد الوقائع كان الموقف الرسمي ازاء القوى الوطنية او الكتلة الوطنية يقوم على

الاعتقاد بأنها معارضة خطرة وينبغي ان تواجه بقوة وان تستخدم كل السبل المتاحة لحجبها والتقليل من اثرها وانتشار افكارها في اوساط الرأي العام على الرغم بأن القوى الوطنية لم تكن تطالب بالتغيير خارج حدود وطبيعة النظام السياسي القائم لكنها كانت تعمل على ان يتم التغيير من داخل النظام ذاته أي ان القوى الوطنية تؤكد دائما بضرورة التمسك بالشرعية واستمرار النظام الوراثي في اسرة ال الصباح لكنها ظلت تعمل بكل قوة على احداث التغيير التدريجي الذي يتيح المزيد من توزيع السلطات في قمة القطاع وهو نهج كان المقصود منه احداث التغيير على نحو ارتقائي بهدف تقليص النزعة الفردية والاتجاه لتركيز السلطة على حساب توزيعها على المؤسسات السياسية الحديثة ، ولكن ومع ان فرادها كانوا قد تعرضوا لعدة اجراءات وكان اهدافا لمحاولات عدة لأنهاء دورهم السياسي وهو ما حدث عام ١٩٧٦ حين اوقف الامير العمل بالدستور واصدر امرا بحل مجلس الامة ثم تكرر الاجراء مرة اخرى بعد مرور عشرة اعوام في ١٩٨٦ ومع ان الحكومة كانت تلجأ لتشجيع بعض الكتل الأخرى وتهيء الظروف المناسبة لحصولها على الاغلبية داخل المجلس الا ان صلابة هذه الجماعة ومثابرتها على العمل في ظل الظروف الصعبة كان كفيلا باجبار الحكومة على التسليم بالمطالب الوطنية التي تتبناها وهي في الاساس مطالب غالبية الشعب الكويتي ، وفي عام ١٩٧٩ اعد اعضاء مجلس الامة مذكرة بهذا الخصوص .

القوى القبلية والحياة البرلمانية الدستورية

عرضنا الفئات الاجتماعية في الكويت وخاصة الأسرة الحاكمة والتجار منذ عهد التأسيس وبعد الحرب العالمية الأولى ومع الوعي القومي والفكري بدأت تظهر فئة جديد وهي "القوى الوطنية" ، اما "القوى القبلية" فتعتبر بمعيار النشأة قديمة قدم الكويت نفسها ولكن بمعيار الدور السياسي في الكويت الحديثة تمثل احدى القوى الجديدة في الحياة الاجتماعية ونتناول دور هذه القوى القبلية في تشكيل دولة الكويت وفي تمازج أو تناقض موقفها الايديولوجي مقارنة بالفئات والقوى السياسية والاجتماعية الأخرى ، و "القوى القبلية" تمثل اضعف الحلقات الاجتماعية على الاطلاق وخاصة اذا ماقورن بالاسرة الحاكمة والتجار ، وتلك حقيقة تتناقض مع كونها ظلت على مدار تاريخ الكويت والجزيرة العربية اكثر الفئات قوة وتأثيرا واشدها بأسا ومراسا الا انها ومع تطور المجتمع الحديث ومع اتساع الرقعة الاجتماعية تجارا ومثقفين وجماعات مؤسسية بدت وكأن الارض تميد من تحتها واضحت بمعيار القوة احد القوى الهامشية التي تتم الاستعانة بها أو اللجوء اليها للحصول على هامش الاغلبية في الخلافات البرلمانية التي كانت تنشب داخل مجلس الأمة ، وان قبائل الكويت

ذات امتدادات بشرية كبرى في الجزيرة العربية حيث توجد لها فروع تمت لها بصلة القرابة ولها ابناء عمومة مثل قبائل العجمان والمطير والشمر والعوازم والرشايدة والعتبان والظفير وغيرها من القبائل الأخرى في الكويت ذات اصول تمتد الى عمق الجزيرة العربية وتشد ازرها منها عند الحاجة ولهذا فأن القوى القبلية برغم الضعف السياسي لعدم خبرتها فأنها من اقوى القوى في التركيبة الاجتماعية الكويتية حيث لها دور وقول الفصل في الظروف الاستثنائية والمواقف السياسية .

بدأ الامر في غضون العقود الثلاثة الماضية وكان التأثير القبلي يعاني من الضعف وان شجاعة وقوة البادية الذي كان يظهر على شكل افواج من المحاربين الاشداء الذين كان الحكام يستعينون بهم لمواجهة التهديد والغزو فقد قوته بسبب المؤثر الحضاري الذي جاء على شكل نظام سياسي متطور محكوم بقيم حضارية وثقافية جديدة وعجلت ظاهرة التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المتسارعة في التقليل والتقزيم لكل اثر كان يوما من الايام من اهم تراث الكتل البشرية المتحركة من القبائل العربية في الصحراء وتعدى الامر حدود تغيير اثر البادية على الحضر الى تغيير طقوس البادية نفسها وعادات وتقاليد اهلها ففي الاطار الاجتماعي ادى تطور المدينة وزيادة تجمعاتها السكانية الى العديد من العادات والتقاليد البدوية الى تمزيقها وساهمت وسائل الاعلام المختلفة تقديم الجرعات الثقافية لتطوير البادية حيث وجد رحالها انفسهم يتجرعونها كالدواء المر ومع مرور الوقت بدأ ابناء القبائل اكثر استعدادا لاستقبال رسالة المدينة واستيعاب مضمونها الجديد ومع زيادة التفاعل والاقتراب البدوي من حياة المدن تتباعد المسافات بين هذا البدوى وبيئته الصحراوية القديمة ومع تعاقب الاجيال تنفصم الصلة وتنقطع اواصر الانتماء فلا يبقى من الصحراء الا ذكراها الخافتة كتلك الذكريات التي تتركها زيارة عابرة لأحد متاحف التراث ، ولعب جهاز الاذاعة والتلفزيون كالعصا السحري في شد انتباه البدوى الى مظاهر الحياة المدنية بعد ان تم توطين افراد القبائل في الاحياء والمنازل الملتصقة بالمدينة وتضاعف الاثر بشكل ملحوظ على النشيء من ابناء واحفاد افراد القبائل والاجيال المتعاقبة الأخرى كما ساهمت وسائل الاعلام في خلق قدر كبير من الرغبة والاستعداد في اوساط البدو لتقبل نماذج جديدة من القيم الحديثة والسلوكيات المختلفة التي لم يكن يألفها احد من قبل ويرجع ذلك لتوفر الثروة المادية لعوائد البترول حيث لعب الجانب الاقتصادي دورا في مجمل التحولات الاجتماعية لرحال البادية ومن ثم دخولهم في مؤسسات ودوائر التوظيف الحكومية التي استوعبت الآلاف منهم وما ترتب عليها من مرتبات شهرية ومبالغ نقدية شيئا جديدا لم يألفه البدو في عالم الصحراء الشحيحة وكانت تجربة مثيرة

حفزت افراد القبائل البدوية على الارتباط بالبيئة الجديدة والتنعم بعوائدها وخيراتها ومع الارتباط بالوظيفة والاستمرار في التمرس على روتينها اليومي زادت المسافة التي كانت تربطه بالصحراء وزاد الاقتناع بقيمة الاستقرار في المدن ، واستتبع ذلك الجهد الاكثر مشقة لاقناع البدو بجدوى الاندماج مع الفئات الادارية والبيروقراطية المتنامية وكان العمل في نظر البدوي سببا للشعور بالعار ومظهرا من مظاهر العيب المشين لكن المال الذي جاءت به عوائد النفط ازال مثل هذا المعتقد وعندما تخوفت الحكومة من عملية الترحال واختراق الحدود فاغلقت الحدود ودفعت البدوى الى الثبات والاستقرار ، وكان من المتوقع ان ينتهي الدور السياسي لرجال البادية على اثر امتزاج المجتمع القبلي بالمجتمع المدني وكان الاعتقاد بأن ضعف الدور الاجتماعي الذي يشغله البدو سوف لايمكنهم من ممارسة أي نوع واي مستوى من التأثير لكن الاوضاع السياسية وتطور العلاقة بين الحكومة من جهة والقوى الوطنية وربما بعض التجار من ناحية أخرى في اتجاه التأزيم وتصاعد نبرة الخلاف داخل مجلس الأمة وتباين وجهة النظر بين الحكومة والمعارضة ساعد على تصاعد الدور السياسي لقبائل الكويت ومهد الطريق لتشكيل كتلة قبلية في البرلمان وبعدد كبير من الاعضاء كيف حدث ذلك ؟ وماهي النتائج المترتبة عليه[٨] ؟

تعتبر انتخابات مجلس الامة الكويتي التي اجريت عام ١٩٧٥ بداية الطريق لصعود نجم "القوى القبلية" داخل قاعة المجلس فقد وجدت الحكومة نفسها في وضع حرج امام الاغلبية المتنامية المعارضة لسياستها في الداخل والخارج ولذا فأن الامر تطلب ضرورة البحث عن حليف يرفع اغلبيتها في البرلمان ويحد من جموح "القوى الوطنية" المعارضة وسيطرتها على برامج الاقتراع فيه ، وفي المقابل فأن افراد القبائل ومع زيادة عددهم وارتفاع نسبتهم مقارنة بالفئات الاجتماعية الأخرى في الكويت الا انهم كانوا يعيشون اوضاعا اجتماعية متخلفة بالاضافة الى عدم وعيهم بالعمل السياسي ومعرفة اساليب التأثير في صنع القرار لكن ومع كل هذا فقد ظل رجال القبائل يتمسكون برلائهم المطلق لأسرة الصباح ويعتبرون الحاكم بمثابة الرأس لكل القبائل وزعيم على العشائر والافخاذ وهو شعور بالولاء جعل كل رجال القبائل على ولاء للأمير ورهن طاعته وان مثل هذا الولاء ليس بالشيء الجديد وانما يرجع الى الجذور التاريخية والاجتماعية القديمة التي تعود بعيدا للوراء الى تأسيس الكويت على صباح الأول الذي فطن الى اهمية كسب ود واحترام وولاء القبائل المحيطة بالكويت واتخذ قرارا بضرورة تقوية اواصر العلاقة بينه وبين شيوخ القبائل واستخدام عامل الروابط الاسرية كأحد اهم وسائل الارتباط بالمجتمع وذلك عن طريق ترتيب العديد من الزيجات

مع بنات شيوخ القبائل فقد اقترن هو والعديد من الذكور من افراد اسرته بفتيات شيوخ القبائل بهدف تأكيد التحالف معهم عن طريق النسب والتصاهر وبالتالي الحصول على ولائهم برابطة الدم التي هي اقوى الروابط الاجتماعية . وربما تكون خطط الجد الأول قد تركت ثمارها الممتدة عبر السنين وظهرت نتائجها على شكل تحالف جديد بين الحكومة واحفاد شيوخ القبائل القديمة عام ١٩٧٥ ففي تلك السنة قررت الحكومة الكويتية اضعاف مركز المعارضة من "القوى الوطنية" داخل البرلمان واستخدام كل الوسائل المتاحة ونجح المخطط الساسي بتجديد التحالف واستخدام "القوى القبلية" كحاجز بشري نيابي بين الحكومة من جهة وبين "القوى الوطنية" المعارضة من جهة أخرى وحين خاطبت الحكومة رجال القبائل ووضعت امام شيوخهم فكرة النزول في الانتخابات وترشيح مجموعة مختارة لشغل مناصب عضوية المجلس وجدت هذه الفكرة في اوساط رجال القبائل استعدادا وقبولا فوريا للنزول في الانتخابات التي كانت مرتبا اجراؤها لتشكيل مجلس امة جديد ، ويذكر المحللون بأن الصفقة التي تم ابرامها بين الحكومة والقوى القبلية قامت على اتفاق بأن يناصر افراد القبائل سياسة الحكومة داخل المجلس وان يعطوا اصواتهم لها في كافة الموضوعات التي تطرح للتصويت وان تقوم الحكومة من جانبها بوضع برنامج طموح لتطوير مناطق القبائل ومدهم بالخدمات وبمشاريع التطوير وفتح المزيد من المدارس والخدمات الصحية والتوظيف ومن خلال هذه الصفقة التي سنحت لأفراد القبائل نتيجة لحاجة الحكومة لتأييد ممثليهم ونتيجة لحاجة افراد القبائل لممارسة دور سياسي من نوع ما استطاع رجال القبائل الذين ظلوا قابعين في اعماق الصحراء على مدار القرون ان يخوضوا معركة انتخابية ببرامج سياسية متنوعة وبتكتيك انتخابي متطور استطاعوا ان يخوضوا معترك جديدا لم يألفوه من قبل ويحصلوا على اعداد كبيرة من المقاعد تحت دهشة واستغراب الجميع وعلى الفور بدأت الكتلة البرلمانية الجديدة القادمة من قلب الصحراء تعمل كأكبر قوة ترجيحية في تاريخ الحياة البرلمانية في الكويت وبدأ رجال القبائل كأحدى القوى السياسية الجديدة التي تمارس التأثيرات المتنوعة فقد جاء الوقت الذي تضيق فيه الحكومة ذرعا بالتجربة البرلمانية برمتها حين اتخذ الأمير قراره لتعطيل الحياة البرلمانية بأكملها فأصدر امرا بحل مجلس الامة عام ١٩٧٦ أي بعد عام واحد من انتخابه ومع صدور القرار بدا وكأن النجم الذي سطع في قاعة المجلس خبا وتلاشى ضياؤه ومن ثم فقد تلاشي معه الدور السياسي الذي كان مرسوما ان يلعبه القبائل في مسار الحياة السياسية في الكويت وقد قيل انذاك بأن "القوى القبلية" لم تفشل فقط في ان تمارس التأثير في نطاق المجتمع الكويتي ولكنها ايضا عجزت عن اداء دورها في

الوفاء بتعهداتها للحكومة فقد نجح المعارضون من القوى الوطنية في استمالة العديد من الاعضاء "القوى القبلية" وانتهى دور الجميع بانتهاء المجلس ذاته[٩] .

ثالثا : الحياة الاقتصادية

شهدت المنطقة في النصف الثاني من القرن العشرين تحولات هامة وجذرية في الشروط المعقودة بين الشركات المستغلة والبلدان المنتجة خصوصا في ايران والسعودية ، فقد كان تأميم البترول الايراني من قبل الدكتور محمد مصدق عام ١٩٥١ بمثابة حظ هبط على الكويت من السماء تماما كما حوّل احتلال ايران للبصرة في القرن الثامن عشر كل تجارة الخليج العربي الى الكويت ، فقد أخذت بعض الشركات البترولية بمبدأ "المناصفة في الارباح" بالرغم مما يحتويه مبدأ المناصفة في حد ذاته من مغالطات عدة تنتقص من حقوق الدولة المنتجة ومن ذلك انه يخصم من الارباح الضرائب التي تدفعها الشركات في الاقطار المسجلة بها كما ان الشركات تدفع النصف فقط من عمليات الاستخراج والبيع مما يتيح لها فرصة الحصول على ارباح هائلة سواء كان عن طريق ذلك او عن طريق قيام شركات فرعية اخرى بأعمال النقل ومن الانابيب والتكرير والتسويق فضلا عن ان الاقطار المنتجة لاتستطيع ان تخضع حسابات الشركة للرقابة الدقيقة للتأكد من انها تقدم نصف الارباح فعلا وفضلا عن مبالغة الشركات في الخصم من سعر البيع[١٠] .

دخلت الكويت على مبدأ المناصفة في مفاوضات مع "شركة نفط الكويت" من اجل ادخال التعديل المناسب وفقا لمبدأ المناصفة الذي اقر في ١٩٥١/١٢/٣ وقد نص التعديل على انه عند احتساب الضريبة يخصم من دخل الشركة العام تكاليف الانتاج بما في ذلك تكاليف البحث والحفر والتنمية والاستهلاك وما بقي بعد ذلك يعتبر دخل الشركة الخاضع للضريبة وزيادة مدة فترة الامتياز سبعة عشرة سنة أخرى ، وبالرغم من القصور في مبدأ المناصفة الا انه اصبح افضل كثيرا فيما يختص برسوم الامتياز مما كان عليه في السابق اذ بمقتضى الاتفاق المعدل عام ١٩٥١ ارتفع دخل الكويت من النفط من ثلاثة مليون جنيه استرليني عام ١٩٤٩ الى حوالي ستون مليون جنيه استرليني في عام ١٩٥٢ .

ظلت شركة نفط الكويت المحددة الشركة الوحيدة حتى عقد الامتياز مع "شركة البترول الامريكية المستقلة" في المنطقة المحايدة في الجزء التابع للكويت في ١٩٤٨/٧/٢٨ ولايختلف كثير عن عقد الامتياز لشركة نفط الكويت فيما عدا رسوم الامتياز ومدته وتم تصدير اول شحن من النفط

عام ١٩٥٤ ، وحصلت اليابان على الامتياز من السعودية عام ١٩٥٧ بمياه البحر في المنطقة المحايدة وفي العام التالي حصلت من الكويت على الامتياز بمياه البحر امام المنطقة ذاتها من الكويت وفي مارس ١٩٦١ تم تصدير أول شحنة من نفط الخفجي . كما حصلت شركة شل الامتياز في ١٩٦١/١/١٥ وعلى هذا النحو اصبحت هناك اربع شركات عاملة في ميادين النفط في الكويت وهي ليست على نمط واحد من الاتفاقيات وانما تختلف شروطها باختلاف الظروف التي عقدت فيها ومن ثم اصبح العامل الزمني امرا حاسما في ظهور الحاجة الى ادخال بعض التعديلات المختلفة لكي تتلاءم مع تطور وتغير الفكر البترولي العالمي لذا كانت الاتفاقيات تخضع من حين لحين لعملية اعادة النظر اسفرت في كثير من الاحوال عن ادخال بعض التعديلات الجوهرية في بعض الشروط لقد كانت تلك الامتيازات البترولية تحصل بمقتضاها الشركات في السابق على مساحات كبيرة كميدان لعملها مما قد ينشأ عنه عجز الشركة المستغلة عن استكشاف تلك المساحات الكبيرة فتظل بعيدة عن عمليات الشركة دون التوصل الى معرفة قدرتها الاستغلالية ومن ثم يصبح جزء كبير من ثروة الدولة البترولية في باطن الارض معطلا دون استغلال ومن ثم الزمت الشركات بالتخلي عن المساحات غير المستغلة بعد فترة معينة حددتها الاتفاقية وفي الوقت الذي كانت فيه الشركات تحرص على الحصول على اطول فترة ممكنة كأمد للاتفاقية أخذت الدولة تبدى اهتماما واضحا بتقليص تلك المدة قدر الامكان وبينما كانت عمليات البحث والحفر قاصرة في السابق على اليابسة ومع بداية الخمسينات اتجهت الى البحر وفي الوقت الذي كانت فيه الشركات تقتصر اهتمامها في الماضي بعملياتها فقط دون النظر الى مساعدة الدولة المنتجة بتقديم ما قد يلزمها من خدمات اجتماعية مختلفة أخذت تلك الشركات بمبدأ تقديم الخدمات العلمية للدولة المنتجة بايفاد اعداد من المواطنين الكويتيين لاستكمال دراستهم بالخارج كما اخذت الشركات بعد الخمسينات في الالتزام بتكرير نسبة معينة من البترول الخام في الكويت باقامة معامل التكرير على ان اهم ما دخل على هذه الاتفاقيات من تعديل وتطوير هو ما اختص منها بالشروط المالية التى تضمنتها[11] .

البترول والتأثيرات الاقتصادية

نتيجة لدخول دويلات الجزيرة العربية عالم النفط دخلت تلقائيا في مجال السوق العالمية ومع مداخيل النفط الهائلة توسعت مجالات الانفاق سواء على مستوى الدولة أو على مستوى الافراد وتغيرت بشدة انماط الاستهلاك داخل ميزان توزيع الثروة ونشأت علاقات اجتماعية جديدة وغيرت التركيبة السكانية وكذلك البنى التحتية والفوقية للمجتمع ونمت قطاعات اجتماعية ،

دخلت الصناعة البترولية دون سابق اعداد او تهيء ففرضت هذه الصناعة الشروط السياسية والاقتصادية التي تريد من خلال اتفاقات استثمار مجحفة وتجاوزتها الى فرض مستوى من العلاقات الصناعية اثر بشكل مباشر في شروط العمل والاستخدام ، لقد استمرت الشركات البترولية بالاعتماد على اليد العاملية الاجنبية اوربية او اسيوية وحرمت ابناء البلد من التدريب الذي يمكن ان يوهل العمال المحليين لتبوؤ المناصب القيادية سواء الادارية أو الفنية في هذه الصناعة فبقيت قوة العمل المحلية تعيش على هامش الصناعة اما عمالا يدويين او كتبة او فنيين متوسطين على الأكثر واستمرت نشرات الشركات البترولية تنشر الاحصائيات تلو الاحصائيات عن ارتفاع نسبة العمال المحليين العاملين في الشركة دون ان تدخل في وصف لأعمالهم بحيث يمكن معرفة ما اذا كانت الوظيفة قيادية أو خلاف ذلك وتقول شركة نفط الكويت في تقريرها السنوي لعام ١٩٧٣ عن القوى العاملة والتدريب : "لقد احرزت الشركة المزيد من التقدم في تنفيذ سياستها الرامية الى تكويت الوظائف فقد زاد عدد الموظفين الكويتيين خلال هذا العام حتى بلغ ١,٣٠٤ موظفين ويمثل هذا العدد نسبة ٤٤,٥٪ من مجموع القوى العاملة في الشركة" . ونجد ان نسبة الكويتيين العاملين في شركات النفط المختلفة في حوالي عشر سنوات اتصفت بالثبات وكانت ١٨٪ الى ١٩٪ ، وتشير دراسة حول عدد العاملين المحليين في شركات النفط في الكويت فتقول : "بالرغم من هذه السياسة (حرص حكومة الكويت على تكويت الوظائف) فالكويتيون والعرب في صفوف الطبقة العليا والمتوسطة في ادارة شركة نفط الكويت وفي الشركات الاخرى صاحبة الامتياز قليلون بشكل ملحوظ" . ونلاحظ من ذلك ان شركات النفط لم تتح للمجتمع المضيف اية فوائد تكنولوجية حديثة يستخدمها ابناؤها سواء في داخل الشركات أو خارجها انما احتكرت التكنولوجيا لعمال جلبتهم من الخارج في معظمهم أوربيون وامريكان وبعضهم اسيويون لتمنع ابناء الكويت من التعرف على اسرار العمليات النفطية وبالتالي تعيق طموحهم في السيطرة عليها ، رغم هذا الاحتكار المنظم في عمليات الانتاج والنقل والتسويق اضطرت الشركات الى تدريب مجموعة من العمال المحليين على اعمال فينة أو شبه فنية اما لسد حاجتها المتزايدة أو لرخص اليد العاملية القائمة بهذه الاعمال مقارنة بالكلفة التي يمكن ان تتحملها لو جلبتهم من الخارج وهذه الاعمال الفنية كانت في معظمها خطيرة[١٢] .

اتاح المردود المالي من البترول للمجتمع بدء صناعات أخرى ساهمت بدورها في التغير الاجتماعي كما توسعت من جراء ذلك القاعدة التجارية ، فمن حيث النشاط المصرفي افتتح البنك

البريطاني للشرق الاوسط في اوائل الاربعينات في الكويت الا ان تطور انتاج النفط في الخمسينات شهد افتتاح مجموعة من البنوك ولم يقتصر ذلك على البنوك العالمية فقط وانما انشئت البنوك بتخصصاتها المختلفة العقارية والتجارية والصناعية والبنك المركزي وقد بلغت شبكة المصارف التجارية في الكويت في نهاية ١٩٧٤ حوالي ٨٤ فرعا بما فيها المراكز الرئيسية وبلغت الموجودات المحلية لهذه البنوك ٢٧٢,٥ مليون دينار في مارس ١٩٧٤ وكان ذلك بمعدل نمو خلال عام واحد بلغ ٦١٪ وان اتساع البنوك والقطاع المصرفي يشير الى ضخامة التحول الاقتصادي من خلال اهم قناة للتجارة والاقتصاد ومن ثم الصناعة كالأسمدة الكيماوية وحدث لها مجالا ارحب الا انها انحصرت في معظمها في صناعات وسيطة تحويلية وورش لتصليح السيارات والمعدات الأخرى ، لقد فتحت هذه الصناعات مجال عمل جديد للعمال المحليين كما انها جلبت عمالا من الخارج ، فقد احصت بعثة البنك الدولي عام ١٩٦٣ في الكويت ما مجموعه ٢٠٢ مؤسسة صناعية تتعاطى صناعة الرخام والبلاط والطوب والاثاث والتجارة والمشروبات الغازية ومستودعات التبريد . وما لبثت الصناعة في الكويت ان تقولبت بشكل اكثر علمية وازدادت عددا فأصبح هناك عام ١٩٧٠ ما مجموعه ٣٧٦ مؤسسة صناعية يعمل بها ١٧,٤٦٥ شخصا وموزعة تحت اقسام محددة منها صيد الاسماك وحفظها والمناجم والمحاجر والصناعات التحويلية وقسم الخدمات . كما نمت الصناعة التحويلية والوسيطة الى حد ما فقد شهد قطاع التجارة والمقاولات ازدهارا ضخما من حيث الكم والكيف فبعد مجموعة من الدكاكين التي تبيع الحاجات الضرورية للإنسان والتي كانت بسيطة ببساطة ذلك الإنسان الى الاسواق المركزية والمحلات المتعددة الطوابق والاقسام وبعض العمارات الشاهقة والمحلات التي تبيع مواد البناء التقليدية الى شركات الاستيراد والتصدير والمخازن الضخمة ، فقد كانت في الكويت مجموع الواردات عام ١٩٥٤ حوالي ثلاثين مليون دينار ارتفع الى مئة مليون دينار عام ١٩٦٣ ثم قفز الى ٢٦٢ مليون دينار عام ١٩٧٢ أي ان الواردات تضاعفت حوالي ثلاث مرات في الاعوام العشر الاولى ثم تضاعف الى اكثر من مرتين ونصف في الاعوام العشر الثانية ومن حيث مؤثر عدد العاملين في التجارة الجملة والمفرق نشاهد ارتفاعا كبيرا خلال سنوات التعداد فحيث بلغ عدد العاملين في قطاع التجارة في الكويت عام ١٩٦٧ حوالي ٦,٥٩٣ شخصا نجده قد قفز الى ٢٠,٧٠٦ عام ١٩٦٥ ثم ارتفع الى ٣٣,٠١٣ شخصا عام ١٩٧٠ ومن مجموع التوظيفات وعدد العاملين يمكن لنا ان نلاحظ بوضوح قفزات هذا القطاع ومركزه في الاقتصاد المحلي بالكويت ، كما نجد ان البترول قد غير في نوع وكمية الانشطة الاقتصادية التي تعاطتها أو استجدتها الفئات المختلفة من المجتمع لسد حاجته المتجددة ، الا ان مثل

هذه النشاطات لم تدخل المجتمع بالطريق السهل الميسور فالبنوك مثلا وخاصة وان اصحابها كانوا يحصلون على ارباح من الاموال كانت محط انتقاد مستمر من القوى المحافظة وان عدد من التجار كانوا يرفضون ان يضعوا اموالهم في البنوك بسبب هذه الارباح على الاموال أو انهم يرفضون قبول أي ربح على ايداعاتهم وحتى معاملاتهم التجارية والتي تتم عن طريق البنوك أو البيع بالأجل ويرفضون قبض ما ينتج من ربح على المال[١٣] .

لم تكن التجارة وخاصة المباشرة أي البيع والشراء من المهن المحببة لكثير من أبناء المجتمع وكانت تعتبرها بعض قطاعات المجتمع عارا اجتماعيا ومن ذلك يمكن تفسير حرص الحكومة ان تقنن رخص تعاطي التجارة والمهن الفنية والمهن الحرة على ارضها حيث فرضت قوانينها على ان يشارك كل صاحب تجارة أو مهنة فنية أو مهنة حرة من غير المواطنين مواطنا من أبناء البلد كي يشجع الآخرين على ممارسة ومعرفة هذه المهن وقبولها ومن خلال الاحصاء نلاحظ مدى قصور المواطن على الامتهان بهذه المهن لقد نجد في الكويت انه من ضمن الـ ٦,٥٩٣ شخصا الذين يتعاطون التجارة عام ١٩٥٧ كان هناك ٣,٧٦٤ غير كويتي اما في عام ١٩٦٥ فمن بين الـ ٢٠,٦٠٧ اشخاص الذين يتعاطون التجارة كان هناك ١٥,٢٨٤ من غير الكويتيين ومن هنا ظهرت ما يعرف بطبقة الممول في المجتمع الكويتي وهو الشخص غير الكويتي الذي يشارك الكويتي عمله ، اما القطاع الزراعي والصيد البحري فقد كانا من القطاعات التي نمت بعد اكتشاف البترول الا ان هذا النمو كان محدودا بسبب نقص المياه كما ان مردودها الاقتصادي محدود بالنسبة للنشاطات الأخرى فلم تلق الاقبال أو الاهتمام من القطاع الأهلي غير ان الحكومة اهتمت بتنمية الزراعة بشكل متفاوت وذلك بتوسيع المساحات الزراعية التجريبية وانشأت ادارة خاصة للزراعة في وزارة الاشغال العامة كما تعنى بزراعة الحدائق العامة وتروى هذه المزارع والحدائق في الكويت بماء "الصليبي" الذي لايصلح للاستخدام البشري كما تروى في المزارع الحكومية محطة التجارب الزراعية الابقار لإنتاج الألبان ويوجد في الكويت الآن عدد كبير من المزارع التجارية للأبقار ومزارع الدواجن وبالنسبة للأخيرة فأن الاستهلاك المتزايد دفع بعض المستثمرين لإنشاء شركة مساهمة لتربية الدواجن ولقد ارتفعت مساحات الاراضي الخاصة والحكومية المزروعة في الكويت من ٤,١٢٨ دونما عام ١٩٧٠ الى ٨,٢٦٨ دونما عام ١٩٧٢ ، وبدأ تحول صيد الاسماك من شباك ومساكر بدائية الى انشاء شركات كبيرة لصيد وتعليب الاسماك فبدأت "شركة اسماك الخليج" عملياتها عام ١٩٥٩ بمجموعة من السفن الصغيرة لصيد الجمبرى وما لبثت هذه الشركة ان توسعت وانشأت شركة اخرى في

عام ١٩٦٧ هي "شركة الكويتية الوطنية لصيد الاسماك" ثم زادت عام ١٩٧٠ الى ثلاثة مؤسسات تعمل في مجال صيد الاسماك وحفظها ، ولاشك ان مجموع مجالات الاقتصاد الحديث افتتحت مجالات جديدة للعمالة أو وسعت هذه المجالات لابناء الكويت والقادمين اليه الا ان ابناء الكويت لايزالون قاصرين في الاعم عن استيعاب الخبرة التكنولوجية في كل هذه المجالات أو غير متاح لهم استيعابها ولذلك فأن أي تطور اقتصادي في المستقبل يجب ان يأخذ بالحسبان تدريب الايدى العاملية الكويتية في هذه المجالات .

رابعا : الحياة الفكرية

شهدت المرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة للعامل الاقتصادي بأكتشاف البترول الى اكساب هذه المرحلة من الملامح التي تشير الى نضج الحركة الفكرية اذ توفرت فيها عوامل النضوج التي كان من سماتها :

١ - الازدياد المستمر في عدد المدارس والمتعلمين والدراسات العليا .

٢ - ظهور الاندية الادبية والثقافية التى كانت تصدر عنها مجلات أو صحف تنطق بأسمها وقد برز من بين رجال هذه الاندية بعض الادباء والشعراء الذين هم عماد هذا النضج الفكري ومصدر قوته .

٣ - زيادة الاهتمام بالمكتبات العامة وتوفير المراجع اللازمة لها .

٤ - الدعوة لعقد مؤتمرات ثقافية في الكويت وذلك بدعوة بعض كبار رجال الفكر والثقافة وقد جرت العادة على طبع تلك المحاضرات عقب انتهاء كل موسم ثقافي .

٥ - الوعي الصحفي الناجم عن صدور العديد من المجلات والصحف الكويتية(١٥) .

نتاج التعليم والتغير الاجتماعي اثرا على الثقافة فأحدث تغيرات شتى منها الأصيل الذي عبر عن روح المجتمع الجديد في صدمة مع التقليد والجمود والموروث القديم ومنهاما هو سطحي استفاد من ظاهرة الاستهلاك السلعي كي يسحبها على الاستهلاك الثقافي فأصبح بجانب الانتاج الثقافي التقليدي والشعر الفصيح أو العامي اشكال من التعبير كالقصة القصيرة والرواية والمسرحية والكتابات الاجتماعية والاقتصادية كما تطورت حركة مسرحية وثقافية عامة ونشأت روابط الادباء والكتاب المثقفين وتعددت الدراسات الجامعية العليا الا ان ما يميز مرحلة الستينات

والسبعينات انتشار ثقافة الرمز الادبية كالقصة القصيرة والشعر والاغنية والى حد ما الرواية والمسرحية حيث ان الفكر بمعناه الحديث لم تتوفر له فرصة النمو ولم تكن له ارض خصبة ومن الصعب بالطبع وضع حد فاصل ودقيق في الثقافة الشاملة بين الفكر كنشاط عقلي متميز وبين الاهتمامات الأدبية ويمكن ان نصف جمهرة من الشعراء وكتاب القصة والنقاد الادبيين وحتى كتاب المسرح بأنهم متعاملون بالرمز وفي الوقت الذي نكاد لحصل فيه الا على بضعة اسماء ان وجدت نطلق عليها لقب مفكر ، لقد شح وجود المفكرين لاسباب موضوعية فكما زادت الثروة وأثرت عوامل التحديث في المجتمع زادت حدة الصراع ويمكن للأدباء في هذا الجو ان يعبروا بالرمز عن مشكلات مجتمعهم الا ان المفكر الذي يحتاج ان يقول رأيه مباشرة في شؤون وشجون المجتمع تضيق امامه فرص التحرك ويتقلص هذا الاطار الثقافي نتيجة لذلك وحتى الان لم تظهر في الكويت او اقطار مجلس التعاون الخليجي مذاهب فكرية واضحة يقودها مفكرون مبدعون ولا حتى مفكرون ذوو توكيلات فردية ان صح التعبير ، هذا النوع من النشاط الفكري أو الفكر يحتاج الى ارض صالحة ينبت فيها ولم تتوفر هذه الارض حتى الآن في منطقتنا ولقد تلازم ذلك مع تضييق شديد للرقابة البيروقراطية على الثقافة بأشكالها المختلفة خاصة الفكرية اصبح الرقيب اقرب الى المنع منه الى السماح للنتاج الثقافي الفكري ذي المنشأ الداخلي أو الخارجي ،اما وسائل الاعلام لاتقوم فقط بإنعاش ونشر الثقافة التقليدية ولكنها ايضا تحمل بذور ثقافية خاصة بها ، وقد أثر عاملان اساسيان في زيادة قدرة التلفزيون في المجتمع على التأثير اولهما نسبة الامية بين السكان وايضاً نسبة الأمية الثقافية بين المتعلمين برغم ازدياد نسبتهم باضطراد . وكذلك طبيعة الحياة الحديثة التى وفرها النفط والجو الاجتماعي العام حيث يعتبر التلفزيون وسيلة ترويح اساسية مع وجود وقت فراغ وفي احصائية اولية حول نسب البرامج المذاعة لعام ١٩٧٩ نجد ان متوسط نسبة البرامج كالآتي : الثقافة تصل الى ١٦,٦٨٪ المنوعة ١٣,٧٦٪ الرياضة ٢٠,٤٩٪ الافلام ١٢,٠٣٪ الاطفال والاسرة ١١,٧٢٪ البرامج الدينية ٦,٩٢٪ ونجد نسبة المسلسلات الاجنبية ١٥,٢٪ والعربية والمحلية ١١,١٨٪ ، ويتعامل التلفزيون مع وكلاء توريد الأشرطة التلفزيونية من كل نوع من النوع البرامج ويكاد هؤلاء الوكلاء القليلون ان يحتكرون فيما بينهم توريد البرامج وفرض اذواق معينة على الجمهور ويساعد التلفزيون رغم كل المحاولات التي تجرى لضبط برامجه على اشاعة الثقافة الاستهلاكية بطريق مباشر أو غير مباشر(١٦) .

لايقتصر الغزو الثقافي من خلال جهاز التلفاز على منطقتنا وتعمد شركات الانتاج التلفزيوني في امريكا الى بيع برامجها حتى بأقل من اسعار التكلفة الى الخارج لأنها تكون قد حصلت على ارباحها من البيع الاول في السوق الامريكية وهذا بحد ذاته يعطل من محاولات الانتاج المحلية ويفقدها المنافسة كل ذلك من اجل تسويق نمط الحياة الامريكية وان المثقفين المتعلمين أكثر استهلاك للبرامج الامريكية والغربية على السواء من غيرهم من غير المتعلمين والمثقفين مما يعني وجود ارتباط طردي بين التعليم الغربي والاعلام الغربي ولقد اصبح الاتصال الجماهيري في العالم يخضع لصناع ضخمة تسمى الصناعة الثقافية تملكها شركات متعددة الجنسية في ثقافة تسيطر عليها التكنولوجيا المتقدمة وخاصة بعد ثورة "الاقمار الصناعية" و "الانترنت" التي لاتعترف بالرقابة أو المنع وتدخل في جميع الاماكن وتأتي من جميع الامكان بمختلف التيارات الثقافيةوالفكرية مما يفرض علينا تحدي كبير علما انه لايمكن الوقوف في وجه وانما التفكير في كيفية التعامل معه بأسلوب حضاري من خلال مقوماتنا الثقافية العربية الإسلامية وبالتالي استخدام تلك الوسائل من اجل تأهيل الثقافة العربية الإسلامية لا استغرابها .

نستطيع ان نلاحظ من استعراضنا للحياة الثقافية والفكرية ان معطيات تطوير الثقافة واحدة كما ان معطيات تعويقها واحدة ففي الوقت الذي نشهد فيها انبثاق مؤسسات ثقافية موحدة اعلامية وتربوية تدخلت اكثر من أي وقت مضى في مرحلة "ثقافة شرق الجزيرة العربية" ان صح التعبير أو ثقافة عربية إسلامية انسانية نجد ان الصعوبات تكبر بازدياد حجم الطموح فغلبة الروح الاستهلاكية تقودنا الى سطحية ثقافية ففي مجتمع ما قبل النفط كان الفن والرقص والفكر والادب وطرائف الحياة كلها مرتبطة بالحياة نفسها ولم يكن يبدعها فنان متخصص وانا هي احتياج الحياة ذاتها وكان المنتج الثقافي متواكبا مع البيئة معبرا عنها تظهر فيه صورة الحرمان المادي والمعنوي كما تظهر فيه الاشواق الى حياة افضل وعندما جاء المجتمع الجديد اختلط الاغتراب الثقافي بالجهد الأصيل المبذول لانماء الثقافة فأصبحت صورة الثقافة على شاكلة المجتمع ، لقد ساعدت وسائل الاعلام والاتصال الحديثة على تزييف الثقافة كما ساعد تفريغ التعليم من محتواه على تسطيحها لقد اصبحت ظاهرة الاغاني الهابطة والمسلسلات الرديئة تقف جنبا إلى جنب مع ظاهرة "البترو - دكتوراه" وتراكمت على بذور الثقافة الابداعية الناشئة اتربة الادعاء فاختلط الحابل بالنابل لقد تزايد الاغتراب الثقافي ومنها الازدواجية بين النظرة المتخلفة الى الدين والاضطرار الى مسايرة العلم

والعلمانية ، الازدواجية بين القيم الموروثة والقيم العصرية التي تلح على الناس من خلال اجهزة الاعلام والسياحة والاختلاط بالاجانب مما يخلق تمزقا في الشخصية المحلية(١٧) .

اصبح ايثار كل ما هو سهل وغير معقد والابتعاد عن المجردات والجهد العقلي وتفضيل القيم المادية على القيم العقلية سمة من سمات التمزق الثقافي وهناك تياران في اطار الثقافة الاول يتجه نحو الفكر المفتوح ذي التوجهات الإنسانية والذي يعتمد العلمية في تحليل مشكلات المجتمع ضمن هذا الاطار يدخل الأخلاقيون والجذريون والمتدينون المتنورون والتيار الثاني يوصف "بالغلاة" والتطرف وهو فكر جامد يتوجه الى النصوص بشكل مفرط يتبنى المعاملات قبل العقيدة وجوهرها السمح تأخذ الامور الثانوية دون الاركان أي تأخذ تفاصيل الاهتمام بالملابس واللحية والصور والأغاني حلال أم حرام وتترك الزكاة والشورى وبيعة الامام بالانتخاب المباشر والمأزق الذي يقع فيه هذا النوع من الفكر المتطرف هو انه كلما ازداد تمسكا بالنصوص على ظاهرها ضعفت قدرته على مسايرة العصر وكلما ساير العصر انكمش المجال الذي يمكن ان تطبق عليه النصوص ولهذا نجد ان الثقافة والفكر اليوم تتجاذبها تيارات متعددة وهي انعكاس للساحة العربية ولا زالت الثقافة بعيدة عن التأثير في الواقع وهناك محاولات جادة من المجتمع تقاوم التعسف البيروقراطي الرقابي أو الوقوع في اطار الثقافة السطحية كما تقاوم الانخراط في نموذج ثقافي موحد يحل من خلال الصناعة الثقافية العالمية وان الاستقلال لايكتمل الا بثقافة ديمقراطية وهي وسيلة الإنسان للتعبير عن نفسه والتعرف على ذاته واعادة صياغته كمشروع متكامل في اطار الثقافة العربية الإسلامية الإنسانية(١٨) .

خامسا : السياسة الخارجية ومستقبل النظام السياسي

ترتبط سياسة الكويت الخارجية باستقلالها في ١٩٦١/٦/١٩ عندما الغت اتفاقية الحماية مع بريطانيا وبدأت الكويت تساهم في اعمال الجامعة العربية والامم المتحدة ويتكون تنظيم وزارة الخارجية من اثنتا عشرة ادارة مختلفة مقسمة حسب التوزيع الجغرافي أو الموضوعي ولسياسة الكويت الخارجية اهداف اساسية عامة تنطلق من خصائص الامن السياسي والعسكري والمبادىء والقيم وهي حماية المصالح العربية والقيم الإسلامية ومفهوم العدالة بمعنى ان رسالة الدولة في اسهام فائض الدولة مع الدول العربية ودول العالم الثالث والاقل ثراء ومهمة النظام السياسي هي استثمار عوائد البلاد المالية وتعنى هذه الاهداف استمرار قوة وتماسك الدولة من خلال ضمان وحدة البلاد واستقرارها الأمني وبقاء الكويت خارج الصراعات العربية والحفاظ على الذات الكويتية والتجانس الداخلي من خلال استيعاب الاختلافات والتناقضات المحلية ، وان مبادىء

القومية العربية تقود وتؤثر في سياسة الكويت ومعيار المصالح العربية هـو احـدى خصـائص سياسـة الكويت الخارجية كما اخذ البعد الإسلامي منحى جديد في توجهات الكويت الخارجية وذلك عند تبني شريعة الإسلام ومبادئه في الاخاء والعدالة والتعاضد بين المسلمين ، وتلعب الكويت دورا نشطا مع العالم الخارجي وتتسم سياستها الخارجية مـع قدرتهـا لمواجهـة التحديـات بقـدر مـن المسـؤولية الاخلاقية والإنسانية مع ان امكانيات الدولة والقدرات السياسية تتخطى قدرات العديد من الـدول في حجم الكويت أو حتى اكبر منها وان سياسة الكويت ليست سياسة ذاتية المنبع أو التأثير بل هي خارجية التأثير والتوجه وان البيئة الخارجية تشكل تأثير اعظم من الداخل أي من العوامل الخارجيـة تعبيء وتبلور التوتـرات الداخليـة ، وان مركزيـة السياسـة الخارجيـة تنعكـس في السـلطة التنفيذيـة والمتمثلة في وزارة الخارجية أو حتى بشخصية الوزير فهي التي تحدد هذه السياسة وتقوم بتنفيذها اما دور الأجهزة الموازية كالسلطة التشريعية وغيرها فجانبي وثانوي جدا وربما لايزيـد هـذا الـدور عـن سلطة المراقبة والاشراف وتعتبر تصرفات السلطة الشـعبية ودور اجهزتهـا محـدودة في بلـورة ضغـط شعبي أو خلق رأي عام ضاغط وتؤثر بعض الجماعـات مـن منطلـق تـاريخي مثـل التجـار والقـوى الوطنية المتمثلة في القوميين العرب ، اضافة الى قـدرات الكويـت الفرديـة للدفـاع عـن نفسـها ضـد التهديدات الخارجية محـدودة نسـبيا ان لم تكـن معدومـة ولهـذا فأنهـا تحتـاج دائمـا الى المسـاعدات الخارجية وقوة لحماية ترابها ونظامها كما حدث من اعتداءات على الكويت من القوى المجـاورة لهـا سابقا وحاضراً ، وان مصدر استمرارية الكويت الى دورهـا الفكـري والاعلامـي وتحييـد الخصـوم وايجاد الاصدقاء والكويت تمتلك قاعدة سياسية عالمية من خـلال بنـاء علاقـات سياسـية واقتصاديـة متوازنة مع اكثر من مائة دولة وان التحديات الخارجيـة الـتي واجهتهـا سـواء مـن العـراق او ايـران تركـت بصماتهـا علـى سياسـة الكويـت وادت الى راديكاليـة تقليديـة في سياسـتها علـى الجبهـتين الداخلية والخارجية وتفاعلات الاحتلال العراقي مازالت في عملة تطور دائمة[١٩] .

يتضح من ذلك انه لايمكن عزل السياسية الخارجية نفسها عن العالم الخارجي ودورها ينبغي ان يتلاءم مع قوتها الفعلية وعليها ان تحتفظ بعلاقات جيدة مع جيرانهـا المباشـرين علـى الايزيـد ذلـك على حسن الجوار والاحترام ، يجب تطوير ودعم الهيكل الداخلي وموازرة الجمعيات شبه الحكوميـة والاستفادة من الخـبرات العلميـة والموسسـات البحثيـة الاسـتراتيجية المحليـة والتـأكيد علـى توسـيع الممارسة الديمقراطيـة الشـعبية بحيـث تعمـل كعـامل مسـاند للنظـام السياسـي والتصـدي للضغـوط الخارجية ، تعظيم وتطوير دور التكـامل السياسـي والاقتصـادي والأمـن الجمـاعي مـع دول مجلـس

التعاون الخليجي للوصول الى اتحاد فيدرالي وهذا هو افضل الوسائل في عالم متقلب ومتغير وخاصة مع المتغيرات المعاصرة في النظام الدولي حيث تبرز الحاجة للدول الصغيرة الى حماية مصالحها عن تشكيل كيانات موحدة كبيرة قادرة على حماية نفسها وردع المعتدين ويمكن للمجالس النيابية في دول مجلس التعاون ان تقوم بدور موازر في هذا المجال . وان النظام السياسي في الكويت ليس كاملا وهنا العديد من اوجه النقص التي تحتاج الى التطوير والتغير ولما كانت السياسة والحكم في النظام الديمقراطي يتطلبان التقييم والمراجعة والتطوير المستمر اذا اردنا ان تكون الديمقراطية ديناميكية برزت الحاجة ملحة لمراجعة وتقييم بعض الممارسات وحتى المؤسسات كي تواكب حاجات ومتطلبات المجتمع البشري المتغيرة وان ما هو مناسب لعصر ما قد لايكون مناسبا لعهود واوقات أخرى وكل ما هو جديد ومتطور يحتاج الى الاختراع والتطبيق وحتى التطوير الذاتي واهم التحديات التي تواجه الديمقراطيات الإنسانية هو دور المواطن في هذه المجتمعات الذي يسأل ويستفسر دائما عن ظاهرة الديمقراطية وخاصة اذا علمنا ان الديمقراطية الحقيقية ليست سهلة للإدارة وتحتاج الى عمق ثقافي وارث حضاري ، وكان لتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والاستقرار السياسي والتسامح الاجتماعي سببا في جعل الكويت مأوى للعديد من هجرات الجوار الجغرافي مما ادى الى ظهور نمط واساس جديد في الكويت لادارة الحكم اعتمد اساسا على الاقناع والتعاقد السلمي بين الحاكم والمحكوم أصبح مع الزمن رابطا لايمكن التنصل منه خاليا من اراقة الدماء واستخدام العنف والقوة وقد اهلها هذا الاسلوب لايجاد نظام يعتمد على استمزاج الآراء والشورى سواء في اختيار الحاكم للكويت او ايجاد قنوات التعبير الشعبي عن الرغبات العامة وتأتي هذه الاركان المكملة له ان ابناء الكويت تعودوا على اسلوب المشاركة في اتخاذ القرارات السياسية وبخاصة في القرن العشرين سواء عن طريق مجالس تأسيسية أو استشارية معينة أو منتخبة وتقنن هذا النمط مع تطور الحياة المدنية بحيث ادى الى المشاركة الفعلية في وضع اطر وضوابط نظام السلطات الثلاث الجديد فأصبحت العقلية الكويتية متفتحة تنظر الى المشاركة في الحكم كأحد متطلبات الحياة المدنية العامة وليس كماليات الحياة الإنسانية لذلك فأن اية محاولة رسمية لتقييد الديمقراطية قد تكون عقيمة بالرغم من النجاح في التطبيق حيث ان ذلك مغاير لسلوك ابناء الكويت[٢٠] .

يجب تفعيل دور مجلس الامة كسلطة تشريعية ورقابية في النظام السياسي وإنجازاته على مدى اكثر من ثلاثين عاما من تطبيق نظام توزيع القوى والسلطات الدستورية اعطى خبرة سياسية وتشريعية كبيرة ليس على مستوى الكويت وانما على مستوى الجزيرة العربية ولهذا يجب استثمار

هذه الخبرة واعطاء دورا اكبر مع مراجعة شاملة حتى يتسنى لها القيام بالدور الاكمل في المرحلة القادمة وضرورة تحول مجلس الامة الى احد اعمدة النظام السياسي في الكويت ، كما يبرز ظاهرة المشاركة السياسية المؤسسية منذ بداية القرن العشرين من خلال المجالس الاستشارية والتشريعية ومن ثم المجالس المنتخبة منذ استقلال الكويت عام ١٩٦١ والانتخابات العامة المباشرة منذ الستينات والتحديات والمواجهات بين السلطتين التنفيذية والتشريعة في التطبيق والممارسة العملية والعلاقات بين الفرعين والدور الايجابي الذي يجب ان يلعبه في صالح المواطن والبلد وان التدخل بين الحكم وادارة السلطة التنفيذية سواء من الناحية المؤسسية وهي سلطات الحاكم والحكومة التنفيذية والتشريعية أو من حيث النموذج التقليدي وقيم الولاء والترابط والتداخل الاجتماعي والعلاقات الأسرية قد مكنت الحكومة من الاستحواذ على ادوات ووسائل التأثير المختلفة مما جعلها الجانب الأقوى في صنع القرار واتخاذ القرارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها ، ويمكننا ان نرى بأن الكويت دولة ذات تاريخ متميز ونظام سياسي مستقل ومؤسسات سياسية مستقرة وتعتبر من اكثر دول المشرق العربي تقدما وترسيخا للمكاسب والمؤشرات الديمقراطية وهذه العراقة السياسية منحتها ميراثا تاريخيا مميزا فلديها أعرق دستور مكتوب ودائم في الجزيرة العربية وتمتلك تجربة ثرية في الانتخابات العامة منذ عام ١٩٦٤ ومرت الكويت بتجارب المشاركة السياسية قبل الاستقلال منذ المجلس الاستشاري عام ١٩٢١ ثم عام ١٩٣٨ وقد سهل هذا على الكويت التأقلم مع النموذج الجديد بعد الاستقلال كما ان نظام الحكم نفسه مقسم من الناحية النظرية الى ثلاث سلطات تنفيذية وتشريعية وقضائية مستقلة ومعاونة في الوقت نفسه والتقسيم الدستوري هذا يعادل افضل نظم الحكم المعاصرة في العالم الثالث كما اصبح مجلس الامة الكويتي واخباره والمداولات التي تتم فيه من المؤسسات السياسية ذات الأهمية المتميزة في منطقة الخليج والجزيرة العربية والوطن العربي كما ان الكويت تمتلك قاعدة مؤسسات المجتمع المدني من حيث وجود الديوانيات أو المجالس والتي تقدر بالمئات وتعتبر تراثا غير نظامي لجس النبض السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمواطنين وحلقة وصل بين المواطنين وصناع القرار السياسي وان جمعيات النفع العام تشكل بدورها جماعات شبه ضاغطة ومؤثرة ومنظمة وتكمل مقومات المجتمع المدني ومع منتصف عام ١٩٩٤ كان هناك (٥٤) جمعية نفع عام اهلية متخصصة في مجالات مختلفة تضم ٢٩,١٩٤ عضواء بنسبة ٥,٨٪ من السكان الكويتيين حيث انه بين كل (١٧) مواطنا عضوا واحدا منضم لإحدى الجمعيات الاهلية وهذه احد الاساليب غير المباشرة للتأثير التعددي الشعبي في صنع القرار والانفتاح الديمقراطي وتعميق الثقافة المدنية ، وتعد الديوانيات والجمعيات والمؤسسات الشعبية وشبه الرسمية

مكملة لدور الشعب وتعبر عن اراء اعضائها ومؤيديها ولايمكن التقليل من دورها في التثقيف والوعي السياسي والاجتماعي وتهتم هذه الجمعيات وخاصة جمعيات النفع العام بمجالات متعددة سواء اكانت مهنية ام تخصصية تؤثر بدورها في صنع القرار السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي اما في العمل كعامل ضغط أو "لوبي" غير منظم في صالح اعضائه أو منتسبيه أو القضايا العامة وتخدم كعنصر ضغط أو رقابة على السلطة التنفيذية أو التشريعية وتكون اداة في بلورة وتعبئة الرأي العام وهذه الجمعيات في نهاية الامر احد روافد الديمقراطية فهي تدرب المواطن على المشاركة والحس الديمقراطي وتحقق التنوع الشعبي وتعزز اسس الديمقراطية وتغذي جذورها[٢١] .

تعتبر الكويت اقرب دول المنطقة الى نماذج الحكم الديمقراطي الغربي باطار عربي مع الاحتفاظ بالقيم المحلية والاطر التقليدية الخاصة بالجزيرة العربية في ظل غياب الاحزاب السياسية التي قد لاتكون مجدية في المرحلة الحالية نظرا لعدم توفر المتطلبات الاساسية واهمها النضج السياسي والتسامح الاجتماعي والتصالح المدني والمتغيرات الاقليمية المقيدة ولكنها ضرورية في المستقبل وديمومة نمط الاحزاب تحتاج الى دعم شعبي ورسمي متواصل واجمالا فأن هذه الانشطة السياسية المتعددة على مستوى الانفتاح الداخلي أو المكتسبات الديمقراطية والسياسة الخارجية تعطى الكويت سمعة ومكانة اقليمية ودولية متميزة تجعلها في مصاف الدول المتقدمة وعلى الرغم من هذه الانجازات فأن الكويت تواجه تحديات كثيرة وقد تستمر بعضها لفترة في المستقبل البعيد والقريب مثل تحدى الامن والبقاء في المثلث الحرج واثبات الذات والحق والوجود وقد جسدت محنة الغزو العراقي للكويت ١٩٩٠ معضلة البقاء في وجه ادعاءات متكررة ومرسخة في الذهنية العراقية بحق العراق في الكويت وكذلك عدم رضا دول الجوار عن اسلوب وطريقة الحكم وحتى النظام الاجتماعي "المتسيب" ويخشى ان تكون تحديات البقاء في فترة ما بعد التحرير موازية ان لم تزد عن معوقات الوجود قبل الغزو وان الفصول القادمة قد تكون قاتمة حقا اضافة الى تكوين ولاء وطني وتعميق الحس الوطني ازاء الولاءات الهامشية بهدف تجاوز انانية الطائفية والقبلية وتمر معضلة الولاء الوطني بمخاض سياسي قد يطول نظرا لعدم قدرة الحكومة والمجتمع على استيعاب التحديات المختلفة ومواجهتها ، والتحدى الآخر هو تقنين نظام معاصر ومتطور في مجتمع مدني في طور النمو قد لايقدر ولا يستوعب معنى ومدلول الديمقراطية الحقة ويحتاج لاعوام وتجارب عديدة حتى تترسخ فيها اصول الديمقراطية فالكويت مجتمع مدني وذو ثقافة وفكر متطور وبرغم من مدنية وحداثة مؤسسات الدولة فأنها لم تصل بعد الى مرحلة الرشد السياسي الكامل وتظل الكويت بسيطة

وعشائرية احيانا في اسلوب الحكم وميكانيكية اتخاذ القرارات وتحتاج الى ترشيد وترسيخ المؤسسات السياسية وانه في ظل توزيع السلطات العامة تظل الحكومة السلطة المهيمنة والمسيطرة ذات النفوذ لذلك تحتاج التجربة الديمقراطية الى فترة طويلة من الممارسة الفعلية كي تنضج وتقطف ثمارها وتصبح جزءا من المجتمع السياسي المتطور المنشود اضافة الى تطوير اجهزة الحكم ومؤسسات لمواكبه التطور الفكري والثقافي لتلبية حاجات المجتمع المستمر وتأكيد التوزيع الدستوري والعملي للسلطات العامة وفي الوقت نفسه فأن قلة الانجازات الديمقراطية قد تؤدي الى احباط المواطنين ومن ثم قد تؤدي الى انعدام الثقة الشعبية بالعملية السياسية وخاصة دور مجلس الأمة كمؤسسة رقابية عامة ، ولهذا فأن تعميق الديمقراطية قد لاتتم بالاسلوب المؤسسي ومن خلال مجلس الامة فقط ولكن قد يحتاج الامر الى التثقيف السياسي والتنشئة والتعبئة السياسية الدائمة من خلال التربية والتعليم والاعلام والصحافة وحتى الديوانيات التي تعلب الدور غير المنظم كمدخلات تؤثر على قرارات النظام السياسي وما مجلس الامة الا احدى الادوات المؤسسية لتعميق وترسيخ الديمقراطية وعلينا ان نعي ان وجود مجلس الأمة ليس من قبيل الترف السياسي وانما احدى ثوابت المجتمع المدني الديمقراطي في المجتمعات الحديثة ومنها الكويت وعلى جميع ابناء الكويت الاهتمام بالديمقراطية ورعايتها لأنها تؤدي الى الاستقرار السياسي وهذا يؤدي الى التطور الاقتصادي والاجتماعي واستتباب الامن(٢٢) .

الهوامش :

١ - د. أحمد مصطفى أبو حاكمة - المرجع السابق صـ ٢٧٥ .

٢ - د. ميمونة الخليفة الصباح - المرجع السابق صـ ٤١١ .

٣ - د. ميمونة الخليفة الصباح - نفس المرجع صـ ٤١٥ .

٤ - د. خلدون خلف النقيب - صراع القبيلة والديمقراطية حالة الكويت - دار الساقي - الكويت ١٩٩٦ صـ ٣٦ .

٥ - د. خلدون خلف النقيب - نفس المرجع صـ ٣٧ .

٦ - د. حسن قايد الصبيحي - المرجع السابق صـ ١٢٤ .

٧ - د. حسن قايد الصبيحي - نفس المرجع صـ ١٣٢ .

٨ - د. حسن قايد الصبيحي - نفس المرجع صـ ١٤٦ .

٩ - د. حسن قايد الصبيحي - نفس المرجع صـ ١٤٩ .

١٠ - د. صلاح العقاد - التيارات السياسية في الخليج العربي - مكتبة الانجلو - مصرية القاهرة ١٩٦٥ صـ ٣٠٠ .

١١ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - تاريخ الكويت الاقتصادي الاجتماعي صـ ٣٩٤ .

١٢ - د. محمد غانم الرميحي - البترول والتغير الاجتماعي في الخليج العربي - دار الجديد - بيروت ١٩٩٥ صـ ٧٠ .

١٣ - د. محمد غانم الرميحي - نفس المرجع صـ ٧٧ .

١٤ - د. محمد غانم الرميحي - نفس المرجع صـ ٨٥ .

١٥ - د. بدر الدين عباس الخصوصي - المرجع السابق صـ ٧٨ .

١٦ - د. محمد الرميحي - الخليج ليس فقط - صـ ٢٢٠ .

١٧ - د. محمد غانم الرحمي - نفس المرجع صـ ٢٢٦ .

١٨ - د. محمد غانم الرميحي - نفس المرجع صـ ١٢٧ .

١٩ - د. عبدالرضا علي اسيري - النظام السياسي في الكويت صـ ٣٧٩

٢٠ - د. عبدالرضا علي اسيري - نفس المرجع صـ ٣٥١ .

٢١ - د. عبدالرضا علي اسيري - نفس المرجع صـ ٣٥١ .

٢٢ - د. عبدالرضا علي اسيري - نفس المرجع صـ ٣٥٧ .

الفصل السادس

التطور التاريخي للمطامع العراقية واحتلالها للكويت

* جذور المطامع العراقية في الكويت

- دوافع ادعاءات عبدالكريم قاسم .

- جمال عبدالناصر وازمة الكويت .

* العدوان العراقي على الكويت

- خلفيات العدوان العراقي .

- اسباب العدوان العراقي على الكويت .

- سياسية العدوان العراقي فى الكويت .

- حدود الكويت مع العراق حقائق تاريخية .

- اتفاقية الانجلو – عثمانية والحدود الكويتية لعام ١٩١٣ .

- حرب تحرير الكويت .

التطور التاريخي للمطامع العراقية واحتلالها للكويت

جذور المطامع العراقية في الكويت

ترجع المطامع العراقية ومطالبه بضم الكويت منذ حصوله الاستقلال عن بريطانيا وتزايد مع احداث المجلس التشريعي الكويتي الاول عام ١٩٣٨ حيث انشأ العراق "اذاعة الزهور" وتسخيره للدعاية لإلحاق الكويت بالعراق ، وقد اعلن السفير البريطاني في بغداد عن تخوفه من مطالب الملك غازي بضم الكويت عندما ارسل برقية الى حكومته جاء فيها "ان تسيب الملك غازي بوجه عام قد اصبح جسيما في العهد الجديد وعلى الأخص اذاعته اللاسلكية الموجودة في القصر والتي كانت منذ امد طويل مصدر للمتاعب ولكنها اصبحت مؤخرا مؤذية في لهجتها خاصة تجاه شيخ الكويت الذي وقف الى جانب الحكومة البريطانية والذي كانت له صلات وثيقة بها وان الاتجاه الذي اتخذته الاذاعة نحوه في نعته بالاقطاعي البالي المستبد وان حكمه رجعي يتعارض مع النظام المستنير القائم في العراق يعني ضمنا ان من الخير للكويت ان تندمج مع جارتها الشمالية" .

نلاحظ من رأي السفير البريطاني بأن حكومته لم تكن تشعر بالراحة ازاء الادعاءات العراقية وخاصة تصرفات الملك غازي واطماعه في ضم الكويت الى مملكته وفي فبراير ١٩٣٩ استدعى الملك غازي في نصف الليل رئيس اركان الجيش العراقي الفريق حسين فوزي وكلفه بغزو الكويت كما اتصل الملك غازي بمتصرف لواء البصرة وأمره ان يضع كافة الامكانيات الادارية تحت تصرف الجيش لغزو الكويت حالا ولما اصبح الصباح دعى نائب رئيس الوزراء ناجي شوكت الى البلاط الملكي فوجد رئيس اركان الجيش ورئيس الديوان الملكي وغيرها وبعدها دخلوا على الملك غازي واقنعوه بأنه من الصعب ضم الكويت نظرا لوقوعه تحت الحماية البريطانية وهكذا استطاع ناجي شوكت ورفاقه ان يصرف الملك غازي عن تفكيره العاجل بغزو الكويت وظلت قضية ضم الكويت الى العراق تراود الملك غازي حتى يوم وفاته في حادث سيارة مساء الثلاثاء ١٩٣٩/٤/٤ ، وبعد اعلان الوحدة بين مصر وسوريا في فبراير ١٩٥٨ وكرد فعل على ذلك جاء انشاء الاتحاد العربي بين العراق والاردن في ١٩٥٨/٢/١٤ اتفق الطرفان على ان يبقى هذا الاتحاد مفتوحا للدول العربية التي ترغب الانضمام اليه وان تحتفظ كل من الدولتين بشخصيتها الدولية المستقلة وبسيادتها على ارضها ، وكان نوري السعيد حريصا بشدة على ضم الكويت الى الاتحاد

العربي واتجهت نية الحكومتين العراقية والاردنية في بادىء الامر الى عقد معاهدة اخوة وتحالف بين الاتحاد والكويت على اساس الاعتراف باستقلال الكويت ونظام الحكم القائم فيها والتشاور في شؤون السياسية الخارجية وقيام الاتحاد بتمثيل الكويت خارجيا ودبلوماسيا وحماية مصالحها وقيامها بتنظيم القوات المسلحة وتدريب الضباط الكويتيين في المعاهد العسكرية والمساعد في صد أي عدوان يقع على أي عضو من اعضاء الاتحاد وتحقيق تعاون وثيق في شتى مجالات الادارة والقضاء والاقتصاد والتعليم وغيرها على ان تساهم الكويت بنسبة معينة في ميزانية الاتحاد ، وفي مارس ١٩٥٨ تم الاجتماع مع وزير الخارجية البريطاني في بغداد بهذا الشأن واقترح العراق بأستقلال الكويت وان يرفع اميرها الى رتبة ملك فرد عليهم الوزير البريطاني بأن المسألة تحتاج الى قرار على مستوى مجلس الوزراء البريطاني ، واثناء زيارة الشيخ عبدالله السالم لبغداد في ١٩٥٨/٣/١٠ عرض عليه نوري السعيد تلك الفكرة مع تحديد الحدود وتزويد الكويت بالمياه مقابل انضمام الكويت الى الاتحاد الا ان الشيخ عبدالله السالم بما عرف عنه من ذكاء لم يستجب لتلك الفكرة وابلغه بأنه سيزور القاهرة بعد عودة الرئيس جمال عبدالناصر من موسكو فازداد قلق نوري السعيد ، واستمرت محاولات العراق لضم الكويت الى الاتحاد العربي وقدم العراق مذكرة شديدة اللهجة تتضمن تلك الفكرة الى كل من امريكا وبريطانيا التي اعلنت رفض انضمام الكويت الى الاتحاد العربي ، ولتحقيق هذا الهدف سافر نوري السعيد الى بريطانيا في يونيو ١٩٥٨ لاقناع بريطانيا واتفق الطرفان لعقد اجتماع آخر في ١٩٥٨/٧/٢٠ لبحث جميع قضايا الاتحاد العربي بما فيها ضم الكويت وبعد انتهاء تلك المباحثات ادلى نوري السعيد بتصريح لصحيفة "التايمز" البريطانية قال فيه[1] :

"ان الاتحاد العراقي - الاردني يحتاج الى تقوية الآن وان المسألة ذات الاهمية القصوى هي تدبير نفقات الدفاع للأردن التي كانت تدفع في الماضي بواسطة المعونة الاجنبية وكذلك مسألة رفع مستوى المعيشة واضاف انه يتمنى ان يقوم أمير الكويت باتخاذ قرار بضم بلاده الى الاتحاد وانه يستطيع ان يعطي وعدا قاطعا بأن حقوق ادارة الكويت ستحفظ كاملة في ضوء مشروع دستور الاتحاد واذا انضمت اليه فأن بوسع ذلك زيادة سلامة الكويت وفي الوقت نفسه تكون مختارة في المساهمة بقدر من عوائدها لحاجيات الاتحاد" .

اجتمع بعد ذلك وزير خارجية بريطانيا بتوفيق السويدي وزير خارجية الاتحاد وابلغه ان بريطانيا توافق مبدئيا على فكرة انضمام الكويت بعد اعلان استقلالها الى الاتحاد العربي على ان

لدرس تفصيلات ذلك في اجتماع خاص يعقد في لندن في ١٩٥٨/٧/٢٤ ولكن بعد نهاية الاجتماع البريطاني – العراقي حول "موضوع انضمام الكويت" بأسبوعين تقريبا قام عبدالكريم قاسم السكرتير الخاص لنوري السعيد بانقلاب عسكري وبذلك لم يعقد الاجتماع العراقي – البريطاني في لندن والمتخصص لضم الكويت الى الاتحاد العربي العراقي – الأردني بل وفشل الاتحاد نفسه .

فور اعلان استقلال الكويت كان الرئيس جمال عبدالناصر في مقدمة المهنئين بهذا الاستقلال وفي اليوم التالي تلقى حاكم الكويت برقية من عبدالكريم قاسم تحمل بين سطورها تهديدا مبطنا يكشف عن نوايا العراق بضم الكويت وعدم اعترافه باتفاقية ١٨٩٩ وكذلك بالكويت وحاكمها وبتبعيتها للبصرة مما يعني بأنه لم يكن يقصد التهنئة بقدر ما يقصد النذير والتذكير بملابسات النزاع التاريخي بين الكويت والعراق وفيما يلي نص البرقية التي تلقاها الشيخ عبدالله السالم من عبدالكريم قاسم بتاريخ ١٩٦١/٦/٢٠ :

"سيادة الأخ الشيخ الجليل عبدالله السالم الصباح – الكويت

"علمت بسرور بأن الانكليز قد اعترفوا في يوم ١٩٦١/٦/١٩ بالغاء الاتفاقية المزورة غير الشرعية وغير المعترف بها دوليا والتي سموها اتفاقية ١٨٩٩ بعد ان عقدوها بالباطل مع الشيخ مبارك الصباح قائمقام الكويت التابع لولاية البصرة دون علم إخوته في الكويت ودون علم السلطات الشرعية في العراق آنذاك وقد سبق للشيخ حمود ان رفض التوقيع عليها أو تنفيذها الامر الذي اضطر الانكليز على تهيئة شهود الزور من عملائهم للتصديق على توقيعها وفعلا فقد وقع البريطاني "ويكهام هور" الرئيس في خدمة الطبابة الهندية مع العميل الممثل البريطاني في البحرين اغا محمد رحيم بصفتهما شاهدين على صحة توقيع شيخ الكويت الجليل فالحمد لله وحده ينقذ العالم من التبعية والاستعمار ومن جريمة الكفر بحق العرب والمسلمين وبحق الوطن وبحق إخوانكم في العراق وليكن ذلك درسا لإخواننا العرب في كل مكان وحذار من دسائس الانكليز المستعمرين ومكائدهم لتفرقة الصفوف داخل الوطن وبين الاشقاء ليضمنوا بقاءهم من وراء الستار يتلاعبون بمصالح العرب والمسلمين وبقاء سيطرة الاستعمار واعوانه على اوطاننا ونذكر لكم بأننا سنبقى ونحن اخوانكم في الجمهورية العراقية الخالدة لاتنطلي علينا خدعة الاستعمار وسنظل نعمل بقوة وعزم لنصرة العرب والمسلمين والنصر من عند الله .

وختاما فإننا نرجو لشخصكم الكريم بالذات ولإخواننا الكرام لعل الكويت الشقيق كل خير وتقدم ورفاه . عبدالكريم قاسم .

اعلن عبدالكريم قاسم بعد خمسة ايام فقط من تاريخ هذه البرقية ضم الكويت الى العراق وهاجم اتفاقية ١٩ يونيو ١٩٦١ وقال : "ان من يقوم بعقد اتفاقيات عن الكويت هي الجمهورية العراقية لاغيرها" . واستطرد يقول " أحب ان انبهكم الى ان النية كانت متجهة قبل مدة الى دخول الكويت في الكومنولث البريطاني الا ان استعلاماتنا ، استعلامات الحق التى تراعي مصلحة الجمهورية العراقية وتراعى مصلحة العرب وتتعقب الاستعمار كشفت ذلك في الوقت المناسب وضربت هذه الفكرة الشائنة من قبل اهل الكويت فتخطوا خطوة أخرى وهي التي يريدون بها ازالة الاستعمار بصورة صورية وبخديعة وغش ليثبتوا الاستعمار بصورة أخرى ان الدولة التي تتأثر من بقاء اوكار الاستعمار في هذه المنطقة بصورة خاصة هي الجمهورية العراقية لذلك قررت حكومة الجمهورية العراقية اعتبارا من تاريخ الاعتراف بعدم شرعية الاتفاقية المزيفة ان لايحق لأي فرد سواء كان في الكويت أو خارج الكويت مهما كانت أوضاعهم ومراكزهم ومناصبهم ان تتحكم بشعب الكويت فشعب الكويت من الشعب العراقي والشعب العراقي بالذات إن الجمهورية العراقية قررت حماية الشعب العراقي في الكويت والمطالبة بجميع الأرض التي تعسف بها الاستعمار والتابعة لقضاء الكويت والمرتبط بلواء البصرة بكامل حدوده دون الاستعداد للتخلى عن شبر واحد من تلك الأرض وعندما نقول ذلك فأن باستطاعتنا تنفيذ ذلك وعليه فإننا سوف نصدر المرسوم الجمهوري بتعيين شيخ الكويت الجليل الحالي قائمقام لقضاء الكويت يكون تابعا للواء البصرة وسوف ننذر هذا الشيخ بعدم التعسف بحق شعب الكويت الذي هو حق الشعب العراقي نفسه وان اساء التصرف فسيلقى العقاب الصارم ويحسب بعداد المتمردين" .

وأضاف عبدالكريم قاسم قائلا :

"انني اعتقد ان شيخ الكويت الجليل لايقف حجر عثرة في مسيرة العرب الظافرة وفي سبيل رفاه الشعب العراقي بكامله من الشمال ، شمال زاخو الى جنوب الكويت ومن الشرق والغرب واتجه قاسم بحديثه الى الصحفيين وقال لهم :

"لكم ملء الحرية ان تعلنوا بأن الجمهورية العراقية تمتد حدودها حتى جنوب الكويت ومن يقف حجر عثرة في سبيل جمع الشعب العراقي بكامله وتمتعه بالسيادة والحرية والاستقلال فهو الخائن الخاسر الخارج على حق الشعب العربي وعلى حق اخوانه في العراق وان زمن المشيخات قد

انقضى وباد اما ان الاستعمار البريطاني يريد اقامة اتحاد مزيف لضرب الجمهورية العراقية فقد فاته السبيل اننا في يوم الغد سنسلم مذكراتنا الى كافة الدول العالمية والى كافة الدول العربية بأن الكويت هو جزء لايتجزء من العراق" ثم قال عبدالكريم قاسم مختتم حديثه : "ان الجمهورية العراقية تمتد حدودها من الشمال حتى جنوب الكويت اننا لا نتخلى عن حدودنا قيد شعرة" .

دوافع ادعاءات عبدالكريم قاسم

اختلفت الاراء حول تفسير هذه الخطوة المفاجئة وفي هذا الوقت من جانب عبدالكريم قاسم وقد ذكرت وكالة "اليونايتدبرس" في برقية لها من لندن بتاريخ ١٩٦١/٧/٨ ان التقارير التي تلقتها المخابرات البريطانية تفيد بأن قاسم يواجه صعوبات اقتصادية وسياسة داخل العراق دفعته الى المطالة بالكويت ، وتساءلت الدوائر العربية لماذا يطالب عبدالكريم قاسم بالكويت بعد اعلان بريطانيا إلغاء اتفاقية ١٨٩٩ ولماذا لم يطالب بهذا عندما كان البريطانيون يعلنون من جانبهم الحماية على الكويت وانها تابعة لهم وتساءلت الدوائر العربية هل الذي دفع عبدالكريم قاسم الى هذا التصرف الاحمق هو اتفاق سري وسابق مع البريطانيين حتى يضطر حاكم الكويت إزاء هذا التهديد ان يطلب من البريطانيين بقاء حمايتهم على بلاده أو عودة البريطانيين من الباب الخلفي ولماذ لاتكون المسألة حركة اصطنعها الاستعمار والصهيونية لخلق التفرقة في الصف العربي بعد ما بدا من اتحاد الوسائل والغايات في اجتماعات بجلس الدفاع العربي ، ونشرت جريدة "الأخبار" و "الأهرام" تحليل مماثل في صفحتها الأولى حول دوافع قرار عبدالكريم قاسم بضم الكويت وفيما يلي نص ما جاء في "الأهرام" بتاريخ ١٩٦١/٧/٢٠ حول هذا الموضوع[٢] :

"علم مندوب الأهرام ان الدوائر العربية المطلعة في القاهرة تعتقد استنادا الى ملابسات الحوادث الأخيرة وادلتها ان ازمة الكويت هي نتيجة واضحة لتخطيط استعماري بالغ الخطورة ويستهدف ضرب قدرة الامة العربية على الحركة بصفة عامة كما يستهدف ضرب القضايا الحساسة بالتحديد . ويكاد تتبع الحوادث بطريقة واعية ان يحدد نقطة البداية في اجتماع بجلس الدفاع العربي الأخير واتفاق الدول العربية التي اشتركت فيه مبدئيا على تأليف قيادة مشتركة وعلى تعيين قائد عام للجيوش العربية وكان هذا الاتفاق هو في الواقع اول مرة تصل فيه الدول العربية الى شيء ذى صورة علمية على الأقل منذ توصلت الدول العربية الى اتفاق الضمان الاجتماعي سنة ١٩٥٠ .

وليس سرا ان الوصول الى هذا القرار استلزم مناقشات طويلة وعنيفة داخل الاجتماعات لما كانت هناك معارضة قوية له فتحت تأثير ضغط الرأي العام العربي كان الاتفاق وبعد ذلك مباشرة لوحظ ان الحوادث بدأت تجري مسرعة الى ان كانت نهايتها ازمة الكويت التي جاءت لتقضي على كل احتمال لتطبيق عملي لهذا القرار قرار انشاء القوات العربية المشتركة وتعيين قائد عام عربي وسبب ذلك ان جيش العراق الآن اصبح في حالة تجمد كاملة في مواجهة الكويت على الاقل بسبب وجود القوات البريطانية فيها واذا ما حدث الآن محاولة اسرائيل تحويل مجرى نهر الأردن وبدأ الصدام العسكري المسلح بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة فأن العراق سوف يبدي عذره الظاهر في الابتعاد عن المعركة .

وتلاحظ الدوائر العربية في القاهرة ان اسرائيل بدأت سلسلة من الاعتداءات على حدود الاقليم السوري قبل ازمة الكويت بأسبوع واستمرت هذه الهجمات حتى احتلت القوات البريطانية الكويت وتربط الدوائر العربية في القاهرة سلسلة الأحداث التي تمت في الأسبوع الماضي كلها وتخرج بنتيجة واحدة هي ان هناك تخطيطا موضوعا اشتركت في تنفيذه اكثر من جهة واحدة لطرد فكرة القومية العربية وتفكيك الصف العربي واشغال الشعب العربي بأزمة الكويت المفتعلة عما يتعرض له من أخطار ، ففي الوقت الذي كانت فيه اسرائيل تحشد قواتها على حدود سوريا وتشتبك يوميا مع جيش الجمهورية العربية المتحدة وفي الوقت الذي تحرك فيه قوات الجيش المصري الى سيناء لمواجهة حشود الجيش الاسرائيلي على الحدود السورية في ذلك الوقت اعلن عبدالكريم قاسم ضم الكويت وتعيين امير الكويت قائمقام تابعا للواء البصرة واعلنت القاهرة رأيها المبني على المبادىء العربية الأصيلة وهو انها لاتؤيد سياسة الضم ولكنها تؤيد الوحدة العربية النابعة من اجماع الشعب العربي ولا تؤيد مبدأ استخدام القوة لأنه يحول مسألة عربية الى مسألة دولية تستغلها دول الاستعمار لمصلحتها خصوصا انه اذا بنيت العلاقات بين الدول العربية على اساس اوضاعها قبل الحرب العالمية الاولى فمعنى ذلك سلسلة من المنازعات والحروب بين العرب لن يستفيد منها لا اسرائيل ودول الاستعمار التي تسارع الى حماية دولة ضد أخرى وبذلك تحقق اهدافها باحتلال مناطق معينة من العالم العربي" .

نشرت جريدة "الجمهورية" مقالا في ١٩٦١/٧/١٧ اعربت فيه عن يقينها بأن :

"العامل الرئيسي في ازمة الكويت التي دبرتها بريطانيا هو المصالح البترولية التي تحتكرها وتتنازعها شركات بريطانية وأمريكية ... وان الجوانب التي كشفت عنها هذه الازمة الاستعمارية

عديدة ومتنوعة تظهر كلها ان مشكلة الكويت ليست الا جزءا من المشاكل التي يثيرها الصراع الدائم بين القوى الوطنية والقومية العربية من ناحية والقوى الاستعمارية والصهيونية العالمية من ناحية اخرى" .

نشرت مجلة "المصور" بتاريخ ١٩٦١/٧/١٣ تحليلا بقلم اللواء كمال عبدالحميد تناول فيه دوافع ازمة الكويت قال :

"بنوك لندن تخشى ان تسحب منها الكويت اموالها الطائلة ... شركات البترول البريطانية قلقة على مصير آبارها في الكويت ، الحكومة البريطاني تخاف ان تطالبها شعوب الخليج العربي بالاستقلال . الاستعمار والصهيونية يحاولان تحويل اهتمام العرب عن قضيتي فلسطين والجزائر هذه العوامل التي حركة ازمة الكويت بعد اعلان استقلالها مباشرة" .

كتبت صحيفة "الاحرار" لسان حال حركة القوميين العرب في لبنان مقالا بتاريخ ١٩٦١/٧٧/٣ جاء فيه :

"ان اهداف قاسم من وراء اعلانه ضم الكويت دفعها الى العودة لأحضان الحماية البريطانية الكاملة مرة أخرى وتحويل الانظار عن معركة فلسطين وتخريب الجمع العربي في هذه الفترة التي تشتد فيها مؤامرات الاستعمار والصهيونية وإلهاء الشعب العربي داخل العراق عن المعركة الأصلية التي يخوضها ضد قاسم والانكليز والانتهازية" .

يلاحظ من تتبع الاراء التي تناولت دوافع عبدالكريم قاسم لضم الكويت ان معظمها يدور حول كونها فكرة استعمارية مفتعلة ، علما بأن عبدالكريم قاسم كان عميل بريطاني في ثوب شيوعي ، وجميع اعماله كانت مشبوهه ومع المخابرات البريطانية عندما كان يعمل تحت امرة نوري السعيد قبل اعلان الاتحاد العراقي – الأردني الذي يشكل خطرا على اسرائيل ، ولهذا ارادت الدوائر الامريكية – البريطانية ضرب أكثر من عصفور بحجر واحد وخاصة الزعيم القومي جمال عبدالناصر بعد قيامه بالوحدة مع مصر عام ١٩٥٨ لأشغاله والعرب بأزمة الكويت وابعاده عن المخططات التوسعية الاسرائيلة ثانية ، واستنزاف الاموال العربية ثالثة ، وتفريق الصف العربي وضرب القومية والوحدة العربية رابعا ثم تهيئة هذا العميل عبدالكريم قاسم عن طريق الاستعمار الانكلو – امريكي والصهيونية العالمية ومما يؤكد ذلك الى العداوة والحقد الذي يكنه عبدالكريم قاسم لزعيم الامة العربية جمال عبدالناصر حيث تحولت العلاقات المصرية – العراقية في هذه الحقبة

الى عداوة اشد مرارة من تلك التي كانت تفصل بين الزعيم جمال عبدالناصر ونوري السعيد في فترة حلف بغداد وان اخطار واعمال عبدالكريم قاسم ضد مصالح العرب القومية سواء في فلسطين أو الكويت اقوى بكثير من خطورة حلف بغداد وكان اعماله لوحده يعادل تلك الخطورة كما قام بسجن عبدالسلام عارف بتهمة التقارب مع عبدالناصر ووضعه في زنزانة اعدام وبدأ عبدالكريم قاسم حملة عنيفة قمع فيها كل دعاة التقارب مع مصر وازال صور عبدالناصر من العراق .

جمال عبدالناصر وازمة الكويت

اشار الزعيم جمال عبدالناصر في برقيته لكل من الشيخ عبدالله السالم والملك سعود وقوف مصر ضد التهديدات العراقية واصدر عبدالناصر بيان من ست نقاط تناول فيه ما يجب ان يحكم العلاقات بين الشعوب العربية ورفضه لمنطق الضم وايمانه بأن الوحدة يجب ولايمكن الا ان تكون تعبيرا اجماعيا عن ارادة شعبية متبادلة قائمة على الأختيار الحر كما اعرب عن اسفه للأزمة المفاجئة في اعقاب اعلان استقلال الكويت وقال الزعيم جمال عبدالناصر في هذا البيان الصادر بأسمه شخصيا ان استقلال الكويت خطوة كان من المحتم تشجيعها وتأمينها تمكينا لروح الوطنية العربية واكد البيان ايضا ان الوحدة السياسية يجب ان تتوفر لها اسبابها واول هذه الاسباب ومن جهة عبدالناصر ان تنعقد لها الإرادة الشعبية الاجماعية كما اعرب البيان عن امل الجمهورية العربية المتحدة في ان ينتهي الموقف الطارىء بين الكويت والعراق على نحو يتسق مع المبادىء العربية واستبعد الزعيم جمال عبدالناصر ان يقف جندي عربي في مواجهة جندي عربي آخر في وقت تواجه الامة العربية فيه اخطر اللحظات في تاريخ نضالها .

جاء هذا البيان عامل ردع قوي ضد تنفيذ تهديدات قاسم بضم الكويت وقد احدث بيان الزعيم جمال عبدالناصر ارتياحا شعبيا ورسميا في الكويت التى جاء ردها :

"ان بيان الجمهورية العربية المتحدة خلق جوا من الطمأنينة وان الكويت كلها بل وابناء الامة العربية قد قابلت هذا البيان بارتياح عظيم اذ انها حست بصدق الأخ الرئيس جمال عبدالناصر وصراحته المطلقة في معالجة شؤون الأمة العربية" .

اضطرت الكويت لحماية نفسها ان تطلب دخول القوات البريطانية لحمايتها من تهديدات العراق ورغم انتقاد مصر للتدخل العسكري البريطاني وانتشار القوات البريطانية على وجه السرعة في الكويت ورغم تأكيد مصر على ضرورة انسحاب القوات البريطانية من الكويت وربط هذا

الانسحاب بالتصويت على قبول الكويت عضوا في الامم المتحدة ورغم تأكيده ايضا على ان ازمة الكويت كانت مدبره ورغم هجوم الصحافة المصرية بشدة على الحشود العسكرية البريطانية التى وصلت الكويت بطلب رسمي من الحكومة الكويتية رغم هذا اكله فإن المسلك الفعلي للقيادة المصرية كان مويدا تأييدا تاما لاستقلال الكويت وحقها في الدفاع عن ارضه بكل الوسائل والطرق فقد أكد السفير البريطاني في القاهرة في تقرير كتبه الى حكومته في منتصف شهر يوليو عام ١٩٦١ ان الرئيس عبدالناصر حريص على استقلال الكويت وانه ضد ادعاءات قاسم ولايمانع ان تستعين الكويت بالقوة التي تراها للحفاظ على استقلالها حتى ولو كانت بريطانية وهو ما لم يكن يتوقعه السفير البريطاني في القاهرة وبطلب وضغط من عبدالناصر تم عقد اجتماع لمجلس الجامعة العربية في ١٩٦١/٧/٢٠ وشهد وقائع مثيرة وانسحب الوفد العراقي من قاعة الاجتماعات بطريقة قوبلت بالاشمئزاز ونظر مجلس الجامعة في طلب حكومة الكويت الانضمام الى عضوية جامعة الدول العربية وفيما قدمت اليه الاطراف المعنية بهذا الشأن من مشاريع واقتراحات وقرر الموافقة على ما يأتي[٣] :

أولا : أ - تلتزم حكومة الكويت بطلب سحب القوات البريطانية من اراضى الكويت في اقرب وقت ممكن .

ب - تلتزم حكومة الجمهورية العراقية بعدم استخدام القوة في ضم الكويت الى العراق .

جـ - تأييد كل رغبة يبديها الكويت للوحدة أو الاتحاد مع غيره من دول الجامعة العربية طبقا لميثاق الجامعة .

ثانيا : الترحيب بدولة الكويت عضوا في جامعة الدول العربية

ثم اقترح رئيس المجلس دعوة مندوب الكويت للترحيب به عضوا في الجامعة العربية وعندما دخل ممثل الكويت عبدالعزيز حسين جلس امام لافتة كتب عليها الكويت وبجانبها العلم الكويتي وكان اول من هنأه الامين العام ثم لقى رئيس المجلس كلمة حيا فيها الكويت واشار الى الحقوق والالتزامات الواجبة لكل دولة في الجامعة وتمنى للكويت ان تسير دولة حرة ومستقلة مع مجموعة الدول العربية ورد عليه مندوب الكويت "ان الشعب الكويتي لم يفقد ثقته في الجامعة العربية وانه كلما اشتدت الازمة تتطلع انظار الأمة العربية الى الجامعة ونحن نحمد الله على ان العرب أخذوا بيد الكويت وشدوا من ازرها لتحافظ على استقلالها" .

تنفيذاً لقرارات مجلس الجامعة أجرى الأمين العام اتصالات بكافة الأطراف المعنية ووضعت الامانة العامة دراسة مفصلة في الموضوع من جميع جوانبه مع مشروع اتفاقية في شكل رسالتين متبادلتين بين الأمين العام وأمير الكويت تنظم وضع القوات العربية في الكويت ، ومن ثم وقع الامين العام المساعد للشؤون السياسية اتفاقا مع وزراء خارجية السعودية وتونس والسودان والاردن بالقوات التي تشارك بها الدول الاربع في قوات أمن الجامعة العربية في الكويت كما قام وفد من الأمانة العامة بالاتصالات بهذه الدول وغيرها لاتخاذ الترتيبات لوضع قرار المجلس موضع التنفيذ وخاصة بعد ان قام مندوب الكويت في الجامعة بتسليم الأمين العام مذكرة تتضمن موافقة بريطانيا على سحب قواتها فور وصول القوات العربية ، وفي صباح الثاني من اغسطس ١٩٦١ اجتمع الامين العام مع اللجنة العسكرية الدائمة واسفرت الاتصالات التي اجراها الامين العام بشأن ارسال قوات عربية الى الكويت لتحل محل القوات البريطانية عن نتائج هامة وهي موافقة الدول العربية على ان تشترك بقوات عسكرية رمزية في هذه القوات التى سترسل الى الكويت والتي اتفق على تسميتها "قوات الامن العربية" وسيعتبر أي عدوان على هذه القوات العربية الرمزية عدوانا على الدول العربية جميعا ، وقد وصلت "قوة الطوارىء العربية" الى الكويت في ١٠ سبتمبر ١٩٦١ وتكونت هذه القوة من الف جندي مصر والف جندي أردني وألف جندى سعودي وخمسمائة جندي سوداني وخمسمائة جندي تونس وكانت هذه القوات رمزية أكثر منها فعلية ولم يدم بقاءها طويلا في الكويت فقد قررت مصر سحب قواتها في ١٩٦١/١٠/١٢ وفي يناير ١٩٦٣ سحبت كل من السعودية والأردن والسودان وتونس قواتها ، وان ارسال تلك القوات العربية كان يعد اجراء جديدا من الاجراءات المساعدة على تسوية المنازعات لم يتوقعه ميثاق الجامعة العربية كما ان الجامعة بذلك تعد اسبق المنظمات الاقليمية في اتخاذ هذه الخطوة وقد نجحت الدبلوماسية العربية في تسوية النزاع العراقي – الكويتي لعدة حقائق لها اعتبارها الحيوي في مسار التطور التاريخي لهذا النزاع حتى تمت تسويته وهي[٩] :

أولا : ان الدول الثورية العربية الاولى في ذلك الحين وهي الجمهورية العربية المتحدة لم تكن طرفا في هذا النزاع وبذلك استطاعت جامعة الدول العربية ان تقوم بدور فعال في تسويته ، واكثر من هذا فإن الجمهورية العربية المتحدة لم تكن منحازة لأي من طرفي النزاع الكويتي – العراقي نظرا لأنه كانت هناك ازمة ثقة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق في تلك الفترة ، كما كانت الجمهورية العربية المتحدة تنظر الى الكويت على انها دولة اقرب الى

المعسكر التقليدي مما هي الى المعسكر الثوري على صعيد العالم العربي ككل ولذلك أمكن لطرفي النزاع ان يأمنا الى نزاهة وحياد التدخل من احل تسوية النزاع ما دامت مصر لن تمارس نفوذها في دوائر هذه المنطقة الاقليمية بحيث ترجح كفة أحد طرفي النزاع على كفة الطرف الآخر اثناء التسوية السلمية .

ثانيا : كانت اغلبة الدولة الاعضاء في جامعة الدول العربية ذات مصلحة اكيدة في تحقيق التسوية السلمية لهذا الخلاف بحيث لاتكون تلك التسوية على حساب استقلال الكويت ولا على حساب خروج العراق من الجامعة بل كانت من مصلحة اغلبية الدول العربية الاعضاء في الجامعة اتمام التوفيق في هذا النزاع .

ثالثا : ارتبطت تسوية النزاع بقضية قبول عضو جديد في الجامعة لذا فقد فرض النزاع الكويتي – العراقي نفسه على الجامعة العربية وعلى اعضائها لسببين اولهما : النزاع المهدد للسلام والأمن في المنطقة العربية وثانيهما : قبول عضو جديد في الجامعة العربية .

رابعا : صبغ التدخل العسكري البريطاني في الكويت هذا النزاع بصبغة دولية واضحة وأخرجته من كونه نزاعا محليا بين دولتين عربيتين الى نزاع بين الدول العربية من ناحية وبين دولة استعمارية كبرى من ناحية أخرى ولقد تأكدت تلك الصبغة الدولية للنزاع عندما رفع أمره الى مجلس الأمن الذي لم يستطع ان يتخذ أي قرار فيه .

خامسا : حول التدخل العسكري البريطاني انتباه أكثر من دولة عربية عن صميم هذه المشكلة "مطالبة العراق بضم الكويت" بل وان تتخذ موقفا حازما تجاه مشكلة فرعية وهي المطالبة بسحب القوات البريطانية من الكويت ، وقد ساعد هذا على حفظ وحدة الصف بين الدول العربية وعلى عدم انقسامها الى مجموعتين تؤيد كل مجموعة طرفا من طرفي النزاع وبمعنى ان القضية الفرعية طغت على القضية الاصلية ، واذا كان الاجماع بالنسبة للقضية الأصلية صعب المنال فإنه ميسور بالنسبة للقضية الفرعية .

سادسا : نجحت الأمانة العامة للجامعة العربية في ارسال قوة طوارىء دولية عربية وان كانت تلك القوة وصلت متأخرة بنحو شهرين من ظهور التهديد الرسمي العراقي للكويت . هذا وان كان تشكيل هذه القوات من ناحية كما ان انسحاب القوات البريطانية من ناحية أخرى يعتبر انتصارا للدبلوماسية الجماعية العربية في تسوية هذا النزاع .

سابعا : هذا الانتصار يجب الا يحجب عنا بعض العيوب الفنية في التحرك الدبلوماسي العربي ومن ذلك بطء هذا التحرك سواء اكان راجعا الى عدم ثقة الدول المتنازعة بقدرة الجامعة على تسوية النزاع الى ضعف الأجهزة الإدارية والفنية للجامعة العربية في المبادرة والتحرك ويظهر هذا البطء واضحا اذا قورن بسرعة التحرك العسكري البريطاني ففي اقل من اربع وعشرين ساعة على طلب الكويت نزلت القوات البريطانية في البلاد أو اذا قورن بسرعة احتماع مجلس الأمن الذي انعقد بعد اربع وعشرين ساعة من نزول القوات البريطانية في ارض الكويت .

يتضح من ذلك ان "قرارات الجامعة العربية" أو "قوة الطوارىء العربية" لم تكن تمثل اداة ردع للتهديدات العراقية بقدر ما يمثل الزعيم جمال عبدالناصر وشخصيته ومبادئه القومية واعتبار نفسه زعيم لكل الامة العربية سواء الاقطار العربية الصغيرة أو الكبيرة أو التقدمية ، ولهذا فقد مثل عبدالناصر نفسه اداة ردع والتي استمدت منها الكويت والامة العربية وحدة الصف العربي وعدم التشرزم وليس ذلك بجديد على عبدالناصر الذي لعب دورا سياسيا في كثير من القضايا العربية والإسلامية وللعالم الثالث مثل قضية الاردن وقضية لبنان والجزائر وتونس واليمن والكونغو واندونسيا وماليزيا وشرق افريقيا وغيرها .

يرجع معارضة عبدالناصر لضم العراق للكويت بنفس المستوى بأصراره لمعارضة وجود قوات الاستعمار البريطاني على ارض الكويت وان يكون الحل عربيا لقضية عربية وابعاد الدول الرأسمالية الاستعمارية نظر لاطماعها وادوارها المشبوهة وتعويض الكويت عن القوات البريطانية بقوات عربية واتخاذ قرار من جامعة الدول العربية بدعم استقلال الكويت والحفاظ عليه وقبوله وعضوا في الجامعة العربية برغم رفض العراق كل ذلك راجع لعدة أسباب منها :

أولا : دعم استقلال الكويت ومنع ضمها للعراق بالقوة أو بدون ارادة الشعب العربي في الكويت حتى لاتكون سابقة خطيرة بحيث لاتحاول كل دولة عربية كبيرة ابتلاع دولة صغيرة بحجة الوحدة أو الاصل والفرع .

ثانيا : تعزيز الثقة بين الاقطار الصغيرة مع الاقطار الكبيرة وتعزيز التعاون المشترك بغية تحقيق الوحدة القومية العربية برغم احتلاف الانظمة العربية والحفاظ عليها سواء اكانت جمهورية

أو ملكية أو ديمقراطية أو ديكتاتورية أو شيوعية أو بعثية أو إسلامية والمهم التعاون المشترك للحفاظ على المصير المشترك امام اعداء العرب من البريطانيين والامريكان .

ثالثا : منع عودة أو بقاء القوات البريطانية في الكويت بحجة حمايتها من النظام العراقي لعبدالكريم قاسم وبالتالي منع القوى الغربية وعلى رأسها بريطانيا من استنزاف الاموال العربية في الكويت .

ويمكن القول بأن الزعيم عبدالناصر استطاع بتلك التصرفات افشال المخطط البريطاني – الصهيوني بأبعاد العرب عن قضيتهم الاساسية بأغتصاب الكيان الاسرائيلي للشعب العربي الفلسطيني وتصفية قضية بفتح قضايا وازمات جانبية وذلك عن طريق استخدام عملائهم في المنطقة ومنهم العميل عبدالكريم قاسم الذي كاد ان يخدم الغرب – الصهيوني لولا مواقف الزعيم عبدالناصر وبعد نظرة لأحداث الأمة العربية حيث كان لعبدالكريم قاسم قد خدم الغرب والصهيونية العالمية بقيامه انقلاب عسكري واسقاط الاتحاد العراقي – الأردني الذي كان يشكل خطورة كبيرة نظراً للقدرات البشرية والمالية البترولية العراقية عندما تستخدم ضد العدو الصهيوني بأمتداد الجهة العراقية – الأردنية على خط النار .

العدوان العراقي على الكويت

خلفيات العدوان العراقي

فاجأة العالم القوات العراقية بعدوانها على الكويت فجر يوم الثاني من اغسطس ١٩٩٠ وكان خطط لها قبل ذلك ، بدءت الاجهزة الاعلامية العراقية منذ يوليو ١٩٩٠ في افتعال الازمة السياسية مع الكويت عندما بعث وزير الخارجية طارق عزيز مذكرة الى الامين العام للجامعة العربية بتاريخ ١٩٩٠/٧/١٥ يشكو فيها العراق من ان حكومة الكويت استغلت انشغال العراق في حربه مع ايران واقامت منشآت عسكرية ومخافر ومنشآت نفطية ومزارع على ارض العراق كما اتهمت المذكرة حكومتي الكويت والامارات بالاشتراك في عملية مدبرة لاغراق السوق النفطية بمزيد من الانتاج خارج حصتهما المقررة بالأوبك الامر الذي ادى الى تدهور سعر برميل النفط من ١٨ دولار الى ما بين ١١ و ١٣ دولار مما اصاب العراق بخسارة بلغت في الفترة بين ١٩٨١ ، ١٩٩٠ حوالي ٨٩ مليا دولار ، واتهمت المذكرة الكويت باقامة منشآت نفطية على الجزء الجنوبي من حقل الرميلة العراقي وسحب نفط منه قدر بـ ٢,٤٠٠ مليون دولار خلال الفترة من ١٩٨٠ الى

١٩٩٠ وطلب العراق بالغاء الديون المستحقة عليه ووضع خطة عربية لتعويض العراق عن خسائره في الحرب ، فردت الحكومة الكويتية بمذكرة تتحدث عن الدهشة والاستغراب البالغين للمذكرة العراقية وطالبت ترسيم الحدود واكدت ان حقل "الرميلة" يقع ضمن الأراضي الكويتية وان عمليات الانتاج تتم فيها ايضا وفقا للسيادة الكويتية ومرة ثانية وفي الرد على الرسالة الكويتية بعث وزير الخارجية العراقي بمذكرة الى الأمين العام مؤرخة في ١٩٩٠/٧/٢١ تتهم المسؤلين الكويتيين بسرقة ثروة العراق ووصفت الرسالة الكويتية بأنها مليئة بالمغالطات وان المسولين الكويتيين يتهربون ويماطلون في أي تنسيق جدي بين البلدين وعندما ارسلت الكويت مذكرة الى الامين العام للامم المتحدة بتطورات الازمة عاب العراق على الكويت ذلك معتبرا ان الكويت تقصد تدويل الازمة في الوقت الذي تتحدث فيه عن الجامعة العربية والعلاقات بين العرب وطلب بالدخول في مباحثات ثنائية مع الكويت وعندما تحدد يوم ٣١ يوليو ذهب الوفد العراقي الى "جدة" برئاسة عزة ابراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي لا لمناقشة التفاصيل وانما لمعرفة مدى قبول الكويت للمطالب العراقية وفي صبيحة يوم الاجتماع نفسه اكدت صحيفة "الجمهورية العراقية" ان العراق لن يساوم على حقوقه المشروعة(٥) ، وبعد نهاية اجتماع "جدة" بيومين وقع العدوان العراقي على الكويت في ١٩٩٠/٨/٢ .

أسباب العدوان العراقي على الكويت

يرجع اسباب العدوان العراقي للكويت الى عدة امور منها بالاوضاع الداخلية ومنها النظام نفسه ، لقد خاض العراق حربا مع ايران استمرت ثماني اعوام خسر خلالها نصف مليون عراقي ومليارات الدولارات اضافة الى الديون المتراكمة وبعد انتهاء هذه الحرب اضطر الى تسريح جزء كبير من جيشه دون ان يجد اولئك المسرحون عملا اضافية الى ان اقتصاد العراق مدمر بسبب الخسائر الاقتصادية الكبيرة للحرب من جهة والتركيز على التسليح وبناء الجيش من جهة أخرى ، وارتكزت سياسة النظام العراقي بتصفية وتشريد المثقفين واقناع جيشه وشعبه بأن مشاكلهم الاقتصادية خارجية نتيجة الحرب ضد ايران وتدمير الكويت لإقتصاد العراق والحصار الاقتصادي العالمي للعراقي الذي تقوده امريكا وتمكن من اثارة الحقد الطبقي لدى جيشه وشعبه وساد الاعتقاد لديهم بأن احتلال الكويت سيحل المشاكل الاقتصادية وانه سيستخدم ثروة الكويت لتحرير فلسطين وتوزيعها على فقراء العرب ، والسبب الثاني يرجع الى غياب الديمقراطية في العراق والذي ادى الى وجود نظام ديكتاتوري فردي بمساعدة الطبقة أو النخبة العسكرية ، قام بعمليات ابادة

للخصوم واصحاب الرأي الآخر ومارس العنف والبطش ونهب ما تبقى من ثروة العراق بأيدي قادته والمستفيدين من وجود ذلك النظام واستمراره خلال أكثر من عقدين ، وان مثل هذه الانظمة الديكتاتورية لم تتعظ وتستفيد من دروس وتجارب التاريخ فالحكم الفردي والديكتاتوريات التي سبقت هذا النظام أو واكبته والبعض الآخر من الحكم الفردي لازال يمارس نفس النهج في العديد من الاقطار العربية لم ولن يحقق الا الخراب والتدمير والتأخر والتخلف للشعب العربي في المشرق أو المغرب وقد لانستغرب من ذلك النظام العراقي الدكتاتوري الفردي ولكن نستغرب من بعض المثقفين والسياسيين الذين صفقوا له وايدوا ديكتاتوريته ودمويته[٦] وقدموا له المساعدات والدعم بكافة اشكاله بمختلف الذرائع والحجج ومن امثاله كثيرون من الحكم الفردي تخلف عقلية النظام العراقي وعدم معرفته بالمصالح الغربية وخاصة امريكا في المنطقة مما يدل على الحسابات الخاطئة للنظام العراقي الذي شعر بأن لديه قوة عسكرية قادرة على التوسع وكان الغرب هو الذي ساعدا واقام هذه القوة العسكرية العراقية بتقديمه الخبرات والخبراء والفنيين والاسلحة ذات التكنولوجيا العالمية وذلك لتخوف الغرب وعلى رأسها امريكا من الثورة الاسلامية في ايران وبالتالي كان على الغرب ان يفكر كيف يدمر تلك المؤسسة العسكرية وترسانة الاسلحة وفعلا نجح في ذلك ، أي ان الذي يعطي المال والسلاح قادر على منعه أو تدميره وخاصة المؤسسات العلمية والديمقراطية ذات تاريخ عريق وسجل حافل بالحروب والاختراعات منذ نشأة الثورة الصناعية والرأسمالية في حين لازال المجتمع العربي متخلفا في ابسط قواعد الحياة الا وهي الديمقراطية ومؤسسات البحث العلمية وحرية الرأي والتعبير قولا وفعلا وهذا ما لم يحسن ادراكه النظام العراقي فوقع في حساباته الخاطئة وعدم تقديره للمؤثرات الخارجية التي يصعب عليه فهمه او حتى مجاراته .

اصبح النظام العراقي نفسه يخشى ذلك الجيش فقرر توجيهه نحو الكويت لتدمير هذا البلد العربي ومن ثم تدمير الجيش العراقي العربي نفسه بعد حرب تحرير الكويت أي ان القوة العسكرية وحدها تدمير للنهضة والحضارة اذا كان تحت حكم شمولي أو فردي ديكتاتوري وان لايكون بناء القوة العسكرية ذاته الهدف وانما وسيلة للحفاظ على المؤسسات الديمقراطية والمجتمع المدني وبناء الإنسان واحترام عقله وإنسانيته وبالحرية والمشاركة الديمقراطية في اتخاذ القرار نستطيع الحفاظ على المؤسسة العسكرية من التدمير سواء من الداخل أو الخارج .

استغل النظام العراقي نقاط الضعف في اوضاع دول مجلس التعاون الخليجي التي تعيش مشكلات اساسية منها تحول شعار التنمية الشاملة الى نمو نمطي استهلاكي ترفي وعدم تمكن دول

مجلس التعاون الخليجي من حل مشكلتها السكانية على مستوى القطر الواحد مع عدم القدرة على بناء قوة عسكرية بتكنولوجيا متقدمة رغم فواتير شراء الاسلحة الضخمة وعدم قدرة دول مجلس التعاون الخليجي على تطوير هذا المجلس لتطبيق قانونه الاساسي وتحقيق الاتحاد بين دوله وعدم توفر المشاركة الشعبية في المنطقة والتي تعتبر الاساس في بناء المجتمعات المتقدمة وهذه المشكلات مع غيرها شكلت نقاط ضعف سهلت عملية الاختراق بغزو الكويت وما لم تعالج تلك المشكلات بعقلية علمية جديدة تعتمد على المتخصصين والمثقفين وعلى توفر جو الحرية في اطار فكر استراتيجي فإن الاخطار باقية سواء من العراق على الكويت أو ايران على الامارات وان الازمة الناجمة عن الغزو العراقي للكويت قد كشفت عن نقاط هامة وخطيرة في واقعنا لدول مجلس التعاون لابد من مواجهتها وان الوقت قد حان لان يمارس الجميع نقدا ذاتيا موضوعيا لمسيرتهم السابقة على مستوى القيادة والقاعدة للفكر والممارسة وهذا النقد لاينبغي ان يصل الى حد الاحباط والحلم وانما نقد صريح وموضوعي للسلبيات والتوجه بعقلانية وعلمية ترقى الى مستوى الاحداث والتحديات في الواقع والمستقبل(٧) .

سياسة العدوان العراقي في الكويت

حاول العراق ترسيخ الامر الواقع بالاسراع في خطوات ضم الكويت بانشاء محافظة جديدة تضم ثلاثة اقضية هي "كاظمة" و "الجهراء" و "النداء" - الاسم الجديد للأحمدي - كما يزعم اعتبار الكويت المحافظة رقم (١٩) في التقسيمات الادارية العراقية اما المرسوم الثاني فقضى بانشاء قضاء جديد بأسم "صدامية المطلاع" يمتد من المطلاع شمال جون الكويت الى جنوب البصرة وتعديل الحدود الادارية للبصرة مع شمالي الكويت وصاحب ذلك تغيرات أخرى شملت تغيير اسماء المدارس والجامعات والشوارع والمستشفيات الكويتية الى اسماء شخصيات عراقية وعربية فضلا عن الادعاء في البدء بتنفيذ سلسلة من المشروعات لربط الكويت بالعراق بالسكك الحديدية وشبكة توزيع المياه العراقية وعلى الصعيد الاقتصادي شملت التغيرات مساواة الدينار الكويتي بالعراقي كمقدمة للدمج الاقتصادي كما بدأ توطين الاف الاسر العراقية محل الاجانب الذين غادروا الكويت كجزء من تغيير الواقع الديموغرافي في الكويت ، والبعد الثاني في السلوك العراقي كان هو تحييد الخطر الايراني والبعد الثالث على المستوى العربي هو محاولة استثارة أكبر قدر من التأييد الشعبي للموقف العراقي . وبذل النظام العراقي جهودا ليزيد من نفوذه على مستوى الاقطار العربية كل على حدة أو على مستوى العمل العربي المشترك ككل وعلى الصعيدين الرسمي والشعبي بما في

ذلك الانفاق بسخاء على احزاب ونقابات وجمعيات وكذلك على مؤسسات صحفية واعلامية تناصر العراق أو تنطق بأسمه بشكل مباشر أوغير مباشر وعلى المستوى الدولي حاول العراق كسب الوقت و لم ينجح فقد أيدت روسيا والصين للقرار الذي قدمته الولايات المتحدة في مجلس الامن لفرض التدابير الضرورية لتنفيذ العقوبات الاقتصادية التي قررها المجلس وعلى اثر هذا الفشل قدم مبادرات شكلية والتي اعلنت في ١٢/٨/١٩٩٠[٨] وحاولت ان تربط بين الانسحاب العراقي من الكويت والانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية .

حدود الكويت مع العراق حقائق تاريخية

يرجع تاريخ وثائق الحدود الى فترات تسبق نشأة العراق كدولة مستقلة فهي ليست وثائق مصطنعة لتزييف دليل أو للمطالبة بحقوق لا أصل لها قدمت حين برز النزاع على الحدود بل هي حقائق التاريخ الثابتة الموثوقة ، فقد استمرت الكويت لنحو ثلاثةقرون ١٧١٢ - ١٩٩٢ كيانا متميزا استمر محتفظا باستقلاله تحت كل الظروف ورغم كل المتغيرات في شمال شرق الجزيرة العربية وكانت علاقة ذلك الكيان المتميز واضحة مع الدولة العثمانية التي شمل نفوذها كامل الاراضي العراقية ولم يكن هناك أي وجود عثماني في الكويت واعتمد اهالى الكويت على انفسهم في الحماية من هجمات القبائل وغاراتها على الكويت دون تلقي مساعدة من السلطات العثمانية في البصرة أو بغداد وعلى العكس فأن الكويت كثيرا ما قدمت مساعدات فعالة للحكومة العثمانية ، كما كانت الكويت ملجأ للثائرين على السلطات العثمانية وهذا ما اوضحنا في الفصول السابقة من هذا الكتاب مما يدل على عدم تبعية الكويت حتى من الناحية الادارية للبصرة وانما حافظت على استقلالها وعلى علاقاتها بالقوى المحلية والدولية .

اتفاقية الانجلو - عثمانية والحدود الكويتية - العراقية لعام ١٩١٣

وشهدت الفترة التالية لتوقيع اتفاقية ١٨٩٩ م جهوداً متصلة من جانب السلطات العثمانية لفرض هيمنتها علي الكويت ، وذلك لظهور أهمية ذلك الموقع كنهاية لمشروع سكة حديد بغداد الذي تسعى إلى تنفيذه المانيا حليف الدولة العثمانية . ففي عام ١٩٠٠ م وصلت إلى الكويت بعثة ألمانية برئاسة الهر ستمرش القنصل الألماني في الآستانة يرافقه الملحق العسكري في السفارة الألمانية لتقديم عرض إلى أمير الكويت بشراء قطعة أرض بالقرب من كاظمة تكون نهاية لمحطة خط سكة حديد برلين - بغداد . ورغم مظاهر الاستقبال الشكلية فقد اعتذر الشيخ مبارك عن قبول الهدايا

التي قدمها ستمرش ، كما رفض أن يتفاوض مع البعثة فيما طلبته من أراضيه . وحينما أبلغه ستمرش أن ألمانيا حصلت من السلطان العثماني على امتياز بمد خطوط حديدية عبر ممتلكاته أجاب أمير الكويت على ذلك بأنه هو المسيطر الوحيد على أراضيه وليس السلطان العثماني ، وأنه لايرغب في امتداد الخطوط الحديدية إلى بلاده . أن الشيخ مبارك قد توجس خيفة من نوايا البعثة ، وخشي أن تكون مناورة في التنكر والتخفي من جانب الدولة العثمانية ، ومن ثم كان رفضه للعروض الألمانية رغم إدراكه ما سوف تحققه بلاده من فوائد كثيرة من جراء امتداد الخطوط الحديدية إليها . ولكي تواجه الحكومة البريطانية الضغوط الألمانية والعثمانية على الكويت وافق السفير البريطاني في الآستانة على اقتراح اللورد كيرزون نائب الملك في الهند بضرورة إخبار الباب العالي والسفير الألماني في الآستانة في مارس ١٩٠٠ م بأن علاقة شيخ الكويت بالحكومة البريطانية تمنعه من التنازل عن أي جزء من أراضيه لأية دولة أخرى دون الحصول على موافقة الحكومة البريطانية .

وبينما كان الموقف يتأزم على هذا النحو بين الكويت والدولة العثمانية أجريت في نفس الوقت مباحثات دبلوماسية بين بريطانيا والدولة العثمانية أسفرت عن صدور تأكيد رسمي من قبل وزير الخارجية البريطانية إلى السفير العثماني في لندن يقضي بأن الحكومة البريطانية لن تغير علاقتها بالكويت ولن تحولها إلى محمية بريطانية بشرط ألا ترسل الدولة العثمانية من ناحيتها قوات عسكرية إلى الكويت ، أما إذا حدث تعد سواء من قبل الدولة فإن ذلك سيضطر الحكومة البريطانية إلى تقديم مساندتها الكاملة إلى شيخ الكويت ، وأعقب ذلك صدور تصريح عثماني في سبتمبر ١٩٠١ م بالمحافظة على الوضع الراهن في الكويت .

غير أن الدولة العثمانية لم تلبث أن تنصلت من ذلك التصريح حين أرسلت في العام التالي ١٩٠٢ م قوات عسكرية استهدفت بها تقليص نفوذ شيخ الكويت من أم قصر وصفوان ووربة وبوبيان ، ومن الواضح أن ألمانيا هي التي دفعت الدولة العثمانية إلى السطرة على مقاطعات الكويت الشمالية بما في ذلك المناطق الساحلية ، وذلك لاستغلال المخارج الضيقة والعميقة لخور عبدالله والزبير لتكون نهاية خط سكة حديد بغداد . مما يلفت الانتباه أن هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها نزاع إقليمي بين الكويت والدولة العثمانية ؛ فبينما ادعت الدولة العثمانية في سيطرتها على المقاطعات الشمالية من الكويت أنها تدخل ضمن حدود ولاية البصرة احتج الشيخ مبارك على تعدي الدولة العثمانية على ممتلكاته ، مؤكداً أن الأماكن التي سيطرت عليها الدولة قد استوطن بها

الكويتيون منذ مدة طويلة ، ودلل على ذلك بوجود آثار لأسلافه تتمثل في بعض القلاع القديمة التي بنوها هناك ، فضلاً عن استمرار القبائل الخاضعة لسيطرته بالعمل في الصيد والغوص على اللؤلؤ في المناطق الساحلية من تلك الجهات . وقد بادرت السلطات البريطانية في الخليج بإرسال سفينة حربية إلى خليج الكويت ، وتأكد قائد السفينة من وجود قوات عسكرية عثمانية في المواقع التي سبق ذكرها ، وكتب في تقريره المؤرخ في ٢٨ فبراير ١٩٠٢ م أن الكويت لها حقوق ثابتة في جزيرة بوبيان ، كما قدمت بريطانيا احتجاجاً لدى الباب العالي على هذه الانتهاكات(٩) .

تأكد لدى الجانبين البريطاني والكويتي بعد أحداث عام ١٩٠١ م و ١٩٠٢ م أن ما اتبع خلال الفترة التي أعقبت عقد اتفاقية عام ١٨٩٩ من الإبقاء على سرية هذه الاتفاقية قد جاء بنتائج مناقضة لما استهدف منها . وقد أرادت الحكومة البريطانية قبل الإقدام على خطوة الإعلان عن اتفاقية عام ١٨٩٩ م والاطمئنان إلى سلامة موقفها القانوني مما دفع اللورد كيرزون نائب الملك في الهند إلى تكليف المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل كمبال بدراسة وضعية الكويت ومدى تبعيتها للدولة العثمانية .

أوضح هذا التقرير أن الدولة العثمانية تعتمد في مطالبتها بتبعية الكويت على الادعاء بأن سكانها الأصليين قد وفدوا إليها من أم قصر في جنوبي البصرة ، غير أن التقارير المتوافرة في أرشيف حكومة بومباي تشير إلى إن سكان الكويت الأصليين قد وفدوا إليها من الجزيرة العربية ، وقد رجح كمبال صحة هذه هذه المعلومات الأخيرة هذا عن أصل سكان الكويت ... ، ثم انثنى بعد ذلك التقرير البريطاني الرسمي ليثبت مجموعة من الأحداث التي تؤكد أنه لم يكن ثمة سيطرة عثمانية فعلية على لكويت فمن ناحية قاومت الكويت بنجاح ، على حد تعبير الكولونيل كمبال ، جميع المحاولات التي بذلتها الدولة العثمانية لإخضاعها لها ، وأنها استطاع المحافظة على كيانها منذ تأسيسها حوالي منتصف القرن الثامن عشر ، وعلى حماية نفسها من محاولات القوى المجاورة للتدخل في شؤونها . ومن ناحية أخرى سجل كمبال مجموعة الحقائق التي اعتمد عليها في التوصل إلى النتيجة التي توصل إليها وهي : حماية شيوخ الكويت للثائرين على السلطات العثمانية ، عدم وجود حاميات عثمانية على الأراضي الكويتية في أي وقت ، عدم أداء حكام الكويت لأية التزامات مالية للسلطات العثمانية إلا لفترات قصيرة جداً ولظروف طارئة ، الأمر الذي يمكن معه تجاهلها ، بل إن العكس كان صحيحا فقد كانت الدولة هي التي تدفع رواتب سنوية لشيوخ الكويت مقابل حماية شط العرب بناء على ترتيب محلي ، أما رفع الراية العثمانية فلم ير فيه كمبال

صورة من صور التبعية ، فالرفع لم يكن أكثر من مظهر من مظاهر الاحترام الديني لدولة الخلافة الإسلامية .

استناداً إلى كل ذلك خلص التقرير البريطاني الشهير إلى أن الكويت لم تكن تابعة في أي وقت للدولة العثمانية ،وعلى هذا التقرير اعتمد اللورد لانزدون في تصريحه الذي أدلى به في مجلس اللوردات عام ١٩٠٣ م بأن شيخ الكويت خاضع للحماية البريطانية ، كما أن الحكومة البريطانية ترتبط معه بمعاهدات واتفاقيات خاصة ، مما يعد أول تصريح بريطاني رسمي بشأن الحماية البريطانية على الكويت وترتب على هذا التصريح طرح قضيتين أساسيتين : قضية استمرار الكويت في رفع الراية العثمانية ، وقضية حدود الكويت مع ولاية البصرة . بالنسبة **للقضية الأولى** كان الخلاف واضحاً بين وجهة النظر البريطانية التي تحكم اعتبارات القانون الدولي ، وبين شيوخ الكويت الذين يحكمون الاعتبارات الدينية . وجهة النظر البريطانية كانت ترى أن هناك تناقضا قانونياً واضحاً بين منع القوات العثمانية من النزول في الكويت وبين رفع شيخ الكويت للراية العثمانية ، من ثم طلبت الحكومة البريطانية من الشيخ مبارك أن يستبدل بالراية العثمانية راية أخرى . اعترض الشيخ على ذلك ، وكانت وجهة النظر التي قدمها أنه يرفع الراية العثمانية باعتباره مسلما وليس باعتباره من رعايا الدولة العثمانية . وقد استمرت هذه المشكلة ذات الطابع التناقضي بين قواعد القانون الدولي وبين المعتقدات الدينية دون حل لفترة غير قصيرة حتى تم تسويتها في اتفاقية يوليو عام ١٩١٣ م بأن يرفع الشيخ الراية العثمانية ، على أن تضاف إليها كلمة "كويت" لتكتب على ركن من أركانها ، إذا ما رغب في ذلك .

القضية الثانية ... قضية تعيين الحدود الفاصلة بين الكويت وولاية البصرة كانت القضية الأهم وبعد فترة قصيرة من تصريح لانزدون أجرت الحكومة البريطانية أول محاولة لتخطيط الحدود عام ١٩٠٤ م بخط يسير من "خور الصبية ليمر جنوب أم قصر وسفوان متجها إلى جبل سنام ، ومن هناك إلى وادي الباطن" . لم يقبل شيخ الكويت بهذا الاقتراح الأول لتعيين حدود بلاده ، فقد رأى أنه يحرم بلاده من تلك المناطق التي سبق للعثمانيين اقتطاعها ، أم قصر وسفوان ، فضلا عن أن الاقتراح البريطاني لم يتضمن شيئاً عن حدود الكويت البحرية التي كان يرى أنها تشتمل على جميع السواحل والجزر الممتدة من شط العرب إلى حدود الكويت الجنوبية . بعد ثلاث سنوات (١٩٠٧ م) تشكلت لجنة عليمة وفنية من حكومة الهند أقرت اعتبار جزيرتي وربة وبوبيان تابعتين للكويت ، وأرجأت النظر في بقية المطالب الكويتية . أمام كل هذه التطورات لم يكن منتظراً أن

تقبل الدولة العثمانية إخراجها بسهولة من المعادلة الكويتية ، خاصة بعد الانقلاب الذي قام به الاتحاديون عام ١٩٠٨ م وقد انعكست التطورات التي شهدتها الدولة بعد هذا الانقلاب على قضية العلاقات الكويتية – العثمانية[١٠] .

بدت انعكاسات تلك التطورات بعد فترة قصيرة من نجاح الاتحاديين في الاستيلاء على السلطة ، فقد بذل ولاتهم في البصرة وبغداد محاولات عديدة لإخضاع الكويت للحكم التركي المباشر . وقد رد شيخ الكويت على ذلك بتأكيد وضعيته الاستقلالية عن السلطات العثمانية في البصرة . وبدا ذلك في الرسائل التي كان يبعث بها إلى ولاة البصرة الاتحاديين والتي كان يحرص في كثير من الأحيان على تلقيب نفسه "بحاكم الكويت ورئيس قبائلها" بدلا من لقب "القائمقام" العثماني الذي كان ولاة البصرة حريصين على مخاطبته به . ونتيجة لتناقض المواقف على هذا النحو بدأ كل طرف يستخدم ما بين يديه من أوراق :

ولاة البصرة الاتحاديون لجأوا إلى الأسلوب العثماني القديم ... أسلوب تأليب القوى المجاورة على الكويت ، ومن هنا جاء تحريضهم لعشائر المنتفق لمضايقة الشيخ مبارك . لجأ هؤلاء أيضا إلى استخدام ورقة أخرى بالضغط على شيخ الكويت من خلال أملاكه وأملاك أسرته في البصرة والفاو ، فقد رفضت سلطات البصرة تسجيل تلك الأراضي في دفاتر "الطابو الخاقانية" بحجة أنه ليس عثمانياً ، وليست بيديه الوثائق العثمانية التي تشهد بصحة تبعيته للدولة العثمانية مما يمنع تلك السلطات من القبول بملكيته لتلك الأراضي ما لم يسارع بتقييد نفسه وأسرته في "سجل النفوس" .

ورد شيخ الكويت على نفس النمط ، فقد بادر بتسجيل ممتلكاته سراً في القنصلية البريطانية في البصرة ، مما دفع السلطات العثمانية لدى علمها بذلك الى التعدي على أراضيه ومزارع نخيله . وقد ترتب على تلك السياسات المتعادية بين الطرفين إجراء مباحثات بين الحكومتين البريطانية والعثمانية بدأت في فبراير عام ١٩١١ م واستمرت لأكثر من عامين وانتهت بالتوقيع على الاتفاقية الإنجليزية العثمانية الخاصة بالخليج في ٢٩ يوليو عام ١٩١٣ م ويتأكد المتابع لتفاصيل المباحثات التي جرت بين الجانبين أن تلك المباحثات قد تطرقت لحل المشكلات القائمة بين الجانبين في الخليج ومنطقة شط العرب بما فيها المسألة الكويتية التي ارتبطت بدرجة أو بأخرى بسائر القضايا المطروحة ، الاختلاف في وجهات النظر بين الجانبين حول المسألة الكويتية كان حول تبعية الكويت للدولة العثمانية ، وعما إذا كانت تبعية اسمية أو تبعية فعلية . حول هذه القضية جاءت وجهة نظر المفاوض البريطاني على النحو التالي :

١ - لم تكن الكويت خاضعة للسلطات العثمانية خضوعاً فعلياً ، وذلك استناداً على تقارير الرحالة الأوربيين الذين أبرزوا تلك الحقيقة ، ومن بينها تقرير لويس بلي الذي رفعه إلى حكومة بومباي عام ١٨٦٦ م .

٢ - طالب المفاوض البريطاني أن توافق الدولة العثمانية على الإبقاء على الوضع الراهن في الإمارة ، وأن تقوم بسحب حامياتها العسكرية من مقاطعات الكويت الشمالية وتعترف بتبعية جزيرتي وربة وبوبيان للكويت .

٣ - أن تمتنع الدولة العثمانية عن التدخل في شؤون الإمارة ومنها الشؤون المتعلقة بوراثة الحكم .

اتسمت مواقف المفاوضين العثمانيين بقدر كبير من الارتباك ، بل والتناقض ، فبينما كانوا يتمسكون بتبعية الكويت للدولة العثمانية كانوا يصرون في الوقت نفسه على تقليص حدود الإمارة ، كما أن ما أبدوه من استعداد للاعتراف بجميع الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع شيخ الكويت كان يلغي من الناحية الواقعية أية تبعية كويتية للدولة العثمانية . على أي الأحوال فقد انتهت تلك المباحثات الطويلة بالتوقيع في يوم ٢٩ يوليو عام ١٩١٣ م بالأحرف الأولى على اتفاقية الخليج وقعها عن الجانب العثماني إبراهيم حقي باشا وزير الخارجية ، وعن الجانب البريطاني السير ادوارد جراي وزير الخارجية أيضا . وتجدر الإشارة فيما يلي إلى أن أهم المواد التي جاءت في هذه الاتفاقية متصلة بالكويت بقصد إخضاعها للدراسة الموضوعية .

وتنقسم الاتفاقية إلى خمسة أقسام ، انصب القسم الأول منها على الكويت ، وقد تألف هذا القسم من عشر مواد يمكن استعراضها على النحو التالي[١١] :

المادة الأولى : مقاطعة الكويت كما هي محدودة في المادتين ٥ ، ٧ من هذه الاتفاقية تشكل قضاءاً مستقلاً في الإمبراطورية العثمانية .

المادة الثانية : لشيخ الكويت أن يرفع كما كان يفعل في الماضي العلم العثماني بالإضافة إلى كلمة (الكويت) تكتب على أحد أركان العلم إذا أراد ذلك وله أن يمارس إدارة مستقلة في المنطقة الإقليمية المحدودة بالمادة الخامسة من هذه الاتفاقية وتمتنع الحكومة الإمبراطورية العثمانية عن أي تدخل في شؤون الكويت بما في ذلك مسألة الوراثة وعن أي عمل إداري آخر ، وكذلك أي احتلال أو عمل عسكري في المقاطعات التي تنتمي إلى الكويت .

خريطة الكويت الملحقة بالاتفاقية البريطانية العثمانية لسنة ١٩١٣ المنطقة A التى يمارس الشيخ لكويت الاستقلال الذاتى الكامل فيها وتتبعها جزر وربة ، وبوبيان ، ومسكان وفيلكا ، وأم المرادم ، وعوها ، وكبر ، قاروه ، والمقطة مع الجزيرات والمياه الاقليمية الملاصقة (المادة الخامسة من الاتفاقية) .

المنطقة B وتدخل فيها المناطق التى تعيش فيها القبائل التى تنص المادة السادسة من الاتفاقية على اعتبارها تابعة لشيخ الكويت ، الذى يستوفى منها العشور والمنح الادارية .. ولاتباشر الحكومة الامبراطورية العثمانية فى هذه المنطقة أى عمل إدارى بدون علم ودراية شيخ الكويت ، كما تمتنع عن اقامة حامية عسكرية أو القيام بعمل عسكرى مهما كان نوعه . إلخ وقد حددت حدود هذه المنطقة فى المادة السابعة من الاتفاقية .

(صورت عن وزارة الخارجية البريطانية) .

المادة الثالثة : تعتبر الحكومة الإمبراطورية العثمانية بحيوية الاتفاقيات التي عقدها سابقا شيخ الكويت مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية والمؤرخة في ٢٣ يناير ١٨٩٩ م وفي ٢٤ مايو ١٩٠٠ م و ٢٨ فبراير ١٩٠٤ م بنصوصها الملحقة (ملحق : ١ - ٢ - ٣) بهذه الاتفاقية . وكذلك تعترف بسريان امتيازات الأرض الممنوحة من الشيخ المذكور لحكومة صاحب الجلالة البريطانية وللرعايا البريطانيين وحيوية المطالب المنطوية في المذكرة المرسلة بتاريخ ٢٤ اكتوبر ١٩١١ من السكرتير الأول لصاحب الجلالة للشؤون الخارجية إلى سفير صاحب الجلالة الإمبراطورية السلطان في لندن (كالنص الملحق بالاتفاقية - ملحق ٤) .

المادة الرابعة : لغرض تأكيد التفاهم بين الحكومتين التي عقد من قبل والخاص بتبادل التأكيدات المؤرخة في ٦ سبتمبر ١٩٠١ م بين سفارة صاحب الجلالة البريطانية في الأستانة ووزارة الخارجية الإمبراطورية فإن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تعلن بأنه طالما لايحدث أي تغيير من الحكومة الإمبراطورية العثمانية في الوضع القائم في الكويت كما هو محدد بهذه الاتفاقية فإنها لن تغير من طبيعة علاقاتها مع حكومة الكويت ولن تعمل على إنشاء محمية وإن الحكومة الإمبراطورية العثمانية لتأخذ مذكرة بهذا الإعلان .

المادة الخامسة : استقلال شيخ الكويت يمكن ممارسته في المقاطعات المحددة والتي تكون شبه دائرة تتوسطها مدينة الكويت وخور الزبير في الحد الشمالي والقرين في الحد الجنوبي وهذا الخط مشار إليه باللون الأحمر على الخريطة الملحقة بهذه الاتفاقية (ملحق رقم ٥) وجزائر وربة وبوبيان ومسكان وفيلكا وعوهة وكبر وقاروه وأم المرادم ، بالإضافة إلى الجزائر المجاورة والمياه التي تحتويها هذه المنطقة .

المادة السادسة : القبائل التي تقع داخل الحدود المتفق عليها في المادة التالية يعترف بها على أنها داخلة في تبعية شيخ الكويت الذي يقوم بتحصل الزكاة كما كان يفعل ذلك في الماضي وله أن يمارس الحقوق الإدارية التي يتمتع بها بصفته قائمقاماً عثمانيا ، ولا يجوز للحكومة الإمبراطورية العثمانية أن تمارس في هذه المناطق أي عمل إداري منفرد عن شيخ الكويت ، وأن تمتنع عن إقامة حاميات أو القيام

بأي عمل عسكري مهما كان نوعه دون التفاهم قبلاً مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

: حدود المقاطعة المشار إليها في المادة السابقة تحدد كالآتي : (خط الحدود يبدأ على الساحل عند مصب خور الزبير في الشمال الغربي ويعتبر تماماً جنوب أم قصر وسفوان وجبل سنام وبمثل الطريقة تترك لولاية البصرة هذه المحلات وآبارها وعند الوصول إلى الباطن تتبعها حتى الجنوب الغربي ثم تستدير نحو الجنوب الشرقي حتى تصل إلى البحر بالقرب من جبل منيفة ، وهذا الخط مشار إليه باللون الأخضر في الخريطة الملحقة بهذه الاتفاقية) . (ملحق رقم ٥) .

: في حالة موافقة الحكومة الإمبراطورية مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية على امتداد خط حديد بغداد – البصرة إلى البحر واعتبار الكويت نهاية لذلك الخط أو أي نهاية له تدخل في المقاطعة المستقلة ، تتفق الحكومتان على اتخاذ الإجراءات فيما يختص بحماية الخط المنشأ وكذلك تأسيس مكاتب الجمارك والمستودعات التجارية وأي مؤسسات أخرى ترتبط بوجود ذلك الخط .

سيتمتع شيخ الكويت بحرية تامة في ممارسة حقوقه في ممتلكاته الخاصة التي يمتلكها في ولاية البصرة على أن تكون ممارسته لهذه الحقوق الخاصة بممتلكاته طبقاً للقانون العثماني ، وهذه الممتلكات (غير المنقولة) تخضع للضرائب والقواعد الخاصة بحفظها وتمويلها وقضائها المقررة بالقوانين العثمانية .

: مجرمو المقاطعات المجاورة لايمكن قبولهم في مقاطعة الكويت بل ينبغي طردهم عند وجودهم ، ومن المفهوم أن هذا الشرط لايمكن أن تستخدمه السلطات العثمانية كذريعة للتدخل في شؤون المقاطعات المجاورة .

يل تلك الاتفاقية يمكن أن نعرض للملاحظات التالية :

في المادة الأولى من تلك الاتفاقية من قريب أو بعيد إلى تبعية الكويت لولاية البصرة ، دثت المادة عن الكويت باعتبارها قضاءً مستقلاً في الإمبراطورية العثمانية .

٢ - إن المادة الثالثة من الاتفاقية التي تضمنت اعتراف الحكومة العثمانية بحيوية الاتفاقيات التي عقدها شيخ الكويت مع الحكومة البريطانية ، كانت تعني في نفس الوقت الاعتراف باستقلال الكويت ، فإن منح الكويت حق الاتفاق مع دولة أخرى ، ثم الاعتراف بحيوية هذا الاتفاق دلالة قانونية غاية الأهمية .

والاعتراف "بخط حدود" للكويت فيما تضمنته المادة السابعة ، ذو أهمية بالغة ... وتصدر هذه الأهمية من حقيقة أن "خط الحدود" لا يوجد إلا بين كيانين سياسيين مستقلين ، وهي حقيقة لم تكن سلطات حكومة استانبول جاهلة بها لقبل ذلك بسبع سنوات فقط وعندما كانت الدولة طرفا في اتفاقية الحدود مع مصر في اكتوبر عام ١٩٠٦ م أصر المتفاوضون العثمانيون على تسمية الخط الذي تم تعليمه بخط إداري أو خط فاصل وليس خط حدود .

٣ - إن مظاهر التبعية العثمانية كانت ممثلة في مظهرين واهيين : أولهما ما نصت عليه المادة الأولى من الاتفاقية من أن الكويت تشكل قضاء مستقلا في الإمبراطورية العثمانية في الوقت الذي حالت فيه المواد التالية دون تدخل الدولة العثمانية في شؤون الكويت أو القيام بأي عمل إداري أو عسكري أما المظهر الثاني فكان يرتبط برفع العلم العثماني ، وكما سبق أن أوضحنا إن رفع الراية العثمانية كان يرتبط بالمفهوم الديني الإسلامي باعتبار الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية ، ومع ذلك فقد تميز العلم الكويتي عن العلم العثماني بكتابة كلمة "كويت" على أحد أركانه ، وهو أمر لم يحدث في أي منطقة تابعة للدولة العثمانية . ومن الملاحظ أن الشيخ مبارك لم يقبل إحداث تغيير في العلم العثماني باعتباره شعاراً إسلامياً و لم يقم بإحداث تغيير في شكل العلم الكويتي إلا بسبب الظروف العسكرية المصاحبة لنشوب الحرب العالمية الأولى ، وجدير بالذكر أن علم (الهلال والنجوم) استمر رمزاً إسلاميا حتى بعد سقوط الدولة العثمانية في عدد من الدول الإسلامية .

٤ - أن الدولة العثمانية طبقا لما نصت المادة العاشرة من الاتفاقية أصبحت لا تستطيع ممارسة سلطتها في استعادة المجرمين الذين يفرون إلى الكويت دون عقد اتفاق بهذا الشأن والنص عليه صراحة في الاتفاقية ، ويعني ذلك أنه لم تعد هناك سيادة للدولة العثمانية على الكويت . وبالإضافة إلى ذلك فقد أصر شيخ الكويت على أن يقتصر الطرد على رعايا الدولة العثمانية المتهمين في قضايا جنائية كما اشترط أن يأتي الطلب مباشرة من الباب العالي وليس من السلطات العثمانية في أي من الولايات التابعة للدولة العثمانية في بغداد أو البصرة .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أيضا أنه استخدم في نص المادة تعبير "طرد" بدلاً من "تسليم" وذلك مراعاة للتقاليد العربية . و لم تكن هذه هي المادة الوحيدة التي اعترض عليها الشيخ مبارك ، وإنما أبدى اعتراضه بصفة خاصة على حدود الكويت طبقاً لما وردت في نص المادتين الخامسة والسابعة من الاتفاقية حيث أعرب عن استيائه البالغ لفقدان الكويت للأجزاء الشمالية من أم قصر وسفوان وكان يطالب بتبعيتهما للكويت استناداً لحقوقه التاريخية فيهما . كما كان أكثر استياءً لما تضمنته الاتفاقية من تفويض الدولة العثمانية لوكيل من قبلها للإقامة في الكويت لرعاية مصالح رعاياها مما اعتبره أمراً استفزازياً ، وقد أعرب عن رأيه صراحة للمقيم البريطاني في الخليج بأن وجودمفوض عثماني في الكويت – وهو ما لم يحدث من قبل – سيفتح الباب للمؤامرات والدسائس مع السلطات العثمانية في البصرة كما أن وجوده يمكن أن يؤدي إلى إضعاف سلطته داخل البلاد وفي الصحراء المتاخمة للكويت وطالب بحذف هذا النص من صلب الاتفاقية . وقد استجابت الحكومة البريطانية لما أبداه الشيخ من مخاوف وطلبت من الحكومة العثمانية أن تصدر تصريحاً توافق فيه على سحب جميع موظفيها من الكويت ، وصدر ذلك التصريح بالفعل والحق بنصوص الاتفاقية ، وبذلك لم يعد للدولة العثمانية سند تعتمد عليه في تعيين وكيل أو مفوض لها في الكويت .

وليس من شك في أن الكويت رغم الاعتراضات التي أبداها الشيخ مبارك على بعض المواد التي وردت في الاتفاقية ، قد استفادت فائدة كبيرة في العديد من موادها . كما اعتبرت المواد الخاصة بتعيين حدود الكويت مع ولاية البصرة أساساً لتخطيط تلك الحدود بين الكويت والعراق في أعقاب الحرب العالمية الأولى وقيام الحكم الوطني في العراق . ولعل ذلك مما دفع الجانب العراقي في إصداراته الرسمية إلى عدم الاعتراف بهذه الاتفاقية بحجة أنه لم تتم المصادقة عليها .

وحقيقة الأمر أن الاتفاقية قد نصت على أنه سيصادق عليها وسيتم إجراء تبادل التصديق عليها في لندن عندما يتسنى ذلك وعلى أقصى تقدير في غضون ثلاثة أشهر من تاريخ التوقيع عليها . وعندما لم يتم التصديق على هذه الاتفاقية في فترة الشهور الثلاثة المحددة أعيدت المفاوضات بين الحكومتين العثمانية والبريطانية وتم توقيع اتفاقيات أخرى مدت فترة التصديق وحدد يوم ٣١ أكتوبر ١٩١٤ م آخر موعد لتبادل وثائق التصديق على تلك الاتفاقية . غير أنه بحلول ذلك التاريخ كانت الدولتان على مسافة قريبة جدا من الحرب ؛ وأصبح عدم التصديق على تلك الاتفاقية حقيقة واقعة في التاريخ .

القيمة القانونية لاتفاقية ١٩١٣

وعلى الرغم من أن اتفاقية ١٩١٣ لم تدخل قط دائرة النفاذ ، حيث لم يتم التوقيع النهائى عليها ولم تتم إجراءات التصديق عليها ، ومن ثم فقد بقيت عارية من القيمة القانونية الدولية الملزمة إلا أن هذه الاتفاقية على الرغم من ذلك تكشف عن وتؤكد عددا من الحقائق الهامة :

١ – إعتراف الدولة العثمانية بالكيان المتميز لدولة الكويت على الرغم من مطالبتها بالسيادة الاسمية عليه ، وقد تمثل ذلك في تسليمها بأهلية الكيان لإبرام اتفاقات مع بريطانيا وبحقه في وضع اسم الكويت على جانب من الراية التركية ، التى كانت كما سبق القول الراية الإسلامية .

٢ – أن ما انطوت عليه الاتفاقية من بيان لحدود الكويت كان يعبر عن القدر من الاقاليم الذي يحوزه ويديره شيخ الكويت بوصفه اقليما لكيان الكويت المتميز .

٣ – أن ما اعترفت به الدولة العثمانية من استقلال ادارى لقضاء الكويت وتسليمها بانتقال الولاية عليه وراثيا في أسرة الصباح ، كان يعنى فى وضوح وجلاء أن الدولة العثمانية كانت تنظر إلى الكويت نظرتها إلى إحدى الولايات التى تمارس عليها السيادة الاسمية ، مثل الحال بالنسبة لمصر مثلا في ذلك الحين ، وإنها لم تكن تنظر إلى الكويت في ذلك الحين باعتبارها جزءا من ولاية البصرة ، وإلا كان عليها أن تخضعها لذات الوضع الذي كانت تخضع له ولاية البصرة التى كانت تخضع للحكم العثماني المباشر .

٤ – أن هذه الاتفاقية قد تم إعدادها والتفاوض عليها بين الدولة العثمانية التى تدعى السيادة الاسمية على الكويت ، وبين بريطانيا الدولة الحامية للكويت ، وصاحبة النفوذ والسيطرة الفعلية على الكويت ، وعلى الرغم من أن الكويت لم يكن طرفا فيها ، وكان يتم إخطار شيخ الكويت بمضمونها عن طريق المعتمد السياسى البريطانى في الكويت . فأن الاتفاقية كانت بغير شك دليلا جديدا على الذاتية الاقليمية المتميزة للكويت .

حرب تحرير الكويت

ارتبطت اهمية المنطقة بالنفط ومن هذا المنظور فأن قيام العراق بغزو الكويت يعنى اتجاهه للسيطرة على ما يقرب من ربع الاحتياطي العالمي وانه لو مد سيطرته الى المنطقة الشرقية في السعودية لأصبح يسيطر على ما يزيد عن نصف الكمية المتداولة في سوق النفط العالمي ويلاحظ

هنا تزايد اعتماد امريكا على استيراد نفط الخليج العربي ووفقا لارقام ١٩٨٩ فقد استوردت ٤٤٪ من استهلاكها في نفس العام وتشير بعض التقديرات الى انها سوف تعتمد في عام ٢٠٠٠ على النفط المستورد في تغطية ثلثي استهلاكها ولذلك لم يكن غريبا ان يبرز اتجاه المسؤولين الامريكيين الحفاظ على تلك المصالح وبالتالي فأن من وجهة النظر الاستراتيجية الامريكية ليس من المسموح به وجود قوة محلية كالعراق أو عاليمة مسيطرة يصعب التنبؤ بسلوكها لتتحكم في اكثر من نصف احتياطي النفط في العالم وتعرض العالم الرأسمالي الغربي من خلال قرارات فردية لنظام سياسي ديكتاتوري لأزمات وتقلبات نفطية وبالتالي اقتصادية للغرب الرأسمالي وعلى رأسها امريكا حتى ولو تعهد هذا النظام بأنه لن يعوق المصالح الدولية فمن يتصور لنفسه حق المنح ربما يتصور لنفسه ايضا في أية لحظة حق المنع وهذا هو المرفوض من الغرب وعلى رأسها أمريكا وفي ضوء تلك الحقائق الاولية يمكن فهم موقف امريكا التي اظهرت الازمة بسرعة عجز الجهود الفردية والجماعية لدول مجلس التعاون الخليجي عن الدفاع عن نفسها مما شكل امتحانا صعبا للاستراتيجية الامريكية للدفاع عن الخليج العربي ولذلك وفي الوقت الذي ادانت فيه امريكا الغزو بمجرد وقوعه ورفضت الاعتراف بأية اثار ترتبت عليه فقد حرصت ايضا ومنذ اللحظة الاولى على تجنب القيام بأي عمل منفرد والاهتمام بتنظيم استجابة دولية حقيقية للازمة وهو ما تبلور بالفعل في تحقيق درجة كبيرة من الاجماع الدولي ربما لم يتحقق من قبل في اية ازمة سابقة ليس فقط من خلال تجميع القوى الدولية الرئيسية في العالم سواء في داخل مجلس الامن بريطانيا وفرنسا وروسيا والصين أو في خارجه مثل اليابان وألمانيا وانما ايضا من كافة التكتلات والتجمعات الدولية وبعد اسابيع قليلة من الازمة تبلورت الاستراتيجية الامريكية في شقين الاول هو احكام العزلة الدولية على العراق وتشديد الحصار الاقتصادي والبحري الى الدرجة التي ترغمه على الانسحاب من الكويت والثاني هو ردع العراق عن القيام بأي عمل هجومي عسكري آخر من خلال الانتشار المكثف في المنطقة كما تبلورت المبادىء والاهداف الرئيسية المعلنة للسياسية الامريكية حيال الازمة في[١٢] :

١ - ضرورة الانسحاب الفوري غير المشروط والكامل لجميع القوات العراقية من الكويت .

٢ - ضرورة اعادة حكومة الكويت الشرعية الى بلادها .

٣ - الالتزام بتحقيق الأمن والاستقرار في الخليج العربي .

٤ - التصميم على حماية ارواح المواطنين الامريكية وغيرهم في الخارج .

أوضحت روسيا منذ بداية الازمة دعوتها الى الانسحاب الفوري غير المشروط للقوات العراقية من الكويت ولكن ما هو أهم من ذلك ما اعلنته "موسكو" من قطع جميع الامدادات العسكرية للعراق وهو ما ينطوي على تأثير مباشر على قوة العراق العسكرية التي يتألف معظمها من اسلحة روسية الصنع بما في ذلك ٥,٥٠٠ دبابة ومعظم ما لديه من الصواريخ والطائرات . كما سارعت أوربا الغربية بأدانة العراق واتجه الجهد الاوربي - الامريكي المشترك للدفع باتجاه الدولي للعمل العسكري ضد العراق كما لوحظ ايضا اتجاه بعض الدول الاعضاء في الحلف الاطلسي لتوظيف الأزمة لاستعادة مراكزها الاستراتيجية في التحالف الاوربي - الامريكي والتى كانت قد بدأت تأخذ في الضعف نتيجة انتهاء الحرب الباردة وهو ما يصدق على تركيا الموجودة في مسرح الأزمة كما يصدق على اليونان(١٣) .

عقد اجتماع يوم التاسع من يناير ١٩٩١ بين وزيرى خارجية العراق وامريكا في جنيف وسلم فيها وزير خارجية امريكا رسالة من رئيسه وفيه تحذير الى صدام حسين منذرا بأن يخرج من الكويت قبل ١٩٩١/١/١٥ والا عليه مواجهة الواقع الذي يضم تحالفا من ٢٨ دولة ورفض العراق التحذير الامريكي وفي اجتماع في البيت الابيض ضم "بوش" ومستشاريه اختاروا الزمن للبدء بالضرب وكان ذلك الساعة الثانية والنصف صباح يوم ١٩٩١/١/١٧(١٤) . وفيما يلي جدول يوضح القوى العسكرية الرئيسية في ميدان القتال :

جدول ميزان القوى

المعدات العسكرية	بريطانيا	فرنسا	امريكا	مجموع قوات التحالف	العراق
اجمالي تعداد القوات المسلحة	٣٠,٢٥٠	٦٠,٥٠٠	٥٠٠,٠٠٠	٥٥٩,٧٥٠	٨٠٠,٠٠٠
اجمالي عدد الدبابات	١,٢٥٠	٢,٠٠٠	١,٦٥٠	٤,٩٥٠	٥,٥٠٠
اجمالي عدد الطائرات	٧٠٠	٧٠٠	١,٩٥٠		٥١٣
عربات القتال المدرعة	٢,٥٠٠	٢,٥٠٠	٢,٦٠٠		٥,٨٠٠
قطع المدفعية	١,٦٠٠	١,٦٠٠	١,٦٥٠		٥,٥٠٠
الصواريخ ارض/ارض	٣٦ بولاريس ١٢ لانس	٥٠ صاروخ بالستيكي ٤٤ متوسط	٥,٠٠٠ صاروخ بالفيكي كتيبة صواريخ في كل فرقة		٨٠٠ سكود ١٨٠ فروغ ٨

لم نذكر في هذا الجدول امكانيات الولايات المتحدة من حاملات الطائرات وهي حوالي ١٤ حاملة اقل واحدة تحمل ٨٥ طائرة مقاتلة وقاذفة والقطع والمدمرات البحرية التي تحمل صواريخ بحر جو ، بحر - أرض لم نذكر الامكانيات البحرية البريطانية والفرنسية وهي ضخمة ، كما لم نذكر امكانيات بقية الدول والتي يبلغ عددها ٢٥ دولة وهي امكانيات كبيرة جداً سواء برية أو بحرية .

بدأت القوات "التحالف الدولي المشترك" بقيادة امريكا عملياتها في واقع الامر قبل منتصف الساعة الاولى حيث اقلعت مجموعات من الطائرات الامريكية المجهزة بمستودعات الاعاقة الالكترونية ومعدات البحث الراداري لكي تمهد سماء المعركة للعملية المرتقبة مستخدمة فيها احدث انواع الاساليب الحرب الالكترونية لأول مرة في تاريخ الحروب والذي اعلنت تفاصيل قليلة جدا عنها ويعتمد على احداث حالة من التشبع الايوني في طبقات الجو العليا لمنع انتشار الموجات الكهرومغناطيسية والموجات الرادارية التي يستخدمها الـ العراقية المتخصصة في عملها لكشف الهجمات الجوية أو اعمال الاتصال والتنصت وغير ذلك من الاعمال الفنية وما ان انتهت عملية احداث التشبع الايوني المطلوب حتى شرعت القاذفات المقاتلة التابعة لامريكا وفرنسا وبريطانيا في شن غارات كثيفة في العراق لتدمير القواعد الجوية والطائرات العراقية وتدمير قواعد اطلاق صواريخ الدفاع الجوى وتدمير قواعد اطلاق الصواريخ ارض - ارض طراز "سكود" وتدمير مراكز القيادة والسيطرة وذلك باحداث شلل كامل وسريع في اعماق المسرح العراقي من خلال التوسع في استخدام الطائرات بكثافة والتركيز على اهداف مختارة وعدم تبديد النيران وتحقيق الاهداف الاستراتيجية للضربة الجوية وتتلخص هذه الاهداف في القضاء كلية على الاسلحة الصاروخية والكيماوية والبيولوجية والمنشآت النووية والتأكد من تدمير قواعد ومنصات اطلاق الصواريخ واخراج الطيران العراقي من المعركة بضرب الطائرات في ملاجئها داخل الأرض واصطياد ما قد يدفع به الى الجو وتدمير ممرات المطارات وجميع اراضي الهبوط لتحييد سلاح الجو العراقي وتأكيد السيادة الجوية للقوات المتحالفة وقد شارك في الضربة الجوية الاولى حوالي ٢,٥٠٠ طائرة اسقطت ما يزيد على ١٨ الف طن من الذخائر وهذا ما يعادل قوة القنبلة النووية التي القيت على مدينة "هيروشيما" في اغسطس ١٩٤٥ بمقدار مرة ونصف كما انه يزيد بمقدار مرتين على ما تم استخدامه في الغارات الجوية الامريكية والبريطانية على مدينة "درسدن" الالمانية قرب نهاية الحرب العالمية الثانية[١٥] ، هذا في الضربة الجوية الأولى فقط ثم تزايد العدد في الغارات والأيام التى بعدها ، وكانت في هذه الضربة الأولى ٧٥٠ طائرة تتجه في وقت واحد الى العراق وتكرر الطلعات في

الليلة الأولى ليتعدى عدد الطلعات الجوية ١,٣٥٠ طلعة وتصل مع نهاية أول ٢٤ ساعة من الحرب الى ٣,٠٠٠ طلعة أو أكثر وتعاونها شبكة الاستطلاع الالكتروني واجهزة التوجيه الأرضية من بعد والتي ترتبط بخدمات تقدمها أكثر من ستة اقمار صناعية ثم توجيه خدماتها جميعا لهذا المجال .

استمرت الغارات الجوية على العراق والعاصمة بغداد بصورة شبه متصلة ليلا ونهار طول فترة الحرب واستخدمت فيها ولأول مرة فوق بغداد قنابل اللهب "بي إل يو ٨٢" ذات التأثير التدميري الهائل اضافة الى الاشتباكات المتفرقة على طول الحدود السعودية - الكويتية والسعودية العراقية في حين واصلت مئات الطائرات مهماتها القتالية في العمق العراقي داخل الكويت وجرى اشتباك بين القوات البرية للحلفاء تدعمها المدفعية والطيران مع مواقع عراقية في أكثر من مكان واستمرت طوال الليل وحتى الفجر وقامت طائرات اخرى تابعة للقوات الامريكية طراز "اف ١٥" و "اف ١٦" بتدمير منصات اطلاق صواريخ عراقية وبدأ التعامل مع خطوط الاستحكامات الثلاثية للقوات العراقية واتخذت هذه العمليات ولأول مرة اسلوبا جديدا في تصعيد العمليات ويشمل ثلاث نقاط الأول[١٦] :

أولا : بدأت وحدات المهندسين في فتح الثغرات في السدود الترابية التي اقامتها القوات العراقية بطول الحدود الجنوبية للكويت ونجحت قوات التحالف في فتح خمس ثغرات في تلك السدود الترابية .

ثانيا : بدأ استخدام الطائرات واجهزة بث الموجات الصوتية في تفجير الالغام المزروعة امام الخط الدفاعي الاول للقوات العراقية كما استخدمت الوسائل الأخرى لفتح ثغرات في حقول الألغام من بينها المدفعية والصواريخ المخصصة لشق الطرق الآمنة وسط حقول الالغام .

ثالثا : قامت طائرات الحلفاء بقصف الخنادق العميقة التي اقامتها القوات العراقية لإعاقة تقدم القوات البرية وزودتها بكميات من النفط وكان هدف طائرات الحلفاء من هذا القصف هو اشعال النيران في هذه الخنادق والحفر واستنفاد مصادر امدادها بالنفط لتفويت الفرصة على قوات العراقية اذا ما ارادت اشعالها لحظة اقتراب قوات الحلفاء البرية منها .

رابعا : تكثيف عملية الاغارة البرية على مواقع عراقية واستطلاع قوتها وتدمير بعض وحداتها وآلياتها والعودة بكل من يمكن اسره من افرادها . وربما كان ذلك يعني بالفعل بداية الهجوم البري فلم يعد المجهود الرئيسي محصورا في العمليات الجوية ويمكن اعتباره من

عمليات اعداد المسرح للهجوم الشامل الذي كان على وشك ان يبدا ، وان اهداف هذه العمليات شكلت اخطر واهم مراحل هجوم الحلفاء وهي المرحلة الاولى من الهجوم البري والاقتحام البر - بحري .

شهد فجر الأحد ٢٤ فبراير ١٩٩١ بداية العمليات البرية لقوات التحالف الدولي ضد العراق وذلك عندما عبرت فرق كاملة من المدرعات والمشاة الميكانيكية الامريكية خطوط الدفاعات العراقية وسبقت هذه الفرق مئات الأسراب من الطائرات المقاتلة والقاذفات المقاتلة لتمهد الطريق وتوفر الحماية الجوية لهذا الهجوم الكاسح لقوات الحلفاء وفي الوقت نفسه تحول الساحل الكويتي الى كتلة من الانفجارات المتلاحقة اقتربت من ورائها سفن الانزال تمهيدا لانزال كتائب من المشاة على شاطىء الكويت في حماية تامة من نيران مدفعية الاسطول شرقا ومدفعية الميدان جنوبا بالاضافة الى مظلة جوية ممتدة ليكمل ذلك جميعه طلقات مدافع المدرعات ونيران المشاة الميكانيكية التي هي عماد الهجوم البري والجوي والبحري كما تم انزال وحدات من المظليين في شمال الكويت وحول مداخل العاصمة وتتلاحم جوانب الصورة وتكتمل لتصنع اقوى نماذج المعركة الحديثة التي هي بطبيعتها معركة اسلحة مشتركة وكانت عملية الانزال البحري من اصعب العمليات واكثرها دقة وكانت وحدات وكتائب مدفعية عراقية جيدة وطويلة المدى تغطي الساحل بنيرانها لتعرقل عملية الانزال البحري في اصعب مراحله وكان هناك نقطة اخرى لها اهميتها التكتيكية وهي جزيرة "فيلكا" المواجهة لمدينة الكويت والتي كان العراق يأمل في تحويلها الى شوكة تواجه القطع البحرية وسفن الانزال خلال عمليات الانزال ولذلك كان لابد من الاستيلاء على هذه الجزيرة في الوقت التي تواصل فيها القوات الجوية غاراتها على مواقع القوات العراقية بطول الجبهة وفي الاعماق كما كانت تشن ايضا اعنف غارات جوية شهدتها بغداد بل ربما اعنف غارات جوية بالقنابل غير الذرية تعرضت لها مدينة في التاريخ العسكري كله وان القوات المشتركة للتحالف الدولي دمرت للقوات العراقية ١,٦٨٥ دبابة و ٩٢٥ ناقلة جنود مدرعة و ١,٤٨٥ قطعة مدفعية في حين قامت القوات الفرنسية والامريكية باحتلال اجزاء من الاراضى العراقية في القطاع الجنوبي وفي اليوم التالي للعمليات البرية تم تدمير اكثر من مائة دبابة عراقية وقبل ان يكتمل اليوم الثالث من مرحلة الحسم وهو يوم الاربعاء ٢٧ فبراير كان عدد الاسرى العراقيين قد تجاوز ٣٠ الف اسير وفي تلك الليلة هاجمت القوات الامريكية - الفرنسية خمس فرق عراقية في العمق ودمرتها ليبلغ عدد الفراق العراقية

المدمرة والمتفككة ٢٦ فرقة من مجموع الفرق العراقية وعددها ٤٢ فرقة تضـم كـل منهـا أكـثر مـن عشرة الاف مقاتل كما دُمرت ١٤٧ دبابة و ٦٠ ناقلة جنود(١٧) .

اكتمل تحرير الكويت من العدوان العراقي مع نهاية يوم الاربعاء ٢٧ فبراير أي بعد اقل من ٨٠ ساعة على بدء مرحلة الحسم وتمت استعادة السيطرة الكاملة علـى دولـة الكويـت وفي نفـس اليـوم اعلن صدام حسين الاستسلام وقبوله جميع قرارات مجلس الأمن دون قيد أو شرط . وبذلـك انتهـى حـرب التحرير بتكبـد قوات العراق واقتصـاده خسـائر فادحـة في الأرواح والمعـادت وفي البنيـة الأساسية .

الهوامش :

١ - عبدالله زلطة - ازمة الكويت عام ١٩٦١ - القاهرة ١٩٩٤ صـ ٤٢ .

٢ - عبدالله زلطة - نفس المرجع صـ ٨٠ .

٣ - عبدالله زلطة - نفس المرجع صـ ٢٤٥ .

٤ - عبدالله زلطة - نفس المرجع صـ ٢٥٣ .

٥ - الكويت وجودا وحدودا - موسسة الكويت للتقدم العلمي - الكويت ١٩٩١ صـ ١٦ .

٦ - د. عبدالمالك خلف التميمي - الكويت والخليج العربي المعاصر - موسسة الشراع العربي - الكويت ١٩٩٢ صـ ٢٢ .

٧ - د. عبدالمالك خلف التميمي - نفس المرجع صـ ٣١ .

٨ - الكويت وجودا وحدودا - المرجع السابق صـ ٢٠ .

٩ - ترسيم الحدود الكويتية - العراقية - المركز الوطني لوثائق العدوان العراقي على الكويت - الكويت ١٩٩٢ صـ ٢٠ .

١٠ - ترسيم الحدود الكويتية - العراقية - نفس المرجع صـ ٢٥ .

١١ - ترسيم الحدود الكويتية - العراقية - نفس المرجع صـ ٣٤ .

١٢ - الكويت وجودا وحدودا - المرجع السابق صـ ٢٨ .

١٣ - الكويت وجودا وحدودا - نفس المرجع صـ ٢٩ .

١٤ - توم ماثيوز - اسرار حرب الخليج - موسسة المعرى - بيروت صـ ٢٣ .

١٥ - مراد ابراهيم الدسوقي - الغزو العراقي للكويت - القاهرة ١٩٩٥ صـ ٥٢ .

١٦ - د. صلاح قبضايا - عاصفة الصحراء - الشركة السعودية للابحاث والتسويق الدولية - لندن - ١٩٩١ صـ ٢٨١ .

١٧ - د. صلاح قبضايا - نفس المرجع صـ ٣٠٢ .

الفهرس